الفوائد الحسان
من آيات القرآن

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار السلام للنشر والتوزيع
شارع الأمير عبد العزيز بن جلوي (الضباب سابقاً) مقابل الغرفة التجارية
المملكة العربية السعودية ص. ب: 22743 الرياض 11416
هاتف: 4033962-4043432-1-00966 فاكس: 4021659-1-00966
E-mail: darussalam@awalnet.net.sa, riyadh@dar-us-salam.com
Website:www.darussalamksa.com

دار السلام العليا:	تلفون:	00966-1-4614483	فاكس:	4644945
دار السلام الملز:	تلفون:	00966-1-4735220	فاكس:	4735221
دار السلام السويدي:	تلفون:	00966-1-4286641		
دار السلام السويلم:	تلفون:	00966-1-2860422	فاكس:	2860422
دار السلام جدة:	تلفون:	00966-2-6879254	فاكس:	6336270
دار السلام المدينة المنورة:	تلفون:	00966-503417155	فاكس:	8151121
دار السلام خميس مشيط:	تلفون:	00966-7-2207055	فاكس:	0500710328
دار السلام الخبر:	تلفون:	00966-3-8692900	فاكس:	8691551
دار السلام الشارقة:	تلفون:	00971-6-5634623	فاكس:	5632624
دار السلام الكويت:	تلفون:	00965-99600845		
دار السلام لندن:	تلفون:	0044-208-539 4885	فاكس:	208-5394889
دار السلام نيويورك:	تلفون:	001-718-6255925	فاكس:	718-6251511
دار السلام هيوستن:	تلفون:	001-713-7220419	فاكس:	7220431
دار السلام لاهور:	تلفون:	0092-42-7240024	فاكس:	7354072
دار السلام كراتشي:	تلفون:	0092-21-4393936	فاكس:	4393937
دار السلام اسلام آباد:	تلفون:	0092-51-2500237		

الفوائد الحسان من آيات القرآن

المجلد الأول

تأليف

عبد الله بن محمد المعتاز

قدم له:

معالي الشيخ/ عبد الله بن سليمان المنيع

عضو هيئة كبار العلماء

دار السلام للنشر والتوزيع

الرياض - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓗ مكتبة دار السلام، ١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المعتاز، عبد الله محمد

الفوائد الحسان من آيات القرآن. / عبد اللّه محمد المعتاز.

الرياض، ١٤٣٤هـ ص. ١٧ ×٢٤

ردمك: ٦ - ٢٣٥ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (مجموعة)
٣ - ٢٣٦ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (المجلد الأول)

١- القرآن - السور والآيات. ا. العنوان

ديوي ٢٢١ ٤٩٧٩ / ١٤٣٤

رقم الإيداع: ٤٩٧٩ / ١٤٣٤

ردمك: ٦ - ٢٣٥ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (مجموعة)
٣ - ٢٣٦ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (المجلد الأول)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، قيِّمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا. الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وكمال ذاته وصفاته وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وقائد الغر المحجلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. وبعد:

فلقد منَّ الله عليَّ أن اطلعت على المؤلَّف القيم بعنوان: "الفوائد الحسان من آيات القرآن" لمؤلفه فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد المعتاز، وقرأت الكثير من فوائده وغرره ووجدت وراء تلك الفوائد فؤادًا مستنيرًا ونظرًا سديدًا وفقهًا واسعًا يتميز بالعمق في النظر والقدرة على الاستنباط والاستظهار وقوة الإيمان المنتجة الفقه في الدين.

لقد ذكرتني هذه الفوائد بفوائد ابن القيم رحمه الله وبتبصرة ابن الجوزي.

ولفوائد الشيخ المعتاز منحىً أشمل وأوسع وأكثر التصاقًا بكتاب الله واستنباطًا منه واستدلالًا لكل فائدة منه ووضوحًا في بيان وجه الاستدلال من كتاب الله نصًّا أو تفسيرًا.

لقد جاءت هذه الفوائد رفدًا في كشف أسرار الإسلام وأسرار الإيمان وأسرار الإحسان ومناحي مكارم الأخلاق ومسالك الزهد والتقشف والشعور بحكمة الوجود في هذه الحياة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ والتحذير من الاغترار بالحياة الدنيا وأنه يجب علينا معشر المسلمين أن نتعامل مع الحياة تعامل العاقل مع الحقيقة وأن ندرك الوضع السلبي لمفهوم الناس للحياة حيث إن الغالب الأغلب من بني البشر عامة ومن المسلمين خاصة يتعاملون مع الأوهام كما لو كانت حقائق ويتعاملون مع الحقائق كما لو كانت أوهامًا.

ومن هذا المفهوم الخاطئ للحياة انتشر بين الناس الاغترار بالحياة وألهاهم الأمل وأحاطت بهم عوامل الضلال والصدود والغفلة: الهوى والنفس والشيطان، فأرجو أن يكون في هذه الفوائد القيِّمة ما ينير السبيل ويهدي إلى الصراط المستقيم، كما أرجو أن يكون هذا الكتاب المبارك عملًا خالصًا لله تعالى واصلًا حياة مؤلفه في الدنيا بحياته في الآخرة، فيكون علمًا ينتفع به وأن يثقِّل به موازين حسنات مؤلفه ليكون في عيشة راضية يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. والله المستعان، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه

عبدالله بن سليمان المنيع

عضو هيئة كبار العلماء

٢٠/ ٤/ ١٤٢٧هـ

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد:

فإن تدبر القرآن واستنباط الفوائد منه فضيلة عظيمة وأجر كبير وبركة للعبد وخشوع للقلب ومنهل عذب وثمرة يانعة وعلاج للنفوس وعافيةٌ للأبدان والأرواح وراحةٌ للضمير، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨] وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩] وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٦] وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران:١٣] فلا أنفع من تدبر القرآن، والتفكر في آياته يورث الإيمان، وحب الله ورسوله، والشوق إلى لقاء الله والجنة، ولقاء رسوله ﷺ، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل والرضا، والمحبة، والشكر، والصبر، وجميع الصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة، والعلم النافع، وقوة القلب وانشراحه، والبهجة والسرور، والثبات على الحق، فهو كالغيث للأرض يحييها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢] وقال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨] وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣] ومن

لا يتدبر القرآن ولا يتأثر به ولا يعمل به فهو كالحمار يحمل أسفارًا، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] وكالأصم ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان: ٧] طبع الله على قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] ومن ترك تدبره فقد هجره، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وترك تدبره من هجرانه (تفسير ابن كثير: ٦/ ١٠٨) وقد عاب الله على المنافقين بعدم تدبر القرآن، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: ٢٤] ووصف الرسول ﷺ الخوارج بذلك، فقال: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم» [البخاري: ٣٣٤٤ ومسلم: ٨٢٢] وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تهذوا القرآن هَذَّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة» [تفسير البغوي: ٤/ ٤٠٧] كما أن تدبر القرآن من النصح لكتاب الله، قال ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [مسلم: ٥٥] وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (قد رأيت رجالًا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده، ينثره نثر الدقل) [الطبراني في الأوسط: ١/ ١٦٥، حياة الصحابة: ٣/ ١٧٥ قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح].

وفي هذا الكتاب جمعت بعض الفوائد الحسان المستنبطة من القرآن عونًا على تدبر كتاب الله، وتعميمًا للفوائد، لينتفع بها من لم يصله علمها، وقد توخيت الاختصار لتسهل قراءتها، ولا تأخذ من

وقت القارىء الكثير.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بها خلقًا كثيرًا، ويجعلها في ميزان من كتبها أو قرأها أو قُرئت عليه أو عمل بها، إنه سميع مجيب الدعوات. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

عبدالله بن محمد المعتاز

مؤسس إدارة المساجد والمشاريع الخيرية

عضو مؤسسة الأعمال الخيرية لعمارة المساجد

المشرف العام على مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل الكتاب فقال ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] والصلاة والسلام على المخصوص بالمعجزة الخالدة، والرسالة الخاتمة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جمعوا وأقاموا الذكر، فبقي لهم الشكر وحسن الذكر. وبعد:

فإن القرآن الكريم هو نور القلوب وحياتها، وشفاؤها وسعادتها، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار، قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

وقد عظم الله شأنه، ووصفه بأوصاف كثيرة، تدل على علو قدره ومنزلته فمن ذلك قوله ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١٥] وقوله ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]

وقد رتب الأجور وعالي الدرجات على تلاوته وتدبره، والعمل به، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩] وقال: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]

ووصف أهله- وحافظيه- بالعلم فقال ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

لذا فقد اشتدت عناية المسلمين به، وقد توفرت الدواعي على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم يبلغه شيء ولا غرو فهو معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية:

فنقلوا إلينا الأسانيد الصحيحة المتواترة، وألفوا في كل جزئية من جزئياته، وبينوا ما فيه من تفاسير وأعاريب وقراءات واستخرجوا فوائده ودرره.

وممن سار على دربهم وواصل فوصل عللا بعد نهل شيخنا الفاضل الشيخ عبد الله بن محمد المعتاز حفظه الله فقد عاش القرآن واستخرج منه الفوائد والفرائد وتأنق في حدائقه وعبَّ، وكرع في معينه حتى تروى فأفاض وأفرغ لنا بسبكه الذهبي، ومن بحره الزاخر بالدر والجواهر من كل نفيسة من نفائس الأذهان، يعظم بها الامتنان ويغلى لها الأثمان تأبى غير الشكران والعرفان وتسمو عن النكران والكفران، وقد جُمعَت تلك في الفوائد في كتاب سماه (الفوائد الحسان من آيات القرآن) طبع في ثلاثة مجلدات.

وإن من حسن الألطاف وبشائر التوفيق أن وقع بين يدي وشدني في سيور أسره حتى قرأته بأسره وكلما قلت قضيت منه وطري كررت عليه على أثري وما إن عرجت على فائدة أحكم قيدها إلا ناجتني بأخرى بعدها حتى قرأته على شيخنا مرارا بيد أن شيخنا حفظه الله

قد جمع الفوائد ونثر وفرق ونشر، ففائدة في العقيدة وأخرى في التفسير تنقلك لأخرى فقهية وهكذا دواليك تنتقل من فن إلى فن، فلا يلم بقارئه الملل وهو ينزه عينيه في ألوان شتى ويتنقل بين الحدائق الغناء لينهل من معينه الفياض ومنبعه الصافي ومورده العذب.

ورغبة مني في مصاحبة الكرام وتسهيلاً لقنص فرائد الكتاب عنونت لكل فائدة بعنوان يسمها ولا يصمها، لاسيما مع ضخامة الكتاب ووفرة الفوائد وقد بلغ مجموع فوائد الكتاب (٢٢٣٣) فائدة منها (٧٧١) فائدة في المجلد الأول و (٨٩١) في المجلد الثاني (٥٧١) في المجلد الثالث وأتبعت ذلك بفهرسة الفوائد في نهاية كل مجلد ثم عرضتها على شيخنا حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية فاستحسن الأمر وأمضاه وحض على طبعه بعدما ارتضاه وما ذلك إلا برد تشريف كسانيه ويد عظيمة أسداها وإحسان أولانيه، أسأل الله أن يجزيه عني خيرا الجزاء وأن يجعل ذلك في موازين حسناته وأن يشملنا جميعا سبحانه بعفوه وغفرانه.

كما أسأله أن يبارك له في عمره و علمه وعمله وذريته وصلى الله علي بنينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

عبد الرحمن محمد النور عثمان

١١ ذي القعدة ١٤٣٣هـ

في مدينة الرياض حرسها الله

فائدة: سعة فضل الله ورحمته على أنبيائه وغيرهم

فضل الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام عظيم، وكرمه واسع، وإحسانه ومنته وفضله ورحمته وجوده ومعروفه عليهم وعلى غيرهم من المخلوقات أكبر من أن تحيط به القلوب والأبصار، قال الله تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء:١١٣] وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [يوسف:٢٢] وقال عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [القصص:١٤] وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ﴾ [المائدة:١١٠] وقال عن داود عليه السلام: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص:٢٠] وقال عن الخضر: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف:٦٥] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١] وقال عن إسحاق ويعقوب عليهما السلام: ﴿وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ۝ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٢،٧٣] وقال عن لوط عليه السلام: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ﴾ [الأنبياء:٧٤] وقال عن نوح عليه السلام: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنبياء:٧٦] وقال عن داود عليه السلام: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ

يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

فائدة: الكمال المطلق لله تعالى

والدين الإسلامي دين الكمال، ومحمد ﷺ وصل إلى الكمال البشري، وأمته أكمل الأمم، وقد جمع دين الإسلام بين القوة والعدل والشدة في الله واللين والرأفة والرحمة، وهو دين الوسطية، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣] ومعنى ﴿وسطًا﴾: عدولًا، والكعبة وسط الأرض، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [الحج: ٧٨] والإسلام أباح الطيبات وحرم الخبائث، وكل خلق طيب أمر به، وكل خلق رديء نهى عنه، وكمل الله لهذه الأمة جميع المحاسن التي فرقت على الأمم، وكمل لنبينا محمد ﷺ المحاسن التي فرقت على الأنبياء، وكمل للقرآن الكريم جميع المحاسن التي فرقت على الكتب السابقة ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

فائدة: مراتب العلم ستة

١- حسن السؤال، قيل لأحدهم: بم أدركت العلم؟ قال: (بلسان سؤول).

٢- الإنصات، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

٣- حسن الفهم، ويحصل هذا بسلامة القلب وحضوره وجمعه وإلقاء السمع والإصغاء.

٤- الحفظ، وهو خزان العلم ومستودعه، قال تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾.

٥- التعليم، فهو يزداد بتعلمه وتعليمه، وكلما أخذ منه زاد، لا ينقصه التعليم.

٦- العمل، وهو ثمرة العلم وغايته، وبدون العمل يكون العلم حجة على العالم.

فائدة: الحروف المقطعة في أوائل السور

الحروف التي يفتتح بها بعض سور القرآن، مثل ن ، ق، كهيعص، ص ، المص، المر ، الم ، إما أحادية أو ثنائية أو ثلاثية أو رباعية، ولا تتجاوز خمسة أحرف، والله أعلم بمراده منها، والذي يظهر أنها للتنبيه على أن هذه الحروف هي التي يتألف منها القرآن الكريم، وأنها عظيمة القدر عند الله، ولهذا يعقبها ذكر القرآن وعظمته، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ○ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة:١،٢] وقوله: ﴿الٓمٓ ○ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ○ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [آل عمران:١-٣] ﴿الٓمٓصٓ ○ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:١،٢] ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ [الرعد:١] فهذه الحروف نعمة من نعم الله تعالى على عباده، ومنة امتن الله بها عليهم في التكلم بها، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ○ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن:٣،٤].

وهذا القرآن العظيم من هذه الحروف التي فضل الإنسان بها على الحيوانات، وبها أنزلت الكتب وأرسلت الرسل، وتعلم الناس، وبها تميز الحق، وألفت المؤلفات، ومنها تألفت الكلمات، ومن الحرفين الكاف والنون أمر الله ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن

فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] فسبحان الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، علم القرآن، وعلم البيان، وعلم بالقلم، وعلم اللغات، قال تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ [الروم:٢٢] روى أبو داود عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يارب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» [أبو داود:٤٧٠٠، وأحمد:٥/٣١٧، والبيهقي:١٠/ ٢٠٤، وصححه الألباني] وثبت من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام وعرشه على الماء» [الترمذي:٢١٥٦، وأحمد:٢/ ١٦٩، وصححه الألباني].

فائدة: أمر الله للمؤمنين بإفراده بالعبادة

قال الله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ○ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:١٤،١٥] كما أن الله تعالى رفع بعض عباده إلى درجة النبوة، فقد رفع العرش، وهو سبحانه رفيع الدرجات، وهو يرفع من يشاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤] فالرسالة والنبوة غير مكتسبة، فهو سبحانه يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده، أما رفع الدرجات فيكون بالإخلاص في عبادة الله تعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ○ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر:١٤،١٥] ويكون رفع الدرجات بالعلم والإيمان، كما قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة:١١].

فائدة: كلما كان العبد أعلم بالله كان الواجب عليه أعظم

كلما تمكن العبد من عبودية الله كان عليه من الواجبات أعظم مما على غيره، فالواجب على الرسل أعظم من الواجب على أممهم، والواجب على أولي العزم من الرسل أعظم ممن دونهم، والواجب على العلماء أعظم من الواجب على غيرهم، وكل أحد بحسب مرتبته، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] وقال المسيح ابن مريم عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [مريم:٣٠] وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] ومن زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعبد لله فهو كافر زنديق منسلخ عن الدين، ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] أي اعبده حتى الموت.

فائدة: تذكير العباد بنعم الله الظاهرة والباطنة

من فضل الله تعالى وكرمه ومنه ورحمته أنه خلق كل شيء من أجل الإنسان، وسخر له ذلك الخلق في السموات والأرضين، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان:٢٠] وكرم الله بني آدم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء:٧٠] واصطفى منهم آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران عليهم السلام، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣] واصطنع موسى عليه السلام لنفسه، فقال: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه:٤١] واتخذ الله محمدًا وإبراهيم عليهما السلام خليلين، وثبتهما في القول الثابت،

وأعطى محمدًا ﷺ الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وخلق ابن آدم لنفسه، وخلق كل شيء لابن آدم، وتكفل برزق الإنسان، واشترى سبحانه من المجاهدين في سبيله أنفسهم بأن لهم الجنة إذا قاتلوا فقتلوا، وجعل حملة العرش تستغفر لهم، وجعل من الملائكة من يحفظه ومن يسعى لرزقه، والأفلاك منقادة مسخرة لمصالحه، والرياح والسحاب والبحر والفلك والهواء والجبال والأنهار والأشجار والنبات والحيوانات كلها مسخرة له.

فائدة: الأمر بالدعاء والوعد بالإجابة

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

«الدعاء هو العبادة» [الترمذي: ٢٩٦٩ وصححه الألباني] وقد أمر الله تعالى بالإكثار من الدعاء، ووعد الداعين الاستجابة، وهذا من كرمه وفضله ومنه وعطائه وإحسانه ورحمته، ويجب الإخلاص فيه لله تعالى، وألا يشرك المرء به أحدًا من خلقه حيًا ولا ميتًا، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ [غافر: ١٢] وقال: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤] ويطلق الدعاء على سؤال العبد من الله حاجته، كما يطلق على عبادة الله، لأن العبادة لا تخلو من دعاء المعبود، والاستجابة تطلق على إعطاء المسؤول من سأله، وتطلق على أثر قبول العبادة، وحصول الثواب، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فائدة: بشرى للتائبين

من فضل الله تعالى أنه يعطي التائب من الذنوب حسنات بدل سيئاته، قال تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان:٧٠] فإذا كان التائب بعد الذنب خيرًا مما كان قبله، وحصل له من الخوف والرهبة والاستغفار، وكلما ذكر ذنبه انخلع قلبه وندم وحصل عنده من كسرة القلب وعدم الكبر والتواضع والذلة والخضوع لله، والإخبات والانطراح بين يديه والاستسلام له، والحذر من الوقوع في المعاصي، والتشمير في عمل الحسنات، إذا كان كذلك صار بعد التوبة أحسن حالًا مما كان قبلها، كما هو حال آدم عليه السلام، وربما يكون هذا الذنب سبب دخوله الجنة، فمن بدل عمله السيء بأعمال صالحة حسنة، بدل الله سيئاته حسنات، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان:٧٠] روى الإمام مسلم والإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، قال: فتعرض عليه ويُخَبَّأ عنه كبارُها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبائر، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة، قال: فيقول: إن لي ذنوبًا ما أراها» قال أبو ذر رضي الله عنه: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه [مسلم:١٩٠، وأحمد:٥/١٥٧].

فائدة: العين حق

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ [القلم:٥١] وقال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥] وروى أبو

داود عن الرباب جدة عثمان بن حكيم الأنصاري عن سهل بن حنيف قال مررنا بسيل، فدخلتُ فاغتسلتُ فيه، فخرجتُ محمومًا فنمي ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «مروا أبا ثابت يتعوذ» قالت: ياسيدي: والرقى صالحة؟ فقال: «لا رقية إلا من نفس أو حُمَة أو لدغةٍ» [أبو داود:٣٨٨٨، وقال الألباني: ضعيف الإسناد] والنفس: العين، والرقى كثيرة، منها:

قراءة المعوذتين والفاتحة وآية الكرسي والأدعية، ومنها: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ومن ذلك التعوذ بالله من شر الحاسد، وتقوى الله، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠] والتوكل على الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] ومن ذلك عدم الخوف من العائن، فإن الخوف منه سبب من أسباب بلوغ العين وإصابتها.

فائدة: فوائد من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام

في قصة موسى عليه السلام مع الخضر حيث خرق السفينة، لأنه يعلم أن هذه السفينة لمساكين يعملون في البحر، وأن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا، وأن الجدار لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا، ليس في هذين شيء يدل على اطلاع الخضر على الغيب، وإنما علمه بأسباب لا يعلمها موسى عليه السلام، وهذه أمور قد يعلمها غيره. أما قتل الغلام فقتله إما لأنه يعلم أنه كافر، وإما أن يكون أطلعه الله تعالى على أنه سيكفر، وقد ذكر ذلك الإمام ابن قيم الجوزية، وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قتل الصبيان الكفار، فقال: لئن علمت فيهم ما علمه

الخضر من الغلام فاقتلهم، والله أعلم.

فائدة: كل انسان يكلف بحسب قدرته واستطاعته

كل إنسان عليه من العبودية بحسب قدرته ومكانته سوى العبودية العامة التي سوى الله بين عباده فيها.

فعلى العالم نشر العلم والدعوة إلى الله والصبر على الأذى فيه، ما ليس على غيره مثله، وعلى الحاكم إقامة الحق والعدل وتنفيذ الأحكام الشرعية والجهاد في سبيل الله ما ليس على غيره مثله، وعلى الغني الزكاة وأداء الحقوق المالية ما ليس على الفقير، وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد أولًا ثم باللسان ما ليس على غيره، قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» [مسلم: ٤٩].

فائدة: أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الإلحاد في الأسماء هو الميل والعدول بها عن حقيقتها، وتأويل معانيها عن الحق إلى الباطل، وهو أنواع:

النوع الأول: تسمية الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الإله.

النوع الثاني: تسمية الله تعالى بما لا يليق به، كتسمية الفلاسفة له علة فاعلة بالطبع.

النوع الثالث: وصفه بصفات لا تليق به كقول اليهود: إنه فقير.

النوع الرابع: جحد حقيقة أسماء الله أو تعطيلها كقول الجهمية: إنها

ألفاظ مجردة لا صفات ولا معان لها، فينفون عنه الحياة والسمع والبصر والكلام والإرادة.

النوع الخامس: تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون أسماءه وصفاته، ولا يشبهونها بالمخلوقات، ولا يعطلونها، فهم وسط بين الفرق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] وكل أسماء الله وصفاته تدل على الكمال، وكلها يدل العقل الصحيح على إثباتها.

فائدة: الحياة الحقيقية

الإيمان والإسلام والقرآن والجهاد في سبيل الله حياة للقلوب في الدنيا والآخرة، ونور وحياة للبدن يدرك به النافع من الضار، وحياة للروح حيث يختار الحق على الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ [الأنفال:٢٤] وقال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ [الأنعام:١٢٢] وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل:٢] وقال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:١٥] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢] وبدون الإيمان والقرآن تمرض القلوب وتموت وتنتكس وتتحول من الحق إلى الباطل، قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾ [البقرة:١٠] وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾ [الأنعام:١١٠] وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾

[الأنفال:٢٤] ومن ترك الجهاد في سبيل الله بالمال والبدن والدعوة إلى الله على بصيرة عوقب بعقوبات كثيرة منها الوهن والذلة وانقلاب القلب من الحق إلى الباطل وتسلط الأعداء.

فائدة: مكانة أبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ

قال الله تعالى عن رسول الله ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] فمعية أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ في الغار، ومعيته في الذكر إذ يقال: رسول الله ﷺ وصاحبه، ولما مات رسول الله ﷺ سمي خليفة رسول الله ﷺ وهو الثاني في الإسلام، وفي بذل النفس، وفي الصحبة والزهد، والخلافة، وفي سبب الموت، حيث مات رسول الله ﷺ أثر السم، وكذا أبو بكر رضي الله عنه، وقال عنه رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر» [الترمذي:٣٦٦١، وابن ماجه:٩٤، وأحمد:٢/٣٦٦،٢٥٣ وصححه الألباني] وهو الذي أعتق الرقاب، وسمي العتيق والصديق، لأنه صدقه يوم كذبه الناس، وأنفق ماله كله في سبيل الله، وهو خير من مؤمن آل فرعون، لأن ذلك كان يكتم إيمانه، وأبو بكر رضي الله عنه يعلنه، وخير من مؤمن آل ياسين، لأن ذلك جاهد ساعة، وأبو بكر رضي الله عنه جاهد سنين طويلة، نزلت فيه الآية الكريمة ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل:١٧،١٨] وهو قرين النبي ﷺ في القبر دفن بجواره، قال له رسول الله ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» [البخاري:٤٦٦٣، ومسلم:٢٣٨١] رضي الله عنه، جمعنا الله برسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم في جنة الفردوس، ورضي الله عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فائدة: فوائد الصلاة ومنافعها

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الروم:٣١] فمنافع الصلاة عظيمة، وحكمها باهرة، ففيها المصالح الباطنة والظاهرة للقلب والروح والبدن، وفي مقدماتها تطهير الأعضاء والثياب والمكان، والزينة، واستقبال البيت الحرام، والإخلاص والنية، والوقوف بين يدي الله، والتكبير والتسبيح والتحميد والتهليل والذكر، وقراءة القرآن، وفيها شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ والصلاة عليه والتسليم عليه، وعلى عباد الله الصالحين من أول ما خلق الله الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها من ملائكة وجن وإنس وما لا نعلمه من الخلق، وفيها الحمد لله والثناء عليه، وتمجيده، وسؤاله الصراط المستقيم، والإقرار بعبوديته، وطلب الإعانة وسؤاله الاستجابة، وفيها التوحيد والإيمان والإحسان، والصيام عن الأكل والشرب، وتزكية النفس، وفيها من معاني الحج القبلة إلى الكعبة المشرفة التي يحج الناس إليها، وفيها الاعتدال والاستواء والمساواة بين الناس، إلا بالتقوى، وفيها النظام والطاعة لولي الأمر، وفيها مناجاة الله، وتعظيمه بالركوع، وتسبيحه في السجود، وتعفير الوجه للرب ذلًا ومهابةً ومسكنةً وانكسارًا وخضوعًا وذكرًا لعلو الله وعظمته وتنزيهه من كل عيب ونقص، وفيها قراءة القرآن في حال القيام على أحسن هيئة وأفضلها، وفيها القعود والتذلل، والثناء على الله بأفضل التحيات والسلام، وفيها طهارة القلب والبدن، قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر

قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة كانت تبطشها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًا من الذنوب» [مسلم:٢٤٤] وقال: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه حتى يخرج من تحت أظفاره» [مسلم:٢٤٥] فكم في الصلاة من حكم عظيمة ومنافع باهرة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥] وهي الصلة بين العبد وربه، وهي أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، فإن صلحت صلحت جميع أعماله وأفعاله وأقواله.

فائدة: فوائد وعبر من قصة أسرى بدر

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الأنفال:٦٧] نزلت في أسارى بدر، حيث أشار على رسول الله ﷺ أبو بكر رضي الله عنه بأن يأخذ منهم فديةً، ويطلقهم، لعل الله أن يهديهم إلى الإسلام، وقال عمر رضي الله عنه: لا، والله ما أرى الذي رأيت، ولكن أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم، فإنهم أئمة الكفر، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قال عمر رضي الله عنه، فلما كان من الغد أقبل عمر رضي الله عنه فإذا رسول الله ﷺ هو وأبو بكر رضي الله عنه يبكيان، فسألهم عن سبب بكائهم، فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرِضَ عليَّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة» [مسلم:١٧٦٣، وأحمد:١/ ٣١] فنزلت هذه الآية.

وقد رجح بعض الناس قول أبي بكر رضي الله عنه، ورجح آخرون رأي عمر رضي الله عنه، والذين رجحوا قول أبي بكر رضي

الله عنه رجحوه للأمور الآتية - وهو الأقرب والعلم لله تعالى -:

١- استقرار الأمر على قول أبي بكر رضي الله عنه.

٢- موافقته للكتاب الذي سبق من الله بإحلال أسرهم.

٣- موافقته للرحمة التي تغلب الغضب.

٤- أن النبي ﷺ شبه أبا بكر رضي الله عنه بإبراهيم وعيسى عليهما السلام، وشبه عمر رضي الله عنه بنوح وموسى عليهما السلام [أحمد: ١/ ٣٨٣، والحاكم: ٣/ ٢١ وفيه انقطاع].

٥- الخير العظيم الذي حصل بإسلام الأسرى.

٦- من خرج من أصلابهم ممن نفع الله به الإسلام والمسلمين.

٧- القوة العظيمة التي حصلت للمسلمين بسبب الفداء.

٨- موافقة الرسول ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه.

٩- موافقة الله تعالى لقول أبي بكر رضي الله عنه، حيث استقر الأمر على قوله.

١٠- كمال عقل أبي بكر رضي الله عنه حيث رأى ما استقر عليه حكم الله، وغلَّب جانب الرحمة على جانب العقوبة، ورحمة الله تسبق عذابه.

أما قول الله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] فقضاء الله سبق لأهل بدر أن الغنائم لهم، وأنه لا يعذب إلا بعد قيام الحجة، وأنه مغفور لهم، فقد اطلع الله على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» [البخاري: ٣٩٨٣، ومسلم: ٢٤٩٤].

فائدة: أسباب خذلان المرء ونجاحه

من أسباب خذلان المرء أن يرى أن له حقًا على الله، كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص:٧٨] وقال تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت:٥٠] وقال: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ﴾ [هود:١٠] ومن أسباب نجاحه أن يقول: هذا من فضل ربي، كما قال سليمان بن داود عليهما السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ [النمل:٤٠] فلله الحمد والمنة.

فائدة: حياة القلب بالعلم والإيمان

الجاهل بالله ميت القلب، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام:١٢٢] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢] وحياة القلوب بالعلم ومعرفة الكتاب والإيمان به، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى:٥٢] وهو مثل الماء للأرض ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ﴾ [الرعد:١٧] وهذا الزبد هو مثل للشبهات والشهوات التي يبطلها العلم ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾ [الرعد:١٧] ويبقى العلم ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد:١٧] وقد دعا القرآن والرسول الكريم ﷺ إلى حياة القلوب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٢٤] وبهذه الحياة يحصل المرء على انشراح الصدر، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ

يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ١٢٥] وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] فمن وفقه الله للتوحيد والإيمان والإنابة إلى الله ومحبته وتعلق القلب به وبكتابه والإحسان إلى الخلق والدعوة إليه، ذهب عنه الحسد وفضول الكلام والنظر، والهم والغم والحزن.

فائدة: إثبات صفة السمع لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] السمع هنا المقصود به: إدراك الصوت، وفي ذلك إثبات صفة السمع لله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٢٣] المقصود به هنا الفهم، أي لأفهمهم، وقال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ﴾ [التوبة: ٤٧] أي مستجيبون لهم، قال النبي ﷺ: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد، يسمع الله لكم» [البخاري: ٧٩٦، ومسلم: ٤٠٤ واللفظ له، وأبو داود: ٨٤٨، والترمذي: ٢٦٧] أي يُجِبكم.

فائدة: من نعم الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم

من نعم الله تعالى على رسوله محمد ﷺ أنه وجده يتيمًا فآواه، ووجده ضالًا فهداه، ووجده فقيرًا فأغناه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨] فهذه ثلاث نعم يقابلها ما يليق بها أن لا يقهر اليتيم ولا ينهر السائل، وأن يتحدث بنعم الله، ويشكرها بالقول والعمل، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ○ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ○ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:٩-١١] وقد امتن الله تعالى على نبيه بأن علمه الكتاب، وألهمه الإيمان، قال تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] وقال عنه: ﴿إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠] والفرق بين التحدث بنعمة الله وبين الفخر بها أن المتحدث بالنعمة التي من الله بها عليه، مخبر عن جود مولاه وإحسانه، مثنٍ عليه، شاكر له راغب إليه ناشد لفضله، أما المفتخر بالنعم فهو المستطيل على الخلق، المتكبر عليهم، المظهر أنه أعز منهم.

وشكر النعمة والتحدث بها يدل على الإيمان وسلامة القلب، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، وترك التحدث بنعم الله كفر بالنعمة. والسائل لا يجوز نهره سواء كان سائلًا لمال أو لعلم أو لغيرهما، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:١٠].

فائدة: لله المثل الأعلى

المثل الأعلى لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾ [النحل:٦٠] وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الروم:٢٧].

أما الكفار فلهم مثل السوء، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ [النحل:٦٠] فمن فقد الإيمان والعلم واليقين والإخلاص والعبادة لله والتوكل عليه والإنابة والرغبة في الآخرة، والصبر والرضا والشكر، صار مثلًا للسوء، ومن سلب صفات الكمال عن الله وعلوه

وكلامه وعلمه وقدرته فقد جعل لله مثل السوء، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فالله تعالى هو الأعلى، ووجهه الأعلى، وكلامه الأعلى، وسمعه الأعلى، وسائر صفاته الأعلى، فله المثل الأعلى في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فهو الأطيب والأفضل والأحسن والأجمل، لا إله إلا هو ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم:٢٦] أما المعارضون للوحي الكافرون بالله، فمثلهم مثل الكلب، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ومثل الحمار يحمل أسفارًا، ومثل الأنعام، بل هم أضل، فهم عمي بكم صم، وكلماته سبحانه لا تنتهي ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧] وعظمته لا تدركها الأبصار، قال ﷺ: «إن السموات السبع في الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة، والكرسي في العرش كحلقة ألقيت في فلاة، والعرش لا يقدر قدره إلا الله» [ابن حبان في صحيحه:٣٦١، والبيهقي في الأسماء والصفات:٨٦٢،٨٦٣ وسعيد بن منصور في التفسير:٤٢٥] وهو سبحانه فوق عرشه، يعلم ويرى ما عباده عليه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ﴾ [الأنعام:١٠٣] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥] ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] فسبحانه وتعالى عما يشركون.

فائدة: الأمر بطهارة الظاهر والباطن

قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤] أي طهر نفسك من

الذنوب والمعاصي والغدر والظلم والإثم والفجور والخبث، وطهر قلبك من الغل والحسد، وطهر ثيابك من النجاسة وقصرها، واترك كل ما يؤثر على قلبك من سوء الكلام والاستماع إلى ما لا فائدة منه والنظر إلى المحرم والمشي إليه وسائر الحركات المحرمة الظاهرة والباطنة، وعليك بالورع لتكون أعبد الناس وأزكاهم، قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة كن ورعًا تكن أعبد الناس» [ابن ماجه:٤٢١٧، وصححه الألباني] وقال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» [الترمذي:٢٣١٧، ٢٣١٨، وابن ماجه:٣٩٧٦، وأحمد:١/٢٠١ وصححه الألباني] وكان العرب يعبرون عن النفس وعن النساء وعن القلب بالثوب، قال الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧] وقال الشماخ:

رموها بأثياب خِفافٍ فلا تَرَى
لها شَبَهًا إلا النَّعامَ المُنَفَّرَا

وقال عنترة بن شداد:

فشككتُ بالرمح الأصم ثِيابَه
ليس الكريم على القنا بمُحَرَّمِ

وقال غيلان بن سلمة الثقفي:

وإني بحمد الله لا ثوبَ فاجرٍ
لبستُ ولا من غدرةٍ أتقنَّعُ

وقال آخر:

لا هُمَّ إنَّ عامر بن جهم
أَوْذَمَ حجًّا في ثيابٍ دُسْمِ

وقال امرىء القيس:

ثـيـاب بـنـي عـوف طـهـارَى نـقـيـةٌ
وأوجهُهُم عند المشاهد غُرَّانُ

وقال امرىء القيس:

فَسُلِّي ثيابي من ثيابكِ تَنْسُلِ

وقال الشاعر:

ألا أَبْـلِـغْ أبـا حـفـصٍ رسـولًا
فِـدًى لـك مـن أخـي ثـقـةٍ إزاري

وقال البراء بن معرور رضي الله عنه للنبي ﷺ ليلة العقبة: (لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا) أي نسائنا.

وقال ابن قيم الجوزية: (لا ريب أن تطهير الثياب من النجاسات وتقصيرها من جملة التطهير المأمور به، إذ به تمام إصلاح الأعمال والأخلاق، لأن نجاسة الظاهر تورث نجاسة الباطن).

فائدة: التحذير من عبادة الجن والشياطين

يقول الله تعالى في عبادة الشياطين والجن: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٠] وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ○ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:٤٠،٤١] وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ

رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨] وعبادة الجن والشياطين تكون بطاعتهم بما يأمرونهم من الكفر والعصيان والاستمتاع بإعانتهم للإنس على المعاصي والشرك والسحر والعزائم والفواحش والإخبار بالمغيبات والتأثيرات والمروق عن الدين والفسوق والشهوات المحرمة والاستعاذة بهم والذبح لهم، قال الله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

فائدة: الأمر بالتعاون على فعل الخيرات

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٢] وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] فالبر هو الكمال المطلوب والخير الموهوب، ومنه رجل بار وكرام بررة وأبرار، ومن ذلك الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والصلاة والزكاة والنفقات والوفاء بالعهد وحسن الخلق والصبر والصدق، وضده الإثم كالزنا وشرب الخمر والكذب والعدوان، ويدخل في البر جميع مصالح العباد في الدنيا والآخرة.

فائدة: ذم الهوى

الهوى المذموم من أكبر الذنوب التي تؤدي بصاحبها إلى الهلاك، وقد بين الله تعالى هوى إبليس الذي حمله على التكبر عن

طاعة الله بالسجود لآدم عليه السلام، حيث أعجب بنفسه، ورأى أنه خير من آدم عليه السلام في أصله من نار، وأصل آدم عليه السلام من طين، وهوى آدم عليه السلام الذي حمله على الشهوة والأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، وهوى قوم نوح عليه السلام وقوم هود عليه السلام وقوم صالح عليه السلام وقوم لوط عليه السلام الذين أطاعوا أهواء نفوسهم، وأهواء المشركين في اتخاذ أوليائهم من دون الله، ومحاربة الرسل، وأهواء قوم شعيب عليه السلام في بخس الميزان والمكيال، وأهواء قوم فرعون، وأهواء أصحاب السبت الذين مسخوا قردةً لهواهم وشهوتهم للحيتان، وهوى الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها، قال الله تعالى فيه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف:١٧٦] ومثَّل المتبع لهواه بالكلب إن تتركه يلهث وإن تحمل عليه يلهث، وما أردى كثيرًا من الناس وأوقعهم في الهلاك إلا الهوى واتباع شهوات النفس، ومن أضل ممن اتبع هواه، وانقاد لشهواته.

وانظر إلى الأنبياء عليهم السلام كيف لم ينقادوا لأهوائهم وشهواتهم، فهذا رسولنا محمد ﷺ وقد عرض عليه المشركون أطيب النساء وأجملهن ليزوجوه، وعرضوا عليه الملك ليسودوه على أن يتركهم، فقال: «والله لو جعلوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته» [ابن هشام في السيرة في مناصرة أبي طالب للرسول ﷺ، وهو ضعيف، والبيهقي في الدلائل:٢/١٨٧] وانظر إلى والدنا إبراهيم عليه السلام حيث لم يتبع هواه وألقى بأهله في واد غير ذي زرع وهمَّ بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام حسب أمر الله، وقال

لقومه: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ﴾ [الأنعام: ٨٠].

فائدة: ثمرة العلم

التذكر والتبصر والإنابة والتفكر أمر الله بها، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩] وقال: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٨] وقال: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣] وقال: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨] وقال: ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [غافر: ٥٤] وقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] وهذه تثمر العلم والإيمان والإحسان وحياة القلب، وآيات الله ذكرى لأولي العقول، سواء آياته المشهودة أو المقروءة، ولا يحصل ذلك إلا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] أما من كان قلبه ميتًا أو كان غير مستمع للآيات المقروءة، ولا متفكر في الآيات المنظورة فهو منشغلًا عنها، فإنه لا يستفيد، ولا تحصل له الذكرى والتبصر والإنابة، وإنما هي لمن كان حي القلب، يصغي لآيات الله ويلقي السمع، ويحضر القلب، لا يشغله شيء عن ذلك، فهذا هو الذي ينتفع بهذه الآيات المقروءة والمشهودة.

فائدة: ابتلاء الله عباده بعضهم ببعض

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

فالله تعالى يبتلي عباده بعباده ويختبرهم ببعض، فيقول السادة لا

نقبل الإسلام وقد أسلم الموالي والضعفاء، كبرًا وعنادًا، فالله تعالى يرد عليهم بأنه أعلم بالشاكرين، والشكر سبب للزيادة في الخير، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧] فهؤلاء الضعفاء شاكرون لله، فهداهم الله للإسلام وعندهم من الذل والخضوع والعبودية ما لم يكن عند الكبار والرؤساء والمتغطرسين الذين منعهم الكبر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

فائدة: النسيان دليل على بشرية رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى:٦] يعرض للنبي ﷺ النسيان، ثم يقيض الله له من يذكره، ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبي ﷺ رجلًا يقرأ من الليل بالمسجد فقال: «يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آيةً، كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا» [البخاري:٥٠٣٨، ومسلم:٧٨٨] وروي أن رسول الله ﷺ أسقط آية في قراءته في الصلاة، فسأله أُبي بن كعب رضي الله عنه أنسخت؟ فقال: «نسيتها» [البخاري في القراءة خلف الإمام:١٩٣، والنسائي في السنن الكبرى:٨١٨٣] وفي هذه الآية ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى:٦] دلالة على أن الله تعالى ضمن للنبي ﷺ أن يذكره فلا ينسى إلا ما شاء سبحانه أن ينساه.

فائدة: تكريم الله تعالى لبني آدم

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين:٤-٦] الإنسان خلق ابتداءً بيد الله، كما قال تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾

[ص:٧٥] وأمر الله الملائكة أن يسجدوا له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف:١١] وقد كرمه الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠] وجعل له عقلًا يميز الأمور، ويخترع ويبتكر، وخلقه على الفطرة، يحب الخير ويكره الشر، وقوَّم عقله وإدراكه بالتمييز بين الأشياء، وفي فطرته حب الخير والصلاح والعدل والإنصاف والنصح والنفع للناس، ومعرفة الله وعبادته وعدم الإشراك به، ولكن الإنسان بجهله وعوامل شهوته وهواه يغير ما فطر عليه من التقويم الحسن والإيمان بالله، إلى أسفل السافلين، فيكون كالأنعام، بل أضل منها، إذا كفر وأشرك وعصى وتخلق بالأخلاق الرديئة، كالطمع والشح والجزع وغير ذلك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [التين:٦] فرجعوا إلى فطرتهم وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون، فالله أحكم الحاكمين.

فائدة: اعتناء الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح:١-٨].

لقد اعتنى الله تعالى برسوله محمد ﷺ وتلطف به، وأزال غمه وهمه وحرجه، ويسر له أمره، وشرف قدره، ونفس كربه، وأنار صدره، ورفع درجته، وبين له أنه كلما عرض له عسر فسيجد من أمره يسرًا، وسيخفف متاعبه ويعينه، ويشرح صدره، ويرضيه، ويزيل حزنه، ويملأ قلبه علمًا وحلمًا ونورًا، ويزيل عنه الوسواس، ويضع عنه الأوزار والشدائد والكروب وعادات الجاهلية، ويزكي نفسه

ويسمو بها، ويقرئه فلا ينسى، وييسره لليسرى، ويرفع ذكره بين الناس، بالثناء عليه والصلاة عليه، والتحدث بما قال، وحمده، ويرسله إلى العالمين بشيرًا ونذيرًا، ويفضله على من خلقه تفضيلًا، ويهديه إلى صراطه المستقيم.

وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥] أي أن اليسر مصاحب للعسر، وناقض لتأثيره، ومبطل عمله، فوعد الله بتيسير كل عسر لا يتخلف أبدًا، والتعبير بـ﴿مع﴾ يدل على قرب اليسر، وأنه يأتي عقبه مباشرة، قال الله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧] وقال ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين» [الحاكم:٢/٥٢٨ وعبدالرزاق:٢/٣٨٠، والطبري:٣٧٥٣٢-٣٧٥٣٧ وهو مرسل] لأن اليسر نكرة فهو متكرر، أما العسر في الآية ففيه أل للتعريف والعهد، فهو عسر واحد، كتب أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر له جموعًا من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر رضي الله عنه (أما بعد: فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجًا، وإنه لن يغلب عسر يسرين) [مالك في الموطأ:٢/٤٤٦] فالله لطيف بعباده لا يديم الشدة عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل:٦١].

ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ○ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح:٧،٨] إذا فرغت من الجهاد أو الأعمال فانصب لعبادة الله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

فالمسلم ليس لديه فراغ، وإنما عمله لما ينفعه في دينه ودنياه مدى حياته، قال رسول الله ﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن

بالله، ولا تعجز» [مسلم: ٢٦٦٤].

فائدة: الغلو مذموم في الشرع

من الآفات العظيمة التي تفسد الدين: الغلو وتجاوز الحد، قال الله تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] وقال الرسول ﷺ: «إياكم والغلو في الدين» [وابن ماجه: ٣٠٢٩، وأحمد: ١/ ٣٤٧، والحاكم: ١/ ٤٦٦ والبيهقي في السنن الكبرى: ٣/ ١٢ وصححه الألباني] وقال ﷺ: «وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه» [أبو داود: ٤٨٤٣، والبيهقي في السنن: ٨/ ١٦٣، وحسنه الألباني] فالإسلام دين القصد في جميع الأمور والوسطية، ينهى عن الإفراط والتفريط والتشدد والتصلب، سواء في الاعتقادات كما غلا النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام حتى جعلوه إلهًا، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة، وكقول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، وكغلو الروافض في آل البيت، وغلو الصوفية في الأولياء، أو كان غلوًا في القرآن الكريم بالتمطيط والتشدق والتأويل، أو بالعلم بالتنطع، أو في العبادة كمن يقوم الليل كله، ومن غلا شدد الله عليه ودخل في الوسواس أو الابتداع والتكلف والتعسير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته: «هاتِ القُطْ لي» فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعهن في يده قال: «بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» [النسائي: ٣٠٥٩ وابن ماجه: ٣٠٢٩، وصححه الألباني] وعن أبي هريرة وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال

المبطلين، وتأويل الجاهلين» [البيهقي:١٠/٢٠٩، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص ١٤،٥٢،٥٥،٥٦ وصححه الإمام أحمد وغيره] وعن معقل ابن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم، وغالٍ في الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم» [الطبراني في الكبير:٢٠/٢١٣، قال الهيثمي في المجمع:٥/٢٣٦: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما: منيع، قال ابن عدي: له أفراد، وأرجو أنه لا بأس به، وبقية رجال الأول ثقات] ولما كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقوم أكثر الليل نهاه سلمان الفارسي رضي الله عنه فأيده رسول الله ﷺ، وأخبر رسول الله ﷺ عن الخوارج الغالين في الدين أنهم «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» [الترمذي:٢١٨٨، والحاكم:٢/١٤٦،١٤٧، والبيهقي:٨/١٧٠ قال الألباني: حسن صحيح] ولما رأى النبي ﷺ شيخًا يهادى بين اثنين فقالوا له: إنه نذر أن يمشي، ورأى رجلًا يصلي بالشمس قال: «إن الله عن تعذيب المرء نفسه لغني» [متفق عليه: البخاري:١٨٦٥،٦٧٠١، ومسلم:١٦٤٢] ونهى عن الغلو في الوضوء والغسل، ولو كان على نهر جار [ابن ماجه:٤٢٥، وأحمد:٢/٢٢١ وضعفه الألباني] وسمى ذلك اعتداء، وأمر بالرفق فقال: «إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى» [البيهقي:١/١٩،٣/١٨] وأمر أن يصلي أحدنا نشاطه، فإذا فتر فليرقد، وأمر بأخذ رخص الله وقال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا [مسلم:٢٦٧٠] فالغلو دليل على الجهل وقلة الفهم في الدين، وضعف العقل، وهو مدخل من مداخل الشيطان، يورث الوسواس وضيق الصدر والحزن.

فائدة: فوائد وعبر مستفادة من غزوة بدر

قصص حصلت للمسلمين في معركة بدر الكبرى:

القصة الأولى:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما رجل من المسلمين الأنصار يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربةً بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أَقْدِمْ حَيْزومُ! فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِم أنفُه، وشُقَّ وجهُه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمعُ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقتَ، ذلك من مدد السماء الثالثة» [مسلم: ١٧٦٣].

القصة الثانية:

قال أبو داود الأنصاري المازني الخزرجي رضي الله عنه: إني لأتبع رجلًا من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري [أحمد: ٥/ ٤٥٠ ضعف إسناده محققو المسند] وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ...فجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبدالمطلب أسيرًا، فقال العباس رضي الله عنه: إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلحُ، من أحسن الناس وجهًا، على فرس أبلق، ما أراه من القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يارسول الله، قال: «اسكت، فقد أيدك الله بملك كريم» [أحمد: ١/ ١١٧ وصحح إسناده محققو المسند].

القصة الثالثة:

عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: لما رأى إبليس ما تفعل

الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص القتل إليه، فتشبث به الحارث بن هشام، وهو يظن أنه سراقة بن مالك، فوكز في صدر الحارث فألقاه، ثم خرج هاربًا حتى ألقى نفسه في البحر ورفع يديه، وقال: اللهم إني أسألك نظرتك إياي، وخاف أن يخلص إليه القتل، فأقبل أبو جهل فقال: يامعشر الناس! لا يهزمنكم خذلان سراقة إياكم، فإنه كان على ميعاد من محمد ﷺ، ولا يهولنكم قتل عتبة وشيبة والوليد، فإنهم قد عجلوا، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرنهم بالحبال، ولا ألفين رجلًا منكم قتل منهم رجلًا، ولكن خذوهم أخذًا حتى تُعَرِّفوهم سوءَ صنيعهم من مفارقتهم إياكم، ورغبتهم عن اللات والعزى. [الطبراني في الكبير: ٥/ ٤٧، ٤٨ قال الهيثمي في المجمع ٦/ ٧٧: رواه الطبراني، وفيه: عبدالعزيز بن عمران، وهو ضعيف].

القصة الرابعة:

ولما وضع المسلمون أيديهم في العدو يقتلون ويأسرون، وسعد ابن معاذ رضي الله عنه واقف على باب الخيمة التي فيها رسول الله ﷺ متوشحًا بالسيف في ناس من الأنصار، رأى رسول الله ﷺ في وجه سعد رضي الله عنه الكراهية لما يصنع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «كأنك تكره ما يصنع الناس» قال: أجل، والله كانت أول وقعة أوقعها الله بالمشركين، وكان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال. [تفسير الطبري: ١٦٣٣٤ باختصار].

القصة الخامسة:

لما بردت الحرب، وولى المشركون منهزمين، قال رسول الله ﷺ «من ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟» فانطلق ابن مسعود رضي الله

عنه فوجده قد ضربه ابناء عفراء حتى برد، فأخذ بلحيته، وقال: أأنت أبو جهل؟ قال: وهل فوق رجل قتله قوم أو قتلتموه [البخاري:٣٩٦٢، ٣٩٦٣ ومسلم:١٨٠٠] فقال: لمن الدائرة اليوم؟ فقال: لله ورسوله، وقد أخزاك الله ياعدو الله، فقال لقد ارتقيت مرتقى صعبًا يارويعي الغنم، فقتله عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وأتى برأسه للرسول ﷺ، فقال الرسول ﷺ: «الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، هذا فرعون هذه الأمة» [ابن هشام في السيرة].

القصة السادسة:

انقطع سيف عكاشة بن محصن رضي الله عنه فأعطاه الرسول ﷺ جزلًا من حطب، فلما أخذه عكاشة رضي الله عنه وهزه عاد في يديه سيفًا طويلًا شديدًا أبيض فلم يزل عنده يقاتل فيه حتى قتل في حرب المرتدين في عهد أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين. [أسد الغابة:٣٧٣٨].

القصة السابعة:

أسر عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أمية بن خلف وابنه عليًا، فأبصره بلال رضي الله عنه فقال: رأس الكفر أمية، لا نجوتُ إن نجا، فلحقه وبرك عليه وأرداه قتيلًا. [البخاري:٢٣٠١].

القصة الثامنة:

لقي الزبير رضي الله عنه عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج بالسلاح لا يرى منه إلا الحدق، فحمل عليه الزبير رضي الله عنه بحربته فطعنه في عينه فمات، فنزع الحربة وقد انثنى طرفاها، فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه إياها، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها

أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنه فلما قبض عثمان رضي الله عنه وقعت عند آل علي فطلبها عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما فأخذها وكانت عنده حتى قتل. [البخاري: ٣٩٩٨].

القصة التاسعة:

قال رفاعة بن رافع رضي الله عنه رُميتُ بسهم يوم بدر ففقئت عيني، فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي، فما آذاني منها شيء بعد.

القصة العاشرة:

لما انقضت الحرب أقبل رسول الله ﷺ حتى وقف على القتلى فقال: «بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وخذلتموني ونصرني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس» ثم أمر بهم فسحبوا إلى القليب ثم وقف عليهم فقال: «ياعتبة بن ربيعة! يا شيبة ابن ربيعة! يا فلان يا فلان: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا» فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يارسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا؟ فقال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون الجواب». [البخاري: ٣٩٧٦، ومسلم: ٢٨٧٣، ٢٨٧٤، وأحمد: ٣/ ٢٨٧ وغيرهم].

فائدة: مسؤولية الإنسان وعبوديته تكون حسب قدرته ومكانته

حسب قدرة الإنسان ومكانته تكون مسؤلية الإنسان وعبوديته، فعلى العالم أكثر مما على الجاهل، وعلى الغني أكثر مما على الفقير، وعلى القادر أكثر مما على العاجز، وعلى الحاكم أكثر مما على المحكوم، ولا يكفي من المسلم القادر العبودية القاصرة على

نفسه، كالذكر والصلاة والصيام والزهد، وهؤلاء التاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أقل الناس دينًا، وأسوء من مرتكبي بعض الذنوب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨] وقال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» [مسلم:٤٩ والترمذي:٢١٧٣، وأحمد:٣/ ٢٠، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٤] وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «وذلك أضعف الإيمان» دلالة على أن من لم ينكر ولا بقلبه فليس مؤمنًا، كما في الحديث: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» [مسلم:٥٠] مهما كان عنده من عبادات ظاهرة.

فائدة: كل ميسر لما خلق له

قد يشكل على بعض الناس حديث رسول الله ﷺ: «وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعن فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» [البخاري:٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤، ومسلم:٢٦٤٣].

فحاشا لله أن يعذب من يعمل بعمل أهل الجنة، والجواب على ذلك: هو أن هذا الذي عمل بعمل أهل الجنة بالظاهر للناس، وعمله غير صالح ولا مقبول لما فيه من الرياء وحب السمعة وعدم الإخلاص، فيظهر في نهاية الأمر وفي آخر حياته على حقيقته، ويختم له بالخاتمة السيئة، وينكشف أمره، وفي الحقيقة أن الذي يتقرب إلى الله بالصالحات يحبه الله ويرضى عنه، وقد قال رسول الله ﷺ عن

ربه: «ومن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا» الحديث [البخاري:٧٥٣٧، ومسلم:٢٦٧٥، أحمد:٢/ ٤١٣، ٣/ ٤٠، ٥/ ١٥٥] وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه» [البخاري:٦٥٠٢ وأحمد:٦/ ٢٥٦] كما أن الله تعالى لا يظلم أحدًا، بل يربي الصدقات، ويضاعف الحسنات، فهو الكريم الغني الحميد.

فائدة: أشياء بارك الله فيها

قال الله تعالى عن المسيح: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١] وبركة الإنسان بحصول الخير منه، وفي تعليمه للناس ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، وفي أعمالهم وأفعالهم التي تفيد البلاد والعباد، فالمبارك كثير الخير، وقد سمى الله تعالى القرآن الكريم مباركًا، فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص:٢٩] وقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء:٥٠] وقال عن نفسه سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] وقال عن ليلة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣] وقال عن بلاد الشام التي بعث فيها أكثر الأنبياء، وخرَّجتِ العديدَ من العلماء. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١] وسمى شهر رمضان بالشهر المبارك، لما فيه من الخيرات والأجور، وسمَّى شجرةَ الزيتون مباركةً، فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ الآية [النور:٣٥] فنسأل الله تعالى أن يجعلنا مباركين أينما كنا.

فائدة: المعرض عن ذكر الله يعيش حياة الضنك والقلق

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ○ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ○ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ○ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٧].

إن من بَعُدَ عن كلام الله تعالى ولم يتدبره ولم يعمل به عاش عيشة الضنك والمشقة والحزن والألم، مهما أوتي من متاع الدنيا، لأن للإنسان روحًا لا يسعدها إلا ما فطرت عليه وخلقت منه، أما صحة البدن فتكون مما في الأرض، وهذه لا تسعد الروح، وإنما تنمي البدن، ولا شك أن نعيم الروح هو السعادة الدائمة، وهو النعيم العظيم في الدنيا والآخرة.

فائدة: ثناء الله على نفسه وتسليمه على عباده

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] تتضمن الآية حمد الله والسلام على الرسل، وما داموا سالمين، فما جاؤوا به سالم من الباطل، فالرسل عليهم السلام مبلغون عن الله، والكلام كلام الله، فهو سبحانه حمد نفسه، وسلم على عباده، وأمر رسله بالتبليغ، ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فهو توحيد من الله لنفسه، وأمر للرسول ﷺ بتوحيده، فإذا قال العبد: قل هو الله أحد، كان قد وحد الله بما وحد به نفسه، و ﴿قل﴾ للتحقيق، وأما قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فإن هذا أمر محض بإنشاء الاستعاذة لا تبليغ لقوله: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ و ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ فإن الله

لا يستعيذ من أحد.

فائدة: مايحترز به الإنسان من شياطين الإنس والجن

شياطين الإنس يحترز الإنسان منهم، بدفع إساءتهم إليه، بالتي هي أحسن، قال الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩٦] وقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] وكذا الاستعاذة، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦] وقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤] أما شياطين الجن فيكون الاحتراز منهم بالاستعاذة بالله منهم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ○ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧،٩٨] وقال عن شياطين الإنس والجن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ○ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ○ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ○ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ○ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ○ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١-٦] وللشياطين همزات ولمزات وهزات ونهزات ونخزات وغمزات ونزغات ووساوس ونفخات، نعوذ بالله منها، وزخرف القول والغرور والإيحاء به، قال الله تعالى: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢] وشياطين الإنس أشد ضراوةً وإيذاءً وقوةً، أما شياطين الجن فهم أضعف، يجبنون ويخنسون عند ذكر الله، قال تعالى عنهم: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس:٤] فهم يهربون عند ذكر الله تعالى، بخلاف شياطين الإنس فيزدادون عتوًّا وتعديًا، ويتعاونون ضد الحق وأهله.

فائدة: القياس الفاسد

في بيان أفضلية التراب على النار:

عندما قال إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:١٢] ظن أن النار أفضل من التراب، وهذا باطل، لأنه قياس عقلي فاسد، ولا شك أن الإنسان الذي منه خير البرية مخلوق من التراب، ولأن طبع التراب السكون، والنار طبعها الخفة، والأرض مهبط وحي الله، ومسكن الرسل والأولياء، وفيها بيت الله الذي جعله إمامًا للناس وقيامًا وحجًا، كما أن النار طبعها الفساد، والأرض طبعها الخشوع، وخلق من الأرض الأنبياء، وخلق من النار إبليس، وشتان بين معلمي الخير ومعلمي الشر، والنار لا تقوم بنفسها، والأرض قائمة بنفسها، كما أن التراب يطفىء النار، وتتنزل رحمة الله (الماء) على الأرض فتحيى، وإذا تنزلت على النار أطفأتها، والنار تطفأ عند التكبير، أما إبليس المخلوق من النار فهو يهرب عند التكبير وله ضراط، وقد خلق الله آدم بيده، ومن الطين، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له، وبهذا يظهر أفضلية الطين والتراب والأرض على النار المحرقة.

فائدة: وجوب غض البصر

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النور:٣٠] من غض بصره عن المحرم أعطاه الله حلاوة الإيمان وعبودية لله وبعدًا عن الخنا والفحشاء والسوء، ونورًا في القلب، وصحةً في الفراسة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور:٣٥] وسرورًا وقوةً وثباتًا وشجاعةً،

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران:١٣٩] وعزةً في النفس، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ﴾ [فاطر:١٠] وزكاةً وطهارةً ورحمةً، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [النور:٢١] وقال: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ﴾ [النور:٢٨] وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤] وقال: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات:١٨] والبركة والتوحيد والتقوى، قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢] فالنظر المحرم سهم من سهام إبليس، وهو سبب الحسرة والألم والغرام والعشق والهيام والشغف والتعبد للمحبوب، فيصير القلب عبدًا لمن لا يصلح أن يكون معبودًا.

فائدة: الله كاف عبده

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [الزمر:٣٦] لما حقَّر الرسول ﷺ عبادة الأصنام التي يعبدها المشركون خوفوه بأن تضره، وقالوا: (إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا، وإنا نخشى عليك معرتها لعيبك إياها) فبين الله تعالى لنبيه أنه كافيه، وضامن له الوقاية منها ومن غيرها، لقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [البقرة:١٣٧] وأنكر على المشركين أن يخوفوا الرسول ﷺ من دون الله، والمؤمن الحق لا يخاف إلا من الله تعالى، ولا يرجو إلا إياه، ولا يسأل أحدًا غيره، ولما أراد خالد بن الوليد رضي الله عنه بأمر رسول الله ﷺ هدم العزى خوفه سادتها وحذروه منها، وقالوا: إن لها شدةً لا يقوم لها شيء، فعمد خالد رضي الله عنه إلى فأس فكسر

أنفها وهشمها، وبددها في الأرض، وجعلها جذاذًا [تفسير الطبري: ٤٠١٥٤] كما فعل إبراهيم عليه السلام بكبير أصنام قومه.

فائدة: الهداية لمصلحة المهتدي والضلال ضرره على صاحبه

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١] فالهداية لمصلحة المهتدي، والضلال ضرره على الضال، وما عليك يامحمد تبعة في ذلك، لأنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ [يونس: ١٠٨] وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ [النمل: ٩٢] وقوله: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾ [يونس: ١٠٨] فليس ضلالكم عائدًا إليَّ، وإنما أنا من المنذرين، وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١] وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨] أي لست مأمورًا بإرغامكم على الهداية، فما يضرني ضلالكم، وإنما الضرر عليكم.

فائدة: عظمة القرآن الكريم

يستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩] أن رسول الله ﷺ صادق في نبوته، وأن هذا القرآن منزل من عند الله، وأن الذي جاء به روح مطهر، وأن الأرواح الخبيثة ليس لها سبيل إليه، وأن الشياطين ما تنزلت به، وأنهم لا يستطيعون ذلك، وأنه لا يمسه إلا طاهر، وأنه لا يجد حلاوته إلا مؤمن عامل به، وأنه ينفع المؤمنين، وهو على الكافرين عمى، وأنه لا يفهمه إلا أصحاب القلوب الطاهرة، وأن من أعرض عنه فسدت فطرته وأظلم قلبه، وأنه في اللوح المحفوظ لا

يمسه إلا الملائكة المطهرون.

فائدة: بشارة الله لأهل الإستقامة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠] الذين يصدعون بتوحيد الله ولا يخشون أحدًا في إعلانهم ذلك إلا الله، ولا يجاملون أحدًا في العقيدة، ويقولون علانية: ربنا الله، بدون اعوجاج ولا ميل، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت:٣٠] وقال: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [فصلت:٦] وقال: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود:١١٢] فلا تغيير ولا تبديل في توحيد الله ودينه، عن سفيان الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم» [مسلم:٣٨].

فالاستقامة على توحيد الله وطاعته، وعدم الروغان في عقيدة التوحيد، والإخلاص في العمل لله، وتأدية فرائضه، والإيمان به، هذه هي سبب الفوز في الدنيا والآخرة، وهذا هو الصراط المستقيم الذي ندعو الله تعالى أن يهدينا إليه ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] وهذا هو التوسط الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة:١٤٣] وهؤلاء هم الذين تقول لهم الملائكة: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ○ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ○ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] تبشرهم الملائكة عند خروج أرواحهم، وتؤمنهم بعدم الخوف ﴿أَلَّا

تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ وتبشرهم بالجنة التي وعدوا بها، وتؤنسهم وتقول لهم: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم، وما تتمنون في نفوسكم من كل ما يخطر ببالكم وما يجول بخواطركم، قد هيء لكم ما تشتهون وما ترغبون، فنسأل الله من فضله.

فائدة: لا حول ولا قوة إلا بالله

(لا حول ولا قوة إلا بالله) لها تأثير عجيب في دفع الداء والمصائب والنكبات، والتفويض لله رب العالمين والتسليم لأمره، وما ينزل ملك من السماء ولا يصعد إليها إلا بلا حول ولا قوة إلا بالله، وهي الطاردة للشيطان، وفيها التبرئ من الحول والقوة إلا بالله العلي العظيم، يقولها حملة عرش الرحمن، ومثلها ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ○ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٦،١٥٧].

فائدة: ذم الكبر ومآل المتكبرين

قال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٦٠] وقال تعالى عن المتكبرين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] وقال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» [مسلم:٩١] وغالبًا يكون الكبر عند الأغنياء وأصحاب الجاه والجمال، فيعاقبون يوم القيامة بسواد وجوههم وصغر أجسامهم، حيث يكونون كالذر، يطؤهم الناس بأقدامهم إهانة

لهم، ومن أقوال المتكبرين في الدنيا ما في الآية الكريمة: ﴿لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] فهم يحتقرون الموالي الذين اتقوا الله تعالى وآمنوا به وبرسوله ﷺ، ولكن المقاييس يوم القيامة بالإيمان والعلم بالله والتقوى، قال الله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الزمر:٦١] والمفازة: الفلاح، قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبإ:٣١].

فائدة: من فوائد النجوم

من عظيم خلق الله هذه النجوم، كما قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥،٧٦] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام:٩٧] وهذه النجوم نعمة من الله تعالى لخلقه، ولهذا قال: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾ وفوائدها عظيمة لا تعد ولا تحصى، ونحن لا نعلم عنها وعن فوائدها إلا القليل، وأنها هداية للناس في ظلمات البر والبحر، أما ضبط حركاتها ومطالعها ومغاربها فهو علم قديم يسمى (علم الهيئة) وقد سمى الله من يعرف ذلك علماء، فقال: ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٦] والذي ينتفع بهذه الآيات، ويعظم الله ويؤمن به فهو عالم، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الروم:٣٧] ولما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ﴾ [فاطر:٢٧،٢٨] قال بعدها: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾

[فاطر:٢٨] فمعرفة هذه الأمور تزيد المؤمن إيمانًا.

فائدة: بالإبتلاء يعرف الصادق من الكاذب

المؤمن يمتحن ويختبر، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢] فقد ابتلى الله أولي العزم من الرسل، وصارت العاقبة لهم في الدنيا والآخرة، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ﴾ [الأنعام:٥٣] وبالامتحان يظهر الصادق من الكاذب، وتظهر النفوس الطيبة من الخبيثة، ومن يصلح لموالاته تعالى وكراماته ومن لا يصلح، قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ﴾ [البقرة:٢١٤] والإيمان أفضل وأعز شيء يمنحه الله للعبد، وقد ابتلى الله نوحًا عليه السلام بقومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، فكذبوه وأغرقهم الله، وابتلى إبراهيم عليه السلام بقومه، فأرادوا إحراقه بالنار فأنقذه الله منها، وابتلى لوطًا عليه السلام بقومه فأهلكهم الله، وكان ابتلاء محمد ﷺ من أشد الابتلاء من المشركين وأهل الكتاب وأقاربه وأهل مكة والطائف وغيرهم، فصبر وهاجر من وطنه هو ومن آمن معه، ونصره الله وفتح له مكة فتحًا مبينًا، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهكذا تكون العاقبة للمؤمنين.

فائدة: القرآن شفاء وهدى ورحمة

القرآن الكريم هدى ورحمة وشفاء وبصائر وموعظة وتفصيل كل شيء وبيان للناس، قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية:٢٠] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧] وقال:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١] وقال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨].

فائدة: فضل ليلة القدر

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ○ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ○ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ○ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ○ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر:١-٥].

هذه الليلة المشرَّفة خير من ألف شهر، تتنزل فيها الملائكة، وينزل فيها جبريل عليه السلام، وأنزل فيها القرآن، وأنزل على محمد ﷺ أوله، تسلم فيها الملائكة على الناس حتى مطلع الفجر، والأقرب أنها في رمضان وفي العشر الأخير منه، وفي ليلة الجمعة تكون وترًا، قال ابن عربي:

وضابطها بالقول ليلة جمعة
توافيك بعد النصف في ليلة وتر

وقد فضلها الله تعالى على سائر الليالي، كما فضل الجمعة، وفضل المتقين، وفضل العلماء، وفضل نبينا محمدًا ﷺ على الخلق أجمعين.

فائدة: مآل المؤمنين ومآل الكافرين

قال الله تعالى عن المتقين: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر:٢٠] وقال عن الكفار: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ

ظُلَلٌۚ﴾ [الزمر:١٦] ففي الآية الأولى بين أن الذين اجتنبوا الطاغوت، وأنابوا إلى الله، واتبعوا أحسن القول، واهتدوا بهدى الله، وكانوا أصحاب الألباب، واتقوا الله تعالى، لهم غرف من فوقها غرف، فهي أطباق من الغرف بعضها فوق بعض في جنات النعيم، مبنية حقيقية، تجري تحتها الأنهار، أما الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة فلهم ظلل من النار من فوقهم ومن تحتهم ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الزمر:٢٠] فالأنهار تجري من تحت غرف المتقين، تمر عليهم مجاورة لهم، ويصعد الماء إلى كل غرفة فيجري تحتها، وهذا غاية الروعة في الجمال والحسن، نسأل الله من فضله، أما ظلل الكفار فهي غاية في القبح، نسأل الله العافية.

فائدة: أعظم الغرور

قال الله تعالى: ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر:٥].

ومن أعظم الغرور أن ينعم الله على العبد وهو مقيم على معاصي ربه، ومن المغررين الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء، وصديق السوء، والجاه والملك والمال والصحة والأماني والحياة الدنيا وزخرفها، وأعظم الناس غرورًا من إذا مسه الله برحمة منه وفضل قال: ﴿هَٰذَا لِي﴾ [فصلت:٥٠] وأنا جدير به ومستحق له، ولا يزال العبد يغتر بالأماني حتى يتردى في مهاوي الهلال، نسأل الله العافية.

فائدة: البركة الحقيقية

قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا

كُنتُ﴾ [مريم:٣١] أي معلمًا للناس الخير، وداعيًا إلى الله، وهذه البركة الحقيقية التي ينمو فيها الخير والصلاح والعلم، وقد سمى الله تعالى القرآن مباركًا، فقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء:٥٠] وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص:٢٩] وسمى نفسه المتبارك، فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] اللهم اجعلنا مباركين أينما كنا، وبارك لنا في أعمارنا وأولادنا وأموالنا وكل ما أعطيتنا يا ربنا.

فاسم الله تعالى إذا ذكر عند الدخول إلى المنزل أو المسجد أو عند الطعام أو النكاح أو غيرها تبارك اسمه «تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» والقرآن مبارك، الحرف منه بعشر حسنات، وهو شفاء ورحمة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

فائدة: النهي عن سب آلهة المشركين

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨] النهي هنا للمسلمين لا للرسول ﷺ، لأن الرسول ﷺ لم يكن فاحشًا ولا سبابًا، فخُلُقه عظيم، وكان بعض المسلمين لغيرتهم وحماسهم ربما تجاوزوا الحد، ففرطت منهم بعض الكلمات في سب أصنام المشركين، فنهاهم الله عن ذلك، حتى لا يسب المشركون الله تعالى.

روى الطبري عن قتادة قال: كان المسلمون يسبون أوثان الكفار

فيردون عليهم، فنهاهم الله أن يَسْتَسِبُّوا، ونزلت هذه الآية، ووجه النهي عن سب آلهتهم أن السب لا يترتب عليه مصلحة دينية، فالمقصود من الدعوة الاستدلال على إبطال الشرك وإظهار استحالة أن تكون الأصنام شركاء لله، وهذا هو الذي يميز الحق من الباطل، أما السب فهو يقدر عليه المحق والمبطل، وأهل الضلال لفحشهم أقدر من أهل الحق على السباب، كما أن السب منافٍ للدعوة بالتي هي أحسن، والجدال بالحسنى، والموعظة الحسنة، قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] ففي السب مفاسد عظيمة، فلا يحل للمسلم أن يسب صلبان الكفار ولا كنائسهم، فهذا يزيد كفرهم كفرًا، وهذا من باب سد الذرائع وكل جائز يؤدي إلى محرم، لا يجوز فعله، ولو سب المشركون الله تعالى فلا يجوز للمسلم أن يسب آلهتهم، حتى لا يسبوا الله تعالى عدوًا بغير علم، أي عدوانًا وظلمًا عن جهالة، ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨] فهم ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] فالمؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء.

فائدة: المواطن الثلاثة التي يطلب فيهاالسلامة

قال الله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] وقال الله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥] هذه المواضع الثلاثة يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث قيدت في قصتي يحيى والمسيح عليهما السلام، لأن هذه المواضع خطوة يطلب فيها السلامة من الوحشة، والعطب لانتقال العبد فيها من دار إلى

دار، هو معرض فيها للآفات والبلاء والمصائب والشدائد، فكان طلب السلامة من آكد الأمور، حين يخرج من بطن أمه وحين يفارق الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ، وحين يبعث حيًا في يوم القيامة.

ونكر سلام في قصة يحيى عليه السلام، وعرف في قصة عيسى عليه السلام، لأنه في قصة يحيى عليه السلام سلام من الله تعالى ليحيى عليه السلام، أما تسليم المسيح عليه السلام فهو من المسيح عليه السلام على نفسه، ولهذا عرف بالألف واللام.

والمتكلم بالسلام في يحيى عليه السلام هو الله تعالى، وسلام الله كاف من كل سلام، أما سلام العباد فهو طلب السلام، ولهذا نقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. ويسلم بعضنا على بعض بقول: السلام عليكم، وإن ورد بالتنكير فهو قليل، والله أعلم.

فائدة: الوعيد الشديد لمن ألحد في الحرم

قال الله تعالى عن المسجد الحرام: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥] إن الله جعل شرعًا لا فرق فيه بين المقيم فيه والنائي عنه، وأن الناس مستوون في رباع مكة وسكناها، وقد اختلف العلماء هل تملك رباع مكة، وتورث وتؤجر؟ فذهب الشافعي إلى أنها تملك وتورث وتؤجر بأدلة، منها ما أجاب به رسول الله ﷺ على أسامة بن زيد رضي الله عنهما لما سأله أتنزل غدًا في دارك بمكة قال: «وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور» [متفق عليه:البخاري:١٥٨٨، ومسلم:١٣٥١] وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى من صفوان

ابن أمية دارًا بمكة فجعلها سجنًا، ومن العلماء من رأى عدم جواز ذلك، لحديث أنه توفى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وما تُدْعَى رِباعُ مكة إلا السوائبَ، من احتاج سكن، ومن استغنى أسكن) [ابن ماجه:٣١٠٧، قال البصيري: وإسناده صحيح على شرط مسلم] وقول الشافعي أقوى للحديث الثابت في الصحيحين، والله أعلم. ومن يرد في الحرم الإلحاد والظلم الكبير يذقه الله من عذاب أليم، كما حصل لأصحاب الفيل وغيرهم.

فائدة: ثناء الله على القانتين من أهل العلم والعقول

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩] خصّ الله تعالى بهذه الآية القيام بالليل، لأن العبادة بالليل أعون على تمحض القلب لذكر الله وأشد وطأً وأقوم قولًا، والقراءة بالليل يفهمها القلب، ومن قام الليل وآثر عبادة الله على النوم والراحة، استنار قلبه بحب التقرب إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل:٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ○ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل:٧،٨] وقيام الليل سيماء الصالحين، وأهل القيام والذكر لله هم أهل العلم وأهل العقول، ولهذا أعقب الله الثناء على من يقوم الليل بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر:٩] فهم لا يستوون كما أنه لا يستوي المجاهد بالقاعد، في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ

ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] يدل على أن القائمين بالليل هم أهل العقول الصحيحة، وهم أهل العلم والتذكر، وأنهم لا يتساوون مع الذين لا يعلمون.

فائدة: اختصاص الله تعالى بالغيب

الرسول ﷺ لا يعلم الغيب، قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعرف: ١٨٧] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤] وروى البخاري حديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ الذي فيه: «لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» [البخاري: ٤٦٩٧] وقال في حديث جبريل عليه السلام الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سأله عن الساعة: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» [البخاري: ٥٠، ٤٧٧٧، ومسلم: ٩، ١٠] ولم يكن رسول الله ﷺ يعلم أنه جبريل عليه السلام، وإنما كان يظن أنه أعرابي، حيث ورد أنه ﷺ قال: «ردوا عليّ الأعرابيّ» فذهبوا فالتمسوا فلم يجدوا شيئًا [متفق عليه: البخاري: ٤٧٧٧، ومسلم: ٨، ٩، ١٠، وأحمد: ١/ ٥٣، ٤/ ١٢٩، ١٦٤] وإنما عرف أنه جبريل عليه السلام بعد مدة، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلبثت مليًا ثم قال: «ياعمر أتدري من السائل؟» [مسلم: ٨] وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ١٠١] ومن الأدلة: عقد عائشة رضي الله عنها لما أرسل في طلبه فوجدوه،

وحديث تلقيح النخل حيث قال: «ما أرى لو تركتموه يضره شيء» فتركوه فجاء شيصًا [مسلم: ٢٣٦٢، ٢٣٦٣] قال الله تعالى عنه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وفي حديث الإفك دليل على أنه لم يعلم حقيقة الأمر حتى نزل الوحي.

فائدة: من نعم الله على العبد أن يوفقه لسماع الحق

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الزمر: ١٨] فسماع الحق والإنصات إليه نعمة من نعم الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] وسماع الباطل ضرر كبير وفساد للقلب، قال تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١] وقال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ﴾ [التوبة: ٤٧] وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ○ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣] وقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٢٣] وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] وقال: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠] وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١] وقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] .

فائدة: مرض الشهوات والشبهات

الخوض في الشهوات والشبهات الباطلة أمراض الأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا

ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩] فهذه الدنيا الفانية من استمتع بما فيها وتمتع بشهواتها وترك أوامر الله تعالى ووقع في الذنوب والآثام، خسر الخسارة الأبدية، وحبط عمله، وأخذ طيباته في حياته الدنيا، مهما كان لديه من القوة وكثرة الأموال والأولاد ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

فائدة: الشكر من أجلِّ الطاعات

من أجل الطاعات وأعظمها عند الله وأعلاها مقامًا الشكر لله تعالى، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ﴾ [النحل: ١٢١] وقال عن آل داود: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبإ: ١٣] فهو الغاية من خلقه وأمره، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] وقال: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣] وقال: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال ﷺ: «أفلا أكون عبدًا شكورًا» [متفق عليه: البخاري: ١١٣٠، ٤٨٣٦، ٦٤٧١ ومسلم: ٢٨١٩] ومن دعائه ﷺ: «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك» [أحمد: ٢/ ٢٩٩، ٥/ ٢٤٥، ٢٤٧، وأبو داود: ١٥٢٢ والنسائي: ١٣٠٤ وصححه الألباني].

فائدة: تقليد الإنسان كتاب اعماله يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ [الإسراء: ١٣] قال في عنقه ولم يقل في يديه أو رجليه، لأن العنق موضع السمات، أما جنايات الأبدان فتضاف إلى اليد، تقول: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾

[الحج:١٠] والطائر: العمل، كما يقال: هذا في عنق فلان، ويقال: قلده الأمير كذا، أي أن هذه الولاية بمنزلة القلادة، ومكان الطوق والعمل، إما زين أو شين كالحلي والأغلال التي تكون في العنق.

فائدة: ثناء الله على خليله إبراهيم عليه السلام والأمر باتباعه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ○ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ○ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ○ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠-١٢٣] فهذه صفات المدح لإبراهيم عليه السلام:

١- أنه أمة، أي قدوة يؤتم به ويقتدى به.

٢- أنه موحد لله تعالى لا يميل عن ذلك (حنيفًا) ولا يشرك به شيئًا.

٣- أنه قانت لله تعالى، عابد له مطيع.

٤- أنه شاكر لله تعالى، مثنٍ على أنعمه وفضله ورحمته وجوده وإحسانه.

٥- أن الله تعالى اجتباه واختاره، وجعل الأنبياء من ذريته.

٦- أنه هداه إلى الطريق المستقيم.

٧- أنه آتاه في الدنيا حسنةً وفضلًا، فأعطاه الغنى والكرم والأولاد الصالحين والزوجات الصالحات.

٨- أنه في الآخرة من الصالحين.

٩- أنه أمر رسوله محمدًا ﷺ باتباع ملته.

١٠- أنه إمام ومعلم للخير والعلم والعمل.

فائدة: الإيمان بين الخوف والرجاء

المؤمن يرجو الله ويخافه، ويحسن الظن به، قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧] وقال تعالى في الحديث القدسي الصحيح: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء» [أحمد:٢/ ٣١٥، ٤/ ١٠٦ وقال محققو المسند: إسناده على شرط الصحيحين] فعلى المؤمن حسن الظن بالله، خاصة إذا قارب الموت، قال رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه» [مسلم:٢٨٧٧] ومقامات الإيمان ثلاثة: الحب والخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت:٥] وقال: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨] وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠] وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: «ياابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك، ولا أبالي» [الترمذي:٣٥٤٠، وأحمد:٥/ ١٧٢ وصححه الألباني] وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

فائدة: تسمية الأشياء بغير اسمها لايغير شيئا

أعداء الإسلام يسمون الأمور المحرمة بأسماء تحبها النفوس، كما سمى عدو الله الشيطان شجرة الخلد ليغري بهذا الاسم آدم عليه السلام: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه:١٢٠] وهؤلاء المفتونون سموا الأغاني والموسيقى بالفن، وسموا الربا بالخدمة، وسموا الخمر بالوسكي والمشروبات الروحية، وسموا المكس بالضريبة، وسموا النفاق بالدبلوماسية، وسموا تأويل الصفات

بتنزيه الله، وغير ذلك، ليغرروا الجهلة، كما غرّ الشيطان آدم وحواء، قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢٢] ووسوس لهما وأقسم على ذلك، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ○ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ○ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢٠-٢٢] ثم قال لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف:٢٠] وحلف لهما وأقسم ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢١] كما يقسم أعداء الله على الكذب، قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة:٥٦] وقال: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:١].

فائدة: الفرق بين الشكر والكفر

قال سليمان بن داود عليهما السلام لما أوتي الملك: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠] وقال الله تعالى عن الكافرين لنعمه: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فصلت:٥٠] وقال: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود:١٠]

فانظر الفرق الشاسع بين الشاكرين والكافرين عند الامتحان والابتلاء، وبين الفرحين والمفتخرين، فإذا بقيت النفس على ما هي عليه، وتراكمت عليها الذنوب، صارت لا تسمع ولا تعقل، وإذا زكاها صاحبها زكت، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ○ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٢،٢٣] ومن عوفي فليحمد الله والله الحكيم العليم.

فائدة: طاعة الله تبيض الوجه والمعصية تسوده

جمال الظاهر والباطن للمؤمنين في الدنيا والآخرة، فالمؤمن مشرق وجهه من الطاعة بالنور، ولو كانت بشرته سوداء، والكافر مظلم وجهه ولو كان لون بشرته أبيض، وللمعاصي مثل ذلك، كما أن الذلة بادية على الكافر والعاصي، والعزة واضحة لدى المؤمن، قال الله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۚ﴾ [المعارج:٤٤] وقال: ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾ [يونس:٢٧] وقال: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٤] وقال: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾ [الإنسان:١١] وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ○ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٦،١٠٧] وهذا في الدنيا والآخرة، وكلما زاد إيمان الإنسان شاهد ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥].

فائدة: تمني الظالم يوم القيامة أنه أطاع الله ورسوله ﷺ

يوم القيامة تنقطع الأسباب الدنيوية، ولا يبقى إلا السبب الذي بين العبد وربه، ولا يتحقق ذلك إلا بالعبودية لله وحده، لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] فكل عمل ليس خالصًا لله تعالى وموافقًا لشرعه وسنة نبيه ﷺ، يكون هباءً منثورًا، في وقت يكون الإنسان فيه أحوج من أي وقت، وهذه هي المصيبة العظمى والخسارة الكبرى والحسرة التي ما بعدها حسرة عند ذلك ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان:٢٧] ويتفرق الأخلاء غير المؤمنين،

ويتشاجرون، وتظهر العداوات بينهم، قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] ويتمنى كل واحد أنه أطاع الله وأطاع رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦] ويلعن بعضهم بعضًا، وتذهب المودة والصداقة التي كانت بينهم في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ [العنكبوت:٢٥].

فائدة: الحث على الإستثناء عند العزم على الفعل

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٣،٢٤] وفي الحديث الصحيح أن سليمان بن داود عليهما السلام قال: «لأطوفن الليلة على كذا وكذا امرأة، تحمل كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله» ولم يقل إن شاء الله، فقال النبي محمد ﷺ: «والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله لقاتلوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون» [البخاري:٢٨١٩، ٣٤٢٤،٥٢٤٢] وإذا قال الإنسان: إن شاء الله لم يحنث لو ترك ما أقسم عليه، حيث ثبت في سنن أبي داود قول النبي ﷺ: «والله لأغزون قريشًا، والله لأغزون قريشًا، والله لأغزون قريشًا » ثم قال: «إن شاء الله» ثم لم يغزهم [أبو داود:٣٢٨٦ وصححه الألباني] وقال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين فقال: إن شاء الله، فلا حنث عليه» [الترمذي:١٥٣١، ١٥٣٢ وأبو داود:٣٢٦١، وابن ماجه:٢١٠٥،٢١٠٦ وصححه الألباني] قال ابن القيم رحمه الله في مسألة الطلاق: إذا قال: أنت طالق إن شاء الله (إن قصد التحقيق والتأكيد وقع الطلاق، وإن قصد

التعليق وعدم الوقوع في الحال لم تطلق) [إعلام الموقعين: ٤/ ٧٧].

فائدة: كل شيء يسبح لله تعالى

جعل الله تعالى في الجمادات شعورًا، يجعلها تسبح ربها، فالحجارة تسقط من خشيته تعالى، والجبال والشجر والحصى والمياه والنبات كلها تسبح بحمد ربها، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبإ: ١٠] وقال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١] كما أن السموات والأرضين تقولان: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وقد ورد أن الطعام يسبح، والجذع اليابس في المسجد يحن، فسبحان من يسبح له كل شيء.

فائدة: عاقبة الذنوب الختم على القلوب

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وقال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

هذه عقوبات الذنوب: الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على العيون والأبصار، والأقفال على القلوب بالأكنة والأغطية، والرين عليها والطبع، وتقليبها، والحيلولة بين المرء وقلبه، وإغفال القلب عن ذكر الله، ونسيان العبد نفسه، وترك تزكية القلب وتطهيره،

وضيق الصدر والحرج، كأنما يصعد في السماء، وانصراف القلب عن الحق والمرض وزيادته، والإركاس والانتكاس، والتثبيط عن الطاعة والابتعاد عنها، والصمم والبكم والعمى والخرس، والخسف بالقلب إلى أسفل السافلين، يجول حول السفليات والقاذورات والمعاصي والرذائل، فيكون قلبه أغلف مغطى مغشيًا عليه، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، نسأل الله العافية.

فائدة: الأمر بأكل الحلال وعدم التفرق في الدين

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ○ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ○ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٣] ذم الله تعالى المختلفين المتقاطعين الأحزاب المتناحرة، وأمر بأكل الطيبات، وعمل الصالحات، وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وعدم التفرق في الدين، فامتثل ذلك الرسل ومن معهم من المؤمنين، وأتت بعدهم خلوف قطعوا أمرهم بينهم زبرًا، كل حزب بما لديهم فرحون.

فائدة: بيان شناعة عمل قوم لوط

اللواط من كبائر الذنوب، لعن الله من عمله، قال ﷺ: «لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط» ثلاث مرات [أحمد: ١/٣٠٩، والطبراني في الكبير: ١١/٢١٨ وأبو يعلى: ٢٥٣٩ وابن حبان: ٤٤١٧ والحاكم: ٤/٣٥٦ وقال محققو المسند: إسناده جيد] ولم يرد اللعن للزاني إلا مرة واحدة، واتفق الصحابة على قتله، واختلفوا في كيفية ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ

﴿ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٨٠] وفي تعريف الفاحشة دليل على أنها جامعة لمعاني الفواحش، أما في الزنا فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢] فأتى بالنكرة، وبين سبحانه أنه لم يسبق لأمة عمل قوم لوط، وذلك لشدة قبحها ومخالفتها للفطرة، وبين أن قوم لوط مسرفون، فقال: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف:٨١] وقال عن لوط عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء:٧٤] وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء:٧٤] وقال عنه: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:٣٠] وسماهم ظالمين ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [العنكبوت:٣١] فهذه صفات قبيحة لمن عمل عمل قوم لوط: (اللعن، الفاحشة، مخالفتها للفطرة، الإسراف، الفسق، الإفساد، الظلم).

فائدة: قرب الله تعالى الخاص بأوليائه وسائليه

الله تعالى قريب من عباده ومن سائليه وداعيه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة:١٨٦] وقال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» [مسلم:٤٨٢ بدون الجملة الثانية، وأبو داود:٨٧٥، والنسائي:١١٣٨، وأحمد:٢/ ٢٤١] و «أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل» [الترمذي: ٣٥٧٩، والنسائي:٥٧٣، وصححه الألباني] وقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» [البخاري: ٢٩٩٢،٤٢٠٢، ومسلم:٢٧٠٤] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾

[البروج:٢٠] وهذا قرب الإحاطة العامة أما قربه من خواص عباده فهو قرب خاص، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء:٦٠] فالعالم كلهم في قبضته.

فائدة: الظلمات والنور من عظيم صنع الله

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:١] لعالي الموجودات النور، وكلما كان أقرب إلى العرش والكرسي كان أعظم نورًا، قال ابن القيم رحمه الله: (كان فضل نور العرش والكرسي على ما تحته كفضل نور الشمس والقمر على أخفى الكواكب، وكلما كان أقرب إلى السفلي المطلق كان أشد ظلمة، ولهذا لما كان محبس أهل الظلمات سجين كانت سوداء مظلمةً لا نور فيها بوجه، وكلما كان أقرب إلى الرب تعالى كان أعظم نورًا ظاهرًا وباطنًا، وكلما كان بعيدًا عنه كان أشد ظلمةً بحسب بُعده، فنسبة الأنوار إلى نوره كنسبة العلوم إلى علمه، فتبارك الله رب العالمين الذي أشرقت الظلمات بنور وجهه وعجزت الأفكار عن إدراك كنهه، ودلت الآيات وشهدت الفطر باستحالة شبهه، فلولا وصف نفسه لعباده لما أقدموا على وصفه، فهو كما وصف نفسه وأثنى على نفسه، وفوق ما يصفه الواصفون) [مختصر الصواعق والضوء المنير على التفسير].

فائدة: قصة ثمود قوم صالح

ثمود هم قوم صالح عليه السلام، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ○ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت:١٧، ١٨].

لقد أرشدهم الله، وأرسل لهم رسولًا، وأيده بآية الناقة التي

أخرجها لهم من الأرض، ولكنهم استحبوا العمى على الهدى، واختاروا الضلال ورجحوه، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ [فصلت:١٧] صاعقة مهلكة مدمرة، وصيحة مميتة خارقة للعادة، مسخرة من الله تعالى لعذابهم، فأهلكهم الله بالخزي والهوان والذلة والصغار، واستؤصلوا عن بكرة أبيهم، وتُرِكوا صرعىٰ، كما أهلك من كان قبلهم وهم عاد قوم هود، ولعذاب الآخرة أخزى، وذلك بما كانوا يكسبون، ونجى الله الذين آمنوا وكانوا يتقون، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود:٥٨] وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود:٦٦] وعاد وثمود من العرب البائدة.

فائدة: واجبات الأب على أولاده

تعليمهم وتأديبهم وأمرهم بعبادة الله، وتوجيههم للخير، وأمرهم بالصلاة لسبع، وضربهم عليها لعشر، والتفريق بينهم في المضاجع، وتلقينهم شهادة أن لا إله إلا الله من الصغر وعند الموت، وأن يحسن أسماءهم وتزويجهم إذا بلغوا، والدعاء لهم، ورعايتهم، والعدل بينهم، وتربيتهم على الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة من الصغر، وإبعادهم عن مجالس السفهاء واللهو والغناء والبدع، وتهذيب منطقهم، ومنعهم من سؤال المال من الغير، وتعويدهم على البذل، ومعاقبتهم على الكذب والخيانة، وتعويدهم العمل، وعدم الكسل، وعلى الجد دون الهزل، وعلى ترك الترف، واختيار الأصحاب الصالحين، والبعد عن الشهوات المحرمة، وتقبيح المسكرات

والمخدرات والدخان، واللباس المحرم والمكروه، وعدم تمكينه من الحرام أو تيسيره له، وتعليمه الركوب والسباحة والرمي، وتقوية شخصيتهم، وتغذيتهم بالنافع الطيب والحلال، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ [الفرقان:٧٤]وقال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ﴾ [الإسراء:٣١] وقال رسول الله ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» [أبو داود: ٤٩٤، ٤٩٥، وقال الألباني: حسن صحيح] وقال: «اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم» [مسلم:١٦٢٣].

فائدة: المشارق والمغارب دليل على قدرة الخالق

قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج:٤٠] أقسم سبحانه برب المشارق والمغارب، وهي مشارق النجوم ومغاربها، ومشارق الشمس والقمر ومغاربهما، وفي قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [الرحمن:١٧] وهما مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربهما، وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الشعراء:٢٨] أي أنه رب للمشرق والمغرب وما حوتهما من مخلوقات شتى.

فائدة خلق الله بني آد م من نفس واحدة :

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنعام:٩٨].

هذا العدد الكبير من الأناسي نشأ من نفس واحدة، والذي خلقهم هو الله، وهو المستحق للعبادة، والتفكر في ذلك يزيد المؤمن

إيمانًا، قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١] والنفس الواحدة هي آدم عليه السلام، وأنتم مستقر ومستودع، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المستقر: الرحم، والمستودع: صلب الرجل، وقال الطبري: (إن الله لم يخصص معنى دون غيره، ولا شك أن من بني آدم مستقرًا في الرحم، ومستودعًا في الصلب، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها، ومستودع في أصلاب الرجال، ومنهم مستقر في القبر ومستودع على ظهر الأرض) وقال ابن عطية: (ابن آدم مستودع في ظهر أبيه، وليس بمستقر فيه، لأنه ينتقل لا محالة، ثم ينتقل إلى الرحم، ثم ينتقل إلى الدنيا، ثم ينتقل إلى القبر، ثم ينتقل إلى الحشر، ثم ينتقل إلى الجنة أو النار، وهو في كل رتبة بين هذين الظرفين مستقر بالإضافة إلى التي قبلها، ومستودع بالإضافة إلى التي بعدها) ثم قال تعالى: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنعام:٩٨] الذين يتدبرون ويؤمنون ويعلمون ويفقهون هم الذين يدركون ذلك، وينتفعون به، أما غيرهم من الكفار فلا فقه عندهم ولا علم ولا فهم ولا تدبر ولا إدراك.

فائدة: بيان بمآل السعداء والأشقياء

قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص:٥٠] وقال عن أهل النار: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ○ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ﴾ [الهمزة:٨،٩] فأبواب الجنة تفتح، يذهبون ويطوفون فيها حيث شاؤوا، وتدخل عليهم الملائكة، تسلم عليهم، وتأتيهم بالخيرات، أما أبواب النار نعوذ بالله منها، فهي مغلقة عليهم، لا يخرجون منها، وموصدة على العمد كالحجر العظيم الذي يجعل على الباب حتى لا ينفتح،

وإذا دخل أهل النار النار أغلقت عليهم أبوابها وردمت بالعمد وأوصدت، نسأل الله تعالى النجاة من النار ودخول الجنة دار القرار.

فائدة: لايقبل الإيمان بعد نزول العذاب

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ○ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر:٨٤،٨٥] حين شاهدوا العذاب لم ينفعهم الإيمان بالله وحده، فلا يقبل الإيمان بعد نزول العذاب، ولا يفيد صاحبه، وذلك مثل الإيمان عند الغرغرة، ومثل الإيمان عند طلوع الشمس من مغربها، ولم تنتفع أمة بعد نزول العذاب إلا قوم يونس لما آمنوا كشف الله عنهم العذاب، وربما يكون سبب ذلك أن يونس عليه السلام لما أحس بالعذاب خرج من قومه وركب في السفينة، وأنزل منها إلى البحر، فالتقمه الحوت، فنادى في الظلمات ألا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فغفر الله له وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون، ومن الذين لم ينفعهم الإيمان لما آمنوا فرعون، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ○ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩٠،٩١] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨] وهذه سنة الله وتقديره، قال تعالى: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر:٨٥].

فائدة: إنذار كفار مكة بمثل عذاب من سبق من الامم

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ

وَثَمُودَ ○ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [فصلت:١٣،١٤] الصاعقة نار تخرج مع البرق تحرق ما تصيبه، قال تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ [البقرة:١٩] روى ابن إسحاق في سيرته أن عتبة بن ربيعة كلم النبي ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم النبي ﷺ: ﴿حم ○ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت:١،٢] حتى بلغ ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١٣] فأمسك عتبة على فم النبي ﷺ وقال له: (ناشدتك الله والرحم) وقوله: ﴿جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [فصلت:١٤] أي أنذروهم من كل مكان وفي كل وقت.

فائدة: الويل لمن أشرك بالله ومنع الزكاة

قال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ○ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت:٦،٧] هذا وعيد للمشركين الذين ينكرون البعث، وإنذار لمن لا يؤتي الزكاة بالويل، وهذا ظاهر في المشركين والمنكرين للبعث والنشور، أما مانعو الزكاة من المسلمين فلهم حظ من الويل الذي استحقه المشركون، لأنهم منعوا حق الفقراء والمساكين وغيرهم من أهل الزكاة، وقست قلوبهم، وشحوا بالمال، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الزمر:٢٢] لذلك رأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه قتال مانعي الزكاة ممن لم يرتدوا عن الإسلام، ووافقه جميع أصحاب رسول الله ﷺ.

فائدة: (المنان) اسم من اسماء الله الحسنى

من أسماء الله تعالى الحسنى (المنان) قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل:٥٣] وقال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا

عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] وقال: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات: ١١٤] وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ﴾ [إبراهيم: ١١] وقال: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ [طه: ٣٧] وقال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ﴾ [الأنعام: ٥٣] فالمنة لله تعالى أن خلقنا ورزقنا وآوانا وهدانا للإسلام، وهذه الهداية للدين الحق هي أعظم المنن وأجلها، يقول أهل الجنة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٦، ٢٧] ورحمة الله تعالى ومنه وكرمه أعظم من أعمالنا، ولن يدخل العبد باعماله الإنسانية وحدها الجنة، وإنما يدخلها بمنه وكرمه ورحمته، ولو عذب الله الخلائق أجمعين فليس ظالمًا لهم، ورحمته خير من أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النحل: ٥٣] وقال: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

فائدة: لايؤاخذ أحد بجريرة غيره

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾ [الزمر: ٧] أي لا تحمل نفس ذنب نفس أخرى، فكل محاسب على عمله، ولا تغني نفس عن نفس شيئًا من إثمها، فلا تطمع نفس بإعانة أقاربها ولا غيرهم من المخلوقات إلا بإذن الله، ولا تخشى نفس صالحة أن تؤاخذ بتبعة نفس أخرى من ذويها، فكل إنسان له عمله الصالح، وعليه وزر عمله السيء، لا ينتقل إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨] فكفر الكافرين عليهم، ومعصية

العاصين يحاسبون عليها، وصلاح الصالحين لهم ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

فائدة: من سنن الله نصر أنبيائه وإهلاك أعدائهم

الأمم السابقة كلها همت بقتل أنبيائهم - كما هم الكفار بقتل الرسول محمد ﷺ - فأنقذهم الله منهم، وكل الأمم السابقة جادلوا بالباطل، ليدحضوا به الحق، فعاقبهم الله، ونصر أنبياءه عليهم السلام، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:٥] وقال تعالى: ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ﴾ [التوبة:٧٤] وقال: ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [النمل:٤٩] وقد تآمر كفار قريش على رسول الله ﷺ ليلة دار الندوة ليقتلوه ويضربوه بالسيوف ضربة رجل واحد، يتجمع لها نفر من جميع العشائر حتى لا يستطيع بنو هاشم الأخذ بثأره، فأنجاه الله منهم وهاجر إلى المدينة، ثم أمكن الله رسوله ﷺ منهم في يوم بدر، فقتل جميع من هم بقتله عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:٥] وكل من جادل في آيات الله تعالى فمصيره إلى ذلك، قال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [غافر:٤] وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ ۖ﴾ [غافر:٥] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢] وهذه سنة الله أن يأخذ الظالمين في الدنيا وفي الآخرة في النار، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ

أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٦].

فائدة: فضل الدعوة إلى الله

قال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ○ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٣، ٣٤].

أحسن الأقوال قول الداعي إلى الله، إذا كان يعمل بما يقول، ولا يخاف من أحد إلا الله، ويجهر بدعوته قائلًا: ﴿إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣] وهل يستوي هذا مع من يعمل السيئات؟ شتان بينهما، فمن دعا إلى الله، وأفرد العبادة له، وقال: ربنا الله، واستقام على ذلك، هو الأحسن والأفضل ممن دعا إلى الشرك والبدع والخرافات، أو أخفى إسلامه، والعمل الصالح كل ما فيه صلاح الدين أو الدنيا، فالافتخار بالإسلام والاعتزاز به وعدم خوف الإنسان من قول الحق، أحسن الأحوال وأزكاها، ولما قال أبو سفيان رضي الله عنه يوم أحد: (اعلُ هبل) قال النبي ﷺ: «قولوا: الله أعلى وأجل» فقال أبو سفيان رضي الله عنه: (لنا العزى ولا عزى لكم) فقال النبي ﷺ: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» [البخاري:٣٠٣٩،٣٩٨٦] وفي هذه الآية تفضيل علماء الدين الذين يبينون للناس الحق، ويوضحون أحكام الشريعة، ويدعون إلى الله، ويعملون الصالحات، ويجهرون بدينهم ولا يخافون لومة لائم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [فصلت:٣٠] ومن أفضل الأعمال حسن الخلق والدعوة بالحكمة، قال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم:٤] وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم

الأخلاق» [أحمد: ٢/ ٣٨١، والبيهقي: ١٠/ ١٩٢ والبغوي في شرح السنة: ١١/ ٥٠٠ وصححه الألباني في الصحيحة: ٤٥] وقالت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: (كان خلقه القرآن) [مسلم: ٧٤٦، وأحمد: ٦/ ٢١٦] وقالت: (ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) [البخاري: ٣٥٦٠، ومسلم: ٢٣٢٧] وقال الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠] وروي أنه لما نزلت الآية الكريمة ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] سأل النبي جبريل عليه السلام عن تأويلها، فأتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عن من ظلمك [الطبري في تفسيره: ١٥٥٥٨، ١٥٥٥٩] وكان ﷺ لا يدفع بالسيئة السيئة [البخاري: ٤٨٣٨] ولكن يعفو ويصفح، وقد زالت عداوة من أسلم من أعدائه بسبب هذه الصفة الكريمة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] وما يلقى ذلك إلا الصابرون أصحاب الحظ العظيم.

فائدة: الفرح الممدوح والفرح المذموم

الفرح بفضل الله ورحمته محمود، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ٧٥] فما كان بالحق فهو محمود، أما الفرح بالباطل وأمور الدنيا البحتة والمدح فهو منهي عنه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

فائدة: بداية الخلق

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا

طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١] أحسن ما قيل في الاستواء: إنه استواء يليق بجلاله، فلا ننفي الاستواء ونعطله ونخالف نص الآية، ولا نشبهه باستواء المخلوقين، ولا نمثله، ولا نكيفه، وإنما هو استواء يليق بجلاله، ليس كمثله سبحانه شيء وهو السميع البصير، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالح، وقد كانت السماء دخانًا، كما في هذه الآية، وفي الحديث «أنها كانت عَماء» [الترمذي:٣١٠٩، وابن ماجة:١٨٢، وأحمد:٤/ ١١،١٢ وضعفه الألباني] قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ [فصلت:١١] فامتثلتا وقالتا: ﴿أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ وقال: ﴿طَآئِعِينَ﴾ بصيغة الجمع لا التثنية، لأن السموات سبع والأرضين سبع، وأتى بصيغة جمع المذكر، لأن السماء والأرض ليس لهما تأنيث حقيقي.

وقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [فصلت:١٢] فهي ستة أيام على الأرجح، إن أولها يوم الأحد الذي هو بمعنى أول أو واحد، وخلق آدم يوم الجمعة كما ورد، قال النبي ﷺ: «فهذا اليوم فيه خلق آدم» [مسلم:٢٧٨٩] أي الجمعة وقد كان خلق آدم عليه السلام بعد تمام خلق السماء والأرض، والله أعلم.

أما ما روى مسلم في صحيحه [مسلم:٢٧٨٩] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن الله ابتدأ الخلق يوم السبت» فقد ضعف البخاري وابن المديني رفعه، لأنه من كلام كعب الأحبار حدث به أبا هريرة، فظنه البعض مرفوعًا، والله أعلم.

فائدة: منافع الظل

من آيات الله البينات الدالة على عظيم قدرته الظل قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٥،٤٦] وفي هذا المد والقبض منافع عظيمة ومصالح باهرة، فبذلك تعرف الأوقات والساعات والبرد والحر والشمس، وفيه فوائد كبيرة للناس والحيوانات والشجر والنبات، وقد جعل الله تعالى عليه الشمس دليلًا، وكلما ارتفعت انقبض شيئًا فشيئًا يسيرًا، حتى ينتهي إلى غايته، وهكذا إذا أخذت الشمس في الجانب الغربي فيعرف الصباح والزوال، ولو شاء الله تعالى لجعله ساكنًا، فسبحان الخالق العظيم.

فائدة: عقوبة الاعراض عن تقوى الله

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩] من ترك تقوى الله أنساه الله نفسه، وأنساه العمل لمصالحه، وأنساه تذكر الآخرة، وأنساه تذكر عظمة الله، وصار أمره فرطًا، فضاع وصار يَعْمَهُ في هذه الحياة الدنيا، بدون هدف أخروي، وفرط في سعادته الأبدية الأخروية، وغفل قلبه عن ذكر ربه، ومن اتقى الله حاسب نفسه واستعد لآخرته، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] ومن اتَّقاه ذكره، وأحبه وأطاعه، وأقبل على عبادته، وأعرض عمن سواه.

فائدة: اسم رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل

اسم الرسول ﷺ في التوراة (محمد) من الحمد، فهو كثير

الخصال التي يحمد عليها حمدًا بعد حمد متكررًا، واسمه في الإنجيل أحمد، فهو يحمد أفضل مما يحمد غيره، وهو الذي حمده أفضل من حمد غيره، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦] وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:١٩] وكل خصال الخير والأخلاق في نبينا ﷺ وفي شريعته، وعرف النبي ﷺ عند المسلمين بمحمد، وشريعة الإسلام الذي جاء بها محمد ﷺ جاءت بالفضل وجميع الخير، أما شريعة موسى عليه السلام فهي شريعة تميزت بالحكم والقصاص والعدل، وشريعة عيسى عليه السلام تميزت بالعفو ومكارم الأخلاق والصفح والإحسان، وشريعة محمد ﷺ جمعت بين جميع الخصال الخيرة وتفوقت على غيرها.

فائدة: من أسباب محبة الله تعالى

سبب محبة الله الانكسار بين يديه، والتوبة والإنابة إليه، والذل والافتقار له، وازدراء النفس واحتقارها، والضعف والعجز والاعتراف بذلك، وذم النفس وتنقيصها، والتحدث بنعمة الله وحلمه وإحسانه وبره، والشوق إلى لقائه، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إليَّ بشبر تقربتُ إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» [البخاري: ٧٤٠٥، ٧٥٠٥، ومسلم: ٢٦٧٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

فائدة: مجيء الله ورؤيته يوم القيامة حقيقة

كلام الله حقيقة، ومجيئه يوم القيامة حقيقة، ورؤيته في الآخرة حقيقة، وسمعه وبصره ويده حقيقة، وعلوه حقيقة، لا يجوز تأويل هذه الصفات وأمثالها، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨] وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤] وقال الرسول ﷺ: «إنكم ترون ربكم عيانًا، كما نرى الشمس في الظهيرة صحوًا، ليس دونها سحاب» [البخاري:٧٤٣٥، ومسلم:٦٣٣،١٨٣] وقال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، ولا حاجب يحجبه»]البخاري:٧٤٤٣، ومسلم:١٠١٦].

فائدة: معنى الطاغوت

الطاغوت كل ما عبد من دون الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر:٧] وأطلق الطاغوت على القوي في الكفر أو الظلم، وعلى الصنم، وعلى جماعة الأصنام، وعلى رئيس أهل الكفر، مثل كعب بن الأشرف، ورؤوس الطواغيت خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبِدَ وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى علمًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

فائدة: حياة البرزخ

قال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦] يعرضون ويشاهدون المواضع التي أعدت لهم في جهنم صباحًا ومساءً، وفي الآخرة يدخلون أشد العذاب، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» [البخاري:١٣٧٩، ٣٢٤٠، ٦٥١٥، ومسلم:٢٨٦٦].

فائدة: المرء مع من أحب

من حكمة الله تعالى تناسب وتآلف الأشياء المتوافقة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ [الأعراف:١٨٩] وقال ﷺ: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» [البخاري:٣٣٣٦، ومسلم:٢٦٣٨، أبو داود:٤٨٣٤، وأحمد:٢/ ٢٩٥، ٥٢٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه في سبب هذا الحديث أن امرأة كانت بمكة تضحك الناس فجاءت إلى المدينة ونزلت على امرأة تضحك الناس مثلها في ذلك، فقال الرسول ﷺ: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير:٧] وقد قيل: «المرء مع من أحب» [البخاري:٦١٦٨، ٦١٦٩، ومسلم:٢٦٤٠] فالمتحابون في الله بالجنة، والمتحابون في طاعة الشيطان في النار، وقال تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ○ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ

ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣].

فائدة: شهادة الجوارح يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠].

تشهد عليهم أنهم مكذبون، وتفضحهم بما كانوا يعملون، فلا يستطيعون الإنكار، وخص السمع والبصر والجلد بالشهادة، لأن للسمع اختصاصًا بتلقي دعوة النبي ﷺ وتلقي آيات الله، كما قال تعالى: ﴿وفي آذاننا وقر﴾ ولأن للبصر اختصاصًا بمشاهدة دلائل المصنوعات الدالة على انفراد الله بالخلق والتدبير والوحدانية، وشهادة الجلود، لأن الجلد يحوي جميع الجسد، وهي التي تعذب بالنار، ولهذا اقتصروا على توجيه اللوم على الجلود، لأنها حاوية لجميع الحواس ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ﴾ [فصلت: ٢١] وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] وهؤلاء هم الذين يرمون المحصنات، روى البخاري ومسلم والترمذي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (كنت مستترًا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، قليل فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم، فتكلموا بكلام لم أفهمه، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا، قال عبدالله: فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢، ٢٣] [البخاري: ٤٨١٦، ٤٨١٧، ٧٥٢١، ومسلم:

٢٧٧٥، والترمذي:٣٢٤٩، وأحمد:١/ ٣٨١،٤٠٨] قال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٣] وهذا الفساد سببه عدم التأمل وعدم التفكر في آيات الله، والظن السيء، كما قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ [آل عمران:١٥٤] وبذلك استحقوا النار ﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾ [فصلت:٢٤] فالله تعالى لا يقبل منهم ولا يُعتِبهم.

فائدة: شهادة الله لابراهيم بالسلامة من الشرك وحظوظ النفس

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ○ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٣،٨٤] وقال: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ○ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٨٨،٨٩] أي سالم من الشرك والحسد والغل والشح والكبر والحقد وحب الرياسة وحب الدنيا، وسلم من الشبهات والشهوات، ومن البدع والغفلة والهوى والرياء والعناد، وإرادة غير الله والغي والباطل، وسلّم لعبودية الله تعالى وحبه وخوفه والطمع في رضوانه وجنته وسلَّم لأمره ونهيه ولرسوله ﷺ، واستسلم لقضائه وقدره، وأسلم لربه انقيادًا وخضوعًا وذلًا وعبوديةً في ظاهره وباطنه، وسَلِمَ من عبودية ما سواه ومن تحكيم غير رسوله ﷺ أو محبة غيره أو لغيره، أو التوكل على غيره، فأخبت وخشي وانقاد، وأحب وأبغض لله وفي الله ولأجله، في قلبه ولسانه وجوارحه، بخلاف القلب المريض والميت الذي لا حياة فيه، وليس القلب السليم، كما يفهمه بعض الناس، من أنه الأبله المغفل الجاهل الساذج، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لست بالخب ولا

الخب يخدعني) وإنما هو العاقل الورع الذي يعرف المكائد، ويتورع من الضرر بالآخرين، ويحب للناس الخير، وينفعهم بما يستطيع مهما أساؤوا إليه.

فائدة: اذا تعلق القلب بالله انشغل بذكره

إذا تعلق القلب بالله تعالى، واعتكف البدن في عبادته، وانشغل اللسان بذكره، والفؤاد بمحبته، وأخلص المرء عبادته، وتابع رسوله ﷺ اهتدى إلى الحق، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢] ومن تعلق بالصور، وانشغل بغير الله، استعبدته الشهوات، وصار عبدًا لها، قال ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش» [ابن ماجه:٤١٣٦، البيهقي:٩/ ١٥٩،١٠/ ٢٤٥ والبغوي في شرح السنة:١٤/ ٢٦١ وصححه الألباني].

ولما عكف إبراهيم عليه السلام على عبادة ربه جعل الأصنام جذاذًا ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء:٥٨] ولما اعتكف موسى عليه السلام على عبادة ربه أحرق العجل ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ [طه:٩٧].

ولما اعتكف محمد ﷺ على عبادة ربه، محق المعازف والمزامير والأوثان والأصلاب وأمر الجاهلية، كما روى الطبراني عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني رحمةً للعالمين وهدىً للعالمين، وأمرني ربي بمحق المعازف والمزامير والأوثان والصليب وأمر الجاهلية» [أحمد:٥/ ٢٥٧،٢٦٨، والطبراني في الكبير:٧٨٠٣،٧٨٠٤،٧٨٥٢ وضعفه الألباني

في المشكاة: ٣٦٥٤، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف جدًا، وصحح بلفظ: «وإنما بعثت رحمة» [مسلم: ٢٥٥٩] وبلفظ: «وإنما بعثني رحمة للعالمين» الحديث أبو داود: ٤٦٥٩ وصححه الألباني].

فائدة: حرمة قتل النفس بغير حق

قتل النفس بغير حق من أكبر الكبائر، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا» [البخاري: ٦٨٦٢] وفي رواية قال: «من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله» [البخاري: ٦٨٦٣].

وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» [متفق عليه: البخاري: ٤٨، ٦٠٤٤، ٧٠٧٦، ومسلم: ٦٤، والترمذي: ١٩٨٣، ٢٦٣٥ وغيرهم] وقال: «ومن قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة» [البخاري: ٣١٦٦] وقال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق» [الترمذي: ١٣٩٥، وابن ماجة: ٢٦١٩ وغيرهما وصححه الألباني].

وقد أدخل الله تعالى امرأةً النار بسبب هرة حبستها، لا هي أطعمتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض، فكيف بالعبد المؤمن إذا قتل بغير حق، وهو أعظم حرمةً عند الله من الكعبة المشرفة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣].

فائدة: جزاء الصابرين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] لقد أجزل الله للصابرين الثواب والأجر، وأعطاهم بغير حساب،

وهذا من فضله وكرمه وجوده وإحسانه، فمن صبر على عبادة الله تعالى، وعلى الجهاد في سبيله، والهجرة ومفارقة الأوطان، وعلى ما يلاقيه في دعوته إلى الله، وعلى أقدار الله المؤلمة، وصبر عن معصية الله، وسكنت نفسه عند حلول الآلام، ولم يضجر ولم يضطرب، يبشره الله بأن يعطيه الأجر والجزاء بغير حساب، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ○ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ○ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] الله أكبر، صلوات الله تتنزل عليهم، ورحمته تغشاهم، ويعطون أجورَهم بغير حساب، وفي الآخرة الأجورُ لا تخطر على قلب بشر ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ [الانشقاق:٢٥].

فائدة: كفى بالموت واعظا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ○ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣٠،٣١] الناس كلهم ميتون، فلا يغتر عاقل بزخرف الحياة الدنيا، وكفى بالموت موعظةً، وسوف تزول هذه الحياة وتقوم الساعة، والعاقل يبادر بالعمل الصالح قبل فوات الأوان، وكذا الرسول ﷺ سيموت كما مات النبيون من قبله، وفي ذلك حث للصحابة باغتنام فرصة وجوده والاستفادة منه، وألا يختلفوا في موته، وأن يعلموا أن الله سوى في الموت بين الخلق، وسوف يختصم الناس ويحكم الله بينهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [النحل:١٢٤] وقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٦٤] روى النسائي وغيره عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: (لما نزلت هذه الآية قلنا:

كيف نختصم ونحن إخوان، فلما قتل عثمان رضي الله عنه وضرب بعضنا وجه بعض بالسيف، قلنا: هذا الخصام الذي وعدنا ربنا) [النسائي في الكبرى:١١٤٤٧] وفي رواية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مثل مقال ابن عمر رضي الله عنهما ولكن أبا سعيد رضي الله عنه قال: (فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم هو ذا). [تفسير القرطبي].

فائدة: نفور المشركين من توحيد الله تعالى

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥] وما أكثر هؤلاء بين الصوفية والمخرفين وغيرهم، ممن إذا قيل لهم: لا إله إلا الله اشمأزت قلوبهم، وإذا ذكر الأولياء الذين يعبدونهم استبشروا وفرحوا، يذكرونهم أكثر مما يذكرون الله، ويقيمون الموالد والحسينيات لأجل ذلك.

فائدة: الشفاعة لله وحده

يقول المشركون: إن هذه الأصنام وهؤلاء الأولياء لا نعبدهم، وإنما نتخذهم شفعاء يقربوننا إلى الله، فرد الله عليهم بالآية الكريمة في سورة الزمر ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ○ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الزمر:٤٣،٤٤] ومثل ذلك قولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] فالشفاعة لله تعالى وحده، وهو مالك السموات والأرض، المنفرد بالعبادة والتصرف، وليس لآلهتهم شفاعة في الدنيا، أما بعد الحشر فلا يشفع أحد إلا بإذن الله،

وهذه التي يدعون من دون الله لا تسمع ولا تبصر ولا تملك شيئًا ولا تعقل، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [النمل:٨٠] وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ [الأحقاف:٥] فالشفاعة تُطلب من الله وحده، بأن يطلب المسلم من الله أن يشفع فيه نبيه محمدًا ﷺ، أما طلبها من الرسول ﷺ أو من غيره، فهو شرك أكبر، ومن باب أولى طلبها من الأولياء، كما يفعله من يسمي نفسه مسلمًا عند قبر البدوي والسيدة زينب والحسين وغيرهم، حيث يقفون عند قبورهم، ويطلبون المدد منهم والشفاء، وهم لا يملكون شيئًا، ولا يسمعون ما يقولون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:١٩٤] وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ○ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥،٦] وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ﴾ [يونس:١٠٦] ومع الأسف أن كثيرًا ممن يزعم أنه مسلم يسأل القبور والأصنام، إما لتقربه إلى الله، كما يفعله مشركو العرب سابقًا، وإما يسأل من صاحب القبر مباشرة، كما يفعله عباد الأولياء المخرفون وغيرهم في هذا الزمان، وهؤلاء أشد كفرًا من أولئك.

فائدة: القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين

قال الله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر:٢٨] هذا وصف من صفات القرآن الكريم أنه عربي غير ذي عوج، فاللغة العربية أفصح اللغات، وليس فيها عوج، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان:٥٨] وقال: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ

إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣] فاللسان العربي مبينٌ فصيح واضح لا لبس فيه ولا عوج، وهو أفصحُ الكلام وأبينه وأقومه ألفاظًا - ومعانٍ، فيه الأمثال والعبر، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٧] ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:٢٥] قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ○ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١٩٨،١٩٩] فالقرآن عربي، والرسول محمد ﷺ عربي، ولا شك أن العرب أفصح الناس، وأقدرهم على البيان، وأشعارهم وخطبهم تدل على ذلك، وأمثالهم معروفة، لا يضاهيهم أحد في ذلك، ولهذا كانت معجزتهم في القرآن الذي تحدى الله به الكفار منهم بأن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، أو بعشر آيات، أو آية واحدة، واعترف فصحاءهم وساداتهم وشعراءهم بذلك، وما زال القرآن محفوظًا في الصدور والمصاحف، لا يقدر أحد أن يأتي بمثله، ولا يستطيع أحد أن يغيره، أو يبدل حرفًا واحدًا منه، برغم كثرة أعدائه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] أما اللغات الأخرى غير العربية ففيها من العوج والعجمة وعدم القدرة على التعبير عن الأشياء الكثير، وذلك باعتراف أهلها، وكل منصف يدرك ذلك.

فائدة: الرضا بالله وبحكمه

الرضا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا تترجمه هذه الآيات ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٤] ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام:١١٤] وبعض الناس

يرضى بالله ربًا، ولكنه لا يرضى به وحده وليًا، وهذا شرك، وبعض الناس يبتغي غيره حكمًا، يرضى بحكمه، وهو يزعم أنه مسلم، وبعض الناس يجعل الله إلهًا، ولكنه ينزل حاجاته إلى غيره، وهذه الأمور تخفى على من لم يعرف عقيدة التوحيد، فيظن أنه موحد وهو مشرك، والشرك أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فائدة: نصر الله لكليمه موسى

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ○ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [غافر: ٥٣، ٥٤] لقد نصر الله تعالى موسى عليه السلام على فرعون، وآتاه التوراة التي فيها الهدى للناس، وأورث الله بني إسرائيل التوراة التي فيها الذكرى للناس، وكون الله به أمة عظيمة كانت محتقرة عند الفراعنة، يخدمونهم ويستعبدونهم ويقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم، فصار لهم ملك عظيم وشريعة عظيمة، واختارهم الله على العالمين، كما قال: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] وجعل الدعوة باقية فيهم، ورثوا ذلك بعد موسى عليه السلام وأخذوه في حياته وبعد مماته، فقد أوتي موسى عليه السلام من الهدى ما لم يرثه بنو إسرائيل، وهي الرسالة، وأوتي من الهدى ما أورثه الله بني إسرائيل، وهي الشريعة والتوراة، ففيها العلم والذكرى والهداية لأصحاب العقول الراجحة والألباب القادرة على الاستنباط والفهم، وهذا وعد الله لأنبيائه بالنصر، وفي ذلك بشرى لنبينا محمد ﷺ بالنصر وللمؤمنين، ولهذا

قال بعد هذه الآية: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥] ولا تستبطىء النصر.

فائدة: صفات القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]

هذه صفات للقرآن الكريم:

الأولى: أنه أحسن الحديث، قال تعالى: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠] وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]. وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣].

الثانية: أنه كتاب، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ﴾ [العنكبوت: ٤٧] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [العنكبوت: ٥١] وغيرهما.

الثالثة: أنه متشابه، أي متماثل في فصاحته وشرف معانيه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

الرابعة: أنه مثاني، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧] فهو مكرر الأغراض ليرسخ بالنفوس، وليسمعها من فاته سماع أمثالها من قبل. وقيل: إن السبع المثاني الفاتحة.

الخامسة: أنه ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٣] فهو رائع وجليل، ومن سمعه

حصل له من الانفعالات النفسية التي تثيره حزنًا ومسرةً وأنسًا وخوفًا حتى يقشعر جلده ويلين للعبادة، وفيه من الخشية والرهبة، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] تدمع منه العيون، وتقشعر منه الجلود، وتخشع منه النفوس، وتلين القلوب، فهو يجمع بين تأثير الرهبة وتأثير الرغبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] وقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وقال: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣] فمن لم يهتد بهذا القرآن فالنقص فيه، وليس في هذا الكتاب الذي من شأنه الهدى.

فائدة: العمل الصالح يشفع لصاحبه

الأعمال الصالحة تشفع لصاحبها في الدنيا والآخرة، فهذا يونس عليه السلام يقول الله عنه: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] فلما كان يونس عليه السلام من المسبحين شفعت له أعماله، أما فرعون فلم تشفع له أعماله، حيث لم يك من المسبحين، قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] فقال له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] وكلمة التوحيد لا إله إلا الله تبدد ضباب الذنوب، ويتفاوت أهلها حسب توحيدهم لله، وتظهر يوم القيامة أنوار التوحيد على العبد مثل إيمانه بالله، فمنهم من نوره كالشمس، ومنهم كالكوكب الدري، ومنهم كالسراج.

فائدة: النظر إلى آثار المكذبين عبرة لكل معتبر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] إن في ذلك النظر إلى آثار المكذبين ومنازلهم آيات لكل معتبر ومتفكر وناظر بعين البصيرة، فهي تورث العبرة والفراسة والمعرفة للمؤمنين الذين عندهم فراسة وتوسم، ونظر بنور الله، وتفريق بين الحق والباطل، والصدق والكذب، قال ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله عز وجل» [الترمذي: ٣١٢٧، وضعفه الألباني].

فقد خص الله تعالى الانتفاع للمتوسمين المؤمنين، أما من رانت على قلبه الذنوب، فقد حصل عنده حجاب مانع عن رؤية الحق، قد تصل إلى أن يرى الحق باطلًا والباطل حقًا.

فائدة: الله يجزي كل عامل بعمله

الله تعالى يجزي العبد على أعماله الصالحة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يجزيه بالحياة الطيبة، وليس جزاؤه في الدنيا جزاء توفية، وإنما جزاء الآخرة هو جزاء التوفية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ﴾ [النحل: ٣٠] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١] وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] وقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢] وقال: ﴿وَأَنِ

ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ [هود: ٣].

فائدة: هداية الله كل شيء إلى ما يناسبه

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] لقد قدر الله للإنسان أن يكون ناطقًا قادرًا للعلم والصناعة، ووهب له من العقل وآلات الجسد، وهداه لاستعمال فكره، كما قدر للبقرة در اللبن ألهمها الرعي، وكما قدر للنحل إنتاج العسل ألهمه أن يرعى الثمار وبناء ما يصنع فيه العسل، وقدر النسل للحيوانات لبقاء النوع، وهداها إلى طريقة ذلك، وهذه نعم من الله دالة على استحقاقه للعبادة، قال تعالى: ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

فائدة: مراحل خلق الإنسان

قال الله تعالى: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ [الزمر: ٦] وقال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفةً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح» [البخاري: ٣٣٣٢، ومسلم: ٢٦٤٣].

قال علماء الطب: إن خلق الإنسان على عشرة أطوار:

الأول: طور النطفة، وهي جسم مُخاطِيّ مستدير أبيض خال من الأعضاء ٥ مليمتر.

والثاني: طور العلقة، وهي قطعة في حجم النملة، وهي تتكون بعد ٣٣ يومًا من وقت استقرار النطفة في الرحم.

والثالث: طور المضغة، وهي قطعة حمراء في حجم النحلة.

والرابع: عند استكماله شهرين يصير طوله ٣سم أحمر اللون، لا يتميز عنقه ولا وجهه.

والخامس: في الشهر الثالث، طوله ١٥سم، يبدو رسم جبهته وأنفه وحواجبه وأظفاره.

والسادس: في الشهر الرابع، طوله ٢٠سم، يظهر زغب رأسه، وتتضح أظافره.

والسابع: في الشهر السادس، يصير طوله ٣٠سم، تتصلب أظافره.

والثامن: في الشهر السابع، يصير طوله ٣٨سم، يقل احمرار جلده، ويطول شعره.

والتاسع: في الشهر الثامن، يزيد غلظه، ويكون طوله ٤٠سم، وتقوى حركته.

والعاشر: في الشهر التاسع، يكون طوله من ٥٠ إلى ٦٠سم، ويتم عظمه، ويتضخم رأسه وشعره.

والظلمات الثلاث: ظلمة بطن الأم، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، فسبحان المحيط بكل شيء علمًا.

فائدة: دقائق صنع الله

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

الوفاة الأولى كالموت - النوم - وهو مؤقت، ثم ترجع الروح إلى الجسد، والوفاة الثانية موت الوفاة، ولا ترجع الروح إلى الجسد بعده إلا عند قيام الناس من قبورهم يوم القيامة، وفي ذلك آيات لقوم

يتفكرون، أما الروح فتنتقل إلى عالم آخر، وهي من أمر الله، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥] فالذي يوصف بالموت هو الذات لا الروح، وتوفِّيها سلب الأرواح عنها، وحالة النوم انقطاع الحياة عن الجسد، بينما الأعضاء لا تفقد في حالة النوم صلاحيتها للعودة إلى أعمالها حين الاستيقاظ من النوم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢] ففي ذلك دليل على انفراد الله تعالى بالتصرف، وأنه المعبود دون غيره، وأمرٌ بالنظر، وضرب الأمثال والتفكر في دقائق صنع الله، والتذكير بالحكمة العظيمة وما يمر على الإنسان في كل يوم من نوم ويقظة، فهو في حالة النوم كالميت، ثم تعود إليه الحياة إذا استيقظ، وكذا البعث بعد الوفاة، وفي هذا موعظة لمن يتعظ وعبرة للمعتبرين، ودليل ساطع على البعث وقيام الساعة والحساب، فسبحان الله أحكم الحاكمين.

فائدة: ثلاثة مواطن مظنة الخوف والوحشة

قال الله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ١٥] وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ٣٣] هذه أوقات ثلاثة: يوم الولادة، ويوم الموت، ويوم البعث، هي مظان العطب والوحشة والخوف، لانتقال الإنسان من دار كان مستقرًا فيها موطن النفس على صحبتها وسكناها إلى دار لا يعرف مصيره فيها،

فالجنين يخرج من بطن أمه بالولادة، وهو يبكي خوفًا من الدار الدنيا التي أقبل إليها، مع أنها أفسح من بطن أمه، فيحصل له وحشة الفراق عن وطنه الذي ألفه، ويطعنه الشيطان في خاصرته، كما ورد، ويبكي لفراق وطنه الآمن.

والموطن الثاني: خروجه من هذه الدار الدنيا إلى دار البرزخ عند الموت، ومع أن دار البرزخ أوسع، ونسبتها لدار الدنيا أكبر من نسبة الدنيا لبطن الأم، ولكن طلب السلامة عند الدار القادمة وبعد فراق الدار التي اعتاد عليها من أهم الأمور، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾.

الموطن الثالث: ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ولا نسبة لما قبله من الدور إليه، وطلب السلامة في هذه أولى لشدة الحاجة إلى السلامة فيها، وفي ذلك وحشة عظيمة وخوف ورعب عند معاينته هول المطلع، وأنه وحيد مجرد من الثياب، وليس معه إلا عمله، مع جمع عظيم من الخلق، قادمون للحساب والميزان والصراط ورب الأرباب، فنسأل الله السلامة في جميع هذه الدور، إنه سميع مجيب الدعوات.

فائدة: التكاليف الشرعية وضعت حسب الإستطاعة

قال الله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢] وقال: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٨] وهو ما يطيقه العبد من التقوى، والجهاد يختلف باختلاف أحوال الناس من القدرة والعجز والعلم والجهل، فبالنسبة للقادر المتمكن العالم شيء، وهو بالنسبة للعاجز الجاهل الضعيف شيء آخر، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨] فالدين

واسع، يسع كل الناس، كما أن التكاليف حسب السعة، وما جعل الله على عبده من حرج، قال رسول الله ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة» [أحمد: ٥/٢٦٦، ٦/١١٦، وحسنه محققو المسند من حديث عائشة رضي الله عنها].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هو استفراغ الطاقة فيه وأن لا يخاف في الله لومة لائم) وقال عبدالله بن المبارك: (هو مجاهدة النفس والهوى) وقال مقاتل: (اعملوا لله حق عمله، واعبدوه حق عبادته) [تفسير الطبري وغيره].

فائدة: سؤال قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم آية مثل من قبله

روى الطبري وغيره عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي والكلبي أن قريشًا سألوا رسول الله ﷺ آيةً مثل آية موسى عليه السلام، إذ ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه العيون، أو مثل آية صالح، أو آية عيسى عليهم السلام، وأنهم لما سمعوا قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] أقسموا إن جاءتهم آية كما سألوا ليوقنن أجمعون، وأن رسول الله ﷺ سأل الله أن يأتيهم بآية كما سألوا، حرصًا على إيمانهم، فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] فبيَّن ﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي من آثار قدرته وإرادته، وهو قادر عليها، وليست بمقدور النبي ﷺ، وبين أنها لو جاءتهم لا يؤمنون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ○ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧] فالله تعالى يقلب أفئدتهم وأبصارهم، فعقولهم لا

تهتدي ولا تبصر ولا تفقه ولا تدرك، نابية عن العلم الصحيح لنشأتها على الضلال والشرك وتشربهم له، فهم لم يؤمنوا بالقرآن أول مرة، ولم يصدقوا الرسول وهم متكبرون، فما داموا لم يؤمنوا بالقرآن أول مرة فلن يؤمنوا بعد بالآيات التي طلبوها لعصيانهم وعدم اهتمامهم بالنظر في أمر الله تعالى، وبعثة رسول الله ﷺ، وعدم تأملهم، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] ومن كان قلبه وفؤاده وبصره مقلوبًا لا يستفيد من الآيات، فهم في طغيانهم يعمهون.

وقدمت الأفئدة على الأبصار، لأن العقول محل الدواعي والصوارف، وهي التي توجه الأبصار والحواس إلى الأشياء، والأفئدة تختص بإدراك الآيات العقلية، مثل آية الأمية والإعجاز والإبصار للآيات المرئية، كأن يرقى في السماء، وينزل عليهم كتابًا في قرطاس، حيث قالوا: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣] وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧].

فائدة: الأدب مع الله

قال الله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] ولم يقل: المنعم عليهم، كما قال: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] لأن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله سبحانه وتعالى، أما أفعال الجزاء والعقوبة فيحذف الفاعل، وتبنى للمفعول، أدبًا مع الله، مثل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ○ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ○ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠] ولم يقل:

أمرضني، وقال: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ومنه قوله تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] ومنه قول الخضر عليه السلام: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وقال في الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] ومنه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] وغير ذلك.

فائدة: كل شيء يسبح بحمد ربه

لقد جعل الله في الجمادات شعورًا، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ [ص: ١٨] وقال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٤١] وقال: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وروي أن بعض الصحابة كان يسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، وسمعوا حنين جذع النخلة، وغير ذلك.

فائدة: حب الله للسائلين

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان: ١٥] المؤمنون يسألون الله الجنة، والملائكة تسأل الله أن يدخل المؤمنين الجنة، والجنة تسأل ربها أهلها، والرسل يسألونه الجنة لهم ولأتباعهم، ويشفعون لأتباعهم، وأحب الناس إلى الله من يسأله، ومن لم يسأل الله يغضب عليه.

الله يغضب إن تركت سؤاله
وبُنَيُّ آدم حين يسأل يغضب

وكلما ألح العبد على الله بالسؤال أحبه الله، فقول الملائكة:

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨].

فائدة: التقوى وفوائدها

التقوى امتثال ما أمر الله تعالى به، واجتناب ما نهى عنه، وفوائدها كثيرة، منها:

١- تيسير الأمور الدنيوية والأخروية، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

٢- يجعل الله له مخرجًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

٣- يرزقه من حيث لا يحتسب، قال تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: ٣].

٤- يكفر عنه سيئاته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٥].

٥- يعظم له الأجر، قال تعالى: ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

٦- يجعل له فرقانًا، ومعرفةً للحق، وتمييزًا للباطل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

٧- يغفر الله له، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ﴾ [الأنفال: ٢٩].

٨- الفلاح في الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٩- يرحمه الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟

بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨].

١٠- يجعل الله له نورًا يمشي به، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ [الحديد:٢٨].

١١- يمنحه الله العلم النافع، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:٢٨٢].

فائدة: من أسرار حكمة الله في تجهيل الأجل

من حكمة الله تعالى أن الإنسان لا يعرف متى يأتيه أجله، ولو عرفه فإن كان قصيرًا لم يهنأ بالعيش، وإن كان طويلًا استبطأه، وعمل بشهواته، وإذا قرب أجله تاب، والإنسان إذا عاين الموت لم تنفعه التوبة، قال تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ [النساء:١٨] وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ۝ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾ [غافر:٨٤،٨٥] وقال عن فرعون لما قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:٩٠] قال: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾ [يونس:٩١] أما من وقع منه الذنب وغلبته الشهوة ثم تاب فإن الله يغفر له، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء:١٧].

فائدة: الناس على ثلاثة أقسام

القسم الأول: من لا بصيرة له، لا يفكر في الحياة الأبدية، ولا

يرفع للدين رأسًا، ولا يقبل هدى الله ولو جاءته كل آية، فهو شقي، حقت عليه كلمة العذاب، وهؤلاء بأسوء المنازل.

القسم الثاني: أصحاب بصيرة ضعيفة، مقلدون، دينهم عادة ووراثة.

القسم الثالث: أولو البصائر النافذة واليقين والفرقان والألباب والعقول، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] وقال: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص:٤٦،٤٧] وأعلى هؤلاء منزلةً الرسل والصديقون والشهداء والصالحون، فهم أهل الحق والعلم، وهم أشرف الخلق وأكرمهم عند الله، وهم الرابحون، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

فائدة: معاني الروح في القرآن الكريم

الروح في القرآن الكريم على معانٍ مختلفة:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]. والمراد بها الوحي.

الثانية: في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢] المراد بها القوة.

الثالثة: في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:١٠٢] والمراد به جبريل عليه السلام، وهي نفخة الملك الرسول.

الرابعة: في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥] والمراد بها ما أجيبوا عليه ﴿قل الروح من أمر ربي﴾.

الخامسة: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١] والمراد بها المسيح ابن مريم عليه السلام.

السادسة: في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر:٢٩] والمراد إضافة التشويف مثل ناقة الله، وكلها أرواح مخلوقة حادثة غير قديمة.

وقد اختص آدم عليه السلام بما في الحديث الصحيح: «فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء» [البخاري:٧٥١٦ ومسلم:١٩٣].

فائدة: من مآثر إبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام رسول من رسل الله، ومن أولي العزم، ومعنى إبراهيم بالسريانية: أب رحيم، وهو الأب الثالث للعالم، **الأول**: آدم عليه السلام، **والثاني**: نوح عليه السلام، وأهل الأرض كلهم من ذرية نوح عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات:٧٧] وإبراهيم عليه السلام الأب الثالث، إمام الحنفاء وخليل الرحمن، فالنبوة والكتاب في ذريته، وهو شيخ الأنبياء، أمر الله تعالى باتباع ملته، فقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣] وأمر الله محمدًا باتباع ذلك، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨] ومن الدعاء المأثور عن النبي ﷺ: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلما،

وما كان من المشركين» [أحمد: ٣/ ٤٠٦، ٤٠٧، والبغوي في شرح السنة: ٩/ ٧٧، والنسائي في الكبرى: ٩٨٣١، وقال محققو المسند: إسناده على شرط الشيخين] سماه الله تعالى إمامًا وأمةً وقانتًا وحنيفًا وشاكرًا، فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١] جميع الأمم تعظمه، خير أبنائه محمد ﷺ، وإبراهيم عليه السلام أول من يكسى يوم القيامة، وكان رسول الله ﷺ أشبه الخلق به، وكان ﷺ يعوذ ابنيه حسنًا وحسينًا بتعويذ إبراهيم عليه السلام لإسماعيل وإسحاق عليهما السلام: «أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» [البخاري: ٣٣٧١] وهو أول من قرى الضيف، وأول من اختتنَ أثنى الله عليه بالكرم ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] شهد الله له بالوفاء، فقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧] وقد أتم ما أمره الله به، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] قرب ابنه إسماعيل عليه السلام قربانًا وقرب بدنه للنيران وماله للضيفان، ناظر المشركين وكسر حججهم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣] كسر الأصنام، هدده أبوه آزر، ولما ألقي في النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فصارت بردًا وسلامًا، أمر الرسول محمد ﷺ بقتل الوزغ، لأنها كانت تنفخ النار على إبراهيم عليه السلام، كما في صحيح البخاري [البخاري: ٣٣٥٩، ومسلم: ٢٢٣٧] بنى بيت الله الحرام، وأذن للناس بالحج، فكل من حج البيت أو اعتمر فلإبراهيم عليه السلام أجره، من غير أن ينقص ذلك شيئًا من أجورهم، أمر الله

تعالى أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى لإحياء آثاره، وقال للرسول ﷺ لما لقيه ليلة الإسراء: «أقرىء أمتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» [الترمذي: ٣٤٦٢، وحسنه الألباني] صدق الرؤيا، فاستجاب لذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، ففداه الله بذبح عظيم، قال تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ [الصافات: ١٠٤،١٠٥] وقال تعالى عنه: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٥] وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦] وقد بارك الله في نسله، واستجاب دعاءه ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠] ورفع ذكره، قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] فهو يذكر في الصلاة والحج وغيرهما.

فائدة: الجهل الحقيقي

عدم الإيمان بالله تعالى، واتباع رسوله ﷺ، وعدم الدخول في دين الإسلام بعدما تبين، يعتبر جهلًا عظيمًا، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] ومن ظن أنه عالم وهو لم يهتد إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ فهو جاهل جهلًا مركبًا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ﴾ [البقرة: ١١٨] فسماهم الله ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فهم جهال حقيقةً، أما من يعلم أن ما أنزل على الرسول ﷺ هو الحق، ويعبد الله وفق أمره، وأمر رسوله ﷺ فهو العالم، قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا

﴿يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر:٩] فالجهل الحقيقي لمن جهل دلائل الصانع العظيم، فأنكره، أو عبد غيره، أو أشرك معه سواه.

فائدة: مقت الكافر لنفسه حين يرى العذاب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾ [غافر:١٠] أي تناديهم الملائكة وهم في جهنم بهذا البلاغ من الله تعالى، وهم بعيدون في قعر جهنم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت:٤٤] بقولهم لقد تكررت دعوتكم إلى الإيمان فكفرتم، فمقتكم الله وأبغضكم، ومقت الله هذا أكبر من مقتكم أنفسكم الذي حرمكم فضيلة الإيمان، ورضاكم بالكفر ﴿إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾ [غافر:١٠] فالمقت الأول مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة:١٦] والمقت الثاني مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ﴾ [فاطر:٣٩] أي مقت العذاب.

فائدة: ميراث الأنبياء

قال الله تعالى عن دعاء زكريا عليه السلام للولد: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ○ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ [مريم:٥،٦] هذا المطلوب لزكريا عليه السلام أن يرثه ابنه في العلم والنبوة والدعوة إلى الله، وحاشاه أن يطلب من يرث ماله ليمنعه عن الورثة، فالأنبياء عليهم السلام ميراثهم العلم، وليس المال، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه، فالأنبياء لم يورثوا المال، وإنما ورثوا العلم. [الترمذي:٢٦٨٢،

واللفظ له، وأبو داود: ٣٦٤١، وأحمد: ٢/ ٢٥٢، ٣٢٥، وصححه الألباني].

فائدة: الطاعة الدائمة لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ [النحل: ٥٢] أي له الدين والطاعة دائمة، وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٩] أي ولهم عذاب دائم مستمر، وفي الحديث «لا يصيب المؤمن من هم ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» [البخاري: ٥٦٤١، ٥٦٤٢، ومسلم: ٢٥٧٣] ومعنى: «ولا وصب» ولا وجع ومرض.

فائدة: تنزيه الله تعالى نفسه عما لايليق به

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ○ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠، ١٨١] فبدأ بتنزيهه لنفسه عما لا يليق بجلاله، ثم سلامه على رسله، وفي هذا رد على المبتدعة، حيث إنه لمَّا نزه نفسه اقتضى ذلك سلامة رسله من كل ما يقول المكذبون، وإذا سلموا من كل ما رماهم به أعداءهم لزم سلامة ما جاؤوا به من الكذب والفساد.

فائدة: أعم قسم في القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ○ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ○ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٠] هذا القسم بجميع المخلوقات ما يبصر منها وما لا يبصر، أعم قسم في القرآن يعم ما في الدنيا وما في الآخرة والغيب والشهادة والعرش والكرسي، وهذا دليل على صدق جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] وصدق محمد ﷺ، وصدق القرآن، وأنه من عند الله، وكلامه كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣].

فائدة: مؤمنوا الجن يدخلون الجنة

قول الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٧٤] يدل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة، وأنه لم يسبق لأحد منهم طمث لأحد من الحور العين، وأن مؤمني الجن لهم من الحور العين لم يطمثهن قبلهم إنس ولا جان، كما أن لمؤمني الإنس من الحور العين لم يطمثهن قبلهم إنس ولا جان، وكما يدخل كافرهم النار يدخل مؤمنهم الجنة، قال تعالى عنهم في سورة الجن: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ [الجن:١٤] وقال عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ [الحديد:٢١] وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨] وإذا دخل مسيؤهم النار بعدله تعالى، فيدخل محسنهم الجنة بفضله، ومن الجن الصالحون وغيرهم فهم طرائق قدد مثل الإنس.

فائدة: يسر الإسلام

من يسر الإسلام وتخفيفه على المسلمن أن من نذر الصدقة بماله كله يجزئ عنه الثلث،ومن نذر أن يحج ماشيًا عليه أن يركب ويهدي، ومن حاضت قبل طواف الوداع في الحج ليس عليها طواف وداع، ومن نذر ذبح ابنه يذبح شاة مقام ذبح الابن، ومن نذر أن يطوف على أربع يطوف أسبوعين إقامة لأحد الأسبوعين مقام طواف اليدين.

والمريض الميؤوس منه والشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينًا.

والحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينًا، ولو حلف ليضربن امرأته مائة ضربة كفر عن يمينه، ولا حاجة للحيلة، أما فعل أيوب عليه السلام فهو بأمر من الله تعالى.

فائدة: إقامة الحجة والبيان ضرب من ضروب الجهاد في سبيل الله

المناظرة والمحاورة والجدال بالتي هي أحسن، وبالعلم وإقامة الحجة على الخصم، ودفع الشبهات، ونصرة الحق، وكبت الباطل، جهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢] وقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام:٨٣] وفي هذا رفعة درجة صاحب العلم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة:١١] وقال: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص:٤٥] فالأيدي: القوة، والأبصار: البصائر في الدين. ولهذا فالرأي الراجح أن الدعوة إلى الله من الجهاد في سبيل الله الذي تصرف له الزكاة، ويغلط من يقول: إن الزكاة تصرف للدعوة إلى الله تعالى، لأنها في سبيل الله، والصحيح: تصرف لها الزكاة لأنها جهاد، وما أكثر الأمور التي هي في سبيل الله، ولا تصرف لها الزكاة، كتعبيد الطرق للمسلمين، وبناء المساجد، والله أعلم.

فائدة: الحياتان والموتتان

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر:١١].

(الموتتان) الأولى: ما كان قبل نفخ الروح، وهو في بطن أمه.

والثانية: الموتة التي تكون بعد انتهاء حياة الإنسان في الدنيا.

(والحياتان) الأولى: بعد نفخ الروح عند مبدء تكوين الإنسان في بطن أمه.

والثانية عند البعث، كما قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨].

وقوله: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر:١١] هذا كلامهم عندما يغلب عليهم اليأس والقنوط من الخروج الذي لا طريق له، فهم يتمنون الخروج من العذاب، كما قال تعالى عنهم إنهم يقولون: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٩].

فائدة: من أوصاف القرآن الكريم

وصف الله القرآن الكريم بست صفات في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١،٤٢].

الوصف الأول: أنه ذكر، فالحرف الواحد منه عند قراءته عشر حسنات، وهذا لا يحصل في غيره.

الوصف الثاني: أنه كتاب عزيز، أعز الله به العرب، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤] فهو عزيز ومفخرة وعزة لمن تمسك به قراءةً وحفظًا وتدبرًا وعملًا.

الوصف الثالث: أنه يَغلب ولا يُغلب، فهو غالٍ ونفيس متقن المعاني والألفاظ والحجج.

الوصف الرابع: أنه لا يتطرق إليه الباطل ولا يخالطه ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ﴾ [فصلت:٤٢].

الوصف الخامس: أنه مشتمل على الحكمة والمعرفة الحقيقية، لأنه

من حكيم، قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

الوصف السادس: أنه تنزيل من حميد محمود حمدًا كثيرًا، ومستحق للحمد والثناء، فالقرآن دليل الخيرات والبركات، يحمده سامعه، لأنه يجلب الخير ويسوق إليه، ويحمد صاحبه ومن أنزله، فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: التضرع إلى الله تعالى

التضرع لله تعالى وإظهار الفقر والفاقة إليه وبيان محبته والتملق له، وإظهار رحمته والتوسل إليه بصفاته، وإظهار الحاجة إليه، من ذلك قول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣] وقول ذي النون عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] وقول يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦] وقول موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص:٢٤] وقول رسولنا محمد ﷺ: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس» [الطبراني في الكبير:٢٥/٣٤٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد٦/ ٣٥: رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات] وقول زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩] ومن لم يتضرع إلى الله فهو ممقوت، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وعلى المسلم أن يتوسل إلى ربه بتوحيده وتنزيهه وعبوديته والاعتراف بأسمائه وصفاته، وأن يدعوه رغبًا ورهبًا وخوفًا وطمعًا ونداءً وخفيةً ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٨٣] وقد أثنى الله تعالى

على ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥،٦٦] وعلى ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦] وعلى الذين يذكرونه ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠،١٩١] وأثنى على إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٢-٨٥] فسبحان من يفرح بدعاء عبده له وتضرعه له، ويعفو عن السيئات، ويقبل الحسنات وينميها، كما ينمي أحدنا فلوه.

الله يغضب إن تركت سؤاله
وبُنَيُّ آدم حين يُسأل يغضب

فائدة: إكرام الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالإسراء والمعراج

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

الإسراء بالرسول ﷺ والمعراج، وكلام الله تعالى له من فوق سبع سموات عند سدرة المنتهى وعند الجنة، وحمله على براق في ليلة واحدة ذهابًا وإيابًا، مفاجأة كرامة للنبي ﷺ، لم يسبقه أحد بمثلها، فموسى عليه السلام كلمه ربه بعد انتظار أربعين ليلة، وسليمان عليه السلام سخرت له الريح وهي سريعة الحركة، وأما البراق فالآية فيه أعظم، وكل الكرامات التي أعطيت الأنبياء أعطي رسولنا ﷺ أعظم منها.

فائدة: من أسماء الله تعالى (النور)

من أسماء الله تعالى النور، وقد سمى الله القرآن الكريم نورًا، وسمى الرسول ﷺ نورًا، وسمى الدين نورًا، واحتجب عن خلقه بالنور، وجعل دار المتقين نورًا، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [النور:٣٥] وقال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:٦٩] ولما سئل الرسول ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه» [مسلم:١٧٨] والإيمان نور للقلوب، والفطرة نور، والوحي نور، والعلماء نور الأرض، والحق نور، والحكمة نور، والبصيرة نور.

والباطل ظلمة، والجهل ظلمة، قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور:٤٠] والظلم ظلمات، والضلال ظلمة.

فائدة: سنة الإبتلاء

هذه الدنيا دار فتنة واختبار وامتحان وابتلاء، يبتلي الله بعض الناس ببعض، كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام:٥٣] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان:٢٠].

يمتحن الرسل بالمرسل إليهم، والمرسل إليهم بالرسل، والعلماء بالجهال، والجهال بالعلماء، والملوك بالرعية، والرعية بالملوك، والأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء، والضعفاء بالأقوياء، والأقوياء بالضعفاء، قال تعالى عنهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ﴾ [الأحقاف: ١١] وقال: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١] وقال عنهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ﴾ [الأنعام:٥٣].

كما يمتحن المالك بمملوكه، والمملوك بمالكه، والرجل

بامرأته، والمرأة برجلها، والرجال بالنساء، والنساء بالرجال، والكفار بالمؤمنين، والمؤمنون بالكفار، والآمرون بالمعروف بمن يأمرونهم، والمأمورون بالآمرين.

وذلك ليظهر المطيع من العاصي، والصابر من الجازع، والخير من الشر، والمتوكل على الله من غيره، ويظهر المجاهد والشجاع والعفيف والصادق والحليم وغيرهم، ولله تعالى الحكمة البالغة.

فائدة: الحياة الحقيقة تحصل بالقرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ [الشورى:٥٢] وقال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:١٥] وقال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل:٢] .

فالقرآن والوحي تحصل به حياة الإنسان الحقيقية، ولهذا سمي الوحي روحًا، والقرآن روحًا، وسميت النفس روحًا، لحصول الحياة بها، وتخرج الروح عند النوم، وتعود عند اليقظة، وتخرج إذا مات، فإذا دفن عادت إليه لتسأل ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ﴾ [العنكبوت:٦٤] أي الحياة الدائمة المستمرة التي لا موت بعدها.

فائدة: أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه

أفضل ما يتقرب العبد به إلى الله تعالى الصلاة وكثرة السجود، فهي أفضل الخير والقُرَب، قال الله تعالى: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة:١٥٣] وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ﴾ [طه:١٣٢] وقال رسول الله ﷺ لما سئل عن أفضل الأعمال: «الصلاة لأول وقتها» [مسلم:٨٥، والترمذي:١٧٠، واللفظ له] وكان إذا أحزنه شيء هرع

للصلاة، وقال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» [أحمد:٣/١٢٨،١٩٩، ٢٨٥، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة:٣٢٢،٣٢٣، وأبو يعلى:٣٤٨٢، والطبراني في الأوسط:٥١٩٩ وغيرهم، وحسن إسناده محققو المسند] وصلاة ركعتين قبل الفجر خير من الدنيا وما فيها [مسلم:٧٢٥، والترمذي:٤١٦، والنسائي: ١٧٦٠، والبيهقي:٢/ ٢٧٠، والحاكم:١/٣٠٦] قال تعالى: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩] وقال: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق:٤٠] وهما ركعتان بعد المغرب، فإذا عفر المسلم وجهه في التراب ساجدًا لله، جامعًا همته وقلبه له، منقطعًا عن كل شيء سواه، حصل على مرضاة مولاه، وقال ﷺ لمن طلب مرافقته بالجنة: «أعني على نفسك بكثرة السجود» [مسلم:٤٨٩، وأحمد:٤/ ٥٩، والبيهقي:٢/ ٤٨٦].

فائدة: لا طمأنينة إلا بذكر الله

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦] حاجة العبد إلى عبادة ربه وحده لا شريك له ومحبته والخوف منه والرجاء، والتوكل عليه، والخضوع والتذلل والتعظيم له، والسجود والتقرب إليه، أشد من حاجة الجسد إلى الطعام الشراب، فلا طمأنينة إلا بذكره، والنفس تكدح كدحًا إليه فتلاقيه، ولابد لها من ذلك.

فائدة: البرزخ أول نعيم الآخرة أو عذابها

قال الله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠] وهذا البرزخ هو نعيم القبر أو عذابه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، يشرف أهله فيه عليهما، وهو روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وتتنوع فيه أسباب النعيم والعذاب وكيفيتهما، ولو أحرق

الميت وصار رمادًا وذُرَّ نصفه في البر ونصفه في البحر، في يوم شديد الريح، لم يفته نعيم القبر أو عذابه، فالله تعالى قادر على كل شيء، ففي البرزخ جزاء الأعمال، وهو أول نعيم الآخرة أو عذابها، قال رسول الله ﷺ: «فيفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها» وقال عن الفاجر: «فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها» [أبو داود:٤٧٥٣، وأحمد:٢٨٨/٤، وصححه الألباني] فيأخذ البدن حظه من النعيم أو العذاب، وتأخذ الروح مثل ذلك، وإذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب إلى مقره الأخير: الجنة أو النار. نعوذ بالله من عذاب القبر، ونسأله أن يجعله لنا روضةً من رياض الجنة.

فائدة: الإنابة إلى الله

الإنابة إلى الله هي الرجوع إليه، بالوفاء بعهده، ومحبته، والإقبال عليه، والخضوع له، والإعراض عما سواه، والإسراع إلى كل ما يقرب لمرضاته، والنصح له، والتوبة والاجتهاد في الأعمال التي تقرب إليه، وعبوديته، والإقلاع عن معصيته، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤] وقال: ﴿وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ [الرعد:٢٧] وقال: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [ق:٨] وقال: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨] وقال: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر:١٣] وقال: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ﴾ [الروم:٣١] وقال: ﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾ [ق:٣٣] وقال: ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ [الزمر:١٧] وقال: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ [هود:٧٥] فالمنيب متضرع إليه، يكثر سؤاله، ويبث شكواه له بالافتقار إليه، والرغبة فيما

عنده، ويعترف بفضله ومنته وكرمه وجوده وإحسانه وغناه وقدرته، يعلق آماله بربه في الرخاء والشدة، لا كما يفعله المشركون الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥] وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧].

فائدة: لا احد أظلم ممن افترى على الله كذبا

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣].

تناقض المشركون في قولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٩١] وقول أحدهم: ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ وقول بعضهم: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فهم ينفون الرسالة تارة، في حين يزعمون أن الله أمرهم بأشياء، وهذا دليل كذبهم وظلمهم، وروي أن النضر بن الحارث كان يقول: أنا أعارض القرآن، وحفظوا له أقوالًا، وكان بعض المشركين يقول عن الرسول ﷺ: (إنه شاعر، ونحن نقول مثله) وقالوا عنه: مجنون، كما قال تعالى عنهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦] ثم بين الله تعالى جزاءهم في الآية التي بعد هذه، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣] وغمرات الموت شدته وتعدد عذابه وأهواله وقت النزع، وسكراته وآلامه حين تقول لهم الملائكة: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ أي أخرجوا أرواحكم من أجسادكم، فلا يعاملون بلين، وهذا وعيد بآلام النزع وعنفه، كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٥٠] كما سيلاقون عذاب الآخرة الشديد عندما يأتون إليه فرادى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤] ثم قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] أي: الذل والهوان الشديد ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣] مثل قولهم: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] وقول أحدهم: ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤] أي منعزلين عن كل ما تعتزون به في الدنيا، يتركون أموالهم وأولادهم وغير ذلك، وليس معهم شفعاء كما يزعمون ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤] فقد انقطع عنهم الشفعاء والأحباب والأموال، وجهل شفعاءهم مكانهم وضلوا عنهم، نسأل الله العافية.

فائدة: اقتران ذكر التوراة مع القرآن الكريم في أكثر من موضع

يقترن ذكر التوراة والقرآن في مواضع كثيرة من القرآن، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [الأنعام: ٩١] وقال: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٤] ثم قال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥] وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ٤٨] وقال: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا

مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء:٤٨] ثم قال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٥٠] وقال رسول الله ﷺ: «رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر» [البخاري:٤٣٣٦، ومسلم:١٠٦٢] وقال: «إنه كان في أمتي ما كان في بني إسرائيل» [الترمذي:٢٦٤١، والحاكم:١/ ١٢٩، بلفظ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل...» الحديث، وحسنه الألباني] وقال: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم» [البخاري:٣٤٥٦، ٧٣٢٠، ومسلم:٢٦٦٩] وفي ذكر قصص موسى عليه السلام وتكرارها وتنوعها تسلية لرسولنا محمد ﷺ، وبين أن أمة محمد ﷺ وأمة موسى عليه السلام متشابهون في النسب، فهم أبناء عم، وقربٍ في الموقع.

فائدة: لله تعالى حكم عظيمة في خلقه

لله تعالى حكم عظيمة في خلقه، قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩] ظهرت آية الطوفان بسبب كفر قوم نوح عليه السلام، وآية الريح العقيم بسبب كفر عاد، وآية الصيحة بسبب كفر قوم صالح عليه السلام، وبسبب كفر فرعون ظهرت آيات وعجائب كثيرة صارت سببًا لاهتداء الكثير، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم:٥] وحصل بذلك ذكر الله وشكره وحمده ومحبته وتعظيمه وإجلاله وقدرته على أن يتربى موسى عليه السلام في بيت عدوه، وفي عمل إخوان يوسف عليه السلام به من إلقائه بالجب آيات ومنافع عظيمة وانتصار للحق، وفي قصة امرأة العزيز وإقرارها بالذنب وتوبتها مصالح للأولين والآخرين، وكذا ما حصل لإبراهيم عليه السلام من الكرامة والخلة بسبب الابتلاء ونجاحه وثناء الله عليه، وما حصل

لنبينا محمد ﷺ بما هو سبب لاهتداء الكثيرين وانتصار الحق وخسران الباطل وثناء الله عليه، فسبحان الحكيم العليم.

فائدة: القرآن الكريم شفاء للقلوب والأبدان

قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧] فجعل الله تعالى القرآن شفاء للقلوب والأبدان.

أما العسل ففيه شفاء، كما قال تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩] وليس نفسه شفاء، كما في القرآن الكريم.

كما أن القرآن شفاء لكل شيء وللقلوب والأبدان وغيرهما، أما العسل ففيه شفاء للأبدان فقط.

قال الأطباء لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين مرض: إن كثرة كلامك في العلم والفكر فيه والتوجه والذكر أضر بك، فقال لهم: ألستم تزعمون أن النفس إذا قويت وفرحت أوجب فرحها لها قوة تعين بها الطبيعة على دفع العارض فإنه عدوها، فإذا قويت عليه قهرته، فقال له الطبيب: بلى، فقال له: (أنا إذا اشتغلت نفسي بالتوجه والذكر والكلام في العلم وظهرت بما يشكل عليها منه فَرِحَتْ به وقَوِيَتْ فأوجب ذلك دفع العارض)

فائدة: هل التهجد واجب على رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩] أي زيادة لك، وهو في حق الرسول ﷺ واجب، لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ○ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل:١،٢] وقيل: إنما كان نافلة له أي

زيادة، لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فجميع طاعته نافلة له، وقيل: إنه نافلة، لأنه سوى المكتوبة، وهو في حقه عليه الصلاة والسلام زيادة في درجاته، وفي حق غيره تكفير لذنوبهم ورفع لدرجاتهم، وقد قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء:٧٢] أي زيادة على الولد (إسماعيل) عليه السلام، وقيل: إن هذه الآية صريحة في أن قيام الليل نافلة للرسول ﷺ وليس واجبًا، كما أنه نافلة للمسلمين، والله أعلم.

فائدة: فضل القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿حمٓ ○ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ○ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ○ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت:١-٤].

القرآن تنزيل من الله، وهو كتاب مفصلة آياته باللغة العربية، بشارة للمؤمنين، ونذارة للكافرين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٢،١٩٣] وليس منقولًا من صحف الأولين، ومعنى كتاب، أي مجموعة حروف دالة على ألفاظ مفيدة، أوحى الله بألفاظه وأمر رسوله ﷺ بأن يكتب ما أوحي إليه، فاتخذ الرسول ﷺ كُتَّابًا للوحي، وهو رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام:١٥٧] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١] وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾ [فصلت:٤٤] وقد

فصلت آياته وبينت، واضحة ميسرة، فلا لبس فيها ولا انغلاق، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥] وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر:١٧] وقال: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت:٤٩].

وكما أن القرآن ميسر للذكر للمؤمنين، فإن قلوب الكافرين في أكنة من فهمه، وآذانهم فيها وقر من سماعه، وبينهم وبين من يقرؤه عليهم حجاب، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت:٥] وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر:٢٢] وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ﴾ [الإسراء:٤٦] وقال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ○ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ○ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ﴾ [يس:٩-١١].

فائدة: صفات الحفظة من الملائكة

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ○ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ○ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] على كل إنسان حفظة من الملائكة يحصون أعماله، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ○ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٧، ١٨] وقال ﷺ: «إن لكل أحد ملكين يحفظان أعماله» [الطبري:٣١٨٦٣-٣١٨٦٩ عن ابن عباس وغيره موقوفًا] وهؤلاء الحفظة وصفهم الله تعالى بأوصاف أربعة: الحفظ

والكرم والكتابة والعلم، وهذه الصفات أعلى الآداب، فهم أمناء زكية أخلاقهم طاهرة نفوسهم، لا يضيعون أي شيء من فعل الإنسان، يضبطونه بالكتابة، وعندهم من العلم ما يميزون به أعمال الناس وأفعالهم.

فائدة: مقت الله للمجادل بغير علم

المجادلة في آيات الله بغير علم تسبب المقت من الله، وتوجب الضلال، وتسبب الطبع على القلوب، وتدل على الكبر والجبروت، قال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر:٤] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر:٣٥] وقال: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت:٥] والمجادل في آيات الله مسرف مفرط في فعل مالا خير فيه، وكذاب، وهو شديد الريب والشك والكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر:٥٦] وعقاب هؤلاء الختم والطبع على القلوب، قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة:٧] والغشاوة على الأسماع والأبصار ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ [البقرة:٧] والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ [البقرة:١٠] وهؤلاء هم المخادعون لله والمؤمنين، قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:٩] وهم المفسدون، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٣] وقال: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ

﴿يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥] وهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٦] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ○ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج:٨،٩] وقال تعالى: ﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر:٤] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ [غافر:٦٩].

فائدة: دليل كروية الأرض

قال الله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ [الزمر:٥].

في هذه الآية دليل على أن الأرض كروية، وأن هذه الأفلاك تجري لأجل مسمى، والتكوير باللغة العربية هو اللف واللي، يقال: (كور العمامة على رأسه، إذا لواها ولفها) وقد بين القرآن الكريم كروية الأرض، ودوران هذه الأفلاك قبل اكتشافه بسنين عديدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥] ولو كانت ثابتة لما احتاج الأمر إلى إلقاء الجبال عليها حتى لا تميد، وكذا قوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ [الزمر:٥] وكلمة (كل) نكرة تعم، أي هذه المخلوقات من شمس وأرض وقمر ونجوم كلها تجري لأجل مسمى، والجري يكون بسرعة، والأجل هو أجل فنائها، وأجل حياة الناس وقيام الساعة، وكذا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك:١٥] أي مذللة، وهذه الآية تدل على أنها تسير، لأن الذلول تسير. والله أعلم.

فائدة: نصيحة مؤمن آل فرعون لقومه

الرجل من آل فرعون عندما نصح قومه بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ [غافر:٢٩].

كانت نصيحته بحكمة حيث ناداهم بقوله: ﴿ياقوم﴾ لترقيق قلوبهم، ثم ذكرهم بنعم الله عليهم ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [غافر:٢٩] ثم خوفهم من بأس الله، وأن هذه النعم معرضة للزوال إن لم يستجيبوا لداعي الله، وخوَّف فرعونَ بزوال ملكه، ولكنه جعل الملك لقومه خوفًا من مواجهة فرعون بغرض زوال ملكه، والأرض: المقصود بها أرض مصر، وبين أن المصيبة لا تصيب بعضنا وتترك بعضنا، وإنما هي تعم ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ [غافر:٢٩] والاستفهام الإنكاري يعني أنه لا ناصر لنا من بأس الله، وإن كنتم قادرين على قتل موسى فالله قادر على هلاككم، ثم خوفهم من يوم الأحزاب وما أصاب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ○ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ [غافر:٣٠،٣١] أي مثل هلاك الأمم التي تجمعهم أحوال واحدة، وتتناصر فيما بينها بالأمور الجاهلية، كدأب قوم نوح وعاد وثمود فيما اشتركوا فيه من الكفر والشرك والعناد وتكذيب الرسل، فأما قوم نوح فأهلكهم الله بالطوفان، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، وأما ثمود فأهلكوا بالصيحة، والله لا يظلم الناس شيئًا ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ [غافر:٣١] ولا يحب الظلم من عباده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ [يونس:٤٤] ولا يترك عقاب

المشركين ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف:٢٨] ولكن الظلم من العباد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:٤٤] ثم خوفهم بيوم التناد، وهو يوم الحساب والحشر، فقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر:٣٢،٣٣] وهذا عقاب الآخرة يخوفهم منه حين يتنادون فيه ويستشفعون ويتضرعون ويعتذرون، ولا مجيب ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٥٠] ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١] ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر:٦] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [فصلت:٤٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤] وفي ذلك اليوم ما لهم من الله من عاصم، ثم ذكرهم بيوسف عليه السلام لما جاءهم بالبينات فكذبوه وكانوا في شك مما جاءهم به، وقالوا: لن يبعث الله من بعده رسولا، وكان من دعوة يوسف عليه السلام لهم ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف:٣٩،٤٠] وقوله: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف:٣٧،٣٨].

فائدة: دركات الكفر

الكفر يختلف بين الناس، فمنهم من كفره غليظ كالرؤساء الذين يصدون الناس عن سبيل الله، وكالشيطان الذي هو أشد الناس عذابًا في النار، ومن جحد الرب بالكلية من الدهريين والشيوعيين، ومن بان له الحق وتركه عنادًا وتكبرًا، ومن ادعى الربوبية كفرعون، قال

تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل:٨٨] وقال رسول الله ﷺ لهرقل: «فإن توليت فعليك إثم الأريسيين» [البخاري:٧، ومسلم:١٧٧٣] فهؤلاء الرؤساء أشد عذابًا من المقلدين والجهلة والأتباع وأبي طالب وأمثالهم، وإن كان هؤلاء كفارًا، فإن الجنة لايدخلها إلا نفس مؤمنة، أما من لم تبلغه الدعوة والأطفال والمجانين فيمتحنون في الآخرة، كما أنه لا يستوي المقلد المتمكن من العلم بمن لا يتمكن منه، فهؤلاء في أحكام الدنيا كفار، إلا أن الله تعالى لا يعذب إلا بعد قيام الحجة عليهم بالرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] وقيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، والله أعلم.

فائدة: شروط قبول العمل

لا يكون العمل مقبولًا إلا بشرطين: الإخلاص والمتابعة، فمن كان عمله لغير الله لم يتقبل، ومن كان لله وليس موافقًا لسنة الرسول ﷺ لم يقبل، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠] ولا يحصل ذلك إلا بالعلم لأن معرفة الصواب بالتعلم، يقول الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري فهو كله للذي أشرك» [مسلم:٢٩٨٥، وأحمد:٢/٣٠١،٤٣٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

فائدة: عدم التسوية بين المتقين والفجار

من الأمور التي أنكرها الله تعالى التسوية بين المتقين والفجار،

أو المؤمنين والمفسدين في الأرض، قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨] كما أنكر التسوية بين العاصين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية:٢١] وأنكر سبحانه أن يترك الناس سدى، فلا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] كما أنكر سبحانه أن يخلق الناس عبثًا، وألا يرجعوا إلى ربهم، فقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ○ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٥،١١٦] فهذه أمور ينزه الله عنها لقبحها، فهي تنافي عدله وحكمته وكماله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فائدة: التقوى خير الزاد

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧] وقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين» [الترمذي:٥٥ وصححه الألباني] وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قل: اللهم إني أسألك الهدى والسداد، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، وبالسداد سداد السهم» [مسلم:٢٧٢٥].

النجاسة تزول بالماء، والذنوب تزول بالتوبة والاستغفار.

وقوله: «والهدى» أي طريق الجنة ورضا الرحمن، والسداد: إصابة الحق قولًا وعملًا، وزاد الحاج والمسافر الطعام، أما زاد الآخرة فهو التقوى، والزينة تكون باللباس، وزينة القلب تكون بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ

وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦] فهاتان زينتان: زينة الظاهر وزينة الباطن، وقالت امرأة العزيز عن زينة يوسف الظاهرة: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢] وعن زينته الباطنة ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف:٣٢] وكان ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك» [أبو داود:٣٠، والترمذي:٧، وابن ماجه:٣٠٠ وصححه الألباني] فخروج الخبث الذي يضر الجسم، وطلبه الغفران لخروج خبث الذنوب.

فائدة: الوعيد من الله بالويل للذين هم عن صلاتهم ساهون

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ○ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤،٥] توعد الله بالويل، وهو واد في جهنم للساهين عن واجبات الصلاة ووقتها وخشوعها وإخلاصها وخضوع القلب لله تعالى فيها، فإن الساهي في الصلاة يفوته الأجر العظيم وثواب الدنيا والدين، وانشراح الصدر واليقين، وحلاوة العبادة والمناجاة لله رب العالمين، والدرجات العليا في الآخرة، ومرافقة المقربين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ○ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠،١١] كما تفوته الطمأنينة والراحة النفسية والحياة الطيبة والسعادة، ونور القلب والوجه وجميع الأعضاء، وانقضاء الحاجات وترتيب الأوقات، ومرافقة الصالحين والأنس بهم، وكمال الصفات والقرب من الله وغير ذلك، فإن في الصلاة سعادة الدنيا والآخرة.

فائدة: جواز طلب الإمامة في الدين والإمارة للدعوة إلى الله

حب الإمامة في الدين والإمارة للدعوة إلى الله من النصح لله تعالى وكتابه ورسوله وللمسلمين، وكان من دعاء المتقين ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤] وقد طلب يوسف عليه السلام أن يجعله

رئيس مصر على خزائن الأرض، وأثنى على نفسه بقوله: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٥٥] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤] ووعد الله هؤلاء بالغرف العالية في الجنة، وهذا بخلاف طلب الرئاسة للمصالح الدنيوية، والعلو في الأرض، ووعد الله تعالى أهل الأموال والأولاد المؤمنين بمضاعفة الأجر والغرفات الآمنة في جنات النعيم، فقال: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧].

فائدة: الهداية من الله

الهداية من الله تعالى، فمن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ۝ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ﴾ [الزمر:٣٦،٣٧] وكل مسلم يسأل الله تعالى في كل ركعة من ركعات الصلاة بقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] وقال تعالى: ﴿لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ﴾ [الرعد:٣١] وأعقب الله تعالى الآية السابقة بقوله: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ﴾ [الزمر:٣٧] فهو صاحب المنعة والجانب الكبير، يكافىء الشر بشر إذا شاء، وينتقم من الظالم، فمن طلب الهداية وأخلص في البحث عنها هداه الله، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد:١٧] ومن تكبر صرفه عن الهداية ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦].

فائدة: الطهارة الحسية والمعنوية سبب لدخول الجنة

الطهارة والطيب والتوبة سبب من أسباب دخول الجنة، ومن كان نجسًا خبيثًا لا يدخل الجنة حتى يتطهر، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢] ومن لم يتطهر بالدنيا فإن كانت نجاسته عينية كالكافر لا يدخل الجنة، ومن كانت نجاسته نسبية دخل الجنة بعدما يتطهر ويحبس على قنطرة بين الجنة والنار، فيهذب وينقى ثم يدخل الجنة، أو يعذب بالقبر أو بالنار ثم يخرج منها ويدخل الجنة، وفي الدعاء بعد الوضوء عن النبي ﷺ: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين» [الترمذي:٥٥، وصححه الألباني] ومن الدعاء المأثور عن النبي ﷺ: «اللهم طهرني من خطاياي بالماء والثلج والبرد» [مسلم:٤٧٦، وأحمد:٤/٣٨١ والبيهقي:١/٥] فالماء يغسل الخبث والنجاسة، وإذا كان باردًا أورث في الجسم صلابة، وإن كان معه ثلج صار أقوى في التبريد والصلابة والشدة.

فائدة: الفرق بين الرسل وبين عامة البشر

الرسل كلهم بشر، مثل الناس في البشرية، ويفرقون عنهم بأنه يوحى إليهم، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠] وكان الكفار يستغربون أن يوحى إلى بشر مثلهم، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ

مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:٧] وقال تعالى حكاية عن قول الكفار لرسلهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم:١٠،١١] وأهم دعوة الرسل بيان أن الإله واحد، هو الله الواحد القهار، وإخلاص العبادة له، قال تعالى في محاورة موسى عليه السلام وفرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء:٢٣-٢٨].

فائدة: فضل الصبر

الصبر نصف الدين، أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بالصبر، فقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧] وهو سبحانه يحب الصابرين، وقد أثنى على أيوب عليه السلام لصبره، فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤] وجزاء الصابرين يكون بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] فالصبر صفة خاصة لأولياء الله وأحبابه، فهو قرين اليقين والتوكل والإيمان والأعمال والتقوى، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤] وأمر الله أيوب عليه السلام بقوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص:٤٤] لأنه وجده صابرًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص:٤٤] وفي هذا تخفيف عنه وعن أهله لصبرهما، وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨].

فائدة: مضاعفة عقوبة الصادين عن دين الله

الرؤساء وأئمة الضلال والدعاة إلى الضلال والصادون عن سبيل الله عذابهم مضاعف وإثمهم أكبر، فلهم عذاب الكفر وعذاب الصد عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل:٨٨] وقال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦] وقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود:٩٨] وقال رسول الله ﷺ في كتابه لهرقل: «فإن توليت فعليك إثم الأيسيين» [البخاري:٧، ومسلم:١٧٧٣] وعدو الله إبليس أشد أهل النار عذابًا ثم الأمثل فالأمثل من أتباعه ونوابه ودعاته، كما أن الإيمان يتفاوت، فالنار دركات، والجنة درجات، ومن أعظم الكفر السعي في إطفاء نور الله، والصد عن دين الله، والكفر بما أنزل الله وجحد ربوبية الله، وأهل وحدة الوجود والمعطلة والدهرية والجاحدون لرسل الله عنادًا وعمدًا، فكفر أبي جهل أشد من كفر أبي طالب، وهكذا.

فائدة: وجوب التوبة لمن أراد الفلاح

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] التوبة تقتضي العزم على أن لا يعاود الذنب، والإقلاع منه، والندم على فعله، والعزم على فعل المأثور، وترك المنهي عنه، والتحلل من الخلق، والله تعالى يحب التوابين، وهي حقيقة دين الإسلام، والتائب متطهر، والله يحب المتطهرين، وتكون التوبة في الظاهر والباطن، وهي غاية المؤمنين، وقد أوجد الله الخلق

لأجلها، فقد تاب آدم عليه السلام وغيره، والله يفرح بتوبة عبده، ويبدله حسنات بدل السيئات، وهي مطلوبة من المسلم في حياته كلها حتى مماته، وحاجته إليها ماسة، ويكون الفلاح للتائبين، وهي رجوع إلى الله من مكروه إلى محبوب، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١] وأهلها هم خواص الخلق، فالمسلم الحق في كل لحظة من لحظاته يعلن التوبة ويستغفر الله من ذنوبه وخطاياه.

فائدة: المثلية في الأممية بين الدواب والطيور والبشر

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٨] قال الخطابي: ما أحسن تأويل سفيان بن عيينة واستنباطه الحكم من هذه الآية، حيث قال: (ما في الأرض من آدمي إلا وله مثل في البهائم، فمنهم من يهتصر اهتصار الأسد، ومن يعدو عدو الذئب، ومنهم من ينبح نباح الكلب، ومنهم من يتطوس كفعل الطاووس، ومنهم من يشبه الخنازير التي لو ألقي إليها الطعام الطيب عافته، فإذا قام الرجل عن رجيعه ولغت فيه، فلذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدةً منها، وإن أخطأ رجل رواه وحفظه) [القرطبي في التفسير، والرازي في التفسير].

فهذه هي المثلية بين الدواب والطيور والناس، كما أن كل شيء يسبح بحمده، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤] وكلٌ قد علم صلاته وتسبيحه، وكل يسجد له، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل:٤٩] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:١٨]

وهذا الإنسان الذي لا يسجد لله طوعًا - الذي يسجد له كل شيء - هو الكافر المستحق للنار.

فائدة: تحقق نصر الله للمؤمنين في الدنيا والآخرة

نصر الله للمؤمنين متحقق في الدنيا والآخرة، فلا يجوز اليأس منه، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر:٥١] وهذا النصر يكون على أشكال عدة، ووعد الله حق، كما قال: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الروم:٦٠] وقال: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣] وقد نصر الله جميع رسله على أقوامهم، ونصر نبينا محمدًا ﷺ على المشركين والمنافقين والكفار واليهود والنصارى وغيرهم، وقد أكد الله النصر بإن واللام التي هي للتأكيد، وقد تحقق ذلك بأن نصر أولياءه وخذل أعداءه، وسوف يشهد الرسل والملائكة والمؤمنون على ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر:٥١] وقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر:٥٢] وقال: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] ومن النصر انتصار الدعوة الإسلامية ولو بعد موت الداعي، كما حصل لأصحاب الأخدود، وبقاء دعوة الرسول محمد ﷺ إلى اليوم دليل على نصره ونصر أنبيائه السابقين.

فائدة: الذنوب والمعاصي سبب رين القلوب

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] الرين: الصدأ، فقد غطت أفعالهم السيئة على قلوبهم، فلا يفهمون القرآن، ولا يعون المواعظ، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة:٧] وقال الرسول ﷺ: «إن العبد إذا

أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب سُقِلَ قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]» [الترمذي: ٣٣٣٤ وقال حديث حسن صحيح وحسنه الألباني].

فائدة: إذا تمكن الايمان في قلب العبد كان ابعد الناس عن الردة

من الناس من إسلامه إسلام العادة والمنشأ، فلكونه نشأ بين أبوين مسلمين صار مسلمًا، لا يفقه الدين ويقلد غيره، ومثل هذا لو تسلط عليه أحد لإخراجه من دينه لخرج، أما من تمكن الإيمان في قلوبهم وعلموا صفات ربهم ومحاسن دينهم، فقد استقرت أقدامهم في الإيمان وثبتوا عليه، وهم أبعد الناس عن الردة، ولما سأل هرقل أبا سفيان أيرتد أحد منهم عن دينه سخطةً له؟ قال: لا، قال: فكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، قال الله تعالى عنهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

فائدة: كل يسأل عن عمله يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ○ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢،٩٣] وقال: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٧٥] وقال: ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] هذه الكلمات سيسأل عنها الأولون والآخرون، سيسألون عن كلمة لا إله إلا الله، عن أحكامها وواجباتها ولوازمها، وسيسأل كل إنسان عن ربه وعن دينه ونبيه.

فائدة: الفرق بين السفر إلى الله والسفر إلى غيره

حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام قوله لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا

لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾ [الكهف:٦٢] لأنه سفر إلى مخلوق، ولما واعده ربه ثلاثين ليلة وأتمها بعشر لم يجد النصب ولا الجوع، لأنه سفر إلى ربه، والسير إلى الله لا يجد فيه العبد من الشقاء والنصب ما يجده في السفر إلى بعض المخلوقين.

فائدة: لا احد أحب إليه العذر من الله

لقد أقام الله الحجة على خلقه بإنزال كتبه وإرسال رسله، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام:١٩] وقال: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء:١٦٥].

أما من لم تبلغه الدعوة فيمتحن في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء:١٥].

فائدة: قصة قوم هود

عاد هم قوم هود عليه السلام، قال الله تعالى عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ○ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت:١٥،١٦] لقد منع الكبر عادًا من قبول الحق والهدى، وتعاظموا على الناس واحتقروهم، ولم يتوقعوا عقاب الله تعالى، وعصوا رسولهم، وتكبروا بغير الحق، والكبر لا يكون بالحق أبدًا، فلا ينبغي للضعيف أن يتكبر، فإنما الكبر لله تعالى القوي المتعال، ولكن غرورهم دفعهم إلى ذلك فقالوا: ﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ فاستخفوا بمن عداهم، وحصل عندهم العجب بأنفسهم، فكذبوا

هودًا لما جاءهم بالحق من عند الله، فأنكر عليهم وقال لهم: إن الله تعالى أشد منكم قوةً وأن القوة لله جميعًا، وأنكم بشر ضعاف أمام قوة الله تعالى، فهو الذي خلقكم، وقدرته أوسع من قدرتكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٥٢] ولكنهم جحدوا وعاندوا وأصروا على التعالي في الأرض، فأنذرهم عقابًا يأتيهم من السماء، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف:٢٤] وكان هود عليه السلام يقول لهم: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ﴾ [الأعراف:٦٩] ويقول لهم: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ○ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ○ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء:١٣٢-١٣٤] فلم يؤمنوا فأذاقهم الله عذاب الخزي في الحياة الدنيا، وأرسل عليهم ريحًا صرصرًا دبورًا، وهي التي تهب من جهة الغرب، عاصفة لها دوي وسرعة في أيام نحسات ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر:١٩] ثمانية أيام وسبع ليال ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًاۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧] وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت:١٦].

فائدة: قصة أصحاب الأخدود

قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ○ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ الآيات [البروج:٤،٥ وما بعدها] قصة أصحاب الأخدود من سيرة ابن إسحاق أنها جرت في نجران، كان ملك (وهو ذو نواس) له كاهن، وكان عنده تلميذ اسمه عبدالله بن الثامر، يمر بطريقه إذا ذهب للكاهن

بصومعة فيها راهب اسمه (فيميون) يعبد الله على دين عيسى عليه السلام، ويقرأ الإنجيل أصله من غسان من الشام واستقر بنجران، وكان يدعو للنصرانية فكثروا عنده، وبلغ ذلك الملك ذا نواس، وكان يهوديًا، وكان أهل نجران مشركين، فقتل الملك الغلام وقتل الراهب، وأمر بأخاديد وجُمِع فيها حطب وأشعلت النار، وعُرِض المؤمنون عليها، فمن رجع عن التوحيد تركه، ومن ثبت على الدين قذفه فيها ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج:٧] فكان الملك وملأه يحضرون تنفيذ ذلك، ويجلسون يتفرجون عليهم وهم يعذبون فيها.

وفي هذا تهديد لكفار قريش الذين يعذبون المؤمنين المستضعفين أمثال بلال وعمار وصهيب وسُميَّة وخباب بن الأرتِّ وياسر وأخيه عبدالله وعامر بن فهيرة وحمامة أم بلال وزنيرة وأم عنيس والنهدية وابنتها ولطيفة ولبينة بنت فهيرة رضي الله عنهم.

وهذه فتنة عظيمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠].

فائدة: تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم للحبر لموافقة قوله للحق

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟» [البخاري:٧٣٨٢، ومسلم:٢٧٨٧] وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول

الله ﷺ، فقال: يامحمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [البخاري: ٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، مسلم: ٢٧٨٦، وأحمد: ١/ ٤٢٩، والترمذي: ٣٢٣٨، والنسائي في الكبرى: ١١٤٥١].

فائدة: وصف الله تعالى لرسوله وأصحابه بالتقوى

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ○ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ○ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥].

الصدق هو القرآن الكريم، والذي جاء به محمد ﷺ، والذي صدق به أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والمتقون يومئذ صحابة رسول الله صدقوا به، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ﴾ [الزمر: ٣٤] أي يعطيهم الله ما يطلبون في الجنة وما يريدون ويتمنون ويبتغون، روي أن الله يقول لكل واحد من أهل الجنة: «تَمَنَّهْ، فيتمنى، فيقال له: لك ما تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا» [مسلم: ١٨٦، والترمذي: ٢٥٩٥، وأحمد: ١/ ٣٧٩] وورد أن لهم ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [البخاري: ٧٤٩٨، ومسلم: ٢٨٢٤] ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ

ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤] والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، وأولى الناس بالإحسان صحابة رسول الله ﷺ الذين تركوا عبادة الأصنام، وتحملوا مخالفة أهليهم وذويهم وعداوتهم وأذاهم، وصبروا على مصادرة أموالهم ومفارقة نسائهم لرضا الله، وصدقوا الرسول الذي جاء بالصدق، وقوله: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الزمر: ٣٥] أي أعظمه وهو الشرك وما دونه أولى، بالإسلام الذي يَجُب ما قبله، قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» [البخاري: ٣٦٧٣، ومسلم: ٢٥٤١، وأبو داود: ٤٦٥٨، والترمذي: ٣٨٦١، وابن ماجه: ١٦١، والحاكم: ٢/ ٤٧٨، ٤٧٩]] فمقام الصحابة عظيم، قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» [الترمذي: ٣٨٦٢، وأحمد: ٥/ ٥٤، ٥٧، والبغوي في شرح السنة: ١٤/ ٧٠، وضعفه الألباني وغيره] فيجب ذكرهم بأحسن الذكر، والإمساك عما شجر بينهم، فهم مجتهدون، يريدون صلاح الإسلام والذب عن الإسلام، ولا يريدون الفرقة ولا الاختلاف، فبسببهم وصل الإسلام إلينا، وكلهم عدول، قال تعالى: ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥] ولهم ما يشتهون في الآخرة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

فائدة: تقوى الله سبب لكل خير

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]

وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥] وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ○ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢،٣] وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] وقال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٥٩] ففي تقوى الله الخروج من كل مأزق، والرزق من حيث لا يحتسب، وكفاية الله له وحسبه في الدنيا والآخرة، وعدم خيبة أمله، وانشراح صدره، ورجائه بالله، وحسن عاقبته، فالجزاء من جنس العمل.

فائدة: محبة الله تنجي من عذابه

محبة الله تنجي من عذابه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة:١٨] فلو كان الله يحبهم لما عذبهم، روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم: يارسول الله ﷺ ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار، قال: فخفضهم النبي ﷺ فقال: «ولا الله عز وجل يلقي حبيبه في النار» [أحمد:٣/١٠٤، وأبو يعلى: ٣٧٤٧،٣٧٤٨،٣٧٤٩، والحاكم:١/٥٨، ٤/١٧٧، والبزار:٣٤٧٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين:١٩/٧٥] ومن أراد محبة الله فليتقرب إليه بالصالحات واجتناب المعاصي.

فائدة: أخذ الله لبني اسرائيل بالصاعقة لسؤالهم رؤية الله

قال الله تعالى عن موسى عليه السلام إنه قال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف:١٥٥] قال

محمد بن إسحاق: لما رجع موسى عليه السلام إلى قومه ورأى عبادتهم للعجل فأنكر على السامري وعنف أخاه، وأحرق العجل وذره في البحر، اختار منهم سبعين رجلًا من خيارهم، وقال: انطلقوا إلى الله، وتوبوا وتطهروا، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقَّته له ربه، فقال هؤلاء السبعون: نريد أن نسمع كلام ربك، فلما سمعوه وهو يكلم موسى عليه السلام قالوا: نريد أن نراه، وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥] فأخذتهم الصاعقة فماتوا كلهم، فقال موسى عليه السلام لربه: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾ [الأعراف:١٥٥] وأخذ موسى عليه السلام يبكي ويقول: ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم، وقد أهلكت خيارهم، أأرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد؟ فما الذي يصدقوني به أو يأمنوني عليه، فلو شئت أهلكتهم قبل خروجنا حتى لا يتهموني، وقال موسى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف:١٥٥] أي ما فعلوا من عبادة العجل، حيث ظن أن هذا هو سبب إهلاكهم، وإنما كان سبب إهلاكهم قولهم ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣] (نقلًا عن قول محمد بن إسحاق باختصار) والله أعلم.

فائدة: هوان الدنيا

متاع الدنيا قليل، ومتاع الآخرة في الجنة طويل مستمر أبد الآبدين، وعذابها في النار أبدًا، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧] وقال: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨] وقال: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨] فالمآل إلى دار الحساب، ثم الجنة أو النار، قال تعالى:

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ [الحديد: ٢٠] وقال: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ○ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ○ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٤].

فائدة: ما أعده الله لعباده المؤمنين في الجنة

قال الله تعالى عن الجنة: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾ [الحاقة: ٢٣] وقال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] وقال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ [الرحمن: ٦٨] وقال: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [محمد: ١٥] وقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ○ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾ [ص: ٥٠، ٥١] وقال: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] وقال: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ○ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢، ٧٣] وقال: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ○ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣] وقال: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾ [الإنسان: ١٤] ففاكهة الجنة لا تنقطع، ولا تضر ولا تمنع لمن أرادها، قريبة التناول، تتدلى على من يريد تناولها مذللة كيف شاء أهل الجنة، فيها من كل فاكهة زوجان، فيها النخل والرمان، ومن كل الثمرات كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، مذللة تذليلًا للواقف والجالس والنائم.

فائدة: ذم الله تعالى من تناسى ما قدم من المعاصي ولم يتب

ذم الله تعالى من نسي أو تناسى ما قدمت يداه من المعاصي والذنوب، ولم يستغفر ربه ولم يندم على تفريطه في الأعمال

الصالحة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف:٥٧] والعاقل يتذكر دائمًا تفريطه، ويندم على ما جنى من السيئات، ويتوب إلى الله ويطلبه المغفرة، ويزكي نفسه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النحل:٣٢] وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ○ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ○ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ○ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧-١٠].

فائدة: ذم اليهود والنصارى

قال الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] فقال عن اليهود: غير المغضوب عليهم، لتعطيلهم شرائع التوراة وتحريفهم، وتكذيبهم المسيح ابن مريم عليه السلام، وقتلهم أنبياءهم، ورميهم مريم بالبهتان العظيم، وتكذيبهم لنبي الرحمة محمد بن عبدالله ﷺ، ومحاربتهم له، وأذاهم للمسلمين وصدهم عن سبيل الله، وغير ذلك، فهم أمة الغضب، وهم أشر الناس، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠] وقد غضب الله عليهم ولعنهم ومسخهم قردة وخنازير، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ○ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة:٧٨، ٧٩] وقال: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠].

أما النصارى فهم ضالون، قال تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] وقال: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧] وقال: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ [المائدة:٧٢] ووصفهم بأنهم ﴿أضلوا كثيرًا﴾ وازدادوا ضلالًا بعد بعثة الرسول ﷺ فكذبوه فهم جهلة، ومن ضلالهم أنهم زعموا أن إلههم بشر يأكل ويشرب، وأنه قتل وصلب، وأن عيسى ثالث ثلاثة، فصفات اليهود أقبح من صفات النصارى، ففي اليهود الكبر والحسد والسحت وكتمان الحق والبغي وقتل الأنبياء، أما صفات النصارى فالجهل والضلال، قال العلماء: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى، فاليهود أشد كفرًا من النصارى، وكلهم كافرون، فمن كفر بمحمد رسول الله ﷺ فهو كافر، وهذا الدعاء في فاتحة الكتاب من أفضل الأدعية وأزكاها ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦، ٧].

فائدة: القرآن الكريم شفاء للامراض الحسية والمعنوية

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت:٤٤].

هذا القرآن الكريم والذكر العظيم والكتاب المنير يستفيد منه المؤمنون، وهو عمى على الكافرين، فهو للمؤمنين هدى وشفاء للأمراض الحسية والمعنوية، ورحمة ونور وبركة وخير للمؤمنين، أما

الكافرون فهو على آذانهم وقر وعلى عيونهم عمى، لا يصلهم خيره، لأنهم ينادون من مكان بعيد، فهم معرضون عن سماعه، لا يبلغ إلى أسماعهم ولا يصل إلى قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة: ١٧١] فلا ينتفع منه إلا من آمن بالله، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] وقال: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾ [البقرة: ٧] وقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

فائدة: الصراط المستقيم هو طريق الله

الصراط المستقيم هو طريق الله، وهو إفراد الله بالعبادة، وإفراد رسوله ﷺ بالمتابعة، وصدق محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، والتعلق بمرضاته، وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، ومعرفة الحق والعمل به، وتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله، بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، والبراءة من الكفر وبغض أهله.

فائدة: المعاصي تمحق البركة

المعاصي تمحق البركة، والحسنات بركة في العمر والرزق والأهل والولد والمال والطاعة والدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦] وليس الرزق والعمر بكثرة المال وطول السنين، ولكن البركة في الاستفادة الدنيوية والأخروية من المال والعمر.

فائدة: الحنيفية السمحة

الإسلام دين اليسر والرحمة، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وقال: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى:٨] وقال في الحج والعمرة: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة:١٩٦] وقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠] وقال: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف:٨٨] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤] وقال رسول الله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا» [البخاري:٣٠٣٨ ومسلم:١٧٣٣] وقال ﷺ عند نزول قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥،٦] «لن يغلب عسر يسرين» وقال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا» [البخاري:٣٩، ومسلم:١٨١٦] فديننا دين الحنيفية السمحة، يحب ربنا أن تؤتى رخصه، ورحم الله الميسرين، وقد حرم الله على النار كل هين لين سهل قريب من الناس [الترمذي:٢٤٨٨، وصححه الألباني] وكان ﷺ يستر عائشة رضي الله عنها وهي تنظر الأحباش وهم يرقصون في المسجد النبوي، ولم ينكر عليها عندما أدخلت جاريتين تغنيان بغناء بعاث، وليس من البر الصيام في السفر، وما سكت الله عنه فهو عافية، على المسلم قبول عافية الله، وكان ﷺ إذا هويت عائشة رضي الله عنها شيئًا تابعها، كما هويت العمرة فأرسل معها أخاها عبدالرحمن رضي الله عنه، ويتجلى يسر الإسلام في العبادات والأخلاق وغيرهما، ومن فوائد اليسر إعانة الله للعبد ومحبته، وفيه المداومة والاستمرار وعدم الانقطاع والسماحة، وما

وقع في صلح الحديبية، وقصة الزانية التي أعرض عنها الرسول ﷺ حتى ألحت عليه، فأنظرها، وبعد فطام ابنها أقام عليها الحد، ولو ذهبت ولم ترجع لما طلبها حسب ما يظهر، وقصة الأعرابي الذي بال في المسجد، وقصة الذي وقع على امرأته في نهار رمضان فذهب إلى أهله ومعه وسق من تمر يطعمه أهله، كل ذلك دليل على يسر الإسلام، ولو أن المسلمين والعلماء اتخذوا سيرة النبي ﷺ نبراسًا لهم لأحب الناس الإسلام، خاصة الشباب، ولعبدوا الله عن رغبة ومحبة وطمأنينة، ولدخل غير المسلمين في دين الله، وهل دخل أكثر الناس في دين الله إلا بالمعاملات الحسنة واليسر، وهذه الصلافة والجفوة والغلظة والشدة والغلو هي التي نفرت الناس عن الإسلام، وشوهت سمعته، ويتجلى اليسر في حج رسول الله ﷺ وأقواله وأوامره، ومن ذلك قوله لمن قدم شيئًا من الحلق والطواف والرمي والذبح: «افعل ولا حرج» [البخاري:٨٣، ١٢٤، ١٧٣٦، ١٧٣٧، ١٧٣٨، ومسلم:١٣٠٦] فهو ﷺ رحمة للعالمين، عن عروة بن مضرس الطائي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ بالموقف، يعني بجمع، فقلت: جئت يارسول الله من جبلي طيء أكللت مطيتي، وأتعبت نفسي، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه، فهل لي من حج؟ فقال رسول الله ﷺ: «من أدرك معنا هذه الصلاة، وقد أتى عرفات قبل ذلك ليلًا أو نهارًا فقد تم حجه، وقضى تفثه» [أبو داود:١٩٥٠، وأحمد:٤/ ٢٦١، والحاكم:١/ ٤٦٣ وصححه الألباني].

فائدة: النفوس ثلاث

قال تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢] وقال: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ

لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣] وقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧] فهذه ثلاث صفات للنفوس (اللوامة والأمارة والمطمئنة) وهي نفس واحدة، فالمطمئنة إلى ربها التي تعبده وتحبه وتنيب إليه، وتتوكل عليه وترضى به، وبالقدر خيره وشره، وتسكن إليه.

أما اللوامة فهي التي تلوم وتتردد وتتلون وتندم على ما فات، فهي ممدوحة من جهة، ومذمومة من جهة أخرى، فهي كثيرة التقلب والغفلة أحيانًا، والحزن والرضا والغضب والفرح والطاعة والمعصية، تتقي الله حينًا وتعصيه حينًا آخر، تقع في الذنب فتلوم ويلومها الله وملائكته، فهي مقصرة في طاعة الله، لا تثبت على حال واحدة.

أما النفس الأمارة بالسوء فهي نفس خبيثة عاصية ترتكب الآثام، وتأمر صاحبها بالسوء، فاجرة لا تعاتب نفسها ولا تلومها، ولا تستقر على الخير ولا تركن إليه، ولا تفكر فيه.

فالنفس المطمئنة هي أزكى النفوس، والأمارة أخبثها، واللوامة وسط بينهما، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩،١٠] فإذا عالج الإنسان نفسه وطهرها وزكاها، وعمل الصالحات، وتجنب المعاصي والمنكرات اطمأنت نفسه على الخير ورضيت به، وصار سعادتها وأنسها وفرحتها.

فائدة: الشيطان يتسلط على المشركين وعلى من يتولاه

الشيطان لا يتسلط، وليس له قدرة ولا سلطان على عباد الله المخلصين الذين آمنوا ووحدوا الله، وعلى ربهم يتوكلون، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ

لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٢] وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠] فأثبت سلطانه وتسلطه على المشركين وعلى من يتولاه.

فائدة: المودة الدائمة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

المودة والمحبة الدائمة في الدنيا والآخرة تبقى لمن كان حبه لله تعالى، وكل خلطة بين الناس ليس فيها ذكر الله فهي حسرة على المرء يوم القيامة، وأفضل الخلطة تكون في عبادة الله، وأفضل الجماعات الصلوات في المساجد والحج وتعلم العلم والجهاد والأمر بالمعروف وأمثال ذلك، وعلى المرء أن لا يخالط الناس إلا فيما فيه نفع له ديني أو دنيوي، وليس فيه ضرر أخروي، فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم فلا يوافقهم في أي معصية، وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر بالحكمة، وليصبر على أذاهم، وعليه أن يقلب مجالسهم في طاعة الله، فإن عجز عن ذلك فليترك مجالسهم التي لا فائدة فيها، وعليه أن يسبح الله ويذكره في كل لحظة، ويكون قدوة حسنة لهم ولغيرهم.

فائدة: فضل العلم وأهله

رفع الله درجات آدم عليه السلام بالعلم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآية [البقرة: ٣١].

ورفع الله درجات يوسف عليه السلام بالعلم، قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ

دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٧٦] ورفع الله درجات إبراهيم عليه السلام بالعلم، قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ [الأنعام:٨٣].

ورفع الله درجات الخضر بسبب علمه، قال تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال للخضر: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف:٦٦].

ورفع الله درجات طالوت بالعلم، قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة:٢٤٧].

ورفع الله درجات سليمان عليه السلام بالعلم، قال تعالى عن سليمان عليه السلام إنه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النمل:١٦] ورفع الله داود عليه السلام بالعلم، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾ [الأنبياء:٨٠] ورفع الله درجات محمد ﷺ بالعلم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء:١١٣] وجعل الله الخشية لأهل العلم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨].

فائدة: سبيل الحق واحد وسبل الباطل كثيرة

جمعت الظلمات في القرآن وأفرد النور، وجمعت السبل الباطلة وأفرد سبيل الحق، وجمعت الشمائل وأفرد اليمين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام:١] وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣] وقال تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل:٤٨] لأن سبيل الحق

واحد، وسبل الباطل كثيرة، والظلمة بمنزلة الباطل، والنور بمنزلة سبيل الحق، وكذا اليمين جهة الخير لهذا أفرد، أما الشمائل فجهة الباطل وطرقه كثيرة، لهذا جمع، وبين ابن القيم رحمه الله الجواب لمن يعترض على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة:٤١] بأنها جاءت مفردة، لأن المراد الجهة، ومصيرهم إلى جهة واحدة.

وكذا قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ [ق:١٧] بأن لكل عبد قعيدين قعيدًا عن يمنيه وقعيدًا عن شماله فلا معنى للجمع، أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الأعراف:١٧] فإن الجمع هنا في مقابلة كثرة من يريد إغواءهم.

قاله [ابن القيم في كتابه: مفتاح دار السعادة بتصرف].

فائدة: الظلم محرم

يستفاد من الآية الكريمة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [غافر:١٧] أن القاضي إذا أخر القضاء بالحق بعد تبينه بدون عذر فهو ظالم جائر، لأن الحق إن كان حق العباد فتأخير الحق عن صاحبه إبقاء لحقه بيد غيره، وتعطيل انتفاعه بحقه زمنًا، وهذا ظلم، فصاحب الحق في حاجة إلى تعجيل انتفاعه بحقه، وربما يموت فلا ينتفع به، أو يتلف المحكوم به فلا يصل إليه، وإن كان الحق لله كان تأخير القضاء إقرارًا للمنكر، روى البخاري أن رسول الله ﷺ استعمل أبا موسى رضي الله عنه على اليمن، ثم أتبعه بمعاذ بن جبل رضي الله عنه فلما قدم معاذ رضي الله عنه إلى أبي موسى رضي الله عنه ألقى إليه أبو موسى رضي الله عنه

وسادةً، وقال له: انزل، وإذا رجل موثق عند أبي موسى رضي الله عنه قال معاذ رضي الله عنه: ما هذا؟ قال: كان يهوديًا فأسلم ثم تهود، قال معاذ رضي الله عنه لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله ثلاث مرات، فأمر به أبو موسى رضي الله عنه فقتل. [البخاري:٧١٥٦، ٧١٥٧، ومسلم:١٨٢٤].

فائدة: حرص رسول الله ﷺ على هداية الخلق وإنقاذهم

قال الله تعالى مخاطبًا الرسول ﷺ: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:١٩] أي بسبب حرصه على تكرار دعوة المشركين إلى الإسلام، وحزنه على ضلالهم، فهؤلاء لا ينقذهم من النار فهم قد وقعوا فيها، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨] فمن سقط في النار لا تستطيع إنقاذه، وقد حق عليهم العذاب، كما قال تعالى، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار، يقعن فيها، فجعل ينزعهن، ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها» [البخاري:٦٤٨٣، ومسلم:٢٢٨٤] وقال تعالى: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الزمر:١٩] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ○ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة:٦،٧] وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ○ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس:٩،١٠].

فائدة: علم اليقين

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التكاثر:٥] وقال: ﴿ثُمَّ

﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر:٧] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الحاقة:٥١].

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، العلم: هو التصديق بدون شك، والعين: الرؤية والمشاهدة، والحق: وهو أعلى مراتب الإيمان حين يباشر الإيمان القلب ويذوق طعمه، قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: (إذا قال لك من تجزم بصدقه: عندي عسل أريد أن أطعمك منه فصدقته، كان ذلك علم اليقين، فإذا أحضره بين يديك صار ذلك عين اليقين، فإذا ذقته صار ذلك حق اليقين).

فائدة: لا يجوز الاستعاذة بمخلوق

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] كان العرب في الجاهلية إذا نزلوا في السفر واديًا قالوا: (أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه) [الطبراني:٣٥٠٦٧-٣٥٠٧٣] فيزيد هذا سادات الجن طغيانًا وإثما وشرًا، ويقولون: سدنا الإنس والجن.

وفي هذا دليل على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق، وإنما يستعاذ بالله تعالى، قال ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات» [مسلم:٢٧٠٨، والترمذي:٣٤٣٧، وأبو داود:٣٨٩٨، وابن ماجه:٣٥١٨،٣٥٤٧، وأحمد:٥/ ٦٣٠] وقال: «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك» [أبو داود:٨٧٩، والترمذي:٣٤٩٣، والنسائي:١٦٩، وأحمد:٦/ ٥٨ وصححه الألباني] وفي هذا دليل على أن كلمات الله غير مخلوقة، وأن رضاه وعفوه من صفاته وليست مخلوقة.

فائدة: خسران النفس والأهل

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ

ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

هذا هو الخسران خسران الأنفس والأهل (وأل) لقصر الخسارة على هؤلاء، ولكمال جنس الخسران، فخسران غيرهم ليس خسرانًا بالنسبة لخسارتهم، ومعنى خسرانهم أنفسهم أنهم تسببوا لأنفسهم في العذاب، في حين حسبوا أنهم سعوا لها في النجاح والربح، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩] وكذا خسروا أهليهم من الأزواج والأولاد، لأنهم تسببوا في كفرهم، وغروهم بذلك، وأوقعوا أنفسهم فيه، فلم ينتفعوا بأهليهم في الآخرة، ولم يقوا أنفسهم وأهلهم من النار، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] وقوله: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥] ابتدأ الكلام بحرف التنبيه (ألا) وبعده الإشارة (ذلك) وضمير الفصل (هو) المفيد للقصر.

فائدة: التوكل على الله

المؤمن الحق يتوكل على الله، ويعلم أنه حسبه، وأن الخلق جميعًا لا يملكون ضره ولا نفعه، وأن كل شيء من الله تعالى، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨] وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٣] قال رسول الله ﷺ: «لو توكلتم على

الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا» [الترمذي: ٢٣٤٤، وابن ماجه: ٤١٦٤ وأحمد: ١/ ٥٢،٣٠ وصححه الألباني] فهي تسعى لرزقها من الغدو إلى الرواح، ولا تجلس وتقول: يأتيني الرزق في جحري، وإنما تسير في الأرض تبتغي من فضل الله، وهذه حقيقة التوكل (أي العمل مع التوكل) قال ﷺ: «اعقلها وتوكل» [الترمذي: ٢٥١٧، والهيثمي في موارد الظمآن: ٢٥٤٩، وحسنه الألباني] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

فائدة: مؤمن آل فرعون

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر: ٢٨] هذا الرجل مؤمن من الأقباط من أقرباء فرعون يستحق أن يوصف بالرجولة لصدعه بالحق، ويظهر أنه ليس في مجلس شورى فرعون، وقد كان ناصحًا مؤمنًا بالله، ومصدقًا بموسى عليه السلام موحدًا، كما كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه صدِّيق هذه الأمة وناصحها وموحدها لله تعالى، وقد كان يكتم إيمانه خوفًا من بطش فرعون، وكان يدعو بحكمة حيث بدأ بقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ﴾ [غافر: ٢٨] مع أنه يعلم أن موسى عليه السلام صادق، ولكن هذا تنزل منه فهو يقول: (كذبه عليه، وعار ذلك عليه) ﴿وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾ [غافر: ٢٨] وهو يعلم أنه يصيبهم كل الذي يعدهم، ولكن

حكمة هذا الرجل اقتضت هذا التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، وقد أنكر عليهم أن يقتلوا موسى عليه السلام، وهذا الرجل غير الرجل المذكور في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠] فهذه القصة الأخيرة كانت قبيل خروج موسى عليه السلام من مصر، أما هذه القصة فهي في مبدأ رسالة موسى عليه السلام، ولم يوصف في سورة القصص بأنه مؤمن، ولا بأنه من آل فرعون، والظاهر أنه من بني إسرائيل، وقد قيل: إن هذا الرجل اسمه حبيب النجار، وقيل: إن اسمه سمعان، والله أعلم.

ووجه الشبه لهذا الرجل (مؤمن آل فرعون) بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الإيمان والتصديق بالرسول عليه السلام، وأنهما ليسا من آل النبي عليه السلام، فقد آمنا بالنبي عليه السلام حين سمعا دعوته، روي أن عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ والنبي عليه السلام في فناء الكعبة فخنقه بثوبه، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكب عقبة ودفعه، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨] [البخاري:٤٨١٥] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (والله ليوم أبي بكر رضي الله عنه خير من مؤمن آل فرعون، إن مؤمن آل فرعون رجل يكتم إيمانه، وإن أبا بكر رضي الله عنه كان يظهر إيمانه، وبذل ماله ودمه) [ذكره القرطبي].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:٢٨] يدل على أن للهداية أسبابًا، منها: عدم الإسراف في الكذب، وأن المسرف الكذاب والمتكبر عن الحق والظالم لا يهديه الله تعالى، قال

تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٤٦] وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨] ثم أتبع الرجل المؤمن نصيحته لقومه حيث قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ○ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ○ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ○ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ○ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ○ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ○ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٣٨-٤٤]

هذه موعظة عظيمة من هذا الرجل الصالح، بدأها بقوله: ياقوم، ليلفت أسماعهم، وطلب منهم اتباعه ليهديهم سبيل الرشاد، ثم بين لهم أن هذه الحياة الدنيا نفعها مؤقت وستنتهي، وأن دار القرار الآخرة، وأن الإنسان مجزي على عمله الصالح في الدنيا إذا آمن، ومعاقب على عمله السيء، ثم تعجب من إعراض قومه عن الحق بعد بيانه، وبين أنهم سيذكرون ما قال لهم من النصيحة، وفوض أمره إلى الله، واستغرب أنهم يدعونه إلى الكفر بالله والشرك به، وبين أنهم لا يعلمون، وأنه يدعوهم إلى الجنة، وهم يدعونه إلى النار، وسفه أحلامهم، وبين أنهم سيندمون على فعلهم حين يرون العذاب، وأنه يخاف عليهم ويشفق ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [غافر:٣٠] ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر:٣٢] ﴿مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ

﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤١] وبين أنه يدعوهم إلى الإيمان بمن يغفر الذنوب جميعًا ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [غافر:٤٢].

فائدة: الدعوة إلى الله وعدم اليأس من رحمته

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

في صحيح البخاري (٤٨١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملناه كفارة، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠] ونزلت: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر:٥٣].

فائدة: حرمة المجادلة بغير علم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر:٥٦].

الذي يجادل في آيات الله بدون علم قلبه مليء بالكبر، وهو حقير، لا يبلغ أسباب الكبر، مع أن الكبر ممقوت مذموم، وليست مجادلتهم بعلم ولا دليل، فهم الأذلون، كما قال تعالى: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] فكبرهم كبر زيف وادعاء، ولن ينالوا شيئًا من آثار كبرهم ولا مما يأملونه، كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ○ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور:٣٠،٣١] ومن كبرهم قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُواْ

لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦] وقال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١] وفي قلوبهم الحسد، كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٥٤] وقوله تعالى: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر:٥٦] يدل على أنهم محرومون من بلوغه حرمانًا أبديًا مستمرًا، وتنكير ﴿كِبْرٌ﴾ للتعظيم، أي كبر متعددة أنواعه، متمكن في نفوسهم، فالنكرة تعم.

فائدة: ذكر مغالطات المشركين والرد عليها

أنكر الله تعالى على من اعتقد أن الله تعالى يحب كل ما قضاه وشاءه، فقال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨] وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف:٢٠] وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النحل:٣٥] فالله تعالى لا يحب الشرك والفسوق والعصيان والجهر بالسوء من القول، والدليل على بغضه تعالى لشركهم أنه يعذب المشركين، وكيف يعذب من فعل ما يحبه؟، تعالى الله عن زعمهم، فله الحجة البالغة، ومشيئته نافذة، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ولو شاء لهدى الناس جميعًا، فهو الحكيم العليم، وقد دل الناس على الصراط المستقيم وبينه لهم، فمن لم يسلكه بعد البيان ووصول الحق إليه يعذبه، ولو

علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم.

فائدة: حكم المحاربين والمعاهدين والمنافقين

الأعداء المحاربون من أهل الكتاب - إذا غلب المسلمون وصار لهم قوة وحكم - يُقَاتَلُون حتى يعطوا الجزية، أو يدخلوا في الإسلام، والمنافقون يحاجون بالبيان واللسان، أما المعاهدون الذين نقضوا العهد فيحاربون، أما الذين وفوا بالعهد فلا يقاتلون، قال تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾ [التوبة:٤].

فائدة: الإنعام المطلق والمقيد

الله سبحانه وتعالى منعم على خلقه أجمعين، وإنعامه للمؤمنين إنعام مطلق، لا يشاركهم فيه أحد في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة:٧] فهو إنعام إلى الأبد، أما الكافر فهو منعم عليه (مطلق نعمة) فهو يعيش في نعمة الله، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠] فهي نعمة لآبائهم حيث أنجاهم من فرعون وآله، وفرق بهم البحر، وواعد موسى عليه السلام أربعين ليلة، فضلوا وتاب عليهم وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وغير ذلك، ومع ذلك كفروا بنعمة الله، ولم يشكروها فغضب الله عليهم.

فائدة: العمل ليس ثمنا لدخول الجنة

قال الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢] وقال رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» [البخاري:٥٦٧٣، ومسلم:٢٨١٦] ولا تعارض بينهما، فإن الباء في الحديث هي باء المعاوضة والثمن، فليس العمل ثمنًا لدخول الجنة، وإنما الدخول

برحمة الله، والعمل سبب من أسباب رحمة الله، فالنجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمة الله، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال.

فائدة: من مكارم الأخلاق التي امتثلها رسول الله ﷺ

قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] أمر الله نبيه أن يعرض عن جهل من جهل عليه، فلا يقابله بالجهل ولا يعاتبه، ويصون نفسه عن سفهه، وهذه الآية من مكارم الأخلاق التي امتثلها رسول الله ﷺ، وفي الحديث الأمر بأن يصل المرأ من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، وليس معنى ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ ثم قال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] وكان الرسول محمد ﷺ أحسن الناس خلقًا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط أف، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا) [متفق عليه: البخاري:٦٠٣٨، ومسلم:٢٣٠٩].

فائدة: تسلية الله لرسوله ﷺ والأمر له بالصبر

قال الله تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت:٤٣] هذه الآية فيها تسلية للرسول ﷺ، وأمر له بالصبر، وأن ما يقوله المشركون لك وللقرآن الكريم هو دأب المعاندين من قبل، فقد قالوا لرسلهم مثل ما قالوا لك، كما قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾ [الذاريات:٥٣] كما أن ما قلناه لك قلناه للرسل، فأنت لست بدعًا من

الرسل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى:١٨] وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٢،٥٣] وقد قيل لك ولهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت:٤٣].

فائدة: مراتب الجود

الجود مراتب، وهي:

الجود بالنفس، والجود بالرياسة، والجود بالراحة، والجود بالعلم، والجود بالجاه، والجود بالمساعدة البدنية، والجود بالعرض، كما قال أبو ضمضم رضي الله عنه: (اللهم لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت بعرضي، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل) [الاستيعاب لابن عبدالبر، ترجمة أبي ضمضم رقم:٣٠٨٠] والجود بالاحتمال، والجود بالخلق، والجود بترك ما في أيدي الناس، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى:٤٠] وقال: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ﴾ [المائدة:٤٥].

فائدة: يفاجأ أهل النار بالعذاب يوم القيامة إهانة لهم

قال الله تعالى عن الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣] وقال عن النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧١] بغير واو.

قال ابن القيم رحمه الله: (إن الملائكة تسوق أهل النار إليها، وأبوابها مغلقة، حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم، فيفاجؤهم العذاب بغتة، فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبه، فإنها دار الإهانة

والخزي، فلم يستأذن لهم في دخولها، ويطلب من خزنتها أن يمكنوهم من الدخول، وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته، ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقةً، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، فيقول: «أنا لها» فيأتي تحت العرش ويخر ساجدًا لربه، فيدعه ما شاء أن يدعه، ثم يأذن له في رفع رأسه، وأن يسأل حاجته، فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها، فيشفعه ويفتحها تعظيمًا لها، وإظهارًا لمنزلة رسوله ﷺ وكرامته عليه) [حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم].

فائدة: لوكان الرسول ملكا كما سألوا

س: لماذا لم يجعل الله الرسول إلى الناس ملكًا؟ أو يأتيهم بالملائكة كما طلب الكفار في قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام:٨] وقولهم: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الحجر:٧].

ج: رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام:٨] أي لو كذبوا بعد إنزال الملك لنزل عليهم العذاب بدون أن ينظروا ولا يمهلوا، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:٩] أي لا يمكن أن ينزل ملك بصورته الحقيقية، لأن الله تعالى لو جعله ملكًا لجعله في صورة رجل، كما قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ أي في صورة آدمي، إذ لا يستطيعون التلقي عن الملك في صورته التي هو عليها،

وحينئذ فيقع اللبس عليهم، لأنهم لا يدرون أهو ملك أو رجل، فيختلط الأمر عليهم، كما أن البشر لا يقدرون على مخاطبة الملك، إذا كان على صورته، وقد كان النبي ﷺ وهو أقوى الخلق إذا نزل عليه الملك كَرُبَ لذلك، وأخذه البُرَحاء وتحدَّر منه العرق في الشتاء القارس.

فائدة: الأمر بالصبر ولزوم الإستغفار

قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

لما بين الله تعالى أنه سينصره كما نصر الأنبياء من قبله، أمره بالصبر، فإن وعد الله حق، وأمره بالاستغفار وهو أمر له وللمسلمين، وهذا يدل على أن عدم النصر بسبب الذنوب، وأن الاستغفار يمحوها، كما أمره بالتسبيح بالعشي والإبكار، أي في أول النهار وآخره، قال تعالى: ﴿أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] كما أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بحمد الله واستغفاره بعد النصر، فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ○ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ○ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١-٣] وكان ﷺ يقول في سجوده بعد نزول هذه الآية: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» [البخاري: ٤٩٦٧، ومسلم: ٤٨٤].

فائدة: الشرك الأصغر

الشرك الأصغر والشرك الخفي قد يقع فيه المرء وهو لا يدري، ويظن أنه موحد وهو مشرك، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة صماء في

ظلمة الليل» فقيل له: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يارسول الله؟ فقال: قولوا: «اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه» [أحمد:٤/٤٠٣ وابن أبي شيبة:١٠/٣٣٧،٣٣٨، والطبراني في الأوسط:٣٥٠٣، قال الهيثمي في المجمع:١٠/٢٢٣: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، ووثقه ابن حبان] ومن الشرك بالله أن يحب المرء مخلوقًا كما يحب الله، فهذا من الشرك الذي قال الله عنه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] وقال تعالى عنه: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ○ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧،٩٨] ومن أشرك مع الله أحدًا تركه الله وشركه، ولم يقبل منه عمله، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من أشرك معي غيري تركته وشركه» [مسلم:٢٩٨٥] ويقول أيضًا في الحديث القدسي: «من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك به، وأنا منه بريء» [ابن ماجه:٤٢٠٢، وصححه الألباني].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

فائدة: المغترون بالدنيا

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [فاطر:٥] فالأخسرون أعمالًا هم المغترون بالحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ○ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف:١٠٣،١٠٤] والناسون ما ذكروا به كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] ومن غرتهم الأماني، كما قال تعالى: ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٤] ومن غرَّه الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤] ومن إذا تفضل الله عليه ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [فصلت:٥٠] وسئل رسول الله ﷺ عن الأخسرين أعمالًا، فقال: «هم الأكثرون أموالًا، إلا من قال: هكذا وهكذا وهكذا، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم» [البخاري:٦٦٣٨، ومسلم:٩٩٠، واللفظ له].

فائدة: الذكر الحسن عاجل بشرى المؤمن

الذكر الحسن في حياة الإنسان وبعد مماته نعمة عظيمة من الله تعالى على العبد، وممن حظي بذلك إبراهيم عليه السلام حيث دعا ربه بقوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤] وأبناؤه الكرام، قال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم:٥٠] وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح:٤] وكل نبي ورجل صالح له حظه من الذكر الحسن، وكل من خالف أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ له نصيبه من الذكر السيء، نسأل الله العافية.

فائدة: الأمر بالصدع بالدعوة إلى الله

قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر:٩٤] فصدع الرسول ﷺ ودعا الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى

والأحمر والأسود والجن والإنس، وبين أن آلهتهم لا تنفع ولا تضر، فكاده المشركون ونالوه بالأذى، فنزلت الآيات الكريمات: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت:٤٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١] ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ﴾ [البقرة:٢١٤] ﴿الٓمٓ ○ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ○ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:١-٣].

فائدة: اسم الله الأعظم

اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أجاب، قيل: الحي القيوم، وفي السنن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣] وفاتحة آل عمران: ﴿الٓمٓ ○ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:١،٢] [الترمذي:٣٤٧٨ وأبو داود:١٤٩٦ وابن ماجه:٣٨٥٥، وأحمد:٦/ ٤٦١، وحسنه الألباني] وفي حديث أنس رضي الله عنه أن رجلًا دعا فقال: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم) فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى». [أبو داود:١٤٩٥، والترمذي:٣٤٧٨ ، وأحمد:٣/ ٢٤٥،٢٦٥، وقال محققو المسند حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، وصححه الألباني].

فائدة: من فوائد الإستغفار

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ○ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ

عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢] جاء رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما فسأله أن مزرعتي غلتها قليلة، فقال له: استغفر الله، وجاءه آخر فقال: إن المطر تأخر علينا، فقال استغفر الله، وجاءه آخر فقال: إنه لم يأتني ولد فقال: استغفر الله، وجاء رجل فقال: إنني فقير، فقال استغفر الله، فسأله رجل فقال: يرحمك الله، أسئلتهم مختلفة وأجبتهم بجواب واحد، فتلا عليه هذه الآية.

فائدة: قرناء المشركين من شياطين الانس والجن

قال الله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٥] هيأ الله لهم أصحابًا ملازمين لهم من شياطين الجن والإنس، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، فشياطين الإنس يدعونهم إلى الضلال، وشياطين الجن يوسوسون، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٦،٣٧] والله تعالى لم يظلمهم، وإنما هذا عقاب انصرافهم عن ذكر الله وتكبرهم عن الحق، فهذا هو سبب تآلف قلوب ذوي الطبائع المتوافقة وتحابهم، يزينون لهم عملهم السيء من عبادة غير الله والمنكرات والشهوات المحرمة والشبهات، ويصرفونهم عن النظر في آيات الله ومجالسة أهل العلم والإيمان، ولهذا تجد أمثال هؤلاء لا يحبون الجلوس مع العلماء والدعاة، ولا في حلقات الذكر، ويشغلون أنفسهم وأوقاتهم باللهو واللعب ومجالسة الأشرار، فيحق

عليهم عذاب الله ومقته ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩] وقال: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [الصافات: ٣١] وقال تعالى: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٤، ٨٥] وقال تعالى: ﴿ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨] وقال: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [فصلت: ٢٥] فكانت ملازمة الشياطين من الجن لهم بالخفية والوسواس، وتزيين القبيح، وتقبيح الطيب، وملازمة شياطين الإنس لهم بإغوائهم بالتشريع بما لم يأذن به الله، وصرفهم عن الخير، وتزيين الفساد والمنكرات وإلهائهم.

فائدة: استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه

الله تعالى في السماء مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] وقال: ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١] وقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١] وقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] وقال ﷺ: «إن الله يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا» [أبو داود: ١٤٨٨، وابن ماجه: ٣٨٦٥، وصححه الألباني] ولما سأل الرسول ﷺ الجارية «أين الله؟» قالت في السماء. قال:

«أعتقها، فإنها مؤمنة» [مسلم:٥٣٧، وأحمد:٤/ ٢٢٢، ٣٨٨] وقال الله تعالى عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ○ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر:٣٦، ٣٧] ومن ذلك تردد الرسول ﷺ ليلة المعراج بين الله وبين موسى عليه السلام ليسأله التخفيف، وغير ذلك من أدلة العلو، وأنه سبحانه في السماء فوق عرشه استوى، خلافًا للجهمية الذين يقولون: إن الله تعالى في كل مكان.

فائدة: الفرق بين الرجاء والتمني

الرجاء يكون بعد بذل الجهد والطاقة وعمل الأسباب، أما التمني فهو حديث النفس وتعطيل الأسباب، قال تعالى: ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور:٣٩] فالتمني مثل السراب بقيعة، ومثل أعمال الكافرين والجهلة وأهل البدع والأهواء، قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

فائدة: من أسرا الاستعاذة بالله من الشيطان عند قراءة القرآن

من أسرار الاستعاذة بالله من الشيطان عند قراءة القرآن:

١- القرآن شفاء لما في الصدور، والشيطان يلقي الوساوس فيها، لهذا أُمر الإنسان عند قراءته أن يستعيذ بالله منه، ليطرد مادة الداء ليصادف الدواء محلًا خاليًا من الوساوس، فالتخلية تكون قبل التحلية، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

٢- القرآن سبب الهدى والعلم والخير، والشيطان يفسد الخير والهدى والعلم، فأمر المسلم أن يستعيذ منه عند القراءة حتى لا يفسد

عليه ما يحصل له من القراءة.

٣- الهدف من القرآن التدبر والفهم والمعرفة، والشيطان يجلب بخيله ورجله لقارئ القرآن حتى لا يستفيد من قراءته، لهذا أمر المسلم بالاستعاذة منه عند القراءة.

٤- القرآن مناجاة لله تعالى، ولهذا يحرص الشيطان على إفساد المناجاة لله تعالى، وقد أمر المسلم بالاستعاذة حتى لا يمكنه من ذلك.

٥- القرآن خير عظيم وأجر كبير، لهذا يحرص الشيطان على الإنسان عند همه بالقراءة، وعلاج ذلك الاستعاذة بالله منه.

٦- الاستعاذة بالله عنوان وإعلام بأن المأتي به بعدها هو القرآن، ولم تشرع الاستعاذة عند قراءة أي كلام إلا كلام الله.

٧- الشيطان يحاول أن يخلط على القارئ القراءة، ويغلطه ويشوش عليه ذهنه، لهذا أمر المسلم بأن يستعيذ من الشيطان الرجيم عند القراءة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

فائدة: فتنة تقديم الرأي على الشرع

أصل الفتن تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل، ففتنة الشبهات تقديم للرأي، وفتنة الشهوات تقديم للهوى، وتدفع فتنة الشبهات باليقين، وتدفع فتنة الشهوات بالصبر، ومن حصل على اليقين والصبر حصل على الإمامة في الدين، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] وقد أثنى الله تعالى على أنبيائه إبراهيم

وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، فقال: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص:٤٥] فهم أقوياء ذوو عزائم وبصائر في أمر الله، وروي (أن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات) حديث مرسل.

فائدة: مثل المؤمن والكافر

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ○ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:٧٥،٧٦] هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، وضربه لمن كان معبوده الله، ومن كانت عبادته للأصنام، فالله هو المالك المنفق، والأوثان مملوكة عاجزة، لا تقدر على شيء، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ [النحل:٧٣] فالمؤمن الموحد كمن رزقه الله رزقًا حسنًا ينفق منه، والكافر كالعبد المملوك الذي لا يقدر على الإنفاق.

أما المثل الثاني فقد ضربه الله لنفسه ولما يعبد من دونه، فالصنم بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق، عاجز لا يقدر على شيء، أينما ترسله لا يأتك بخير، والله تعالى عالم معلم آمر لعباده، لا يأمر بسوء، منزه عن الظلم والباطل والجور والسفه، شرعه عدل، أهل العدل أولياؤه، وقضاؤه عدل، على صراط مستقيم ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ومرد

الأمور كلها إليه: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [هود:٥٦] وقال: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُۚ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩].

فائدة: أنواع الفتن

قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢،٣] وقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥] الإنسان خلق لعبادة الله، وهو في هذه الحياة الدنيا يختبر ويمتحن ويفتتن في جميع أموره وأحواله مدة حياته وأطواره، والفتن تكثر في آخر الزمان، كما قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه ومن وجد منها ملجأ أو معاذًا فليستعذ به» [البخاري: ٧٠٨١، ٧٠٨٢، ومسلم: ٢٨٨٦] وهي أنواع، منها فتنة الشبهات بسبب ضعف العلم وكثرة الملبسين، وفتنة الشهوات، وأعظمها فتنة العالم إذا فجر، والعابد إذا جهل، ومنها فتنة الأموال والأولاد والأزواج، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال:٢٨] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ﴾ [التغابن:١٤] وفتنة بعض الناس ببعض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان:٢٠] وفتنة زهرة الحياة الدنيا والنعم والترف، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر:٤٩] وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ﴾ [طه:١٣١] وفتنة الخير والشر، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾

[الأنبياء:٣٥] وفتنة الشيطان، قال تعالى: ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الحج:٥٣] وفتنة الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾ [النساء:١٠١] وفتنة المنافقين، قال تعالى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [التوبة:٤٧] وفتنة المصائب والأذى، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت:١٠] وفتنة النساء، قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» [البخاري:٥٠٩٦، ومسلم:٢٧٤٠] وفتنة الأحلاس، وهي هَرَبٌ وحرب، وفتنة السراء دَخَنُها من تحت قدمي رجل من أهل البيت، وفتنة الدهيماء التي لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لَطَمَتْه لطمةً، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، وفتنة الدجال [أبو داود:٤٢٤٢] وفتنة القبر، وعلاج هذه الفتن تجريد المتابعة للرسول ﷺ، وانتهاج منهج السلف الصالح، ومساءلة أهل العلم، والتمسك بالكتاب والسنة، وكمال العقل، والتأني والثبات والصبر، وكمال البصيرة واليقين، والاستعانة بالله، ومجالسة أهل الخير والعلم، والدعاء، والبعد عن مواقع الشهوات والشبهات والفساد، وعدم مخالطة أهله، وعدم استشراف مواقع الفتن، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة، والاستعانة بالله، ثم بالعبادات والتقرب بالنوافل والتقوى، وحفظ وقراءة عشر آيات من أول سورة الكهف، أما إذا اشتدت الفتن فعلاجها ما أمر الرسول ﷺ به «الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة» [أبو داود:٤٣٤٣ وقال الألباني: حسن

صحيح] ومن العلاج القناعة وتذكر الموت وعدم مخالفة أمر الله، والبعد عن الحروب بين المسلمين، قال ﷺ: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» [مسلم:البخاري: ٣١، ٦٨٧٥، ٧٠٨٣، ومسلم: ٢٨٨٨، واللفظ لمسلم].

فائدة: جهاد الكفاروالمنافقين

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] وهي سورة مكية، أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يجاهد الكفار والمنافقين بهذا القرآن، وسماه جهادًا كبيرًا، ويكون ذلك بالحجة والبيان والعلم والدعوة والتبليغ، وجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وأعظم أجرًا عند الله تعالى، والجهاد بالعلم والقرآن والدعوة جهاد كبير، فأفضل الجهاد قول الحق، وإذا كان عند سلطان جائر كان أفضل، وجهاد النفس مقدم على جهاد العدو، وجهاد الشيطان قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] وهذا الجهاد للكفار والمنافقين والنفس والشيطان وأعداء الدين فتنة وابتلاء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤] وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] وقال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فائدة: قصر الحياة الدنيا

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟

يُوعَدُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٥،٢٠٦] وقال: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون:١١٣] وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس:٤٥] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٦] وقال: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه:١٠٤] الحياة الدنيا قصيرة، فعلى المسلم انتهاز فرصة وجوده فيها بالعمل الصالح، وأن يتدارك ما فرط من الأيام، خطب النبي ﷺ يومًا، والشمس على رؤوس الجبال، فقال: «لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا» [الترمذي:٢١٩١، وضعفه الألباني] والعاقل يتذكر الموت وكفى به واعظًا، ويزهد في الدنيا ويقبل على الآخرة، وقد خط ﷺ خطًا طويلًا وقطعه بخط عرضي + وقال: «هذا الأمل، وهذا أجله» [البخاري:٦٤١٨].

فائدة: الأمر لرسول الله ﷺ بالإخلاص وأمته تبع له

قال كفار قريش للنبي ﷺ: (ما يحملك على هذا الدين الذي أتيتنا به؟ ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وسادات قومك، يعبدون اللات والعزى، فأنزل الله تعالى آمرًا الرسول ﷺ بأن يقول لهم: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ○ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ○ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ○ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ○ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر:١١-١٥] فأمره الله تعالى بإخلاص العبادة له، وأن يكون أقوى المسلمين إسلامًا وأعظم مما يقوم به كل مسلم، كما قال عليه السلام: «إني أتقاكم لله وأعلمكم به» [البخاري:٢٠، ومسلم:١١٠٨] وهذا معنى أول المسلمين، ومثلها قوله

تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ○ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢،١٦٣] وفي هذا دليل على أن محمدًا ﷺ أفضل الرسل، لشمول لفظ المسلمين للرسل السابقين، كما أمره الله تعالى أن يقول لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر:١٣] وأن يقول لهم: ﴿اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر:١٤] فالخسارة الحقة هي خسارة النفس والأهل يوم القيامة ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥] فأنتم أيها المشركون الخاسرون لأنفسكم وأهليكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٩].

فائدة: ذم اتباع الهوى

اتباع الهوى ضلال مبين، ويضل عن سبيل الله، قال تعالى لداود عليه السلام: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦] وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص:٥٠] وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٦] وقال رسول الله ﷺ: «العاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله» [الترمذي:٢٤٥٩، وابن ماجة:٤٢٦٠ وأحمد:٤/ ١٢٤، وقال الترمذي: هذا حديث حسن] وقال: «ما تحت ظل السماء من إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع» [الطبراني في الكبير:٧٥٠٢، وابن أبي عاصم في السنة، رقم ٣ قال الهيثمي ١/ ١٨٨: رواه الطبراني في الكبير، وفيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث] ومن أفضل الصفات العدل والقسط والحق، قال تعالى لداود عليه السلام: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [ص:٢٦].

فائدة: صلاة الجمعة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة:٩].

ليوم الجمعة خواص يختص بها عن غيره، منها:

١- أفضليته.

٢- أن يقرأ الإمام في فجره ﴿ألم تنزيل﴾ [السجدة] و ﴿هل أتى على الإنسان﴾ [الإنسان].

٣- قراءة سورة الكهف.

٤- كثرة الصلاة على النبي ﷺ فيه وفي ليلته، لقوله ﷺ: «أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة» [ابن ماجة:١٠٨٥،١٦٣٦، وأبو داود:١٠٤٧ والحاكم:٢/٤٢١، والبيهقي:٣/٢٤٩، وأحمد:٤/٨ وصححه الألباني].

٥- أنه سيد الأيام وعيدها، فيه بعث الناس، وفيه خلق آدم، وفيه يوم المزيد، وفيه ساعة مستجابة، وفيه صلاة الجمعة، وهي آكد الفروض.

٦- فيه يبعث الناس إلى قصورهم ومنازلهم في الجنة، وقرب أهل الجنة يوم القيامة، وسبقتهم إلى الزيادة يوم المزيد حسب قربهم من الإمام يوم الجمعة وتبكيرهم.

٧- يسن فيه الاغتسال، وبعضهم يوجبه على المحتلم.

فائدة: الدنيا دار اختباروامتحان

كل ما في الأرض من زينة ومال، وكل مافي السماء، والموت والحياة والعالم العلوي والسفلي والذهب والفضة والمساكن

والمراكب والزروع والحيوانات والأولاد والنساء والملابس والثمار والزروع وجميع المخلوقات، خلقها الله تعالى للابتلاء والامتحان، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:٧] وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ○ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٥،١١٦] وقال: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:٣٧] فهو سبحانه الحق لم يخلق هذه المخلوقات عبثًا، ولم يتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم، ولا يثيب محسنهم ويعاقب مسيئهم بإسائته، تعالى الله عما يقوله الظالمون علوًا كبيرًا.

فائدة: اثبات المشيئة للعبد

قال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨] يفهم من هذه الآية أن الذين لم يتذكروا بالقرآن ما حال بينهم وبين التذكر به إلا أنهم لم يشاءوا أن يستقيموا، وإنما رضوا الاعوجاج لأنفسهم وسوء العمل والاعتقاد، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت:٥] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت:٢٦] وقال: ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح:٧].

فائدة: تهديد ووعيد للكفار بالعذاب يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ○ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الزمر:٣٩،٤٠].

أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بأن يقول للمشركين ما معناه: لقد أبلغتكم الموعظة وبينت لكم ما يحل عليكم من العذاب إن أنتم عصيتم الله، وقامت عليكم الحجة، وسيأتي نصر الله للمؤمنين قريبًا، وعذابه للكافرين، فاعملوا على طريقتكم، فسترون من يحل عليه العذاب المقيم، وستعلمون من يأتيه الخزي، وأنا سوف أعمل، وثابت على عملي ونصحكم ودعوتكم إلى ما ينجيكم، وهذا العذاب المشار إليه هو خزيهم يوم بدر، وأما العذاب المقيم المشار إليه في الآية فهو عذاب يوم القيامة، عذاب الإقامة والخلود في النار.

فائدة: أمر الله لنبيه ﷺ بالصبر على أذى المشركين

قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [غافر:٧٧] أمر الرسول ﷺ بأن يصبر على أذى المشركين حتى يأتي نصر الله تعالى، ولا يتعجل، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة:٢١٤] فالعذاب نازل بهم لا محالة، كما وعد الله تعالى، ووعده حق، وسيكون عذابهم إما في حياتك، أو نتوفينك قبل ذلك، ولكنهم غير مفلتين منا، قال تعالى: ﴿فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ فمآلهم علينا، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ﴾ [الزخرف:٤٢].

فائدة: قبح فاحشة الزنا

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٣٢].

الزنا يجمع خلال الشر كلها: قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد

المروءة، وقلة الغيرة، وعدم الوفاء بالعهد، والكذب، وعدم المحافظة، وعدم الغيرة على الأهل، والغدر والخيانة، وقلة الحياء، وعدم المراقبة لله، وعدم الأنفه للحرام وغضب الرب، وإفساد المحارم والعيال، وسواد الوجه وظلمته وكآبته، ومقت الناظرين إليه، وظلمة القلب وطمس نوره، والفقر وذهاب حرمة فاعله، وسقوطه من عين ربه ومن عيون عباده، وسلب صفات الخير عنه، ووصفه بصفات الشر والفجور والفسق والخيانة، وسلب الإيمان حين يزني، والتعرض لسكنى التنور في النار، ومفارقة الطيب الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور:٢٦] وملازمة الخبث الذي قال الله فيه: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ والوحشة، وعدم كلام الله له يوم القيامة، إذا كان شيخًا زانيًا، وبغض الله له وعدم النظر إليه، وعدم تزكيته، والعذاب الأليم له، قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر» [مسلم:١٠٧، وأحمد:٢/٤٣٣، ٤٨٠، ٥/١٥٣] وإذا كان الزنا في امرأة غائب عنها زوجها فقد قال الرسول ﷺ فيه: «مثل الذي يجلس على فراش المغيبة مثل الذي نهشه أسود من أساود يوم القيامة» [ذكره الهيثمي:٦/٢٥٨، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات] وقال: «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلًا من المجاهدين في أهله إلا نصب له يوم القيامة، فقيل له: هذا قد خلفك في أهلك فخذ من حسناته ما شئت» [أبو داود:٢٤٩٦، واللفظ له، ومسلم:١٨٩٧ والنسائي:٣١٩٣] وفي لفظ: «وإذا خلفه في أهله فخانه، قيل له يوم القيامة: هذا خانك في أهلك

فخذ من حسناته ما شئت، فما ظنكم» [النسائي: ٣١٩٢ وصححه الألباني].

فائدة: اسباب انشراح الصدر

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٢] إذا آمن المسلم بالله رب العالمين، وبأن محمدًا ﷺ رسول رب العالمين وخاتم النبيين، واتبعه انشرح صدره، واطمأن قلبه، وشعر بعزة نفسه، وصار ينطق بالحكمة من القرآن والسنة، واتصف بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة والآداب الراقية، وحصل على قوة الرأي وأصالته ومحبة الخير، وسلم قلبه ولسانه، وأحب إخوانه المسلمين، واجتنب المحرمات، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصبر على ما يلاقيه في سبيله، وحمد الله على نعمه التي أعظمها نعمة الإسلام. هنالك انشراح الصدر وشجاعة القلب وعزة النفس وطمأنينة الروح ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢] وفي هدى من الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٥] قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] إنه لا طمأنينة للقلب ولا راحة للنفس إلا باتباع هدى الله تعالى، وذكره وقراءة القرآن وتدبره، وعبادة الله بعلم وفهم وإتقان، واجتناب نواهيه، والسير في صراط الله المستقيم، إن هذا هو السعادة الحقة، ومهما أوتي الإنسان من مال وجاه وولد ومتاع وهو غير حاصل على هذه السعادة الحقيقية، يكون في نكد من العيش، وهم وغم (ومن لم يدخل جنة الدنيا لا يدخل جنة الآخرة) ودخول جنة الدنيا يكون بهذه الطمأنينة والراحة والأنس بالله تعالى.

فائدة: مفاسد الزنا وقذف المحصنات

قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٣].

وقال رسول الله ﷺ: «من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» [البخاري:٥٢٣١، ومسلم:٢٦٧١] الزنا سبب غضب الله وعقوبته وسبب إهلاك الأمم، يُقتل المحصن بسببه ويغرب عن وطنه، نهى الله عباده أن تأخذهم بالزاني رأفة في دين الله، ويجب الغلظة والشدة والقسوة على فاعله، وعدم الرحمة، به ويكون حده بمشهد من المؤمنين، فهو يفسد القلب والدين، ويبعد المرء عن ربه، وهو خبيث، ولا يلج الزناة ملكوت السماء، وهو قريب من الشرك، قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ﴾ [النور:٣] ولا يباح زواج الزانية للمؤمنين، فقد أمروا بزواج المحصنات العفيفات، وقد حرم الله تعالى الدياثة والبغي، وهو سبب فساد الإنسان واختلاط المياه، قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ﴾ [النور:٢٦] ومن قذف محصنًا فهو عند الله كاذب، وإن كان خبره مطابقًا لقوله، إلا أن يشهد معه ثلاثة، قال تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور:١٣] ومن رمى امرأته بالزنا ولم يكن معه شهداء، قال الله تعالى فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا

ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور:٦-٩] وقد نزلت سورة كاملة عن الزنا والقذف لأهمية ذلك، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣٠،٣١] وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] كما نهى الله تعالى عن قربه، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [الإسراء:٣٢].

فائدة: الإستعاذة بالله عند قراءة القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨] الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن لطرده وطرد ما يلقيه من الوساوس والإرادات الفاسدة، وإبعاد الشيطان عن قلب القارىء، ولأجل أن لا يفسد الشيطان ما يحصل به العبد من فوائد القراءة، ولأجل إبعاد الشياطين حتى يحضر الملائكة التي لا تجتمع مع الشياطين، ولأجل أن يتدبر الإنسان القرآن، فإن حضور الشياطين تصد عن التدبر، ولأن المسلم سيناجي ربه، والرب يستمع إلى قراءته، والشيطان حريص على قطع العبد لقراءته، وأي قراءة غير القرآن لا يستحب الاستعاذة قبلها.

وصور الاستعاذة قبل القراءة متنوعة.

١- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٢- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.

٣- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

٤- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم.

٥- اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه ونفخه ونفثه.

وتفسير الهمز الموتة، والنفخ: الكبر، والنفث: الشعر.

فائدة: شروط الشفاء بالقرآن

القرآن شفاء للقلوب والأبدان، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧] فهو شفاء لجميع الأمراض، إذا أحسن المريض التداوي به، وصار مؤمنًا متيقنًا بشفائه، قابلًا له مستوفيًا لشروطه، فلو نزل القرآن على جبل لتصدع، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١] وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤] ويكون شفاؤه للأبدان الطيبة والأرواح الطيبة والقلوب الحية، وهو شفاء لما في الصدور، ولا يزيد المنافقين والكافرين إلا رجسًا ومرضًا وعمًى في قلوبهم وأبدانهم، كما أنه كافٍ لشفاء جميع الأمراض لو أحسن استعماله، ووقع من محله وفي محله، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١].

فائدة: منافع النخيل

قال الله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ○ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ○ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس:٢٧-٢٩].

ذكر النخل دون ثمرته، وهو التمر، خلافًا للحب والعنب والقضب والزيتون، لأن منافع شجر النخيل كثيرة، لا تقتصر على ثمره من التمر والرطب والبسر والجُمَّار والنوى، يبنون منه البيوت ويسقفونها، ويتخذون الأواني من جذعه والحُصُر من سَعَفه، والحبال من ليفه، ويوقدون من سَعَفه وجذعه النار، وغير ذلك.

فائدة: الله يسمع دعاء من دعاه

الله تعالى قريب من عابديه وسائليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة:١٨٦] وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:١٥٦] وقال رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» [مسلم:٤٨٢، وأبو داود:٨٧٥، وأحمد:٢/ ٢٤١، والبيهقي:٢/ ١١٠] وقال: «أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل» [الترمذي:٣٥٧٩، وأبو داود:٨٧٥، وابن خزيمة:١١٤٧، وصححه الألباني] وقال: «إنما تدعون سميعًا قريبًا إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» [أحمد في المسند:٤/ ٤٠٢ واللفظ له، والبخاري:٢٩٩٢، ومسلم:٢٧٠٤ كلاهما مختصرًا، والنسائي في الكبرى:٧٦٨٠] فهو عال على خلقه، لا شيء فوقه، وعظيم محيط بهم، ولا شيء دونه، وهو الظاهر والباطن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ [الإسراء:٦٠] وقال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج:٢٠] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣] وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥] ظهر سبحانه على كل شيء وبطن فهو أقرب إلى كل شيء، وكل شيء في قبضته (السموات والأرضون في يده).

فائدة: شرف أهل العلم

أهل العلم لهم شرف عظيم، قرن الله شهادته بشهادتهم، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨] وقال عنهم: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ○ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء:١٠٧،١٠٨] وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩] وقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩].

فائدة: ضرورة اختيار الأسلوب الأحسن في الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله تعالى تكون باللين والأسلوب الحسن، قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ○ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٣،٤٤] وقد امتثل موسى عليه السلام واستجاب لأمر الله تعالى فخاطب فرعون بأسلوب العرض ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ○ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات:١٨،١٩].

وكذا إبراهيم عليه السلام يخاطب أباه بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٤٢] ولم يقل له: إنك جاهل، ولا علم عندك، وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم:٤٣] ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم:٤٥] ومن ذلك خطاب صاحب ياسين لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ○ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ○ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٢٠-٢٢].

ومن ذلك قول نوح عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ○ أَنِ

ﱡﭐﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ○ يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ [نوح:٢-٤] وكان محمد ﷺ يخاطب قومه ويعاملهم باللين، قال تعالى عنه: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران:١٥٩].

فائدة: توقير الله وتعظيمه

قال الله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ [نوح:١٣].

من وقار الله تعالى ألا يراك في حال معصية، ومن وقاره شكره وتعظيمه وطاعته واجتناب معاصيه، وأن يكون الحلف به لا بغيره، فلا تقول: والله وحياتك، وما شاء الله وشئت، ومن وقاره حبه والخوف منه والرجاء، وأن لا تجعل مراد نفسك مقدمًا على مراده تعالى، ومن وقاره الحياء منه أن يطلع على سرك وضميرك في الخلوة وغيرها، ومن وقاره تعظيم كلامه وأمره ونهيه، ومن وقاره أن تعبده كأنك تراه، قال تعالى: ﴿وتوقروه﴾ [الفتح:٩] ومن وقاره تسبيحه وتكبيره وذكره، ومن وقاره السمع والطاعة له، قال تعالى: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة:٢٨٥] قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ [نوح:١٣]: لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، وقال الحسن: لا تعرفون لله حقًا، ولا تشكرون له نعمةً.

فائدة: اجتماع الملائكة في صلاة الفجر

قال الله تعالى: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ [الإسراء:٧٨] تشهد صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار، هؤلاء ينزلون وهؤلاء يصعدون، ويجتمعون في صلاة الفجر، فهي أول

النهار وآخر الليل، والله تعالى شهيد على ذلك، وهي قريبة من نزوله سبحانه إلى السماء الدنيا في الشطر الأخير من الليل، وهذا خاص بصلاة الفجر، وقد روي أن نزوله تعالى إلى أن ينصرف القارىء من صلاة الفجر، روى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا لنصف الليل الآخر أو لثلث الليل الآخر، فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر، أو ينصرف القارىء عن صلاة الصبح» [أحمد: ٢/ ٥٠٤ واللفظ له، وأصله في الصحيحين: البخاري: ١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤، ومسلم: ٧٥٨ ورواه جماعة منهم سليمان بن بلال وإسماعيل بن جعفر والدراوردي وحفص بن غياث ويزيد بن هارون وعبدالوهاب بن عطاء ومحمد بن جعفر والنضر بن شميل، ويظهر أن الإمام ابن قيم الجوزية يرجح ذلك، انظر: زاد المعاد الجزء الأول ص ١١١ وانظر إلى الضوء المنير على التفسير جمع على الصالحي رحمه الله من كتب ابن قيم الجوزية صفحة ١٢٢ الجزء الرابع، ويرى ابن القيم رحمه الله التبكير في صلاة الفجر لتقع قريبةً من وقت النزول، ويستحب القرب من الإمام في هذه الصلاة خاصة وغيرها بعامة].

فائدة: بشرية عيسى وأمه عليهما السلام وانهما عبدان فقيران الى الله تعالى

الذي يأكل الطعام ويحتاج إليه ضعيف محتاج إلى غيره، لا يمكن أن يكون إلٰهًا، كما أن الذي يأكل الطعام يكون لديه براز وبول والله تعالى منزه عن ذلك كله، ولهذا لما قال النصارى: إن عيسى ابن الله وأنه وأمه إلٰهان، قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ

قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

فائدة: من آيات الله العظام الدالة على قدرة الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ○ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٥، ٩٦].

يفلق الله الحب والنوى، ويصدعها فتنبثق منه وشائج النبات والشجر وأصولها، كما يفلق النواة التي بوسط التمرة فتخرج النخلة، ويخرج الحي من الميت، فيخرج كما تخرج النبتة حية بعد أن كانت جامدة، ويخرج الإنسان حيًا بعد أن كان ميتًا، وكذا الحيوانات من ماء النطفة، والدجاجة من البيضة، تخرج حيةً بعد أن كانت ميتة، وهذه الروح من أمر الله يقصر علم الإنسان عنها، واللبن الأبيض ناصع البياض، يخرج من بين فرث ودم، والمسك من الغزال، واللؤلؤ من حجر في البحر، وفي هذا دلالة على البعث، كما جعل الله الليل سكنًا، والشمس والقمر حسبانًا، وفلق الإصباح، فيظهر الضياء في ظلمة الليل، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] وهذه قدرة الله ونعمه على عباده، ولم يجعل النور دائمًا ليستريح الناس في الليل ويسكنوا، ولم يجعل الظلمة دائمة ليعملوا، كذا الزوجة سكن للإنسان، قال تعالى: ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الروم: ٢١] وجعل الله الليل سكنًا، كما قال: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ [الأنعام: ٩٦] وجعل البيوت سكنًا، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل: ٨٠] ووضع الأشياء على قدر معلوم، كما قال

تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢] وقال: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠] فهو العزيز الغالب القاهر، والعليم الخبير البديع سبحانه وتعالى.

فائدة: حال العرب قبل الإسلام

كان للعرب في الجاهلية عبادات وخرافات كثيرة، بعضهم يعبد الأصنام، وبعضهم يعبد الكواكب، وبعضهم يعبد الشياطين، وبعضهم أخذ اليهودية، وبعضهم أخذ النصرانية، وبعضهم أخذ المجوسية من الفرس، وبعضهم يعتقد سلطة الجن، ويذبحون لها، ولا يذكرون اسم الله على الذبائح، ويعتقدون أن الكاهن يأتيه الجن بخبر من السماء، وأن الشاعر له شيطان يوحي إليه الشعر، ويقول بعضهم: إن الملائكة بنات الله، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات:١٥٨] وقال: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ○ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ○ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ○ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصافات:١٤٩-١٥٢] وبعضهم يعبد الملائكة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ○ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ-٤٠،٤١] وكانت قريش تعتقد أن الملائكة بنات الله وكذا جهينة وبنو سلمة وخزاعة وبنو مليح، وبعضهم يعتقد أن الشيطان إله الشر، وأن الله إله الخير، وأن الملائكة جند الله، والجن جند الشيطان، وبعضهم ينسب لله البنين وبعضهم ينسب له البنات - بغير علم - فقد كانوا جهالًا يقلدون الأمم الأخرى، فمن اتصل بأمة من الأمم أخذ منهم ديانته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ

﴿وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام:١٠٠] وكانوا قبل الإسلام: ﴿لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

فائدة: الخوف والرجاء

الخوف من الله من أجلِّ الطاعات، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠] وقال: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة:٤٤] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧] وقال: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠].

فمن عمل الصالحات واجتهد في ذلك، وخاف أن ترد عليه، فهو مؤمن عالم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦١].

وكما أن الخوف من الطاعات، فالرجاء منها، وإذا كان الرجاء لا يقارنه خوف فهو أمانٍ كاذبة، وكلا الخوف والرجاء لابد أن يكون معهما عمل صالح، كما قال ﷺ: «يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن لا تقبل منهم» [الترمذي:٣١٧٥، وأحمد ٦/١٥٩، وابن ماجه:٤١٩٨] فهما جناحان لا غنى لأحدهما عن الآخر، فالخوف يحث على العمل، والرجاء يدفع القنوط واليأس، والسعيد من وفقه الله.

فائدة: لا سعادة إلا بالإيمان

قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ [المؤمنون:١١٥] وقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ [الأنعام:٩١] وقال: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] وقال:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾ [ص:٢٧] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

هذه الآيات وغيرها تؤكد أن الإنسان لم يخلق عبثًا، وكذا كل شيء لم يخلق لهوًا، وإنما خلق الإنسان لعبادة ربه، وكل مخلوق خلق لحكمة، فالله تعالى هو الحق، وملكه كامل، له الأمر والنهي، ومن ظن أن هذه المخلوقات خلقت عبثًا ولهوًا فما قدر الله حق قدره، وطعن في ملكه وكمال صفاته، فهو سبحانه الحق المطلق من كل وجه، وهذا يستلزم شرعه ودينه وثوابه وعقابه وجزاءه وأمره ونهيه وغير ذلك، فهو سبحانه يرعاه منذ كان نطفة من مني، ثم بعدما كان علقة، ثم في جميع أطواره، ولم يخلقه سدى، ولم يخلق الخلق باطلًا وعبثًا ولهوًا، فقد أحاط بكل شيء علمًا، وقدره تقديرًا، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

فائدة: النهي عن الفحشاء بكل صوره

قال الله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ﴾ [النحل:٩٠] الفحشاء: الزنا واللواط، فهما متناهيان في القبح، وكذا الفحش في القول، كالسب القبيح والقذف، والمنكر هو الفعل الذي تنكره العقول، وهو مالم يعرف في شريعة ولا سنة، واستقر قبحه في الفطر، وعكسه الطيب والصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ﴾ [النحل:٩٧] وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥] فالمؤمن المخلص لله أطيب الناس عيشًا، وأنعمهم وأشرحهم صدرًا، فسروره دائم، وهذه جنته العاجلة،

ومن وجد الله وجد كل شيء، ولا سعادة إلا بالإيمان ومحبة الله والتوكل عليه والإنابة إليه، والمعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤] وهذا يكون في الدنيا والبرزخ والآخرة، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤] وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما تقرب إليَّ عبدي بشيئ أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته» [البخاري:٦٥٠٢].

فائدة: من اسباب انشراح الصدر

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢] وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ○ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣،١٤] إن أسباب انشراح الصدر التوحيد والإيمان الذي هو نور القلب، قال ﷺ: «إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح» [الطبري في تفسيره:١٣٨٥٩] وعلامته (الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله) [الطبري:١٣٨٥٧-١٣٨٦١] ومنها العلم النافع، فإن الجهل يورث ضيق الصدر، والخلق الفاضل، ومحبة الله، والإقبال عليه، والتنعم بعبادته بقلب واع مدرك للعبادة،

وكلما كان العبد محبًا لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين كان أشرح صدرًا، وكلما كان القلب متعلقًا بالله وحده زاد الانشراح، ومن أسباب انشراح الصدر ذكر الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] وقراءة القرآن بتدبر، ومن ذلك الإحسان إلى الخلق ونفعهم، وإدخال السرور عليهم، والصدقة، كما في الحديث الصحيح «مثل المتصدق والبخيل كمثل رجلين عليهما جُنَّتان من حديد، كلما هَمَّ المتصدق بصدقة اتسعت عليه وانبسطت، حتى يُعَفِّي أثره، وكلما هم البخيل بالصدقة لزمت كل حلقة مكانها، ولم تتسع عليه» [البخاري:١٤٤٣، ٢٩١٧، ٥٢٩٩، ٥٧٩٧، ومسلم:١٠٢١، والنسائي: ٢٥٤٧، ٢٥٤٨].

ومن ذلك سلامة القلب وعدم الحسد والغل، وترك فضول الكلام، والنظر المحرم، وتقليل الطعام، ومن ذلك الشجاعة والكرم والجود، وحضور مجالس الذكر، قال ابن القيم رحمه الله: (من لم يدخل جنة الدنيا لا يدخل جنة الآخرة) وجنة الدنيا هي السعادة بعبادة الله وذكره، فالأبرار في نعيم بالدنيا والآخرة، والفجار في جحيم بهما، وقال أحد السعداء: (لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف).

فائدة: صالحوا البشرهل أفضل هم من الملائكة

مذهب أهل السنة والجماعة أن صالحي البشر أفضل من الملائكة، مع أن مادتهم التي خلقوا منها التراب، ومادة الملائكة التي خلقوا منها النور، واستدلال إبليس بأصل الخلقة حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦] استدلال بغير

محله، فليس التفضيل بالمواد ولا بالأصول، ولهذا أجمع أهل السنة والجماعة على أن العبيد والموالي الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ خير وأفضل ممن هم من قريش ولم يؤمنوا.

وهذه المعارضة من إبليس هي ميراث أتباعه المفتخرين بالأصول دون الأعمال، وقد أبطل ذلك الإسلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات:١٣] مع أن التراب في الحقيقية خير من النار وأفضل، قال رسول الله ﷺ: «إن الله وضع عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس رجلان: مؤمن تقي أو فاجر شقي» [أبو داود:٥١١٦، والترمذي:٣٢٧٠، وأحمد:٢/٣٦١،٥٢٤، وصححه الألباني] وقال: «لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض، إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب» [أحمد:٥/٤١١، وصححه محققو المسند].

فائدة: الطيرة شرك

قال الله تعالى عن قول الكفار لرسلهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ [يس:١٨] وقال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» [البخاري:٥٧٠٧، ومسلم:٢٢٢٠] فالتطير غير جائز، وهو من الشرك، وقد رد الله تعالى على أعداء الرسل لما تطيروا بهم، وذلك على لسان رسلهم: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۖ﴾ [يس:١٩] أي من عند أنفسكم، وقال الله تعالى عن قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١] وبين سبحانه أن طائرهم عنده، وقال عن أعداء

رسولنا محمد ﷺ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النساء:٧٨] وفي الحقيقة أن طائرهم ليس من نبينا محمد ﷺ، فكل من عند الله وبسبب أنفسهم ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران:١٦٥] وقال: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠] وقال: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج:١٠] قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النساء:٧٨] وقال: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١] فكفرهم وتكذيبهم الرسل والدين هو سبب شؤمهم، وهذا القدر والقضاء من عند الله تعالى، وكل إنسان ألزمه الله طائره في عنقه، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣] أي ما يطير له من الخير أو الشر والعمل وما كسبت يداه وقدمت، بسبب أفعالهم، ولو فقهوا ما تطيروا، وما جاء به الرسل كله خير، وليس شرًا حتى يتطيروا منه، «اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك» [أحمد:٢/ ٢٢٠].

فائدة: صور هجر القرآن

هجر القرآن يكون بهجر قراءته، وهجر سماعه، وهجر الإيمان به، وهجر تدبره، وهجر العمل به، وهجر تحكيمه والتحاكم إليه، وهجر تعليمه وتعلمه، وهجر الاستشفاء به من جميع الأمراض القلبية والبدنية، وهجر تحسين الصوت به، وهجر الوقوف عند حلاله وحرامه، وهجر اليقين بكل ما جاء به، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠] وقال: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩].

فائدة: أسباب النصر

أسباب النصر على الأعداء بينها الله تعالى في الآيتين الكريمتين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ○ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦] وهي:

أولًا: الثبات.

ثانيًا: ذكر الله كثيرًا.

ثالثًا: طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

رابعًا: عدم التنازع والاختلاف.

خامسًا: الصبر.

وإذا زالت أو زال بعضها تخلف النصر، حسب ما زال منها، وإذا اجتمعت حصل النصر الكامل، ولما كانت موجودة لدى صحابة رسول الله ﷺ نصرهم الله، ودانت لهم الأمم، وفتحوا الأمصار.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ○ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وما انهزم المسلمون في هذا الزمان إلا لعدم اتصافهم بهذه الصفات، والله المستعان.

فائدة: مآل الظالمين المكذبين

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤].

هل يستوي هؤلاء وهؤلاء؟ هل يستوي من يتقي بوجهه سوء

العذاب - لأن الله أضله - ومن أمِنَ من العذاب؟ - لأن الله هداه - والاستفهام للتقرير، فهو يطلب وقاية وجهه، فلا يجد ما يقيه له إلا وجهه، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف:٢٩] ومثل قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [محمد:١٤] وقوله: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر:٢٤] ولم يقل: ما كنتم تعملون، لأن خطابهم كان في حال اتقائهم سوء العذاب، ولا يخلو حال المعذب من التبرم من العذاب، فما ذاقوا جزاء ما اكتسبوه. ثم قال تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٢٥] أي أن هؤلاء المشركين سيأتيهم العذاب، كما أتى الذين من قبلهم، وهم غير مترقبين له ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٢٥] قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يونس:١٠٢] فقوم أتاهم العذاب من السماء بالصواعق، وقوم أتاهم من الجو مثل ريح عاد، وقوم أتاهم من تحتهم بالزلازل، وقوم بالخسف، مثل قوم لوط، وقوم أتاهم من الغرق بالماء، كقوم نوح وقوم فرعون، أما كفار قريش فقطعت رؤوسهم، مثل أبي جهل يوم بدر، وقتلوا وألقوا في البئر، قال الله تعالى عن قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ○ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٤،٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم:٣٣] لإفادة أن عذابهم على فعلهم في الآخرة، أما عذاب الدنيا فقد يصيب الله به بعض الظلمة زيادة خزي لهم بسبب تكذيبهم الرسل، والله أعد لهم في الآخرة عذابًا أشد وأنكى.

فائدة: المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف

«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير» [مسلم: ٢٦٦٤، وابن ماجة: ٧٩، ٤١٦٨، وأحمد: ٢/ ٣٧٠ والبيهقي: ١٠/ ٨٩] وقد نهى الله تعالى عن الهوان والخزي والضعف والخور والجبن، وأمر بالقوة والشدة على الكفار، والرحمة والذلة للمؤمنين، فقال عز من قائل: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] ونهى رسول الله عن العجز، فقال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز» [مسلم: ٢٦٦٤] وتعوذ من الجبن والكسل والعجز والبخل والحزن، وأثنى على الشجاعة والكرم والسخاء، وبين الله تعالى أن الفرار من الأعداء لا ينجي من الموت، فقال: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: ١٦].

فائدة: الله سبحانه طيب لايقبل إلا طيبا

الله سبحانه وتعالى طيب، ولا يقبل ولا يحب إلا الطيب من القول والعمل والصدقة، وسعادة العبد أن يكون طيبًا في كل أموره، في مأكله ومشربه وملبسه وقوله وعمله، فإن الله تعالى لا يحب الفاحش البذيء، ولا يحب الكذاب المغتاب ولا النمام، ولا يحب قول الزور، وقد أحل الطيبات، وحرم الخبائث، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وإذا اتفق الشرع والعقل والفطرة على شيء أنه طيب أحبه الله.

فائدة: الرد على أصحاب التثليث وغيرهم

العقل ينكر أن يكون إله غير الله تعالى في السموات والأرض، لأن وجود ذلك يفسدهما، لكون ذلك يوجب علو أحدهما على الآخر وتناقضهما، وذهاب كل منهما بما خلق، وكذا الفطرة التي فطر الله الناس عليها توجب وحدانيته في ملكه وعبادته، قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢] وقال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ○ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٩١،٩٢].

فائدة: لا أحد يجرأ أن يشفع عندالله إلا بإذنه

قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ○ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٨،١٩] في هذه دلالة على أن الظالمين ليس لهم صديق ومحب ينفعهم في الآخرة ﴿وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ فالشفيع إذا لم يطع فليس بشفيع، ولا يجرأ أحد أن يشفع عند الله إلا بإذنه تعالى، ولا يشفع عنده إلا من يطاع بشيء ما، فهو سبحانه يعلم خائنة الأعين، فمن اؤتمن في شيء فنقض العهد كالنظر الحرام، ومسارقة الرؤية لشيء ممنوع، أو الاستهزاء بما يسوء المنظور إليه، فهذه الخيانة يعلمها الله، قال النبي ﷺ: «لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين» [أبو داود:٤٣٥٩ والنسائي:٤٠٦٧ وصححه الألباني] كما أنه تعالى يعلم النوايا والعزائم وما في الضمير وما توسوس به النفوس، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

فائدة: التمحيص

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩] وقيل: (فبضدها تتبين الأشياء) ولابد من الابتلاء والامتحان حتى يتبين الخبيث من الطيب، والخير من الشر، فقد خلق الله عدوه إبليس لحكمة إظهار أهل الحق، وبيان أهل الباطل، فلولا الليل لم يظهر النهار ونوره، ولولا الألم لم تعرف اللذة، ولولا المرض لم تعرف العافية، ولولا القبح لم يظهر الجمال، فعذاب النار - نعوذ بالله منه - هو الذي ميز نعيم الجنة وأهلها، ولو كانت الكواكب كلها شموسًا وأقمارًا لم تظهر مزية الشمس والقمر، وما خلق الله من شيء إلا لحكمة بالغة، عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها، فهو الحكيم العليم.

فائدة: رفع الدرجات بالعلم والإيمان

يرتفع بعض الناس على بعض درجات بالعلم والإيمان، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال:٤] وقال: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه:٧٥] وقال: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ○ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ [النساء:٩٥،٩٦].

فائدة: العربية أشرف اللغات وأفصحها

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت:٤٤] القرآن نزل باللغة العربية الفصحى، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ○ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا

عَرَبِيًّا﴾ [فصلت:٢،٣] ولو أن الله تعالى أنزله بلغة غير العربية لقال المشركون لا نفهم هذه اللغة، لماذا لم ينزل القرآن بلغتنا العربية حتى ندرك معانيه؟ ثم كيف ينزل بلغة أعجمية ومحمد عربي؟ كما أننا لو نزلناه بلغة العرب على أعجمي لحصل مثل ذلك، ولما آمنوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ○ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١٩٨،١٩٩] وفي هذه الآية دليل على أن الرسول محمدًا ﷺ عربي، وأن القرآن الكريم للعرب والعجم، ولكن اختيرت العربية، لأن الرسول محمدًا ﷺ أفضل الخلق عربي، وقومه عرب، ولغتهم عربية، ولو نزل القرآن بعدة لغات مختلفة لفاتت معجزة البلاغة الخاصة بالعربية، فهي أشرف اللغات وأزكاها وأعلاها وأفصحها، معانيها واضحة كثيرة الألفاظ منوعة الأساليب، وهي لغة أهل الجنة، ولما للعرب من صفات القدرة على التعبير الذي لا تستطيعه أمة غير العرب، إلا إذا تعلموا العربية واستخدموها، فالنقص في لغتهم، وليس فيهم، فقد يتفوق منهم من عرف اللغة العربية، كما تفوق العلماء الذين أصلهم من العجم كسيبويه وغيره من فطاحلة اللغة العربية، واللغة العربية أقدر على دعوة الأمم الأخرى من غيرها، يشهد لذلك آثار العرب وشعرهم وأدبهم وبيانهم، ولو تفوقت بعض الأمم بجوانب أخرى، فلن يستطيعوا أن يتفوقوا في البيان والفصاحة والتعبير والأساليب، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥] فاللسان العربي ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر:٢٨] أما الألسنة الأخرى ففيها من العوج ما يعرفه من يعرف اللغات، وفيها من العجز عن البيان عن الأشياء الكثير، ولهذا لما أراد العلماء تفسير ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ

لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧] لم يجدوا ما يترجمون به كلمة (لباس) في اللغات غير العربية، فقال بعضهم: (سروال)، والله أعلم.

فائدة: وجوب الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] فأمر بالصلاة والسلام عليه، وصلى الله عليه وملائكته، أما الأنبياء فسلم الله عليهم، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٧٩] وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات:١٠٩] وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات:١٢٠] وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠].

فائدة: مراحل الخلق

قال تعالى: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقًا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ﴾ [الزمر:٦] الظلمات هي: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، فهذه ظلمات على الجنين، وقيل: هي ظلمة أصلاب الآباء، وظلمة بطون الأمهات، وظلمة المشيمة.

فائدة: توعد الشيطان واقسامه بإغواء بني آدم

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦، ١٧] لم يقل: من فوقهم، قال ابن عباس: (لأنه يعلم أن الله من فوقهم) وقال الشعبي: (لأن الله تعالى أنزل الرحمة عليهم من فوقهم) وقال قتادة: (أتاك الشيطان يابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله، ولم يقل: من تحتهم، لعدم قدرته على ذلك ولو أمكن لفعل)

وقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦] أي دينك الحق، وهو الإسلام والقرآن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧] أي من قِبَل الدنيا، وأُشَكِّكهم في الآخرة والجنة والنار والبعث، وقال مجاهد: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من حيث يبصرون ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ قال مجاهد أيضًا: من حيث لا يبصرون ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أُشَبِّه عليهم أمر دينهم، وعنه أيضًا من قبل حسناتهم ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ آمرهم بالسيئات.

فالشيطان يغويهم من جميع الجهات الأربع، فهو يوسوس ويسول بصوته وخيله ورجله، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:٦٤] نعوذ بالله منه.

فائدة: الهداية إلى الصراط المستقيم

الهداية إلى الصراط المستقيم مطلب لكل مسلم، يقول في صلاته: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] وكل هداية فوقها هداية، حتى الأنبياء يسألون الله تعالى أن يهديهم الصراط المستقيم، فإذا آمن المرء اهتدى مجملًا، ثم يهتدي تفصيلًا، فالهداية لا نهاية لها، فكل هداية فوقها هداية أعلى منها إلى مالا نهاية، وكلما فوّت حظًّا من الهداية فاته جزء منها، قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة:١٥، ١٦]وقال: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ﭐلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ [يونس:٩] وقال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ [مريم:٧٦].

فائدة: الصحة نعمة عظيمة

المحافظة على الصحة مطلب من مطالب الشرع، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ [الأعراف:٣١] وقال: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعراف:٣٢] فالصحة من نعم الله العظيمة، قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» [البخاري:٦٤١٢] وقال ﷺ: «من أصبح معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا» [الترمذي:٢٣٤٦، وابن ماجه:٤١٤١، وحسنه الألباني] وقال ﷺ: «يا عباس ياعم رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة» [الترمذي:٣٥١٤، وصححه الألباني] وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سلوا الله المعافاة، فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرًا من المعافاة» [الترمذي:٣٨٤٩، وأحمد ١/ ٨ وصححه الألباني] وروى مثله أبو هريرة رضي الله عنه: «سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة، فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خيرًا من العافية» [الحاكم ١/ ٥٢٩، والبغوي في شرح السنة:٥/ ١٧٨، قال الألباني في (مشكاة المصابيح:٢٤٨٩): رواه أحمد وإسناده صحيح].

فائدة: عصمة الله وحفظه للقرآن الكريم من التحريف

كما اختلف الناس في دين الإسلام، فمنهم من آمن به، ومنهم من صد عنه، كذلك اختلفوا في أديان الأمم السالفة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ﴾ [هود:١١٠] وقال:

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [البقرة:٢١٣] وقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البينة:٤] وقال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ﴾ [البقرة:٢٥٣] وكان الاختلاف في الكتب السابقة كالتوراة أكثر من الاختلاف لدى أمة محمد ﷺ، لأن الاختلاف لديهم على نوعين، اختلاف فيها بين مؤمن وكافر، فقد كفر بدعوة موسى عليه السلام مثلًا فرعون وقومه وبعض بني إسرائيل مثل قارون وعبدة العجل، كما اختلفوا في أحكام التوراة ونصوصها، وعطلوا الكثير مما فيها. أما القرآن الكريم فقد عصمه الله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] وفي هذا تسلية للرسول محمد ﷺ.

فائدة: امتحان لاينجح فيه إلا القليل

المؤمن العاقل كلما زاده الله علمًا زاد في التواضع، وكلما زاده في العمل زاد من الخوف، وكلما زاده في العمر زاد من القناعة، وكلما زاده في الجاه زاده في قضاء حوائج الناس، وكلما زاده الله من الرزق زاد في السخاء والبذل والصدقات.

ومن علامات الشقاوة أن يزداد كبرًا إذا تعلم، ويزداد فخرًا إذا عمل، ويزداد حرصًا إذا طال عمره، ويزداد بخلًا إذا كثر ماله، وهذه الأمور امتحان من الله لا ينجح فيها إلا القليل، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ○ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ○ كَلَّاۖ﴾ [الفجر:١٥-١٧].

فائدة: الأنعام أعقل لما ينفعها من الكفار

قال الله تعالى عن الكفار: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ

سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤] وقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ [الفرقان:٤٤] وقال: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠] وقال: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨].

فالأنعام لم يخلق الله لها قلوبًا ولا ألسنةً، وهم لهم قلوب لا يعقلون بها، ولهم ألسنة وأسماع وأبصار لا يهتدون بها إلى الطريق السوي، ولا ينتفعون بها، وقد قامت عليهم الحجة، والبهيمة يهديها سائقها إلى الطريق فتهتدي إليه، أما هم فيهدون إلى الطريق ولا يستجيبون.

والأنعام تفرق بين ما يضرها من النبات وغيره فتجتنبه، وهم لا يفرقون، فهم في الحقيقة أضل من الأنعام.

فائدة: اغتنام الفرص للقرب من الله

العاقل إذا أتيحت له فرصة العمل لِما يقربه إلى الله ينتهزها، فربما لا ترجع هذه الفرصة، ولا يتمكن من العمل بعد فواتها، وإذا ترك الإنسان هذه الفرصة يعاقب على تركها، وهذه الفرص تأتي وتذهب، فالحزم انتهازها والمبادرة إليها، والعجز إضاعتها وتسويفها، قال الشاعر:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته
حتى إذا فات أمرٌ عاتب القدرا

ومن فتح له باب من الخير فلم ينتهزه، ولم يجب لله ورسوله ﷺ إذا دعاه، حيل بينه وبين قلبه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ

بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤] والقلوب تتقلب خاصة إذا أذنب الإنسان وأضاع فرص العمل، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] وإذا زاغ أزاغ الله قلبه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

فائدة: مصير المنافقين

قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] وقال: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

وهم أشد كفرًا وعداوةً للمؤمنين، فقد اشتركوا مع الكفار في الكفر وزادوا عليهم بالكذب والنفاق، فهم أحق بالعداوة وأشد ضررًا على الإسلام والمسلمين، وهم أشقى الأشقياء، وأخبث الناس قلوبًا، فقد طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، وقال عنهم: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] وقال: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] ومن صفاتهم أن مناظرهم جميلة، وصورهم زاهية، وأموالهم كثيرة ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤] وكان رأسهم وزعيمهم عبدالله بن أُبي ابن سلول الذي قال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

فائدة: من أضرار الذنوب

من أضرار الذنوب حرمان العبد من دعوة رسول الله ﷺ ودعوة الملائكة، فقد أمر الله رسوله ﷺ أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وقال عن الملائكة: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [غافر:٧-٩] والعقوبة قد تتأخر، ولكن أثر الذنب يكون بالتدريج كالسموم، فإذا تاب العبد من الذنب تاب الله عليه، وإن لم يتب حصلت له المضرة في الدنيا والآخرة، أو يؤخر عقابه في الآخرة، والكيس من تدارك نفسه بالإقلاع عن الذنوب، والتوبة النصوح قبل فوات الأوان، وقبل أن يفاجئه الأجل المحتوم.

فائدة: الشيطان قرين المعرض عن ذكر الله

للشياطين سلطان على الذين لا يذكرون الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦] وقال: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت:٢٥] والذي يتولى الشيطان يكون له سلطان عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١٠٠] وليس له سلطان على عباد الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر:٤٢] وهو على الكافرين أشد، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم:٨٣] كما أن الشياطين من الجن توسوس في صدور الناس، قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٤، ٥] فكذا شياطين الإنس، قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٦] وقال: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

فائدة: الغفلة تسبب فوات أمور مهمة

الغفلة والنسيان تسببان للمرء فوات أمور مهمة، والذكر نعيم الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف:٢٨] ومن حرم الذكر فاته منفعة العلم والعزيمة والإيمان، وحرم خيرًا كثيرًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩] ومن رزق العلم والعمل فهو بخير المنازل، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ [الأنعام:١٢٢] ومن حرم العلم والعمل فهو بشر المنازل، قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤] وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [النمل:٨٠] وقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧] ومن أعطي العلم دون العمل مثله الله تعالى بالحمار يحمل أسفارًا، فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ﴾ [الجمعة:٥] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ﴾ [المنافقون:٤] أما من رزق العمل دون العلم، فإن صلح عمله صار مع العلماء والدعاة إلى الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ○ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٦٩،٧٠] ومن أراد الرفعة في الدين، والمكانة السامقة عند الله، والفوز عند لقائه فعليه

بالعلم والعمل، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ○ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ○ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣] وأكثر الناس ليسوا مؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] وقال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠] وقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١١٦] وتكون الرفعة عند الله بالعلم والإيمان والعمل، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة:١١].

فائدة: أهل الأهواء والضلال يتركون المحكم ويتبعون المتشابه

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران:٧] من حكمة الله أن جعل من القرآن متشابهًا يتبعه الذين في قلوبهم مرض، ويتركون المحكم، وهذا بداية الضلال ونهايته، نسأل الله العافية، ومن المتبعين للمتشابه المتأولين التاركين للمحكم والمتبعين للهوى والشبهات: الفلاسفة والقرامطة والإسماعيلية والباطنية والنصيرية والروافض والحلولية والاتحادية وأهل الجدل والكلام والخوارج والمعتزلة والأشعرية والصوفية، قال رسول الله ﷺ «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» [أبو داود:٤٥٩٦، والترمذي:٢٦٤٠، وأحمد:٢/ ٣٣٢، ٤/ ١٠٢، ٣/ ١٢٠، وابن أبي عاصم:٦٧، وأبو يعلى:٥٩١٠، ٥٩٧٨، ٦١١٧، وابن حبان: ٦٢٤٧، ٦٧٣١، والحاكم:١/ ١٢٨، والبيهقي:١٠/ ٢٠٨، وابن ماجة:٣٩٩١، قال الألباني: حسن صحيح] وجاء في عصرنا أمثالهم ممن لم يتبع المنهج

السلفي السليم من الحزبيين والعقلانيين والمخرفين والطرقيين وأمثالهم.

فائدة: عبادة الله تورث العزة ومعصية الله تورث الذلة

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

العزة صفة من صفات المؤمنين، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، والعبادة لله تعالى تورث العزة في قلوب المؤمنين، والمعصية تورث الذلة والمهانة والضعف، كان إبراهيم بن أدهم يقول في دعائه: اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك [البيهقي:٥/ ٤٥١، رقم:٧٢٤٦] قال جعفر بن محمد: من أخرجه الله من ذل المعصية إلى عز التقوى أغناه الله بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس [البيهقي في شعب الإيمان:٥/ ٤٥٠، رقم:٧٢٤١].

ومهما كان مال الإنسان وسلطانه وعشيرته وهو مقيم على المعاصي فإن الذلة لا تفارقه، وإن ظهر أمام الناس متبخترًا متكبرًا فهو في ذل المعصية في خوف وضعف، ولهذا تجد المؤمن المطيع لله تعالى له من الهيبة والعزة والاحترام ما يرعبه أعداء الإسلام، قال ﷺ: «نُصرت بالرعب مسيرة شهر» [البخاري:٢٣٥، ومسلم:٥٢١ وغيرهما] وقد أعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فائدة: المشرك ما قدر الله حق قدره

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

فمن أشرك به أو نفى صفاته وأسمائه، أو جعله حالًا في كل

مكان وفيها الأمكنة القذرة، أو جعل له صاحبةً أو ولدًا، ومن سب صحابة رسول الله ﷺ، ومن قال: إنه يعذب أولياءه ومن لم يعصه، ومن أهان أمره ونهيه، ومن يخشى الناس ولا يخشى الله، ومن عبد المسيح وأمه، ومن خالف الكتاب والسنة، ولم يحكم الشرع في جميع أموره، كل هؤلاء وأمثالهم لم يقدروا الله حق قدره. سُئل رسول الله ﷺ: أين الناس يوم يقبض الله الأرض والسموات بيمينه؟ فقال: «على جسر جهنم» [الترمذي:٣٢٤١ وغيره، وقال الألباني: صحيح الإسناد] فتعالى الله وتقدس أن يشرع لعبادة إلٰهًا غيره، وأن يناقض أوصافه وكماله وجلاله، فله الكمال والجلال والعظمة والكبرياء، سبحانه وتعالى عما يشركون.

فائدة: الشوق إلى لقاء الله

الشوق إلى لقاء الله من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة من أسعد مطالب العبد المؤمن، فبها حياته الطيبة وسعادته وملاك أمره وفلاحه ونعيمه وقرة عينه ورغبته وإرادته، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح:٨] وقال: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩] فالمؤمن راغب في الله، وراغب فيما عنده، ومن كانت رغبته في الله تعالى وفيما عنده تولاه ربه وكفاه، ودفع عنه الشرور، ووقاه من الآثام، وصانه وأحبه، يحب الله ويحب ما يقربه إليه، ويرغب بلقاءه والنظر إلى وجهه الكريم، ولا يتحقق ذلك إلا بالإيمان والعلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] ومن نسي الله الذي أحسن إليه، وخلقه من العدم، وسقاه وأطعمه وكساه وآواه، أنساه الله نفسه ونسيه، قال تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧] وقال: ﴿وَلَا

تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر:١٩].

فائدة: صفات عباد الرحمن

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان:٦٣] وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩] في الآية الأولى بين الله تعالى أن عباد الرحمن يبتعدون عن عثرات المشي وعثرات اللسان، وفي الآية الثانية بين تعالى أنه يعلم عن لحظات الأعين وخطرات القلوب.

فعباد الرحمن غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين، وإنما هم أصحاب وقار وعفة وحلم ورفق ولين ومشي على الأرض بالهون وعدم سفه، وليس لديهم خيانة في الأعين، ولا نوايا سيئة، فهم سليمو القلوب من كل الشرور، في سكينة ووقار وسمت، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان:٦٧] وقال: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١] وقال: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء:٢٩].

فائدة: أدب الخليل عليه السلام مع ربه

نَسَبَ إبراهيم عليه السلام المرض والخطيئة إلى نفسه، ونسب الخلق والإطعام والسقيا والشفاء والموت والحياة والمغفرة إلى ربه، في قوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ○ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ○ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ○ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ○ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٨-٨٢] وهذا من أدب إبراهيم عليه

السلام وفقهه.

فائدة: هداية الله لجميع الخلق

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأنزل علينا الكتاب هدايةً للناس، وأعطى كل شيء خلقه، ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال، وهدى الحيوانات إلى جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها، وهدى الجمادات هداية تليق بها، وهدى الرجلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والعين للرؤية، وهدى الزوجين للتناسل وتربية الأولاد، وهدى الولد إلى التقام الثدي عند وضعه وطلبه، وهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون، وجعلها تسلك سبل ربها ذللًا، ثم تأوي إلى بيوتها، وهداها إلى طاعة رئيسها والائتمام بأمره، وهداها إلى بناء بيوتها، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥] وقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨] وهدى الناس للبيان، وهدى الحيوانات والطيور وغيرها للتسبيح ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤] وهدى من شاء إلى صراط مستقيم ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧] وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] وقال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل:٩٣] وقال: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل:٣٧] وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس:٩] وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣] وقال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ○ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٦،٧] وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ○ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ○ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى:١-٣] وقال: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ○ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٢،٢٣] ولا تحصل الهداية إلا بالعلم والإرادة على العمل والقيام به وسؤال الله الهداية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧] وقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم:٧٦] وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٧] وقال: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨] وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ○ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٥،١٦].

فائدة: الأخذ بالاسباب والإستعانة بالله

الواجب على المسلم أن يعمل الأسباب التي توصله إلى ما ينفعه في دينه ودنياه، ولا يتركها محتجًا بأنه سبق القدر، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ○ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ○ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ○ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠] وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ○ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٧،٨] وقال رسول الله ﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز» [مسلم:٢٦٦٤] وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد

فأتانا رسول الله ﷺ ومعه مَخْصَرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، وما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقيةً أو سعيدة» فقال رجل يارسول الله: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة، فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: «أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسَّرون لعمل أهل الشقاء» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ○ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾» [البخاري:٤٩٤٨، ومسلم:٢٦٤٧] قالوا :أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» [البخاري:٤٩٤٩]

وعن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يارسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير؟ أم فيما يستقبل؟ قال: «لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير» قال ففيم العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر» [مسلم:٢٦٤٨] وفي الصحيحين: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» [البخاري:٤٩٤٩، ومسلم:٢٦٤٧]وفي رواية أحمد:«من كان الله عز وجل خلقه لواحدة من المنزلتين هيأه لعملها، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ○ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٧،٨]» [مسلم:٢٦٥٠، وأحمد:٤/ ٤٣٨] وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: نزل ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود:١٠٥] فقال عمر: يانبي الله فعلى ما نعمل على شيء قد فرغ منه؟ أو على شيء لم يفرغ منه؟ قال: «بل على شيء قد

فُرغ منه، وجرت به الأقلام ياعمر، ولكن كل ميسر لما خلق له» [الترمذي:٣١١١، وصححه الألباني] فالقدر السابق لا يمنع العمل، ولا يجري إلا بالأسباب، فإذا أتى الإنسان بالسبب أوصله الله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، فلا يأتي الولد إلا بالزواج، ولا الرزق إلا بعمل أسبابه، ولا استغلال الأرض إلا بالزراعة، وأمثال ذلك كثير.

فائدة: توبيخ للكفار وتعجب من فعلهم

قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [فصلت:٩].

هذا توبيخ لمن كفر بالله، أو جعل له أندادًا، وإنكار عليهم، وتعجب من فعلهم وغباوتهم، كيف يكفر برب العالمين العظيم المتعال الذي خلق الأرض في يومين، وبدأ بالأرض، لأن آثارها ظاهرة للعيان، وفي متناول الإنسان، فما أقبح كفرهم بخالقهم وخالق الأرض، وما أشنعه، ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:١٠] والرواسي هي الجبال الثوابت، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء:٣١] وجعل في الأرض بركةً وخيرًا كثيرًا ومنافع للناس، ورزقًا للإنسان والماشية، وفيها التراب والحجارة والمعادن، وكلها بركات، وقدر فيها أقواتها من الحبوب والكلأ والنوى والكمأة والحرارة والبرودة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣] وقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح:١٧] وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل:٨١] وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ [النحل:٨٠] فللدواب أقوات خاصة بها، وللطير

والزواحف والوحوش والحشرات مثل ذلك، وجعل للإنسان المكرم ما في الأرض جميعًا، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩] وهذا الخلق في يومين، فصار المجموع أربعة أيام، وخلق السموات في يومين، فصارت المدة ستة أيام كاملة، لا زيادة فيها ولا نقص ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:١٠].

فائدة: دلائل توحيد الله لأولي العقول

التفكر في خلق السموات والأرض، وفي آيات الله من أعظم العبادات التي تحيي القلوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:١٩٠] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٣٢] وقال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ:١٢] وقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ○ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات:٢٧،٢٨] وقال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ○ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:٣،٤] فسبحان من رفعها بغير عمد نراها، وسبحان من زينها بالكواكب، وسبحان من جعل هذه الكواكب تسبح فيها ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

فائدة: الوضوء والغسل يحط الله بهما الأوزار

الوضوء والغسل من الجنابة يحط الله بهما الأوزار والذنوب، ويرفع بهما الدرجات، وسبب في دخول جنات النعيم التي يدخلها المطهرون، والله تعالى لا يريد الحرج على الناس، وإنما هذا لمصلحتهم، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].

فائدة: لا يأمن مكر الله إلا الخاسرون

المؤمن يخاف أن يخذله ربه بذنوبه وخطاياه، ويرجو رحمته، ولا يأمن من مكره، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾ [الأعراف:٩٩] فالذي يعصي الله ويأمن من مكره، قال الله تعالى عنه: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩] فالمؤمن الحق يخاف من مكره أن يؤخر عنه عذاب أفعاله السيئة فيحصل منه نوع اغترار، فيأنس بالذنوب فيأتيه عذابه على غرة، أو يختم له بخاتمة سيئة، نسأل الله العافية، أو يحصل له اغترار وأنس بذنوبه، أو يفتن بأنواع الفتن، أو يمتحنه بما لا يطيقه ولا يصبر عليه، فهو يرجو رحمته ويخشى عذابه، نسأل الله تعالى أن يعيذنا من الفتن، ويحسن لنا الخاتمة.

فائدة: تعظيم حرمات الله

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الحج:٣٠] وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢] أي يجتنب حرمات الله من المعاصي والمحظورات، ويعظم مكة والحج والعمرة، فهو خير له عند ربه، ويعظم شعائره سبحانه بأن يهدي إلى مكة الهدايا والبدن، ويستسمنها ويستحسنها ويستعظمها، فإنها من تقوى القلوب.

فائدة: فرضية الحج وفضله

فرض الحج في أواخر عام تسع من الهجرة، حيث نزلت الآية الكريمة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران:٩٧] قال علي رضي الله عنه إن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر [تفسير الطبري:١٦٤٢٠] وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ وقف يوم

النحر بين الجمرات فقال: «أي يوم هذا؟» قالوا: يوم النحر، فقال: «هذا يوم الحج الأكبر» [أبو داود:١٩٤٥، ابن ماجة:٣٠٨٥ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأصله في الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه: البخاري:٤٤٠٦، ومسلم:١٦٧٩] ولما نزلت الآية: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [التوبة:٣] أذن المؤذن بهذه البراءة يوم النحر، وهو خير الأيام، لما رواه أهل السنن: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر» [أبو داود:١٧٦٥، واللفظ له وأحمد:٤/ ٣٥٠، والحاكم:٤/ ٢٢١، وصححه الألباني] وقيل: يوم عرفة، لأن صيامه يكفر سنتين، ويعتق الله فيه الرقاب أكثر من غيره، ويدنو من عباده، ويباهي بهم الملائكة، والأول أقرب للصواب، لأن أبا بكر وعليًّا رضي الله عنهما أذنا بذلك يوم النحر، لأن فيه ذبح القرابين، وحلق الرؤوس، ورمي الجمرات، والطواف، وهذه معظم أفعال الحج، ويوم عرفة كالطهور والاغتسال قبل يوم النحر، وأفضل الليالي ليالي العشر التي أقسم الله بها ﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾ [الفجر:٢] ومنها ليلة النحر، وهو العاشر، ويستحب فيها التكبير والتهليل والتحميد، أما الشهور فأفضلها شهر رمضان، وأفضل لياليه ليالي العشر الأخيرة منه وأفضل ليلة هي ليلة القدر، وأفضل الأيام أيام عشر ذي الحجة، لأن فيها يوم النحر ويوم عرفة ويوم التروية، وفضلت ليلة القدر لنزول القرآن بها، وأفضل أيام الأسبوع يوم الجمعة، فهو «خير يوم طلعت فيه الشمس» [مسلم:٨٥٤، أبو داود:١٠٤٦، والترمذي:٤٩١، وأحمد:٢/ ٤٨٦، والبغوي في شرح السنة:١٠٥٠، والحاكم:١/ ٢٧٨،٢٧٩، وعبدالرزاق: ٥٥٨٣ وابن ماجة:١١٣٩، وابن حبان:٢٧٧٢] ويوم عرفه لا يصومه الحاج

ليتفرغ للدعاء، وفي السنن «يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب» [أبو داود: ٢٤١٩، والترمذي: ٧٧٣، والنسائي: ٣٠٠٤، وصححه الألباني] أي لأهل عرفة، وفي يوم عرفة أكمل الله الدين، حيث نزلت الآية الكريمة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ويوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرًا إلا أعطاه، وفيه يوم المزيد حيث يرى أهل الجنة ربهم، فيكون أسرعهم موافاة له، أعجلهم رواحًا إلى المسجد، وأقربهم منه، أقربهم من الإمام، نسأل الله من فضله.

فائدة: يساق الكفار إلى جهنم ويساق المتقون إلى الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] وقال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] قال الله تعالى: ﴿زمرًا﴾ أي أفواجًا يتبعه أفواج لاختلاف درجاتهم، وقال في أهل النار: ﴿فتحت﴾ بدون واو، وقال في أهل الجنة: ﴿وفتحت﴾ بالواو، ففي أهل النار تفتح الأبواب بعد مجيئهم لتفاجؤهم وترعبهم، أما أهل الجنة فيجدون الأبواب مفتوحة أمامهم لكرامتهم، وتقول لهم الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] أما أهل النار فتقول لهم الملائكة: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢] نسأل الله بوجهه الكريم الجنة، ونعوذ به من النار.

فائدة: الأمر بالاستعاذة من الشيطان

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦] النزغ من الشيطان قوة تتصل بخواطر الإنسان، تأمره بالشر، وتصرفه عن الخير، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١] وقد أُمِرَ الرسول ﷺ - وتتبعه في ذلك أمته - إذا سول الشيطان أمرًا وحسَّن السيئة، أو صرف عن الحسنة، بأن يستعيذ المسلم بالله تعالى ليخلصه منه، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان لَمَّةً بابن آدم، وللملك لَمَّةً، فأما لمَّة الشيطان فإيعادٌ بالشر، وتكذيب للحق، وأما لمَّة الملك فإيعادٌ بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان» [الترمذي:٢٩٨٨، وصححه الألباني] وقال ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» [مسلم:٢٧٠٢، وأبو داود:١٥١٥].

ومن طرق إبعاد الشيطان: الذكر والتقرب إلى الله بالنوافل، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» [البخاري:٦٥٠٢].

فائدة: من حكمة الله التيسير على عباده

أمر الله تعالى أول الأمر بخمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خفف الأمر إلى خمس صلوات، وحرم الأكل إذا صام الصائم، وحرم الجماع، ثم أباحه بعد الإفطار إلى الفجر، وأوجب الله الصدقة بين مناجاة الرسول ﷺ ثم نسخها، وكان الاعتداد حولًا، ثم حول ذلك إلى أربعة أشهر وعشرًا، كما أوجب قيام الليل ثم خفف إلى سنة، وهذا وأمثاله من حكمة الله تعالى وتيسيره على عباده، ولأجل تلقي الرضا من عباده، ومعرفة منته عليهم، ورحمته ورأفته بهم، ولليسر الذي يعقب العسر، ولتوطين النفوس على العزم والامتثال، ثم يأتي التيسير والتخفيف، قال الله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الأنفال:٦٦] فالحمد لله رب العالمين الذي أعقب العسر يسرين، فقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ○ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥،٦].

فائدة: الاستطراد اسلوب من أساليب القرآن الكريم

الاستطراد من أساليب القرآن الكريم، مثاله قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩] ثم استطرد قائلًا: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ○ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ○ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ○ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف:١٠-١٣].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ○

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢، ١٣] فالأول آدم عليه السلام والثاني بنوه، ومثله قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ○ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ○ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ○ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٤٩-٥٢] هذا جواب موسى عليه السلام، ثم استطرد الكلام بكلام الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ○ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ○ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٣-٥٥].

فائدة: تواصي أعداء الإسلام بالصد عن دين الله

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦] أعداء الدعوة الإسلامية يبذلون جهدهم في إبعاد الناس عن سماع الحق، فكان المشركون في عهد رسول الله ﷺ يقولون لبعضهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦] ومن قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت:٥] وقال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح:٧] فهم يخافون من بلاغة القرآن، ويخافون من وضوح الحق وبطلان اعتقادهم، ويمنعون الناس عن استماع الحق، وهكذا دعاة الضلالة يَكُمُّون أفواه الناطقين بالحق، ويخوفونهم، لأنهم يعرفون أن حجة أهل الحق واضحة تقبلها نفوس الذين يبحثون عن الحق، ومن أساليبهم في عصر الرسول ﷺ اللغو عند قراءة القرآن ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت:٢٦] وفي عصرنا يأتون بلغو الكلام وزخرفه، قال تعالى: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ

غُرُورًاۚ﴾ [الأنعام:١١٢] والجعجعة والإذاعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ [النساء:٨٣] وما أكثر كلامهم في القنوات والإذاعات والصحف والمجلات وغيرها، وما أكثر لغوهم ليبطلوا به الحق ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۘ﴾ [البقرة:١١٨] قال ابن عباس رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته، فكان أبو جهل وغيره يطردون الناس عنه، يقولون لهم: لا تسمعوا لهذا والغوا فيه، فكانوا يأتون بالمكاء والصفير والصياح وإنشاد الشعر والأراجيز وما يحضرهم من الأقوال التي يصخبون بها) [تفسير ابن أبي حاتم:١٨٤٥٨] وورد أنهم قالوا لما استمعوا إلى قراءة أبي بكر رضي الله عنه وكان رقيق القراءة: (إنا نخاف أن يفتن أبناءنا ونساءنا) [البخاري:٣٩٠٥] وهم بذلك يظنون أنهم يغلبون محمدًا ﷺ بصرف الناس عنه، وكانوا يوظفون قصاصًا يقصون على الناس ما يشغلهم عن استماع القرآن، والجلوس عند رسول الله ﷺ.

فائدة: مقتطفات من سورة البروج

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج:١-٣] أقسم الله تعالى بالسماء ومنازل الشمس والقمر والنجوم وباليوم الموعود، وهو يوم القيامة الذي لا شك في وقوعه، وأقسم بالشاهد والمشهود، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة:٣٨، ٣٩] بما يُرى من مخلوقاته وما لا يُرى، وبالمدرك لنا وبغيره، وبالمعلوم لنا وغيره، فالبروج أعظم الأمكنة وأوسعها، ويوم القيامة أعظم الأيام وأجلها، فهو مجمع أوليائه وأعدائه ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج:٤] الذين عذبوا المؤمنين بالنار التي أوقدوها

بالأخاديد، وهم شهود على ما يفعلون، والملائكة شهود، والله فوق ذلك شاهد ومطلع ورقيب على فعلهم الشنيع وفتنتهم العظمى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠] قال الحسن: (انظروا إلى كرم الله وجوده، يقتلون أولياءه ويفتنونهم، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة) وفي الآيات من هذه السورة بعض صفات الله: الودود، يود عباده المؤمنين، ويتودد إليهم بنعمه، ويود من تاب وأقبل عليه، حبيب محبوب يوده أولياءه ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] وهو الغفور، يغفر لمن أساء إليه ولمن تاب، ويرحمه، ولو كان منه ما كان، مجيد كثير صفات الكمال واسع المجد والخير، دائم العطاء والإحسان، وهو الحميد، أهل للثناء والحمد، مستحق لجميع صفات الحمد، ذو العرش المجيد، فعرشه عظيم واسع حسن بهي المنظر، فهو أوسع المخلوقات وأجملها وأحسنها وأبهاها، آخذ حسنه وجماله من ربه تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور:٣٥] فالسموات السبع والأرضون السبع في الكرسي كحلقة في فلاة، والكرسي بالنسبة للعرش كذلك، وهو سبحانه عزيز قادر قوي، ليس له نظير ولا شبيه، كامل الأوصاف، محيط بصره بجميع المرئيات، وسمعه بالمسموعات، وعلمه بالمعلومات، كامل القوة والعزة والقدرة ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢] بطشه شديد، يتصرف في مخلوقاته بالإبداء والإعادة، وهي منقادة لقدرته، لا يستعصي عليه شيء، وهو غفور لكمال جوده وإحسانه ورحمته، يعاقب من أشرك وكذب ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج:٢٠] آخذ بنواصيهم وقادر عليهم، وقرآنه مجيد كريم، ليس

شعرًا ولا كهانةً ولا سحرًا ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج:٢٢] من الزيادة والنقص والتبديل، لا يتغير أبدًا.

فائدة: أظلم الناس من أعرض عن آيات الله

قال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ﴾ [الكهف:٥٧] فالذي ينسى ما قدم من أعمال السوء ظالم لنفسه، أما الذي يتذكر ذلك ويستغفر ويتوب ويندم ويدعو الله ويعمل الصالحات، فإنه طيب وتمحى عنه السيئات، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾ [الزمر:٧٣] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل:٣٢] فالتمحيص ورفع الدرجات ومحو السيئات يكون في الدنيا بالتوبة والاستغفار وعمل الحسنات ووقوع المصائب المكفرة، وفي البرزخ: بصلاة الناس على الجنازة واستغفارهم له وفي فتنة القبر، وفي ما يهدى له من أولاده وإخوانه من هدايا الأعمال الطيبة والصدقات الجارية والحج والدعاء، وفي آثاره الحسنة التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ [يس:١٢] كالمساجد والآبار والكتب وأعمال الخير التي عملها في حياته، أو وصيته، وفيما يخلفه بعده، قال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [مسلم:١٦٣١] أما في يوم القيامة فيكون التمحيص بأهوالها وشدة الموقف وشفاعة الشفعاء وعفو الله تعالى، فإن عجزت هذه كلها عن طهرته وتمحيصه يطهر في النار حتى يكون طيبًا، ويتمحص من خبثه، فالجنة لايدخلها إلا من طاب وتزكى، وبالله التوفيق.

فائدة: لاتتم الشهادة إلا بأن محمدا رسول الله ﷺ

قال تعالى في سورة الشرح: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤] رفع الله ذكر نبينا محمد ﷺ في الدنيا والآخرة، فإذا ذكر الله ذكر الرسول ﷺ، ولا تتم الشهادة إلا بشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ بعد شهادة أن لا إله إلا الله، وكل خطبة لا يصلى فيها على النبي ﷺ فهي كاليد الجزماء، يذكر في الأذان على المآذن، وتشرع الصلاة عليه في خطبة الجمعة وفي خطبة النكاح ويوم الجمعة وغيره، ومن صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا.

فائدة: وسطية الاسلام بين الأديان

الإسلام وسط بين الإفراط والتفريط، والتقصير والمجاوزة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧] وقال: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف:٣١] وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩] فهو بين الغالي والجافي، فعلى المسلم الرجوع إلى أهل العلم، فإن الشيطان يأتيه من باب التفريط فإن عجز عنه أتاه من باب الغلو، والسنة قصد بين البدع.

فائدة: الجنة دار السلام

قال الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم:٢٣] وقال: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:١٢٧] فالجنة دار السلام، ومالكها السلام سبحانه وتعالى، وتحية أهلها السلام، وفيها السلامة من كل آفة ونقص وشر وكلماته سبحانه سلام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا

مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام:١١٥] فهو سلام مما يتوهم أعداؤه والجاهلون ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ [النمل:٥٩].

فائدة: وجوب إعداد العدة لجهاد الكفار

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [الأنفال:٦٠] معنى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ قيل: إنهم الجن الذين يتعاونون مع الكفار في محاربة المسلمين، وقيل: إنهم المنافقون، وأنتم لا تعلمون أشخاصهم.

فائدة: تزيين الشيطان لاتباعه ماهم عليه من المعاصي

الشيطان عدو الإنسان الأول، يغرر به ويورده العطب، ويزين له القبيح، ويقبح له الطيب، قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ الآية [الأنفال:٤٨] فقد زين لقريش في غزوة بدر أعمالهم، وقال: إني جار لكم، ثم لما رأى الملائكة خاف وخذلهم، وقال إني بريء منكم إني أخاف الله، وهو كاذب في قوله، كما قال تعالى عنه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر:١٦] وفي الآخرة يتبرأ من متبعيه ويقول: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾ [إبراهيم:٢٢] وقد فعل بالراهب فتدرج به في خطواته حتى أوقعه في الزنا ثم قتلِ من زنا بها، ثم دل أهلها على مصرعها، ثم أمره بالسجود له، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨] وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر:٦].

فائدة: تشابه المطربالقرآن في نفع العباد

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

هذا تمثيل، فإنزال الماء من السماء تشبيه بإنزال القرآن لإحياء القلوب، وإسلاك الماء ينابيع في الأرض تشبيه لتبليغ القرآن للناس، وإخراج الزرع المختلف ألوانه تشبيه لحال اختلاف الناس من طيب وخبيث، ونافع وضار، وهياج الزرع تشبيه لتكاثر المؤمنين بين المشركين، وجعل الزرع حطامًا للتذكير بحالة الموت، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان، لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه الله ما بعثني الله به، فعَلِم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» [البخاري: ٧٩]

واختلاف ألوان الزرع مع اتحاد الأرض والماء آية من آيات الله تعالى دالة على عظيم قدرته وانفراده بالتصرف، والناس من نفس واحدة وهم مختلفون في الصفات، وهي مثال لتقريب البعث، فإن إنزال الماء على الأرض وإنباتها بسببه، أمر يتجدد بعد أن صار ما عليها من النبات حطامًا، وتخللت عروقه وبذره الأرض ونبتت مرة

أخرى بنزول الماء، فكذلك يعود الإنسان بعد موته، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجًا﴾ [نوح:١٧،١٨] وهي أيضًا مثال لأطوار الإنسان من طور النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى الوليد إلى الصبي إلى الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة ثم إلى الموت ثم البعث إنما يتذكر لذلك أهل العقول النيرة، والله أعلم، وبالله التوفيق.

فائدة: مثل من ضل بعد الهدى والعلم

قال الله تعالى: **﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾** [الأعراف:١٧٥،١٧٦].

فيها من الفوائد ما يلي:

١- أنه ضل بعد العلم فلم ينفعه علمه لفساد في قلبه.

٢- أنه انسلخ من الإيمان انسلاخًا، ولم يبق من إيمانه شيء.

٣- أن الشيطان افترسه وأدركه وأهلكه.

٤- أن الله تعالى لم يشأ أن يرفعه بالعلم لسبب في نفس هذا المنحرف.

٥- أنه كان عالمًا مستقيمًا، فلم يعمل بعلمه، وفسد بعد الاستقامة لأمر يعلمه الله عنه.

٦- أنه اختار الأدنى وزهد في الأعلى، فأخلد إلى الأرض واتبع هواه.

٧- أن همته حقيرة وآماله قصيرة.

٨- أنه كالكلب الذي يجمع بين أخس الصفات وأقبحها.

٩- أنه لم يرغب في الهداية والاستقامة والإمامة، فانحرف فصار إمامًا في الضلالة.

١٠- أنه أحب الدنيا حبًا جعله يزهد في الآخرة.

وهذا كله بسبب هذا المنحرف الذي اطمأن للدنيا مع علمه، وغفل عن الآخرة مع معرفته، واتبع هواه فأغواه.

فائدة: حيل اليهود

تحايل اليهود، وتلاعب الشيطان بهم معروف في التاريخ، من ذلك أن الله تعالى لما حرم عليهم الشحوم أذابوها وباعوها وأكلوا ثمنها، ومن ذلك اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، وبسبب ذلك لعنوا، ومن ذلك قتلهم الأنبياء، واتخاذهم الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، يحلون لهم ويحرمون، ومن ذلك قتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام، ومن ذلك قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣] ومن ذلك تحايلهم في صيد السمك يوم السبت وغير ذلك كثير.

فائدة: من صفات اليهود الذميمة

اليهود أجهل الناس وأشقاهم وأكثرهم عنادًا وخداعًا وعداوةً للمسلمين، وتعنتًا وخبثًا وبهتًا وحسدًا، قالوا لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨] وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة:٦٤] وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١] وعبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري، وطلبوا من

نبيهم أن يجعل لهم إلهًا، وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥] وقالوا: (حنطة) بدل ﴿حطة﴾ رفع الله الجبل فوق رؤوسهم فلم يؤمنوا ولم يطيعوا، وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥] واتهموا موسى عليه السلام بعدة اتهامات، وشبههم الله بالحمار يحمل أسفارًا، وطلبوا عوض المن والسلوى: البقل والقثاء والثوم والعدس والبصل، واستبدلوا الكفر بالإيمان، والضلالة بالهدى، ونقضوا العهود والمواثيق وأحكام التوراة، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وأكلوا الربا والرشوة، واعتدوا يوم السبت، وقتلوا الأنبياء، وكذبوا عيسى ابن مريم عليه السلام، ورموه وأمه بالعظائم، وحرصوا على قتله ﴿وما قتلوه﴾ [النساء:١٥٧] وإنما رفعه الله إليه، وما زالوا يفسدون في الأرض، ويثيرون الفتن والحروب، فقد لعنهم الله وغضب عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت.

فائدة: فوائد الإستغفار

الاستغفار توبة إلى الله، أمر الله تعالى به، فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا﴾ [هود:٣] وقال: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود:٦١] وقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩] وهو سبب مغفرة الذنوب ورضوان الله والرزق والمطر، قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح:١٠،١١] وسبب الولد، قال: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح:١٢] وفيه وقاية من شر الذنوب ومن العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

فائدة: (السلام) اسم من اسماء الله تعالى

السلام من أسماء الله تعالى، فهو السالم من كل عيب ونقص، له الكمال المطلق، أفعاله سليمة من العبث والظلم، وهو سبحانه سليم الصفات والذات، من كل ما يذم أو ينقص، لا إله إلا هو، سليم من الموت والسِنة والنوم والتغير واللغوب والتعب والإعياء والعجز والجهل وجميع النقائص، سليم من الكذب والظلم وإخلاف الوعد ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] يعطي ويغفر، ويستر ويرحم، ويحسن ويرأف، يبر ويجود، تقدست أسماؤه وصفاته، سبحانه وتعالى عما يشركون، جعل الله تعالى السلام تحية المسلمين في الدنيا، وتحيتهم يوم يلقونه سلام، وتحية آدم عليه السلام حين اكتمل خلقه، وتحية محمد ﷺ حين أسري به، وتحية أهل الجنة ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس: ١٠] ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧] ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] وله سبحانه: ﴿أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧] أما الكافر فلا يُبدأ بالسلام، ويبدؤ المسلم بـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو السلام عليكم، أو السلام عليكم ورحمة الله، ويجيب بأحسن منها، أو يردها.

فائدة: خلاصة غزوة بدر

وقعت غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة، حيث بلغ رسولَ الله ﷺ خبر عير قريش المقبلة من الشام بصحبة أبي سفيان

رضي الله عنه، وكانوا أربعين رجلًا، معهم أموال عظيمة لقريش، وخرج رسول الله ﷺ معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، معهم فرسان وسبعون بعيرًا، يتعاقبون الركوب عليها، وحمل راية المسلمين مصعب بن عمير وعلي بن أبي طالب وسعد بن معاذ رضي الله عنهم أجمعين، فلما بلغ أبا سفيان رضي الله عنه الخبر استصرخ قريشًا بالنفير، فأتوا إليه مسرعين، وحشدوا من حولهم من قبائل العرب وخرجوا، كما قال الله تعالى: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال:٤٧] يريدون أخذ عيرهم وقتل من فيها، وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمي والعير التي كانت معه، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال:٤٢] فاستشار الرسول ﷺ أصحابه، فتكلم من تكلم فكرر ذلك، فبادر سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: (يارسول الله كأنك تعرض بنا، لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقًا عليها أن لا تنصرك إلا في ديارهم، إني أقول عن الأنصار فاظعَنْ حيث شئت، وصِل حبلَ من شئت، واقطع حَبلَ من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا منها ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمُرنَا نتبع لأمرك، فوالله لئن سرتَ حتى تبلغ البرك من الغماد لنسيرن معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك) وقال المقداد رضي الله عنه: لا نقول لك كما قال قوم موسى عليه السلام لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك، ومن بين يديك ومن خلفك، فأشرق وجه رسول الله

ﷺ [البخاري:٣٩٥٢] وقال: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، وإني قد رأيت مصارع القوم» [الطبري في تفسيره:١٥٧٣٢] فسار رسول الله ﷺ إلى بدر فلما تراءى الجمعان قال رسول الله ﷺ: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذِّب رسولك» [البيهقي في دلائل النبوة:٣/ ٣٥، ١١٠] فقام ورفع يديه واستنصر ربه وقال: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك» [البخاري:٣٩٥٣، ومسلم:١٧٦٣، وأحمد:١/ ٣٠، وأبو داود:٢٦٩٠، والترمذي: ٣٠٨١، والنسائي في الكبرى:١١٥٥٧] فأوحى الله إلى ملائكته: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال:١٢] وأيد الله المؤمنين بخمسة آلاف من الملائكة قال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ○ بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٤، ١٢٥] وكانت الوقعة في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية، واصطف الفريقان وحمي الوطيس ونشبت الحرب، وعدل رسول الله ﷺ الصفوف، ثم رجع إلى العريش يسأل الله، فتبارز عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، مع ثلاثة من الصحابة علي وعبيدة بن الحارث وحمزة رضي الله عنهم، فقتل عليٌّ الوليد، وقتل حمزة عتبة، واختلف عبيدةُ وقِرنه شيبة، فكَرَّ عليٌّ وحمزة رضي الله عنهما على قِرن عبيدة رضي الله عنه فقتلاه، ونزلت الآية الكريمة ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩] [البخاري:٤٧٤٣، ٤٧٤٤، ومسلم:٣٠٣٣] ثم حمي الوطيس واستدارت رحى الحرب ورسول الله ﷺ يكثر الدعاء والابتهال

ومناشدة ربه عز وجل، وجاء النصر المبين، فقتلوا من المشركين سبعين، وأسروا سبعين، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلًا، قال تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الأنفال:١٢] والحمد لله رب العالمين.

فائدة: فضل الإيمان بالله

الإيمان بالله أفضل من الجهاد في سبيل الله، سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» الحديث [البخاري:٢٦، ١٥١٩، ومسلم:٨٣] مع أن مشقة الجهاد كبيرة، ولكن الإيمان علم القلب وعمله وتصديقه، ولهذا فإن أبا بكر رضي الله عنه أفضل هذه الأمة، قال أبو بكر بن عياش: (ما سبقكم أبو بكر رضي الله عنه بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه).

وقال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:١١] وقال: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾ [طه:٧٥].

فائدة: العفو خلق كريم

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] جمعت هذه الآية جميع الأخلاق الكريمة، من صلة من قطعك، وإعطاء من حرمك، والعفو عمن ظلمك، والأمر بالمعروف الذي به صلاح العباد، والنهي عن المنكر الذي به فسادهم، وأخذ ما يبذلونه من الطاعة، وما سهل عليهم، وعدم تعنيت الناس، والإعراض عن الجاهلين، وعدم مقابلتهم بالمثل، وعدم

الانتقام للنفس، وقبول عذر المعتذر بالعفو والصفح، وترك الاستقصاء في البحث والتفتيش في بواطن أمورهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

فائدة: الأرواح جنود مجندة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] وقال: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ○ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الصافات: ٣٢، ٣٣] وقال النبي ﷺ: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» [البخاري: ٣٣٣٦، ومسلم: ٢٦٣٨، وأحمد: ٢/ ٢٩٥، ٥٢٧] فبالتناسب والتشاكل والتوافق يحصل التمازج والاتصال، وكل يحب من شاكله ويأنس به، والرجل يحب امرأته، لأنهما خلقا من نفس واحدة، فحواء خلقت من آدم عليه السلام، وفي الآخرة تزوج النفوس، ويقرن كل صاحب عمل بشكله ونظيره، فيقرن بين المتحابين في الله في الجنة، ويقرن بين المتحابين في الشيطان في الجحيم، فالمرء مع من أحب، ويحشر الذين ظلموا بأشكالهم الظالمين وبما يعبدون من دون الله، ولما جاءت امرأة تضحك الناس إلى المدينة نزلت عند امرأة مثلها تضحك الناس فقال الرسول ﷺ: «الأرواح جنود مجندة».

فائدة: انواع الهداية

الهداية قسمها العلماء إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: هداية عامة بين الخلق جميعًا، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] فكل مخلوق أعطاه الله

خلقه في شكله، وهداه إلى ما يحتاجه وما خلق من أجله، فهدى الزوجين من كل الأنواع إلى التزاوج، وهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا، وهداها لما خلقت من أجله، وهدى كل وليد إلى ما يصلحه منذ ولادته، وهداهم إلى اكتساب رزقهم، وهدى الطيور إلى أن تغدو خماصًا وتروح بطانًا، وغير ذلك.

النوع الثاني: هداية البيان والإيضاح والدلالة، فهدى الناس إلى النجدين طريقي الخير والشر، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧].

النوع الثالث: هداية التوفيق، فوفق أناسًا إلى الخير وألهمهم العمل بالصالحات، وانتكس أناس آخرون، قال تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٨] وقال رسول الله ﷺ: «من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له» [أبو داود:٢١١٨، والنسائي:٣٢٧٧، والترمذي:١١٠٥، وصححه الألباني] ولا شك أن لذلك أسبابًا من الإنسان نفسه.

النوع الرابع: الهداية إلى الجنة أو إلى النار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس:٩] وقال: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٣٢،٣٣] ومن أراد الهداية فعليه أولًا بالعلم، ليعلم الحلال من الحرام، والمعروف من المنكر، وأن يحب ما يحبه الله ورسوله ﷺ ويبغض ما يبغضه الله ويبغضه رسوله ﷺ، وأن يشمر عن ساعد الجد بالعمل الصالح واجتناب المنكرات، وأن يستمر في الطريق

المستقيم، ويصبر عليه، ولا يعيقه أو يخذله خاذل، وأن يتوب إلى الله من كل ذنب قد اقترفه، ولا يعود إليه، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢].

فائدة: القرآن مصدق لما بين يديه من الكتب

قال الله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ٣] وما دام مصدقًا للكتب السابقة التي أنزلها الله فهو مصدق للرسول محمد ﷺ، فهما من الله تعالى، ولهذا قال النجاشي: هذا القرآن يخرج من مشكاة واحدة هو وما جاء به موسى عليه السلام، وقد بشرت الكتب السابقة بما جاء به محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢] ولم يكن الرسول محمد ﷺ يعرف الكتب السابقة، ومع ذلك جاء بكتاب مصدق لها.

فائدة: انتفاء الإيمان ممن لم يتوكل على الله

الآيات الآتية وغيرها تدل على انتفاء الإيمان لمن لم يتوكل على الله.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]

ولا بد مع التوكل من عمل الأسباب.

فائدة: الكفار لاينتفعون بالحواس

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ

قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف:١٧٩] فهم لا ينتفعون بهذه الحواس التي أنعم الله عليهم بها، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] وقال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ○ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤٥،٤٦] إنهم لا يفقهون ولا يؤمنون، وفي قلوبهم أكنة، لا يصل إليها ما يتلى عليهم من الآيات، وفي قلوبهم وقر وهم لا ينصتون إذا قرىء القرآن عليهم، بل يولون على أدبارهم نفورًا، لا يريدون سماع الحق كبرًا وعنادًا، طبع الله على حواسهم، وختم على قلوبهم وقفلها، نسأل الله العفو والعافية.

فائدة: الحق واحد لايتعدد

طريق الحق واحد، وطرق الباطل كثيرة متعددة متشعبة، ولهذا يفرد الله تعالى سبيل الحق وطريقه، ويجمع سبل الباطل وطرقه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] وقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨] ويفرد النور ويجمع الظلمات، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١] ويفرد اليمين ويجمع الشمائل، قال تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل:٤٨] ويفرد الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] وقال: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١] وقال: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] وقال: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧].

فائدة: صداقة الأخيار خير وصداقة الأشرار شر

قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥] وقال: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان:٢٧،٢٨].

أصدقاء السوء والخلطاء غير الصالحين والأصحاب المبنية صحبتهم على الأمور السيئة تنقلب محبتهم يوم القيامة بغضًا وعداوةً وندمًا، ويكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضًا.

أما أصحاب الخير فمخالطتهم في الدنيا فيها نفع عظيم ومودة في الدنيا والآخرة، وقد أمر الله تعالى رسوله بمعاشرتهم ومخالطتهم، ومن ذلك الاجتماع في الجماعات والأعياد والحج والتعلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وعمل الخير، وفي يوم القيامة يكونون على منابر من نور يغبطون عليها ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

فائدة: من فوائد سورة (ق)

من فوائد سورة ق التي كان يقرؤها رسول الله ﷺ في خطبة الجمعة أنها جمعت أصول الإيمان من تقرير المبدأ والمعاد والتوحيد والنبوة والملائكة، وانقسام الناس إلى شقي وسعيد، وأوصافهم، وإثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه عما يضاد الكمال المطلق، وفيها ذكر القيامة الصغرى والكبرى، والعالمين عالم الدنيا وعالم

الآخرة، وذكر خلق الإنسان ووفاته وإعادته، وحاله عند الاحتضار ويوم القيامة، وإحاطة الله علمه به ومعرفة وساوس نفسه، وإقامة الحفظة عليه، يحصون عليه كل لفظ بلفظه، وأن ذلك كله يلقاه يوم القيامة، ومعه سائق وشاهد من الملائكة ومن نفسه، فيشهد عليه السمع والبصر والجلد والروح والأرض، والله خير الشاهدين، وفي السورة تقرير النبوة، وإرسال الرسل إلى أقوامهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون، وإهلاك من عصى منهم، وفيها تقرير المعاد ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [ق:٢٥] وفيها بيان قدرة الله على إعادة الخلق الأول ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ وفيها بيان تكذيب الكفار بالبعث، وفيها مآل المؤمنين، ونهاية الكافرين، وصفاتهم، فالمؤمن باذل للخير والكافر ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [ق:٢٥]، والمؤمن جازم ومصدق بما أخبر الله، والكافر ﴿مُّرِيبٍ﴾ [ق:٢٥] وفيها أن كل شيء يتبرأ من الكافر حتى الملائكة وإبليس وأهله وأولاده، وفيها أن الله تعالى لا يخلف وعده، وسوف يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين، وأنه ليس بظلام للعبيد، وأنه لا يبدل القول لديه، وأنه يقال للمؤمنين: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ○ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٤،٣٥] ويقال للملائكة: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ○ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ○ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [ق:٢٤-٢٦] وفي السورة إخبار بخلق السموات والأرض في ستة أيام، وأنه تعالى لم يمسَّه لغوب، وأنه تعالى عالم بما يقوله أعداؤه، وأن الحشر عليه يسير ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ○ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٤،٤٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ

وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ۞ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۞ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق:١٦-١٨].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ۞ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ۞ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق:٢٠-٢٢].

فائدة: قصة شعيب عليه السلام مع قومه

في قصة شعيب عليه السلام مع قومه عبر وفوائد جليلة، منها أن الله تعالى يبعث رسله إلى أقوامهم لتوجيههم إلى التوحيد، ومعالجة ماهم عليه من انحراف، وقد كان قوم شعيب عليه السلام يشركون بالله تعالى، ويبخسون المكاييل والموازين، ويغشون في المعاملات، وينقضون المواثيق والعهود والحقوق، ومن فوائد القصة أن على الداعية أن يعمل بما يقول، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ [هود:٨٨] ومنها أن التعصب لما عليه الآباء من ضلال يصرف الناس عن الحق، قال تعالى عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧].

ومنها أن على الداعية أن يكون هدفه الخير والإصلاح، لا المال ولا الجاه ولا غيرهما، قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨] ومنها أن على الداعية أن يسلك طريقي الترغيب والترهيب، فهذا شعيب عليه السلام يخوفهم تارة بقوله: ﴿لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ

مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٩] ويرغبهم تارة أخرى فيقول: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود:٩٠] ومنها أن المعاصي إذا صدرت ممن لا داعي عنده إليها صارت أعظم إثمًا وأشنع وأقبح، فقوم شعيب عليه السلام أنعم الله عليهم بالخيرات، ومع ذلك يبخسون الموازين والمكاييل، ومثل ذلك العائل المستكبر والشيخ الزاني، ومن فوائدها الحث على القناعة، وأن الصلاة تنهى عن الشرور ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ﴾ [هود:٨٧] ومنها أن المعاملات والخلق من الدين، وأنه يجب على الداعية أن يتخلق بهما.

فائدة: الغاية من خلق الجن والإنس

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦،٥٧].

فهو سبحانه لم يخلق الإنس والجن لحاجة منه إليهم، ولا ليستكثر بهم من قلة، ولا يتعزز بهم، ولا ليستفيد منهم، فهو الغني ذو القوة المتين، الخلق بحاجة إليه وهو ليس بحاجة إلى أحد، وإنما خلقهم سبحانه وتعالى كرمًا منه وجودًا وإحسانًا إليهم، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ [الإسراء:٧] وقال: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم:٤٤] وقال: ﴿وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦] وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة:٢٦٧] فالغاية من الخلق عبادتهم له، ومحبتهم إليه، وحمدهم وثناءهم عليه، وذكرهم له، ومدحهم إياه، وتقديسهم له، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥]

فهو سبحانه يحب من أحبه، ويثيب من أطاعه، ويبغض من أعرض عن عبادته واستكبر عن طاعته، قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ياعبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني، . . .ياعبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» [مسلم:٢٥٧٧] وقال سبحانه وتعالى: «إني غني عما تنفقون أن ينالني منه شيء» وقال سبحانه وتقدس: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج:٣٧] وقال: «ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا» [مسلم:٢٥٧٧].

فائدة: وجوب الزهد في الدنيا

قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ﴾ [الحديد:٢٠] وقال: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ﴾ [الكهف:٤٥] وقال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ﴾ [يونس:٢٤] فالواجب على المسلم أن يزهد في هذه الدنيا زهد العلماء، لا زهد الصوفية الجهلاء، وذلك بأن يزهد عن الحرام والمكروه وفضول المباحات، لا تخليها من اليد

ولا إخراجها وقعوده فقيرًا يحتاج إلى الناس، إن الزهد في الدنيا بإخراجها من القلب ووضعها باليد، فقد كان رسول الله ﷺ زاهدًا في الدنيا، وقد أغناه الله بالمال والفتوحات والغنائم، قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٨] فليس الزهد في الدنيا بتحريم الطيبات، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف:٣٢] ولا يجوز للمسلم أن يركن إلى الدنيا ويطمئن لها ويغتر بها، وينسى خطرها وحقارتها، قال رسول الله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فلينظر بم ترجع؟» [مسلم:٢٨٥٨] إن الزهد في الدنيا هو معرفة قدرها، فلا ينشغل بها عن طاعة الله، ويكون عبدًا لها، قال ﷺ «تعس عبدالدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش» [البخاري:٢٨٨٦،٢٨٨٧، وابن ماجه:٤١٣٥،٤١٣٦، والبيهقي ٩/١٥٩،١٠/٢٤٥] فهي ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالم ومتعلم، وهي أهون على الله من السخلة الميتة، كما ورد في الحديث الذي [رواه الترمذي:٢٣٢١ وحسنه] ورد عن رسول الله ﷺ: «إن مطعم ابن آدم جعل مثلًا للدنيا، وإن قزَحه ومَلَحه، فانظروا إلى ما يصير» [أحمد ٥/١٣٦، والضياء في المختارة:١٢٤٥، وابن حبان:٧٠٢، والطبراني في الكبير:٥٣١، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٣٥/١٦١] ومن ألهته الدنيا عن أعمال الآخرة فهو داخل في قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ○ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١،٢] فالمال والأولاد لا تقرب العبد إلى الله، وإنما تقربه إليه التقوى والباقيات الصالحات، وقد نهى

الله تعالى أن يمد المرء عينيه إلى متاع الدنيا، ولا حسد فيها إلا لمن أنفقها في سبيل الله، وقال بها هكذا وهكذا في مرضاته.

فائدة: نعيم أهل الجنة

لأهل الجنة نعيمان: نعيم القلب بالتنكه والأنس والحبور، ونعيم البدن بالأكل والشرب والنكاح والوقاية من عذاب النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ○ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ○ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:١٧-١٩] وقال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور:٢٠] وقال: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الواقعة:١٦] وقال: ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان:٥٤] وقال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١] فقد جمع الله لهم بين النعيم المادي والنعيم المعنوي، قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور:٢٢] وقال: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢١] وقال: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور:٢٣] وقال: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧].

فائدة: الجميع فقير إلى الله

من ظن أنه استغنى عن الله تعالى هلك، فلا غنى عن الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ○ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦،٧] وقال: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ○ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٨-١٠] فمن ظن أنه غير محتاج إلى ربه وأنه مستغنى فقد أساء لنفسه، فالإنسان فقير مضطر إلى خالقه، لا غنى له عنه طرفة عين، ولا أقل من ذلك، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

ومن افتقر إلى الله وتضرع له وسجد لوجهه الكريم، وأعطى واتقى يسره الله إلى اليسرى، والجنة والخير، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ○ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-٧] فالنعم كلها من الله، قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٢١].

فائدة: عام الحزن

بعد موت أبي طالب عم الرسول ﷺ وموت زوجته خديجة رضي الله عنها اشتد البلاء على رسول الله ﷺ، فآذاه قومه، فخرج إلى الطائف، ودعاهم إلى الإسلام، وطلب منهم أن يمنعوه من أذى قريش وينصروه، فلم يوافقوه، بل آذوه وحرضوا سفهاءهم عليه، ورموه بالحجارة، وأدموا عقبيه، وكان معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، يذود عنه ويقيه بنفسه، حتى أصابه شجاج في رأسه، وبعد عشرة أيام رجع إلى مكة مغمومًا محزونًا، ودعا في طريقه بقوله: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، ياأرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملّكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو أن يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلى بك» [رمز له في كنز الدقائق:٣٦١٣،٣٧٥٦ بـ(طب عبدالله بن جعفر) والسيرة النبوية لابن هشام في قصة رجوع النبي ﷺ من

الطائف ٢/ ٣٣،٣٤] فأرسل الله تعالى إليه ملك الجبال يستأمره أن يطبق على أهل مكة الأخشبين، وهما جبلان كبيران، فقال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا» [البخاري: ٣٢٣١، ومسلم: ١٧٩٥] وفي طريقه قام يصلي من الليل فصرف الله إليه نفرًا من الجن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ○ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ○ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ○ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢] وبعد أيام وهو بنخلة أرسل رجلًا من خزاعة إلى مطعم بن عدي أن يطلب منه إجارته، فوافق مطعم على أن يدخل في جواره، فدخل مكة وطاف في البيت وصلى، وكان مطعم وأولاده يحرسونه بالسلاح، وحماه الله تعالى بسبب ذلك من أذى المشركين.

فائدة: وجو ب الأمر المعروف والنهى عن المنكر

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ﴾ [هود: ١١٦].

يرى ابن القيم رحمه الله في كتابه - مدارج السالكين - الجزء الثالث ص ١٩٤ أن هؤلاء هم الغرباء الذين قال الرسول ﷺ فيهم: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء» [مسلم: ١٤٦، ابن ماجه: ٣٩٨٦،٣٩٨٨، وأحمد ٤/ ٧٣،٧٤] قيل: ومن الغرباء يارسول الله؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس» [أحمد ٤/ ٧٣،٧٤

والطبراني في الكبير ٥٨٦٧، وفي الصغير ٢٩٠] ومن أوصافهم أنهم النزاع من القبائل، وأنهم صالحون، قليل في أناس كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم، وأنهم أحب شيء إلى الله، وأنهم الفرارون بدينهم، وأن طوبى لهم، وأنهم الذين يحيون سنة محمد ﷺ ويعلمونها الناس، وأنهم الأخفياء الأحفياء الأتقياء الأبرياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة، وأنهم أهل علم وأهل سنة يميزونها من الأهواء والبدع، وأنهم يدعون إلى السنة صابرين على أذى المخالفين، وأنهم أهل الله لا يأوون إلى غيره، ولا ينتسبون إلى غير رسوله ﷺ، ولا يدعون إلى غير ما جاء به، فهم أولياء الله ورسوله ﷺ، مؤمنون أحسنوا عبادة ربهم، رزقهم كفاف، لا يشار إليهم بالأصابع، لو أقسم الواحد منهم على الله لأبره، وهم ملوك أهل الجنة، لا يجزعون مما كتب الله عليهم، ولا ينافسون في عز الدنيا، ومن صفاتهم تجريد التوحيد لله تعالى، وهم القابضون على الجمر وإن لامهم الناس، غرباء في أحيائهم وقبائلهم وأهليهم وعشيرتهم، تغربوا عنهم غرباء بين اثنتين وسبعين فرقة، للواحد منهم أجر خمسين من الصحابة، لا يجدون من العامة مساعدًا، علماء بين جهال، أصحاب سنة بين أهل بدعة، دعاة إلى الله بين دعاة الأهواء والبدع، آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، بين قوم المعروف لديهم منكر والمنكر معروف.

فائدة: الخشوع لب الصلاة

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾

[المؤمنون:١،٢] وقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦] فالخشوع في الصلاة هو أدبها وأدب الوقوف بين يدي جبار السموات والأرض، فيه الذل والسكون لله تعالى، والخضوع والانقياد له، والتعظيم لجلاله، رأى النبي ﷺ رجلًا يعبث بلحيته في الصلاة فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» [نوادر الأصول للحكيم الترمذي ٤/ ٢٤ بتحقيق د.عبدالرحمن عميرة والبيهقي ٢/ ٢٨٥، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع:٢٠٩٤٠] وهو علامة التقوى، قال ﷺ: «التقوى ههنا» [مسلم:٢٥٦٤] قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورب مصل لا خير فيه، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعًا) [الطبراني في الكبير ٧/ ٣٥٤] وخفض البصر من تمام الخشوع، روى ابن حبان في صحيحه والترمذي عن النبي ﷺ قوله: «إن الله يأمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته مالم يلتفت» [أحمد ٤/ ١٣٠، والترمذي:٢٨٦٣، واللفظ له، وابن حبان:٦٢٣٣، والحاكم ١/ ١١٧،١١٨، والطبراني في الكبير:٣٤٢٧ وغيرهم، وصححه الألباني وغيره] «ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل» [ضعيف وانظر: موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة:٢١٣٠٧] كما روي عن النبي ﷺ: «إن العبد لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها» [أبو داود:٧٩٦، وحسنه الألباني] ويكون الفلاح للمصلين الخاشعين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ الآيات [المؤمنون:١،٢ وما بعدها] فهو روح الصلاة ولبُّها

ومقصودها، قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل لاهٍ» [الترمذي:٣٤٧٩، وحسنه الألباني] وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤،٥] والشيطان حريص على إفساد صلاة المصلي، يقول له: اذكر كذا، اذكر كذا، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى.

فالخاشع في صلاته يحصل له من الأجر والثواب والدرجات العلى في الآخرة الشيء العظيم، وقد يصلي الرجلان فيكون الفارق بين صلاتهما كالفارق بين السماء والأرض، ذاك تقول له: حفظك الله كما حفظتني، وهذا تقول له: ضيعك الله كما ضيعتني.

فائدة: الله يشرح صدر من اراد هدايته للتوحيد والإيمان

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥] وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾ [الزمر:٢٢] وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ [الأنعام:١٢٢] وقال: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:١،٢] وقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤] أن من شرح الله صدره للإسلام، وأكثر من ذكر الله، واتبع النبي ﷺ، واتقى الله تعالى، وأكثر من الاستغفار، ومن قراءة القرآن وتدبره، ومجالسة الصالحين، وقراءة سيرة السلف الصالح، وصلى بخشوع، وأكثر من دعاء الله

تعالى، لا يشقى ولا يحزن ولا يضيق صدره، ويجعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل بلاء عافيةً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وإن الترف و حب الدنيا واللهو والجبن والبخل، والانصراف عن طاعة الرحمن، والبعد عن حِلق الذكر وبيوت الله، وعدم الخشوع في الصلاة، ونقص الاستغفار والدعاء، سبب من أسباب الشقاء والحزن والهم والعجز والكسل، قال رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ومن كل بلاء عافية، ورزقه من حيث لا يحتسب» [أبو داود:١٥١٨، وضعفه الألباني] وإذا صار للإنسان أعداء فليكثر من دعاء الرسول ﷺ: «اللهم اكفنيهم بما شئت» [مسلم:٣٠٠٥] وعلى المرء أن يختار أهل التقوى في الصحبة والإخاء والصداقة، قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] وأن تكون الدنيا بيده لا بقلبه، روى الإمام أحمد رحمه الله عن رسول الله ﷺ: «من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، ومن كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه» [الترمذي:٢٤٦٥، وأحمد ١٨٣/٤ والطبراني في الكبير ٢٦٦/١١، وصححه الألباني] وقال النبي ﷺ: «ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالم ومتعلم» [الترمذي:٢٣٢٢ وابن ماجه:٤١١٢ وحسنه الألباني] وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٢،٣].

فائدة: قصة ثمود قوم صالح عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ۝ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ

إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ○ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ○ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ○ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾ [القمر: ٢٣-٢٧].

من فوائد هذه القصة التي حصلت للنبي صالح عليه السلام مع قومه أن عاقبة الكبر والكفر والتفاخر وخيمة، وأن صاحب الهوى لا يعترف بالحق، وقوم صالح يعرفونه بالأمانة والصدق، ولكن الهوى لعب بهم فلم يؤمنوا به ولم يصدقوه، ولهذا قالوا: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ﴾ [هود: ٦٢] ولعصبيتهم لآبائهم الأولين قالوا: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦٢].

ومن الفوائد أن من خالف وعده ينزل عليه العذاب، فقد طلبوا من صالح عليه السلام آية فأرسل الله إليهم الناقة فتنةً لهم، فلم يرجعوا ولم يصدقوا صالحًا عليه السلام، بل عقروا الناقة، فقال الله تعالى على لسان نبيه صالح عليه السلام: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥].

ومن الفوائد أن الله ينجي رسله والذين آمنوا، ولهذا أنجى الله صالحًا عليه السلام ومن معه من المؤمنين، قال الله تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

ومن فوائد هذه القصة أن من كذب رسولًا واحدًا من رسل الله فقد كذب جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١] فحيث إنهم كذبوا صالحًا عليه السلام فقد كذبوا جميع المرسلين، كما أن من كذب نبينا محمدًا ﷺ ولم يتبعه، فقد كذب

جميع المرسلين.

ومن فوائدها أن من اتبع آباءه وأجداده الأولين وصدقهم في أمور مخالفة للشرع، فقد ارتكب أمرًا من أمور الجاهلية الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

فائدة: التقوى وصية الله للأولين والآخرين

التقوى، وهي امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأن لا يُرى العبد إلا في طاعة الله، ولا يرى في معصيته، هي سبب تيسير الأمور والخروج من كل مشكلة، والأجر والثواب والفلاح والنجاح والفرقان ورحمة الله ومغفرته ونوره وهدايته والرزق وتكفير السيئات، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد:٢٨] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢،٣] وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٢٩] وقوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨] أي نصيبين من رحمة الله في الدنيا والآخرة، ونورًا يمشون به ومغفرةً لذنوبهم، وتيسيرًا لأحوالهم ومشاكلهم، والجنة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-٧] أي نهيؤه لعمل الخيرات ،ونفتح له أبواب البركات والجنات، وقال رسول الله ﷺ: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» [البخاري:٦٦٠٥، ومسلم:٢٦٤٧] ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ

وَٱتَّقَىٰ ○ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ○ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ○ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠] ولا يجوز الاتكال على القدر وعدم العمل، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] ولما قالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾ [الزخرف:٢٠] رد الله عليهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الزخرف:٢٠] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [يس:٤٧].

فائدة: آيات الله الباهرة في الأرض والإنسان

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ○ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢٠،٢١] فمن آيات الأرض سعتها وتسطيحها ووجود الماء فيها، وأنها فراش وقرار ومسكن ومهاد وذلول تحمل الأبنية والناس، وهي بساط وكفات للأحياء والأموات، مدها الله تعالى وبسطها ودحاها من الخيرات، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، جعل فيها الحديد والزروع، يستقر عليها الإنسان والحيوان والأجسام الثقيلة والتراب الذي شرفه الله تعالى، وخلق منه الإنسان، وهو أنفع من الذهب والفضة والياقوت والزمرد، وهو أبرك، وجعلها مختلفة الأجناس والمنافع، فهي قطع متجاورات، منها السهل والوعر والرمال والحصباء والأبيض والأسود والأحمر، بعضها يصلح للنبات، وبعضها لا يصلح، وبعضها لنوع من النبات، بعضها ينتفع من المطر، وبعضها يحفظه، وبعضها صلد، بعضها يخرج المرعى، وبعضها لا يخرجه، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ

مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٤] وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فصلت:٥٣].

فائدة: العبر والفوائد في قصص رسول الله ﷺ

ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من قصص رسول الله محمد ﷺ فيه من العبر والفوائد والمواعظ الشيء الكثير، من ذلك قصته حين نزل عليه الوحي، وجاءه جبريل عليه السلام وأنزل الله عليه سورة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١] ثم سورة المدثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ○ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر:١،٢] ثم سورة المزمل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ○ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل:١،٢] ثم ما حصل له من انقطاع الوحي فترة، ثم نزول سورة الضحى ﴿وَٱلضُّحَىٰ ○ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ○ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:١-٣] ثم هجرته إلى المدينة النبوية، وقصصه مع قومه، ومع أهل الطائف وغيرهم، وغزواته، ومن فوائد هذه القصص أن الله لا يخزي من يصل الرحم، ويقري الضيف، ويحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويعين على نوائب الحق، وأن هذه القصص فيها ما يثبت القلوب، وأن رسول الله ﷺ فطر على الصدق والأمانة وحب الخير وكراهية الشر، وفيهما الحث على الدعوة والتبشير والإنذار، وتزكية النفوس، والصبر، وكل داعية سيقف في طريق دعوته الأعداء المتربصون، وأن عليه أن يأخذهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وعليه الاهتمام بدعوة التوحيد أولًا، وأن المنافقين واليهود هم أشد الناس عداوةً للمؤمنين، وفيهما المساواة بين أجناس الناس عربهم وعجمهم أسودهم وأحمرهم وأبيضهم

وغنيهم وفقيرهم، وأن الكرامة للمتقين ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] وعلى الداعية أن يستعمل الأسباب والوسائل الممكنة لنشر دعوته مع توكله على الله، وأنه لا بأس بالصلح المؤقت حتى يتقوى المسلمون، وأن الإسلام جهاد وعمل وعبادة وسياسة وذكر وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ومعاملات وأخلاق، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨] وأن الخير فيما يختاره الله، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم، ففي منع الرسول ﷺ من دخول مكة عام الحديبية وفي الصلح الذي ظاهره الغبن للمسلمين، وفي غزوة أُحد خير كبير وفتح مبين، وغير ذلك من الفوائد التي لا تعد ولا تحصى.

فائدة: لا يعذر من بلغه القرآن على وجه تقوم به الحجة

كل من بلغه هذا القرآن على وجه تقوم عليه الحجة لا يعذر بعدم إسلامه، قال الله تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩] وليس عنده حجة بعد إرسال الرسل وبعث الرسول محمد ﷺ الذي بشرت به كتبهم، قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥] وفي عصرنا هذا عرف الكثير الإسلام، ووصل إليهم عن طرق كثيرة من القنوات وغيرها، بل عرفوا تفاصيل أمور كثيرة من دقائق الأمور واستنكفوا عن الإسلام كبرًا وعنادًا واحتقارًا للمسلمين، وهؤلاء ليسوا معذورين في عدم إسلامهم، أما من لم يصله ولم يبلغه على وجه تقوم به الحجة فهو معذور، وعلى من لم يُبَلِّغه وهو قادر على تبليغه الإثم، أما الأطفال والمجانين ومن

مات في الفترة فهو يمتحن في الآخرة، وكذا من لم يبلغه الإسلام على وجه تقوم عليه الحجة، والله أعلم.

فائدة: المسجد الحرام أول بيت وضع في الأرض

المسجد الحرام أول بيت وضع للناس في الأرض، فيه البركات الكثيرة، فهو مبارك، خيره دائم مستمر، ولا يوجد أبرك منه في أي بيت من بيوت الله، ولا أنفع للخلق منه، وهو هدى للناس، فيه هداية الخلق إلى الحق، وفيه آيات بينات لا تعد ولا تحصى، وداخله آمن، يجب تعظيمه وتطهيره، قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦] وقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ○ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران:٩٦،٩٧].

فائدة: الظلم ظلمات يوم القيامة

الظلم ظلمات يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣] وقال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥] وقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:٨٦] وقال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] وقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠] وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢] وقال رسول الله ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصّون

مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدكم بمسكنه في الجنة أدلّ بمنزله كان في الدنيا» [البخاري: ٢٤٤٠].

وقال الشاعر:

ألا اثـنـتـان فـلا تـقـربـهـمـا أبـدًا
الـشـرك بـالله والإضـرار بـالـنـاس

ومن الظلم أخذ حقوق الناس، وتجاوز الحدود والتعدي، والجور والغيبة والنميمة والبغي، وظلم الرجل لأهله، وظلم الأجير، وظلم الحاكم لرعيته، وظلم الراعي، وأكل مال اليتيم، ومماطلة الغني، قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم» [البخاري: ٢٢٨٧، ومسلم: ١٥٦٤] ومنه أخذ الأموال من غير حقها، وعدم القسط والإنصاف، وظلم القضاة، ومن ظلم يجب رده عن ظلمه، قال رسول الله ﷺ: «من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا، فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين» [البخاري: ٣١٩٨، ومسلم: ١٦١٠] والله تعالى يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] وقد استعاذ الرسول من الظلم ﷺ، وعقوبة الظالم الخسف والمسخ والهلاك، وعقاب الدنيا والآخرة، ومن الظلم التصوير، قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرةً، أو ليخلقوا حبةً، أو ليخلقوا شعيرةً» [البخاري: ٥٩٥٣، ٧٥٥٩ ومسلم: ٢١١١].

فائدة: الفوائد في قصة لوط عليه السلام مع قومه

في قصة لوط عليه السلام مع قومه فوائد جليلة، منها أن الداعية

يجب أن يهتم أولًا بالتوحيد، ثم بمعالجة المعصية التي توجد في قومه، وفيها أن فعلة قوم لوط عليه السلام شنيعة وخزي وعدم رشاد ونجاسة، ودليل على انعدام تقوى الله، قال تعالى على لسان لوط عليه السلام: ﴿يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود:٧٨].

ومن الفوائد أنه لا يحق لمجادل أن يجادل في إهلاك أهل الباطل، أو يدافع عنهم، حيث أنكر الله على إبراهيم عليه السلام ذلك، فقال: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾ [هود:٧٦] ومنها أن فاحشة اللواط انحراف في طبيعة الإنسان وانتكاس فيها، حيث يرى القبيح حسنًا، قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود:٧٨]. ومنها جواز التعريض، حيث قال لوط عليه السلام لقومه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ [هود:٧٨] ومقصوده بنات قومه تزوجونهن بدلًا من الفاحشة.

ومنها أن الله تعالى ينصر رسله عند الكروب، وقد نصر الله لوطًا عليه السلام، وأهلك قومه، كما نصر الأنبياء على أقوامهم، ومنها أن على الداعية أن يكوِّن له جماعة ينصرونه عند الشدة، ويساعدونه عند الكرب، ويدفعون عنه الشرور، وتقوى شوكته بهم، ولهذا قال قوم لوط عليه السلام له: ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ [هود:٩١] وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ○ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج:٤٠،٤١].

فائدة: العبودية أحسن وصف يوصف به الإنسان

أحسن صفة يوصف بها الإنسان أنه عبد الله المعتاز، قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وقال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الآيات [الفرقان: ٦٣-٧٥] وقال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص: ١٧] ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١] ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [ص: ٤٥] وقال عن المسيح ابن مريم عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ٥٩] وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١] وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] وقال: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨] وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] ونحن جميعًا عبيد لله معتازون إليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ [فاطر: ١٥].

فائدة: منن الله على رسوله ﷺ

كان رسول الله ﷺ قبل نزول القرآن عليه وقبل بعثته يتيمًا فآواه الله، وضالًا فهداه الله، وعائلًا فأغناه الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨]

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى:٥٢] وقال: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِىۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠] وكان عليه الصلاة والسلام قبل الوحي لم يكن يدري ما الإيمان ولم يكن يدري ما الكتاب، وصار بعد الوحي أكمل الناس عقلًا وإيمانًا، أعلمهم بالكتاب، وأهداهم للحق والطريق المستقيم.

فائدة: حكمة الله في خلق آدم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

من فوائد هذه الآية حكمة الله تعالى في خلق آدم عليه السلام ليخلف المخلوقات التي قبله في الأرض، والمصالح والفوائد التي حصلت بسبب ذلك، وأن الله شرفه بخلقه بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض طيبها وخبيثها وسهلها ووعرها، وأن خلقه على أطوار مختلفة من تراب ثم طين ثم حمأ مسنون ثم فخار ثم جسد بلا روح ثم نفخ فيه من روحه فصار عظامًا ثم لحمًا ثم عصبًا وعروقًا وروحًا، ثم علّمه الأسماء ثم امتحنه والملائكة، فعجزت الملائكة عن معرفة الأسماء، وعرفها آدم عليه السلام، ثم سجد الملائكة له امتثالًا لأمر الله، وأبى إبليس حسدًا وكبرًا وكفرًا، واعترض على حكمة الله، وادعى أنه خير من آدم عليه السلام في أصله من نار، وأصل آدم عليه السلام من طين، وزعم أن النار خير من الطين، واستمرت العداوة

بينه وبين ذرية آدم عليه السلام. وقد ابتلى الله آدم عليه السلام واستفزه الشيطان فأغواه، فأكل من الشجرة، وخرج من الجنة وزوجته حواء، ثم تابا إلى الله وأنابا إليه فتاب الله عليهما، وكثرت ذريتهما، وفي الآية دلالة على فضل العلم وفضل التوبة، وأن الحسد والكبر والحرص من أسوأ الأخلاق، وأن الدعاء والاستعاذة بالله من الشياطين حصن للإنسان، قال الله تعالى عن دعاء آدم عليه السلام وزوجته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣] وقال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٣٧].

فائدة: الذبيح هواسماعيل عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ○ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ○ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ○ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ○ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٣-١٠٧] هذه الآية تدل على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام بمكة، ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرًا لشأن إسماعيل عليه السلام وأمه وإقامةً لذكر الله، وليس الذبيح إسحاق عليه السلام، لأن إسحاق عليه السلام لم يكن في مكة، ولو كان الذبيح إسحاق عليه السلام لكان الذبح بالشام، وقد سمى الله إسماعيل عليه السلام حليمًا، فلا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح، أما إسحاق عليه السلام فقد سماه الله عليمًا، قال تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨].

كما أن إسحاق عليه السلام بشر به إبراهيم عليه السلام على الكبر، أما إسماعيل عليه السلام فقد ولد قبل ذلك، ومحبة إسماعيل

عليه السلام كبيرة عند إبراهيم عليه السلام، لأنه بكره، والبكر محبوب عادة أكثر من غيره، والامتحان يكون عادةً عند أول مولود، قال ابن القيم رحمه الله: (سارة امرأة الخليل ﷺ غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة، فإنها كانت جارية، فلما ولدت إسماعيل عليه السلام أحبه أبوه، فاشتدت غيرة سارة، فأمره الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها، ويسكنها في أرض مكة، لتبرد عن سارة حرارة الغيرة، وهذا من رحمته تعالى ورأفته، كيف يأمر سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها، ويدع ابن الجارية؟ بل حكمته البالغة اقتضت أن يُأمر بذبح ولد السرية، فحينئذ يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها، وتتبدل قسوة الغيرة رحمةً، ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها) ثم قال: (وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه أن يمن عليه بعد استضعافه وذله وانكساره، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥] وهذا من فضل الله تعالى).

فائدة: فوائد وعبر في قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام

في قصة يوسف ويعقوب عليهما السلام فوائد كثيرة منها:

أن القصة أحسن القصص، وأن يوسف عليه السلام امتحن في الشدة والرخاء، ونجح فيهما، وأنه من المعبِّرين للرؤيا، وأن رؤيا الأنبياء حق، وأن محمدًا ﷺ صادق حيث قص علينا هذه القصص، وهو لا يقرأ ولا يكتب، وأن مع العسر يسرًا، وبعد الشدة فرجًا لمن اتقى الله وصبر، وأنه يحوز للعالم تحذير طلبته من الشر ونصحهم، حيث قال يعقوب ليوسف عليهما السلام: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ

إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يوسف:٥] وأن على المسلم أن يكتم بعض الأمور حتى لا يُحسد، وأن لكل نعمة سببًا، وقد أنعم الله على يوسف عليه السلام وآل يعقوب عليه السلام ورفع قدرهم، وأن الذنوب تجر بعضها بعضًا، فقد أراد أخوة يوسف عليه السلام التفريق بينه وبين والده فستلسلت الذنوب عليهم، وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فقد أذنب أخوة يوسف عليه السلام فتابوا، فغفر الله لهم، وأن ارتكاب أخف الضررين مطلوب، حيث اختار إخوة يوسف إلقاءه في الجب على قتله، وأن يوسف عليه السلام يتمتع بالحلم والعفو والحرص على الدعوة إلى الله والبر والإحسان والصدق والأمانة وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، وأن يوسف صار رقيقًا فترة من الزمن، ولم ينقصه ذلك شيئًا، وأن الخلوة بالنساء سبب للغرام والفساد، وأن من اشترى عبدًا مسروقًا لا إثم عليه إذا لم يعلم بذلك، وأن الخلوة بالنساء سبب للفاحشة إلا من عصمه الله كيوسف عليه السلام، وأن الإيمان سبب لحماية العبد من الفتن، وأن القرائن تدل على الدعاوى، ولهذا استدل الحاكم ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ○ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ○ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾ [يوسف:٢٦-٢٨] وأن العقوبة الدنيوية أهون من العقوبة الأخروية، وكلاهما صعب وشديد، نسأل الله العافية منهما، ويوسف عليه السلام اختار السجن على مراودة النساء، وأن الدعاء مهم، فهو سبب للنجاة، وأن أهم الدعوات إلى التوحيد، وأنه لا بأس أن يطلب المرء عون من يقدر على عونه من

الأحياء، قال يوسف عليه السلام: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] وأن يوسف عليه السلام ذو سياسة عظيمة، وأن على المسلم أن يبتعد عن التهم ﴿فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ [يوسف:٥٠] وأهمية العلم، وأن الرؤيا فتوى لا يجوز التخرص فيها، وأنه يجوز للمرء أن يطلب الولاية إذا كان فيها نفع للمسلمين، وأن ثواب الآخرة خير من الدنيا، وفي قول يوسف عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ [يوسف:٥٩] حسن ضيافته، وبُعد نظر يعقوب عليه السلام في قوله: ﴿هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [يوسف:٦٤] وقوله: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف:٨٣] وأن الله لطيف ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ [يوسف:١٠٠].

فائدة: قصة يونس عليه السلام مع قومه

في قصة يونس عليه السلام مع قومه عبرة وفائدة حيث أنه أرسل إلى أهل نينوى بالشام فلم يستجيبوا له، فخرج مغاضبًا، ولما خرج آمن قومه، فكشف الله عنهم العذاب، فلما ركب السفينة هاربًا، وتوسطوا في البحر، شارفت السفينة على الغرق، فأرادوا تخفيف حملها، فاقترعوا، فأصابت القرعة أناسًا منهم يونس عليه السلام فألقوه في البحر، فابتلعه الحوت، فأخذ يدعو في الظلمات الثلاثة: ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل قائلًا: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] فألقاه الحوت في اليابس، فأنبت الله شجرة من يقطين أظلته، حتى قوى ونبت لحمه ثم رجع إلى قومه، فدعاهم فآمن به مائة ألف أو يزيدون.

تفيد هذه القصة أهمية الصبر وعدم العجلة، وأن في العجلة

الندامة، وفيها جواز القرعة، وجواز ارتكاب أخف الضررين، فلو لم يلقوا يونس عليه السلام في البحر ومن معه لغرق الجميع، ومن فوائدها أن العبد إذا كان شاكرًا في الرخاء أنقذه الله في الشدة، وإذا علم الله منه أنه يشكره في الرخاء استجاب الله له في الشدة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣،١٤٤] ومن الفوائد في هذه القصة أهمية الدعاء، قال رسول الله ﷺ «دعوة أخي ذي النون ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له» [الترمذي:٣٥٠٥، وصححه الألباني] ومن فوائدها نصر الله للمؤمنين وإنجاؤه لهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨] وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

فائدة: قيام الليل

قيام بعض الليل أفضل من قيامه كله، فلم يكن رسول الله ﷺ يقوم الليل كله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:١-٤] ولما بلغ رسول الله ﷺ أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه لا ينام من الليل بعث إليه فجاء، فقال له: «ياعثمان أرغبت عن سنتي؟» قال: لا، والله يارسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال: «فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله ياعثمان، فإن لأهلك عليك حقًا، وإن لضيفك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًا، وصم وأفطر، وصل

ونم» [أبو داود: ١٣٦٩ وصححه الألباني] ولما بلغه عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها تصلي الليل كله، حتى جعلت حبلًا بين ساريتين إذا فترت تعلقت به، أنكر ذلك عليها، وأمر بحله. [البخاري: ١١٥٠ ومسلم: ٧٨٤] قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] وقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] وكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون في السحر للاستغفار، وذلك بعد قيامهم ما تيسر من الليل، قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

فائدة: اغتنام فرصة الحياة الدنيا بطاعة الله عز وجل

إذا علم العاقل أن هذه الدنيا فانية، وأن عمره فيها قصير، وأن الموت آت لا شك فيه، وأنه راحل عن هذه الدنيا بعد قليل، وأن حياته ستنقضي، انتهز فرصة بقائه في هذه الدنيا الفانية، وبادر في عمل الطاعات وتجنب السيئات، وعلم أنه مسافر ومرتحل، وأن الدنيا مدبرة، وأنها لا تساوي جناح بعوضة، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧] وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقال: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٤].

فائدة: مقاتلة الكفار الأقربين قبل الأبعدين

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] أي الذين يقربون منكم في المكان، فهم أولى

بالقتال من البعيدين عنكم، والذين يؤذونكم أولى من الذين لا يفعلون ذلك، فالأقرب أخطر من الأبعد، ولهذا قاتل الرسول ﷺ قومه، ثم قاتل العرب، ثم قاتل بني قريظة وبني النضير وأهل خيبر من اليهود، ثم قاتل الروم والفرس وهكذا، ومن كان ضرره أكبر ويقف حجر عثرة في طريق الدعوة يبدأ به قبل غيره، ولهذا بدأ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بمشركي نجد الذين يعادون الدعوة وينفرون الناس منها، ولا شك أن لقتال الكفار شروطًا لابد أن تتوفر، منها القيادة والقدرة، وإذا قوي المسلمون قاتلوا المشركين حيث وجدوهم، قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

فائدة: يقسم الله تعالى بماشاء من آياته العظام

أقسم الله تعالى بالسماء والطارق، وهما (أي السماء ونجومها) آيتان من آيات الله تعالى، وسمى النجم طارقًا، لأنه يظهر بالليل، والذي يطرق الناس بالليل يسمى طارقًا، وهو يختفي بضوء الشمس في النهار، ومن يأتي بالنهار لا يسمى طارقًا ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٣] الذي يثقب ضوؤه، والمقسم عليه ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] فكل نفس إنسانية معتنى بها، وعليها حفظة كرام بررة لا تترك شيئًا إلا حفظته، تحصي أعمال النفوس وتكتب أقوالها من خير أو شر.

وأمر الإنسان أن ينظر مم خلق، ويتفكر أنه خلق من ماء مهين دافق يخرج من بين صلب الرجل وترائبه، وهي عظام صدره، ولو كانت الترائب للمرأة لقال: يخرج من الصلب والترائب، ومثله قوله

تعالى: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾ [النحل:٦٦] وهو سبحانه قادر على رجعه وبعثه بعد الموت، فالإعادة أسهل من الخلق ابتداءً، وهما يسير على الله تعالى.

فائدة: وصف رسول الله ﷺ كما جاءفي التوراة والإنجيل

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح:٢٩] وقال: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف:٦] فالرسول ﷺ محمود عند الله وعند ملائكته وعند المسلمين وعند أهل الأرض كلهم، وصفاته محمودة، اسمه محمد وأحمد، وأمته الحامدون يحمدون الله، فالصلاة تبتدىء بالحمد، والخطبة تفتتح بها، والقرآن مبتدىء بالحمد، واسمه باللوح المحفوظ محمد وأحمد، وكل خطبة لا تبدىء بالحمد فهي بتراء، ولواءه لواء الحمد يوم القيامة، وهو الحامد لله عند الشفاعة بمحامد يفتحها الله عليه، وهو صاحب المقام المحمود، قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩] وهو محمود في التوراة والإنجيل والكتب السالفة، ففي التوراة «محمد عبدي ورسولي، سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، وأفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، حتى يقولوا: لا إله إلا الله» [البخاري:٢١٢٥،٤٨٣٨ بلفظ قريب منه].

فائدة: اللسان نعمة وآفة

اللسان ضرره على العبد كبير، وخيره عميم، وكل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ما كان من ذكر الله وما والاه، قال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق:١٨] وفي اللسان آفتان: آفة الكلام وآفة

السكوت، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، ومن كف لسانه عن الباطل وأطلقه فيما يعود عليه في آخرته فقد رشد، ومن أطلقه في الباطل هدم ما بناه من خير، وبنى ما يضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات كالجبال فيجد لسانه قد هدمها، ويأتي بسيئات فيجد لسانه قد هدمها بالاستغفار وذكر الله، قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «كف عليك هذا» قال معاذ رضي الله عنه، وهل نؤاخذ بما نتكلم به؟ قال: «يامعاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم» [الترمذي:٢٦١٦ وأحمد ٥/ ٢٣١،٢٣٦،٢٣٧ وصححه الألباني] قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤].

فائدة: أقسام الهداية

قال الله تعالى في سورة الأعلى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى:٣] والهداية تنقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: هداية الخلق والتقدير، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ○ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٤٩، ٥٠].

القسم الثاني: هداية الدلالة والبيان والحجة، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧].

القسم الثالث: الهداية في الآخرة إلى الجنة أو النار، قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ○ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٢، ٢٣] ومثله قول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِىَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف:٤٣].

القسم الرابع: هداية التوفيق، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [يونس:٢٥] وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص:٥٦] وقال: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَن يُضِلُّۖ﴾ [النحل:٣٧].

فائدة: من عاد جبريل فقد عاد الله

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدًى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ○ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٧، ٩٨].

يزعم اليهود أن جبريل عدو لهم، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمع عبدالله بن سلام رضي الله عنه بالرسول ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث، لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل آنفًا» قال: جبريل؟ قال: «نعم» قال ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت» قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، يارسول الله إن اليهود قوم بُهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أي رجل عبدالله فيكم؟»

قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: «أرأيتم إن أسلم عبدالله بن سلام» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبدالله بن سلام فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، قالوا: هو شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، فقال هذا الذي كنت أخاف يارسول الله [البخاري: ٤٤٨٠، ورواه غيره من وجه آخر] فمن عادى جبريل عليه السلام فقد عادى الملائكة كلهم، ومن عادى رسولًا من الرسل فقد عادى الرسل كلهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾ الآيتين [النساء: ١٥٠، ١٥١] ومن عادى جبريل فقد عادى الله تعالى، ومن عادى وليًا فقد آذنه الله بالحرب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب» [البخاري: ٦٥٠٢] ومن حاربه الله وعاداه خسر الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية.

فائدة: الحب لله وفي الله اعظم عرى الإيمان

الحب في الله ولله وبالله أعلى عرى الإيمان، فالمؤمن الحق هو من يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله، يحب الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين لمحبته لله، يحب ما يأمر به الله، ويكره ما ينهى الله عنه، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فالقتال مكروه عند النفوس بالطبيعة، ولكن المؤمن الحق يرضى بما رضي به الله، وبما أمره به، ولا يركن إلى الرفاهية والراحة عند

وجوب القتال وتوفر شروطه، ولا يلتفت إلى لذة محبوبه العاجلة، ولا إلى ألم المكروه العاجل، بل يحب ما يحبه الله ويستبشر به، فهو يحب الله، ويحب ما يحبه الله.

فائدة: تحذير شديد من الله تعالى لمن عرف الحق ولم يتبعه

خص الله ثمود في سورة الشمس، فقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ○ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ○ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ○ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ○ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس:١١-١٥] ففي هذه السورة ذكر ثمود ولم يذكر غيرها من الأمم التي عصت فعاقبها الله، لأن ثمود كذبوا مع علمهم ورؤيتهم البينة، وهي الناقة، ولمعرفتهم للحق وعدم اتباعه، وهذا أشد الكفر والعناد، ولهذا قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧] وقال: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:٥٩] وفي هذا تحذير شديد لمن عرف الحق ولم يتبعه.

فائدة: فضائل سورة البقرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» [مسلم: ٧٨٠].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع فيه سورة البقرة) [النسائي في الكبرى: ١٠٨٠٠، والحاكم ٢/ ٢٦٠، والطبراني في الأوسط ٣٢٩٢، وهو موقوف] وفي رواية عنه: (ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان له ضراط)

[الدارمي:٣٤١٨ والبيهقي في شعب الإيمان ٢٣٧٩ والطبراني في الأوسط ٢٢٦٩، وفي الكبير ٨٦٤٣ وغيرهم، وهو موقوف وإسناده ضعيف] وروي أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في كل ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة: أربع من أولها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث آيات من آخرها، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء سنامًا، وإن سنام القرآن البقرة، وأن من قرأها في بيته نهارًا لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام» [الطبراني ٦/ ٢٠١، وعبدالرزاق في مصنفه:٦٠١٩ والهيثمي في موارد الظمأن ١٧٢٧، والحاكم ١/ ٥٦٠،٢/ ٢٥٩، وحسنه الألباني:٥٨٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عدد فاستقرأهم، فاستقرأ كل واحد منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم سنًا، فقال: ما معك يافلان؟ فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: «أمعك سورة البقرة؟» قال نعم، قال: «اذهب فأنت أميرهم» فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا أني خشيت أن لا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن واقرؤوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جِراب محشو مسكًا يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب وكىء على مسك» [الترمذي:٢٨٧٦، وقال حديث حسن وضعفه الألباني] وقصة أسيد بن حضير رضي الله عنه معروفة لما كان يقرأ في الليل بسورة البقرة وفرسه مربوطة عنده فجالت، فسكت فسكتت، فلما رفع رأسه إلى السماء وجد مثل الظلمة فيها أمثال المصابيح، فقال رسول الله ﷺ: «تلك

الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم» [البخاري:٥٠١٨].

فائدة: الله يقبل التوبة الصادقة والعمل الصالح

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

الله تعالى يقبل التوبة الصحيحة الخالصة من عباده التائبين، ويقبل الصدقات ويأخذها، كما أن الرسول ﷺ يأخذ من الناس الصدقات كما أمره ربه، فقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة:١٠٣] وأخذ الرسول ﷺ للصدقات التي لله تعالى قائم مقام أخذ الله لها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا «إن الله يقبل الصدقة إذا كانت من طيب، ويأخذها بيمينه، وإن الرجل ليتصدق بمثل اللقمة، فيربيها له كما يربي أحدكم فصيله أو مهره، حتى تكون مثل أحد» [أحمد ٢/ ٢٦٨،٤٠٤،٤٧١، قال محققو المسند: إسناده صحيح]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا، فإن أحدكم يعطي اللقمة أو الشيء فيقع في يد الله عز وجل قبل أن يقع في يد السائل» ثم تلا هذه الآية [الطبري في التفسير:١٧١٨٢].

فائدة: الولد كسب أبيه

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٣٣] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فلفظ المولود له أجود من لفظ الوالد لوجوه: إنه يعم الوالد وسيد العبد، وأنه يبين أن الولد لأبيه لا لأمه، وأن الأب يستبيح مال ولده ومنافعه، وأنه يبين

جهة الوجوب عليه، وهو كون الولد له لا للأم، وأن الأم هي التي ولدته حقيقة دون الأب، فهذه أربعة أوجه، لهذا يقال: (لفلان مولود) (ولد لي ولد).

أما أجرة المرتضع فعلى الأب، لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق:٦] وكذا النفقة على الحامل، ومن باب أولى نفقته بعد فطامه، فالولد يعتبر كسبًا للأب، وروي «إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه» [أبو داود:٣٥٨٢، وأحمد ٢/ ٢١٤،٦/ ٤١،٢٠١، وصححه الألباني].

فائدة: فوائد عظيمة في قصة ذي القرنين

في قصة ذي القرنين الواردة في سورة الكهف فوائد عظيمة، منها أهمية عمل الأسباب المادية والمعنوية، وأهمية التوكل على الله بعد عمل الأسباب، وأنه لا يجوز ترك الأسباب واعتقاد التوكل، فهذا تواكل وليس توكلًا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٩] وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] ومن الفوائد الحث على الجهاد في سبيل الله، ونشر الدين في بقاع الأرض، وإخضاع الشعوب لدين الله، وعمل الأسباب التي تعين على ذلك واستخدامها، حتى ينتشر دين الله، والسعي لمصالح الناس والتعاون على ذلك من قبل الرعية والراعي، ولما أخذ الغرب بالأسباب المادية غلبوا المسلمين، ولما ترك المسلمون الأخذ بالأسباب المادية حصل لهم هذا الضعف والتأخر. ولا شك أن حضارة الغرب الحالية عوراء، فهي مادية بحتة، وهم متأخرون في النواحي الروحية والخلقية

وغيرها، ولهذا لم يحققوا السعادة المطلوبة، وهي سعادة الروح وتسخير المادة لطاعة الرحمن، كما فعل أسلافنا من المسلمين في عهود الازدهار، وقد مكن الله لذي القرنين إذ أخذ بالسببين: المادي والروحي، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ إلى آخر الآيات [الكهف:٨٣-٩٨] فمن أراد نشر الدين وغلبة الكفار والسعادة في الدارين فعليه بالسببين: الروحي والمادي.

فائدة: بيان بأن الأعمال توزن يوم القيامة

الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا ولقوا ربهم يوم القيامة غير تائبين، إن رجحت حسناتهم على سيئاتهم نجوا، وإن رجحت سيئاتهم على حسناتهم خسروا، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨،٩].

أما من رجحت حسناته بواحدة فيدخل الجنة، ومن رجحت سيئاته بواحدة دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف ومصيره إلى الجنة، وقد تحبط الحسنات بالسيئات، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣] ويكون الإبطال إما بالردة - نعوذ بالله منها - وإما بالمن والأذى، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤] وإما بالرياء والسمعة وذكرها للناس للتظاهر بها

والتفاخر والمراءاة، نسأل الله تعالى النجاة من ذلك كله.

قال الله تعالى فيمن يرفع صوته فوق صوت النبي، ويجهر له بالقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢] وقال ﷺ: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» [البخاري:٥٥٣] وقالت عائشة رضي الله عنها لأم ولد زيد بن أرقم، وقد باع بيع العينة: (وأخبري زيدًا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب) وقال الإمام أحمد رحمه الله: (ينبغي للعبد أن يتزوج إذا خاف على نفسه، فيستدين ويتزوج حتى لا يقع في محظور فيحبط عمله) فعلى المسلم أن يحذر من إبطال عمله بشيء من ذلك أو بغيره، وأن يجدد النية والإخلاص في كل حال قبل العمل وأثناءه وبعده، والله المستعان.

فائدة: السكينة منة من الله

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الفتح:٤] ما أحوج المسلم إلى السكينة وما أهمها، فهي طمأنينة في القلب والجوارح، وسمت وتعقل وهدوء امتن الله تعالى بها ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح:١٨] وقال: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الفتح:٢٦] فالتصديق واليقين

بالله وبما جاء به، والتسليم والإذعان وعدم التردد والوساوس، كل هذا من السكينة والخشوع وعبودية الله حقًا، والخضوع وغض البصر من السكينة، ومن عبدالله كأنه يراه، وفرح بلقائه، وآمن به، واتقاه حق تقاته، ووحده، وآمن برسوله وعزره ووقره، حصلت له السكينة، قال الله تعالى: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

ومما يورث السكينة ذكر الله، فإنه يطمئن القلوب، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ولما رأى رسول الله ﷺ رجلًا يعبث بلحيته في الصلاة قال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» [البيهقي ٢/ ٢٨٥، وضعفه الألباني في إرواء الغليل ٢/ ٩٢] فالاضطراب والخوف والفزع والعجلة والفرح والحزن والهم والغم والقلق، كل هذه منافية للسكينة التي ينبغي للمسلم أن يتخلق بها، إنها سمت التقوى التي هي شعار المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦] وقد أمر الرسول ﷺ بأن يأتي المسلم الصلاة وعليه السكينة، وقد كان الأنبياء عليهم السلام أشد الناس سكينة وأعلاهم، فهذا إبراهيم عليه السلام حصلت له السكينة حين ألقي في النار، وهذا موسى عليه السلام حصلت له السكينة لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] قال: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] وحصلت له وهو يناجي ربه، وكذلك لما رأى العصا ثعبانًا ورأى حبال السحرة كأنها تسعى، وهذا نبينا محمد ﷺ: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠] فأنزل سكينته عليه،

وغير ذلك مما يطول الكلام عنه في مواقف الرسل والأنبياء والصالحين.

فائدة: محاولة المشركين إيهام العوام بأن القرآن شعر

قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ○ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ○ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ○ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧] النبي ﷺ ليس بشاعر، وهو منزه عن ذلك، والقرآن ليس بشعر، وقد كذب المشركون في إيهام العامة بأن القرآن شعر، وزعم بعضهم أنه موزون على البحور، فقالوا:

من الطويل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [الشعراء: ١٥١].

ومن المديد: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٧٦].

ومن البسيط: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

ومن الوافر: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠].

ومن الكامل: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقالوا: إن الآية الكريمة ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤] بيت تام.

وهم في ذلك يعرفون كذبهم، بل الطفل يعرف أن هذه آيات بينات ليست من الشعر، وقد بين الله تعالى أن الشعراء يتبعهم الغاوون أهل الغي والضلال، وأنهم في كل واد يهيمون، أي وديان الخيال والأوهام، لا يهتدون إلى سبيل، بل هم حائرون غاوون تائهون في الهجاء والقدح والغزل والمدح والفخر ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦] واستثنى الله منهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾ [الشعراء:٢٢٧] وهم الذين يكثرون ذكر الله وتوحيده والثناء عليه والدعوة إليه والحكمة والموعظة والزهد والترهيب والترغيب والطاعة ونصر الحق والمؤمنين، ومنهم علي بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك رضي الله عنهم وغيرهم، قال رسول الله ﷺ: «إن من الشعر لحكمة» [البخاري:٦١٤٥] وقال لحسان رضي الله عنه: «اهج المشركين، فإن جبريل معك» [البخاري:٤١٢٤، ومسلم:٢٤٨٦] وقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه» [أحمد ٦/٣٨٧، وعبدالرزاق في مصنفه ٢٠٥٠٠ والبيهقي ١٠/٢٣٩، والبغوي في شرح السنة ٣٤٠٩، وابن حبان ٤٧٠٧ وغيرهم. وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين] وكان الصحابة ينشدون ويستشهدون بالشعر، وقد رويت أشعار من قول الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين، والله أعلم.

فائدة: إذا اراد الله بعبده خيرا أعطاه اكثر مما يؤمل

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ○ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النمل:٨،٩] أي لما جاء موسى عليه السلام إلى ما ظن أنه نار ليآخذ منه شهابًا قبسًا للدفء في تلك الليلة الشاتية والظلمة المثلجة ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [النمل:٨] أي قضى الله له أمرًا عظيمًا مباركًا مقدسًا مطهرًا في تلك البقعة المباركة وذلك الوادي المطهر ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ﴾ [القصص:٣٠] وما حوله من أرض الشام المباركة التي بعث الله الأنبياء فيها، وكلم الله تعالى موسى عليه السلام فيها، وحول الشجرة الملائكة وموسى المباركون ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

[النمل:٨] تنزيه لله تعالى رب العالمين ومعبودهم الخالق الرازق المحيي المميت ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النمل:٩] فهو سبحانه قوي قادر عزيز حكيم، فرأى موسى عليه السلام نور الله تعالى في ذلك الوادي وحول الشجرة والملائكة، فأمره ربه أن يلقي عصاه ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل:١٠] أي أبصرها تتحرك بشدة واضطراب، حيث صارت ثعبانًا واضحًا، ولى موسى عليه السلام ولم يرجع على عقبيه، فأمره ربه أن لا يخاف، وقال له: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:١٠] أي لا ينبغي للمرسلين أن يخافوا حين الوحي إليهم، وعليهم تلقي الأوامر ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل:١١] وفي هذا طمأنة لخاطر موسى عليه السلام وغيره بأن الله تعالى يغفر ظلم العباد إذا تابوا وبدلوا الحسن بعد السوء، فالله تعالى يبدل سيئاتهم حسنات، كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان:٧٠] وهذا من فضله وكرمه ومنه وجوده وإحسانه وفضله ومعروفه، فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: الايمان بالغيب

من أوصاف المؤمنين الإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٢،٣] ومن أوصافهم إقامة الصلاة، قال تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٣] ومن أوصافهم أنهم ينفقون مما رزقهم الله، قال تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣] ومن أوصافهم أنهم يؤمنون بما أنزل إلى الرسول ﷺ وما أنزل من قبله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة:٤] ومن أوصافهم أنهم يوقنون بالآخرة، قال تعالى:

﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤] فهذه أربع آيات من أول سورة البقرة في صفات المؤمنين، وآيتان في صفات الكافرين: الأولى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦] والثانية قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٧].

فائدة: ثلاث عشرة صفة من صفات المنافقين

أما المنافقون فقد ذكر الله من صفاتهم ثلاث عشرة آية، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ○ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ○ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ○ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ○ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ○ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ○ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ○ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ○ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ○ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ○ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ○ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ○ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٨-٢٠].

فائدة: الأمر بالإنفاق من الكسب الطيب

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

فالإنفاق من الطيب الغالي على النفس يزكي النفس ويطهرها، وهو أفضل من الصدقات الكثيرة من الردي، ولهذا فضل الله إراقة الدماء في الهدي والأضاحي تقربًا إلى الله بالجيد منها نوعًا وثمنًا وطيبًا، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: ٣٧] وقال عن البر: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧] وقال: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الآية [الإنسان: ٨].

فائدة: تحديد الطلاق بطلقتين وتحريم ما كان في الجاهلية

قال الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فقوله تعالى: ﴿مرتان﴾ يدل على أن كل طلقة في وقت، فلو قال: أنت طالق وكرر ذلك، أو قال: طالق ثلاثًا أو أكثر، لم تطلق إلا واحدة، كما لو قال: سبح مرتين أو ثلاث مرات، لم يجزه أن يقول: سبحان الله مرتين أو ثلاثًا، بل لابد أن ينطق بالتسبيح مرة بعد مرة، فكذلك لا يقال: طلق مرتين إلا إذا طلق مرة بعد مرة، كل واحدة في وقت، ثم قال تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٣٠] فهذه الطلقة الثالثة لم يشرعها الله تعالى إلا بعد الطلاق الرجعي مرتين، والله أعلم.

فائدة: تمام الرضاعة حولان كاملان

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

تدل هذه الآية على أن تمام الرضاعة حولان كاملان، وأنه لا يجب ذلك، فمن شاء أن لا يتم الرضاعة حولين جاز له، لأن الله تعالى قال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ﴾ أما الرضاعة بعد الحولين فهي بمنزلة الرضاعة للكبير، وإتمام الرضاعة لا يكون إلا بإكمال الحولين، فإن الكامل الذي لا ينقص منه شيء، ولو أراد أحد الأبوين الإتمام للحولين، وأراد الآخر الفصال قبل ذلك، كان الأمر لمن أراد أن يتم الرضاعة، لقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ﴾ [البقرة:٢٣٣] فقوله تعالى: ﴿يرضعن﴾ صيغة خبر بمعنى الأمر، ومعناه: على الوالدة إتمام رضاعة حولين كاملين، إذا أريد إتمام الرضاعة، ولا يجوز الفصال إلا بتراضيهما.

وتدل الآية على أن الأم تستحق الأجرة على الرضاعة، فهي كالأجير مع المستأجر، فالولد زرع الأب، قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ﴾ [البقرة:٢٢٣] والأم بمنزلة الأرض المزروعة، وقد نهى النبي ﷺ أن يسقي الرجل ماءه زرع غيره، ومال الابن للأب، قال النبي ﷺ: «أنت ومالك لأبيك» [أبو داود:٣٥٣٠، وابن ماجه:٢٢٩١،٢٢٩٢، وأحمد ٢/ ٢٠٤، والبيهقي ٧/ ٤٨٠،٤٨١، وقال الألباني: حسن صحيح] وهو من كسبه، قال تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:٢] فيجوز للأب أن يأخذ من مال ولده مالا يضره، ويجب على الابن طاعة والديه فيما لا معصية فيه، وقوله:

﴿بالمعروف﴾ أي أجرة المثل، والله أعلم.

فائدة: من فوائد قصة أيوب عليه السلام

من فوائد قصة أيوب عليه السلام:

أن الله تعالى يبتلي عبده الصالح بالمصائب وبالحسنات، وقد ابتلى الله أيوب عليه السلام بالمرض الشديد، وموت الأولاد، وذهاب المال، وعقوق الأصحاب والأقارب، ولم يشكُ إلى أحد غير الله تعالى، حيث قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣] ولما جاء الفرج نبعت عين ماء بارد، وأمره الله بأن يغتسل منه ويشرب، فشفاه الله من المرض، ثم أعاد الله له أهله وماله وأولادًا أكثر من أولاده، قال تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص:٤٢] وقال تعالى: ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ [ص:٤٣] أي أعطاه الله ضعف أولاده، وأمره أن يأخذ ضغثًا فيضرب به زوجته حتى لا يحنث، وذلك أن الشيطان تمثل لها في طريقها، وطلب منها أن تطلب من أيوب عليه السلام أن يقول شيئًا، قيل: يقول: (شفاني الطبيب) فحلف أن يجلدها مائة جلدة، وحيث إنها امرأة صالحة وافية ودود رحيمة خدمته في مرضه خفف الله عنها، وقال له: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾ [ص:٤٤] والضغث حزمة من شماريخ النخل به مائة عود، أمر أن يضربها به مرة واحدة عن مائة ضربة، ولا يحنث في يمينه.

ومن فوائد القصة أن على الداعية أن يصبر، ومنها أن الزوجة الصالحة نعمة عظيمة، وأن الله تعالى يرحم الضعفاء، وأن الشريعة الإسلامية فيها اليسر والرحمة، حيث أمر الله بالكفارة عن اليمين،

وهذه الكفارة من مميزات الإسلام، ولم تشرع لأمة من الأمم السابقة، وهذا من فضل الله تعالى ورحمته.

فائدة: صلة الرحم

ورد أنه تعالى لما خلق الرحم اشتق لها اسمًا من اسمه (الرحمن) وتعلقت بالعرش وقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال: «ألا ترضين أن أصل من وصلكِ، وأقطع من قطعك» [البخاري:٤٨٣٠، ومسلم:٢٥٥٤] فمن وصل رحمه وصل الله عمره، وعمر دنياه، واتسع رزقه وبورك له فيما أعطاه، ونسئ له في أثره، ووصل ما بينه وبين الرحمن، وما بينه وبين الخلق، وقرب من ربه، وتمت له أمور الدنيا والآخرة، ومن قطع رحمه محقت بركة عمره، وعجلت له العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، وفسدت أموره الدنيوية والأخروية، وقل رزقه، قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له من العقوبة يوم القيامة من البغي وقطيعة الرحم» [أبو داود:٢٩٠٢، والترمذي:٢٥١١، والبيهقي ٢٣٢/١٠،٢٣٤، والحاكم ٣٥٦/٢، ١٦٢/٤، وابن ماجه:٤٢١١، وصححه الألباني] وفي الحديث: «من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه» [البخاري:٢٠٦٧، ومسلم:٢٥٥٧] وفي الحديث قول الله تعالى: «إن رحمتي سبقت غضبي» [البخاري:٧٤٥٣، ومسلم:٢٧٥١] وقد كتب الله الرحمة على المسلمين بنبينا محمد ﷺ رسول الرحمة، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ○ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ

يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦، ١٥٧] اللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء.

فائدة: الابتلاء نعمة او نقمة

الابتلاء والمصائب التي تصيب المسلم، إما عاقبتها نعمة أو نقمة، فإن صبر واحتسب الأجر من الله ورجع إليه وتاب من ذنوبه وانطرح على بابه صارت نعمة عظيمة، وإن انطرح على أبواب غير الله، أو قنط من رحمته، ولم يتفقد أعماله، ولم يعترف بذنوبه، ونسي ذكر ربه صارت نقمةً عليه ووبالًا كبيرًا ونقصًا في الدين وعقوبةً، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥، ٦].

فائدة: كل يوم هو في شأن

قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ فقال: «من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرّج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين» [ابن ماجه:٢٠٢ والطبراني في الأوسط:٣٤٠١ والبزار:٢٢٦٦ وحسنه الألباني] قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويكشف غمًا، وينصر مظلومًا، ويأخذ ظالمًا، ويفك عانيًا، ويغني فقيرًا، ويجبر كسيرًا، ويشفي مريضًا، ويقيل

عثرةً، ويستر عورةً، ويعز ذليلًا، ويذل عزيزًا، ويعطي سائلًا، ويذهب بدولة ويأتي بأخرى، ويداول الأيام بين الناس، ويرفع أقوامًا ويضع آخرين، يسوق المقادير التي قدرها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام إلى مواقيتها، فلا يتقدم شيء منها عن وقته ولا يتأخر، بل كل منها قد أحصاه، كما أحصاه كتابه، وجرى به قلمه، ونفذ فيه حكمه، وسبق به علمه، فهو المتصرف في الممالك كلها وحده تصرف ملك قادر قاهر عادل رحيم تام الملك، لا ينازعه في ملكه منازع، ولا يعارضه فيه معارض، فتصرفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان، والحكمة والمصلحة والرحمة، فلا يخرج تصرفه عن ذلك).

فائدة: أعظم الظلم منع بناء المساجد وتعميرها بالعبادة

من أعظم الظلم منع الناس عن بناء مساجد الله، والسعي في خرابها، ومنع الجمعيات الخيرية التي تعمر المساجد في أنحاء الأرض، ومنع الدعاة إلى الله تعالى والدعوة إليه، والمشاريع الخيرية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤] وقال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨] وقال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم

مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٥] وقال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ○ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور:٣٦،٣٧] وعمارة المساجد تكون بالصلاة فيها وذكر الله ورفعها من الدنس والشرك، وهذه العمارة المعنوية أهم من العمارة الحسية التي تكون برفع مبانيها وتنظيفها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ﴾ [البقرة:١٢٧].

فائدة: التوبة النصوح تجب ما قبلها

التائب من الذنب كمن لا ذنب له، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ، فجاء رجل فقال: يارسول الله إني أصبت حدًا فأقمه عليَّ، قال: ولم يسأله عنه، فحضرت الصلاة فصلى مع النبي ﷺ، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة، قام إليه الرجل فأعاد قوله، قال: «أليس قد صليت معنا» قال نعم قال: «فإن الله عز وجل قد غفر لك» [البخاري:٦٨٢٣ ومسلم:٢٧٦٤] ولم يقم عليه الحد مع اعترافه بالذنب، لأنه تاب منه.

فائدة: حياة المؤمن في البرزخ

بعدما يفارق المؤمن هذه الدنيا الضيقة مسجونًا فيها، يخرج إلى حياة أوسع، وفضاء أرحب، وروح وريحان وراحة، نسبتها بعد الممات كنسبة بطن الأم إلى هذه الدار الدنيا، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ○ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٨،٨٩] إن

حياة المؤمن في البرزخ بعد الموت أسعد من هذه الحياة الدنيا، يرافق الرفيق الأعلى، ويفارق الرفيق المؤذي، في جوار الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، في جوار الرب الرحيم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ○ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ○ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ○ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٧-٣٠] وقال الرسول ﷺ: «اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى» [البخاري:٥٦٧٤، ومسلم:٢١٩١] وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ○ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ○ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ○ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ○ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ○ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ○ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ○ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ○ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٨٨-٩٦].

فهم على ثلاث درجات، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا مشمر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مَّشِيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، في مقام أبدًا، في حَبْرة ونضرةٍ، في دور عالية بهية» قالوا: يارسول الله نحن المشمرون لها، قال: «قولوا: إن شاء الله» ثم ذكر الجهاد وحض عليه [ابن ماجة:٤٣٣٢، وضعفه الألباني].

فائدة: تحدى الله الكافرين بأن يأتوا بمثل هذا القرآن

تحدى الله الكافرين بأن يأتوا بمثل أو بعض القرآن في الآيات الآتية، قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص:٤٩] وقوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ

بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود:١٣]. وقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٣٧،٣٨]. وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ○ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٣،٢٤].

فائدة: روح القدس

روح القدس هو جبريل عليه السلام، وهو الروح الأمين، قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ○ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٣،١٩٤] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب» [شرح السنة للبغوي:١٤/ ٣٠٤ حديث:٤١١٢] وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ وضع لحسان بن ثابت رضي الله عنه منبرًا في المسجد، فكان ينافح عن رسول الله ﷺ [البخاري:٣٥٣١، ٦١٥٠، ومسلم:٢٤٨٧] فقال رسول الله ﷺ عنه: «اللهم أيده بروح القدس» [البخاري:٤٥٣،٦١٥٢ ومسلم:٢٤٨٥].

فائدة: بديع صنع الله في خلق الإنسان

قال الله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١] يجب

على المسلم أن يتبصر ويتفكر في نفسه، فهي أقرب الأشياء إليه، فالإنسان مكون من ماء ثم عظام ثم لحم، وفيه عروق وأعصاب، وعليه جلد، وعدد مفاصله ثلاثمائة وستون مفصلًا، شدت بالعروق، جعل الله فيه السمع والبصر والشم، وبابين للكلام والطعام والشراب والتنفس، وبابين لخروج الفضلات، وجعل له عينين مبصرتين وحاجبين، وصان الحدقة بالأجفان والحواجب والأهداب، وجعلها كالمرآة يرى ما يحتاج إليه، وهي ألطف الأعضاء وطليعة للقلب، وجعل الله الأُذُنين فيهما سمع ما يحتاجه الإنسان ولا يؤذيه، ونصب الأنف وأودعه حاسة الشم، وجعل في البنان آية عظيمة حيث يختلف بنان كل واحد من الناس عن الآخرين، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤] وعلمه البيان والتذكر.

فائدة: صيغة التحية الشرعية

قال الله تعالى على لسان الملائكة حيث قالوا لإبراهيم عليه السلام: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] استدل بعض العلماء بهذه الآية التي قالتها الملائكة بعد السلام على كراهية الزيادة في التحية على (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) أخرج البيهقي في [الشعب ٨٨٨٠] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلًا قال له: سلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فانتهره ابن عمر رضي الله عنهما، وقال: حسبك إذا انتهيت إلى (وبركاته) إلى ما قال الله تعالى، وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سائلًا قام على الباب وهو عند ميمونة رضي الله عنها فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته وصلواته ومغفرته، فقال: انتهوا بالتحية إلى

ما قال الله سبحانه [المصدر السابق] وفي رواية عن عطاء قال: كنت جالسًا عند ابن عباس رضي الله عنهما فجاء سائل فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، فقال: ما هذا السلام؟ وغضب حتى احمرت وجنتاه، إن الله تعالى حد السلام حدًا، ثم انتهى ونهى عما وراء ذلك، ثم قرأ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود:٧٣] [شعب الإيمان للبيهقي:٨٨٧٨] والله أعلم.

فائدة: عظم أجر من عال البنات

الذي يعول بنات له أجر عظيم، ففيهن الخير العظيم والثواب الجزيل، وقد بشر من عال ثلاثًا منهن أو اثنتين بالجنة، والأنبياء معظمهم آباء بنات، أما الجاهلون فكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل:٥٨] وقال: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل:٥٩] قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا» وضم إصبعيه [مسلم:٢٦٣١] وقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار» [البخاري:٥٩٩٥، ومسلم:٢٦٢٩] وقال الله تعالى في حق النساء: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩] فالله يجعل في البنات خيرًا كثيرًا في الدنيا والآخرة، ومن كرههن فيخشى عليه من كراهية ما رضيه الله له وأعطاه إياه، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من عال ابنتين أو ثلاث بنات أو أختين أو ثلاث أخوات، حتى يبنَّ، أو يموت عنهن، كنت أنا وهو كهاتين» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى [أحمد ١٤٨/٣، وعبد بن

حميد: ١٣٧٨، وابن حبان: ٤٤٧ وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ١٩/ ٤٨١].

فائدة: عقوبات الصد عن سبيل الله

قال الله تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] وقال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧] وقال: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] فالطبع والختم والقفل عقوبات لمن صد عن سبيل الله، وأعرض عن الحق بعد إذ جاءه واتبع هواه، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ﴾ [القصص: ٥٠] ومن لم يتدبر القرآن يُخشى أن يقفل الله على قلبه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] وقد عوقب اليهود بالمسخ قردة وخنازير، وبالطمس على أعينهم وقلوبهم، وبالضلال عن الحق، وعدم قبول الهدى، ومن الناس من يحصل له مرض القلب فيكره الحق، ومنهم من يكون عنده التباس وشك وصدأ في القلب، وكل ذلك بسبب الغفلة، وعدم ذكر الله، فيكسل وتصعب همته وإرادته وعزيمته، نسأل الله العافية.

فائدة: وجوب الخوف من الله

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

فالخوف والرهبة والإشفاق والوجل واجبات على المسلمين،

فمن يتوقع العقوبة، ويضطرب قلبه، ويهرب من الذنوب، ويرغب في عبادة الله، ويرجو ثوابه، ويجمع بين هذه الأشياء، وهو عابد لله، مبتعد عن المعاصي، فهو ممن يدخل في هذه الآيات.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يارسول الله قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠] أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم» [الترمذي:٣١٧٥، وصححه الألباني].

فائدة: خلق الإنسان في كبد

قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ○ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ○ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ○ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:١-٤].

أقسم الله تعالى بمكة وبآدم عليه السلام وذريته بأنه خلق الإنسان في كبد، يكابد مشاق الدنيا ومصائبها، وشدائد الآخرة وعرصاتها، فهو في مشقة مستمرة ومعاناة وشدة، فهو في رحم أمه في كبد، ثم يكابد المعيشة والأمر والنهي والأولاد والأزواج والموت والقبر والبرزخ والقيامة، حتى يصل إلى الجنة فيرتاح ويستريح من عناء السفر إن كان مؤمنًا، وأمام الإنسان عقبة إذا قطعها نجا، وهذه العقبة كؤود صعبة، قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ○ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ○ فَكُّ رَقَبَةٍ ○ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ○ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ○ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد:١١-١٦] إن الإنسان إذا اقتحم واجتاز هذه العقبة الشديدة صار من المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ○ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد:١٧، ١٨] وقال عن الكفار الذين أعرضوا عنه:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ○ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ [البلد: ١٩، ٢٠].

فائدة: فوائد في قصص إبراهيم عليه السلام

يستنبط من قصة إبراهيم عليه السلام أن من يتجرد لله يوفقه الله إلى الصراط المستقيم، فإبراهيم عليه السلام كان حنيفًا لا يميل إلى الباطل، فهداه الله وألهمه رشده.

ومن فوائدها جواز الحوار في الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ الآية [البقرة:٢٥٨] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ الآيات [الأنعام:٧٦-٧٩].

ومن فوائدها أن من حقت عليه كلمة الله أنهم لا يؤمنون، مهما أقيمت عليهم الحجج، وأن من لم يبحث عن الحق وصمم على الباطل وتكبر يستمر فيه، كأب إبراهيم عليه السلام (آزر).

ومن فوائدها أن الله قادر على إبطال الأسباب إذا أراد، ولهذا أبطل الله الإحراق للنار، قال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

ومن فوائدها أن الحق يغلب الباطل ويدمغه فإذا هو زاهق.

ومن فوائدها أن الله يحمي من اتكل عليه ودعاه وأخلص، فقد حمى الله سارة زوجة إبراهيم عليه السلام من ملك مصر.

ومن فوائدها أن من التجأ إلى الله أغاثه، فقد التجأت هاجر إلى

ربها وآمنت أنه لن يضيعها، فنبعت عين زمزم، وجاءها من الناس من يؤنسها.

ومن الفوائد أن شكر النعم سبب لبقائها، كما حصل لامرأة إسماعيل عليه السلام، ومن ذلك أن من أحسن العمل يجب عليه طلب القبول من الله ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ومن الفوائد أن من انقاد إلى حكم الله ينقذه الله، كما أنقذ الله إسماعيل عليه السلام وفداه بذبح عظيم، ومن ذلك رحمة الله من يطلبه الرحمة ويلح عليه في الدعاء، فقد رحم الله إبراهيم عليه السلام وسارة زوجته حين بشرهما بإسحاق عليه السلام، ومن وراء إسحاق يعقوب عليهما السلام.

ومن فوائدها أن هذه الأمة مأمورة باتباع ملة إبراهيم عليه السلام.

ومن الفوائد أن المسلم مأمور بالعلم واليقين وعمل الأسباب والدعوة بالحكمة، وأن الأولاد الصالحين نعمة من نعم الله، وهذه القصة تذكرنا بها مناسك الحج والعمرة.

ومن الفوائد وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام بتقوى الله، وأن المسلم يسأل خيري الدنيا والآخرة ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] ومن ذلك الحث على الكرم واستقبال الضيوف ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩] ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [الذاريات: ٢٥] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤].

ومن الفوائد أن الله تعالى جعل لإبراهيم عليه السلام الذكر

الحسن، قال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] فإبراهيم عليه السلام يذكر في كل صلاة وحج وعمرة وقراءة القرآن، صلى الله عليه وبارك. وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام والبركة.

فائدة: لا مساواة بين الرجل والمرأة

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقال رسول الله ﷺ: «أيما رجل أعتق رجلًا مسلمًا كان فكاكه من النار، يجزى بكل عضو منه عضوًا من أعضائه، وأيما رجل أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار، يجزى بكل عضوين من أعضائهما» [أحمد ٤/ ٢٣٥، وقال محققو المسند: صحيح لغيره] وقال رسول الله ﷺ: «أما نقصان عقلهن فشهادة امرأتين بشهادة رجل» [مسلم: ٧٩، وأبو داود: ٤٦٧٩، وأحمد ٢/ ٦٧].

كما أن ميراثها بالنصف من ميراث الرجل، ولا يجوز تقدمها بالأمامة في الصلاة والحكم على الرجال، وقال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقال ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» [البخاري: ٤٤٢٥،٧٠٩٩] وقال: «أخروهن حيث أخرهن الله» [عزاه العجلوني في كشف الخفاء إلى مصنف عبدالرزاق والطبراني، وهو موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه] وقال: «وخير صفوف النساء آخرها» [مسلم: ٤٤٠ الترمذي: ٢٢٤، ٨٢٠] وجميع الرسل من الرجال، وقد صلح من الرجال كثير، وصلح من النساء قليل، وهن أكثر أهل النار، والمرأة في العقيقة والعتق والميراث على النصف من الرجل، وهذه النصوص وغيرها تدل على أن المرأة لا تساوي الرجل، ومن كانت منهن صالحة فإن الله لا يهضمها حقها، فالنساء حقوق على الرجال، كما

أن للرجال حقوقًا ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨].

أما دعوة الحرية المزيفة حرية الغرب اليوم فهي باطلة في نظر الإسلام، فقد جعلوها لعبة في أيديهم ودعاية لتجاراتهم، وأهانوها، وقد كرمها الإسلام، وخير ما للمرأة إطاعة ربها وإرضاء زوجها واستقرارها في بيتها، وتربية أولادها، والرضا بما قسم الله لها، وحمد الله على ما أنعم عليها من نعم الإسلام، والله المستعان.

فائدة: القرآن حياة القلوب

سمى الله تعالى القرآن روحًا، لما يحصل به من الحياة النافعة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢] وقال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر:١٥] وقال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل:١٦] فبالروح حياة البدن، والحياة بدون روح القرآن لا نفع بها، وتسمى الروح نفسًا لنفاستها، فيقال: خرجت نفسه، أو خرجت روحه.

فائدة: البيت الحرام جعله الله مثابة للناس وأمنا

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] فالناس لا يقضون وطرهم منه، يأتونه راغبين، ويرجعون إلى أهليهم ثم يعودون آمنين من العدو، يتخطف الناس من حولهم، وهم في مأمن لا يحملون فيه السلاح، وقد كان الجاهليون يعظمونه، ولا يؤذون من يلوذ به، فهو موصوف بذلك شرعًا وقدرًا، تشتاق إليه الأرواح استجابةً لدعاء خليل الرحمن له، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة:١٢٧] ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم:٤٠] ﴿وَمَن

دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [آل عمران:٩٧] وهو أول بيت وضع للناس، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦] وقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ○ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦،٩٧] وقال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة:١٢٥] وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ [البقرة:١٢٦] وقال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عضاهها، ولا يصاد صيدها» [مسلم:١٣٦٢] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعةً من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها» فقال العباس: يارسول الله إلا الإذخر، فإنه لقينهم ولبيوتهم، فقال: «إلا الإذخر» [البخاري:١٥٨٧،١٨٣٤ ومسلم:١٣٥٣].

فائدة: الوفاء بالعهد من صفات أهل الإيمان

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١] وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١] وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:٣٤]

وقال: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب:١٥] وقال: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٢] وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤] وقال: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ﴾ [التوبة:١٢] وقال: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون:٨، المعارج:٣٢] وقال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة:٢٦،٢٧] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد:٢٠] وقال: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ﴾ [البقرة:١٠٠] وقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧] من هذه الآيات وغيرها يتبين عظم الوفاء بالعهد، وإثم من ينقضه، وأن الله يسأل العبد يوم القيامة إذا نقض عهده، وأن نقض العهد دليل على فساد القلب ونفاقه وعدم تقواه وقسوته وعدم خلقه، وأن الله لا ينظر إلى من نقض عهده يوم القيامة، ولا يزكيه، وله عذاب أليم، وأنه دليل على النفاق، فالمنافقون هم الذين إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا عاهدوا غدروا، وإذا خاصموا فجروا، قال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء ينصب لغدرته» [البخاري:٣١٨٨ ومسلم:١٧٣٥] وقال: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته، ألا ولا غادر

أعظم غدرة من أمير عامة» [مسلم:١٧٣٨] وكان ﷺ ينصح سراياه وأمراء الجيش بعدم الغدر، ومن صفاته ﷺ أنه لا يغدر، كما قال أبو سفيان رضي الله عنه عندما سأله هرقل، والغادر من الثلاثة الذين يكون الرسول ﷺ خصمهم يوم القيامة «رجل أعطى بالله ثم غدر» [البخاري:٢٢٢٧].

فائدة: الإستدراج

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤].

هاتان عقوبتان: الأولى أن يفتح الله عليهم أبواب كل شيء، والثانية أن يأخذهم بغتة، قال النبي محمد ﷺ: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» ثم تلا قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٤٤] [أحمد ٤/ ١٤٥ وحسن إسناده محققو المسند ٢٨/ ٥٤٧].

فائدة: صفات المتعففين

قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣].

هذا وصف للفقراء المتعففين، فالمتوسم المتفرس يعرفهم بسيماهم، والجاهل يحسبهم أغنياء.

ومن صفاتهم أنهم لا يسألون الناس إلحافًا، صبورون على ما ألم بهم من الفقر، يظهرون للناس الغنى، لا يتعرضون للسؤال، ويكتمون حاجتهم، ولا يلحون بالطلب، وفي هذا دليل على أن

الممنوع الإلحاح بالطلب، أما عرض الحاجة فلا مانع منها، ولكن تركه والتوكل على الله تعالى وعمل الأسباب خير وأفضل.

فائدة: من اوصاف القرآن الكريم

وصف الله تعالى القرآن بالكرم، فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة:٧٧] ووصفه أنه مكتوب في اللوح المحفوظ، فقال: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ [الواقعة:٧٨] ووصفه أنه ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ○ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ○ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ○ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس:١٣-١٦] ووصفه أنه ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩] أي لا يمسه إلا الملائكة المطهرون، ووصفه بأنه: ﴿مَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ○ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء:٢١٠،٢١١] ووصفه بقوله: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ○ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج:٢١،٢٢] ووصفه بأنه: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢].

وهذه الآيات تدل على أن القرآن كثير الخير والمنافع والبهاء والعظمة والفضل والحسن والجمال والهدى والبيان والعلم والحكمة والمجد واليسر، وأنه محفوظ، لا يمكن لأحد تغيير شيء منه، ولا الإتيان بمثله، ولا آية منه، وأنه مرفوع محترم بأيدي السفرة الكرام البررة، وأنه طاهر مطهر ما تنزلت به الشياطين، وإنما نزل به روح القدس من رب العالمين، وأنه مكنون مصون مستور من الشياطين، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] وقال: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر:١٧] وإنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا الطاهرون، أما المتلوثون بالنجاسات من البدع والمعاصي والشرك فلا ينالون من معانيه شيئًا ولا يفهمونه، فمن آمن به وتدبره وجد طعمه، ومن عمل به فهم معناه وتأويله، وتلذذ

بقراءته، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩] وقد استنبط ابن تيمية رحمه الله منها أنه لا يمس المصحف إلا طاهر، كما أن الصحف التي في السماء لا يمسها إلا المطهرون، فكذا المصحف الذي في الأرض، وقال ابن القيم رحمه الله: إن قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩] أي الملائكة، وفرق بين المطهرين والمتطهرين، حيث لم يكن القرآن في مصحف عند نزول الآية، لأنها مكية، والله أعلم.

فائدة: الحروف المقطعة

الحروف المقطعة التي في أوائل السور الله أعلم بمراده منها، ولا شك أن لها معنى، ولم ينزلها الله عبثًا ولا سدىً، وأقرب ما قيل فيها - والله أعلم - إنها لبيان إعجاز القرآن المؤلف من هذه الحروف الأربعة عشر المجموعة في (نص حكيم قاطع له سر) قال الزمخشري: (هذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أنصاف أجناس الحروف من المهموسة والمجهورة، والرخوة والشديدة، والمطبقة والمفتوحة، والمستعلية والمنخفضة، والقلقلة) فمن الذي على حرف واحد ﴿ص﴾ ﴿ن﴾ ، ﴿ق﴾، ومن الذي على حرفين ﴿حم﴾، ومن الذي على ثلاثة أحرف ﴿ألم﴾ ومن الذي على أربعة أحرف ﴿المر﴾ ﴿المص﴾ ومن الذي على خمسة أحرف ﴿كهيعص﴾، ﴿حم عسق﴾ وكلها ذكر بعدها إعجاز القرآن وانتصاره وعظمته في تسع وعشرين سورة.

﴿الٓمٓ ○ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١، ٢].

﴿الٓمٓ ○ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ○ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ١-٣].

﴿الٓمٓصٓ ۝ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١، ٢].

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١، ٢].

﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ١، ٢].

﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ١، ٢].

﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ۝ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الشورى: ١، ٣].

والله أعلم بمراده، وهناك حِكم الله يعلمها.

فائدة: فوائد من قصة هود عليه السلام

قال الله تعالى عن هود عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

في قصة هود فوائد منها أن من يتكبر يقصمه الله تعالى، وقوم هود تكبروا، وقالوا: من أشد منا قوة، فأرسل الله عليهم ريحًا صرصرًا عاتية، ومن الفوائد أن من لم يشكر نعم الله يأخذه الله ويعاقبه، ومنها كراهية المباني الضخمة المبنية للرياء والسمعة والخيلاء، قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء:١٢٨،١٢٩] أما اتخاذ المباني للحاجة

والحصون للمنعة من الأعداء فليس مذمومًا.

ومن القصة نستفيد أن الأسباب لا تنفع وحدها إلا بإرادة الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦].

وقد كرر الله قصة هود عليه السلام، لأنها مناسبة لعقول العرب، حيث إنهم عرب، بينما هنالك أمم لا نعرفها من غير العرب لم يرد ذكرها بالتفصيل بالقرآن.

ومن الفوائد أن الداعية ينبغي له أن يقص هذه القصص وأمثالها، فإن لها تأثيرًا عظيمًا على النفوس.

وهذه القصص للأنبياء أحسن القصص، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].

فائدة: الولاء والبراء هو مضمون شهادة (لا إله إلا الله)

قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧] وقال عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨] وقال تعالى عنه ومن معه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] هذه الآيات التي أمرنا الله باتباعها واتباع إبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين الذين حققوها تبين أن

المسلم الحق هو الذي يتبرأ من الكافرين تبرءًا كاملًا، فلا يواليهم ولا يحبهم، وهذه المعاداة للكافرين والموالاة للمؤمنين هي مضمون (لا إله إلا الله) وهي الكلمة الباقية التي ورّثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة، وهي الكلمة التي قامت عليها السموات والأرض، وبسببها أقيم الجهاد والملة ونصبت القبلة، وهي حق الله على عباده، وهي التي تعصم مال المرء وذريته، وهي المنجية من عذاب القبر وعذاب الآخرة وعذاب النار، وهي مفتاح الجنة، وهي حبل الله المتين، وبسببها انقسم الناس إلى سعيد وشقي، وهي رأس أمر الدين، فلا إله بحق إلا الله، ولا معبود بحق إلا هو، ولا ملتجأ إلا إليه، ولا عبادة إلا له، ومن لم يحقق هذه الكلمة، ولم يوالِ أهلها ويعادِ الكافرين بها، فهو الشقي حقًّا، المخلد في نار جهنم، فلا بد من العلم بها واليقين والإخلاص والصدق والمحبة لها ولأهلها، وعداوة من لم يحققها والانقياد والقبول لها ولمقتضاها، ومن يكفر بها ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج: ٣١].

فائدة: من رضي بغير الله ربا وإلها فقد أشرك

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا﴾ [الأنعام: ١٦٤] وقال: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾ [الأنعام: ١٤] وقال: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾ [الأنعام: ١١٤].

فمن رضي بالله تعالى ربًّا لا يبغي ربًا سواه، ولا يرضى بولي وناصر غيره، ولا يوالي من دونه، ومن اتخذ شيئًا من ذلك مع الله فهو متخذ من دونه أولياء وأربابًا، وطلب حكمًا غير حكمه تعالى،

وهذا هو الشرك، ولو قال: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ولو اتخذ الأحبار والرهبان أربابًا من دونه في تحليل الحرام وتحريم الحلال فتلك عبادتهم، فتشمل الآية أمثالها من اتخاذ أحد غير الله في الربوبية والإلهية والولاية والحكم وغير ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ○ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

فائدة: الجدال المحمود والجدال المذموم

الجدال بغير علم، والجدال لإضلال الناس مذموم، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ○ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣، ٤] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ○ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٨، ٩] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الآية [الحج: ١١] أما الجدال بالعلم فقد أثنى الله على إبراهيم عليه السلام إذ جادل قومه بعلم، فهذا الجدال محمود ومطلوب من العالم، وهو الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة لإقناع الخصم بالحجة والبيان، وهذا شأن الأنبياء عليهم السلام.

فائدة: اول من سن القتل

قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] قاتلُ الناس جميعًا معلوم أنه أكثر إثماً، كما أن قاتل الإمام العادل والعالم والداعية إلى الله أعظم إثمًا، وإنما جاء التشبيه

من وجوه، منها أن كلًا منهما عاص لله، تجرأ على حرمات الله، ظالم، ومن آذى مؤمنًا فكأنما آذى المسلمين جميعًا، لأنهم كالجسد الواحد، والقاتل الأول (ابن آدم) هو الذي سن القتل، كما أن أول من غيَّر دين إبراهيم عليه السلام هو عمرو بن لحي الخزاعي، ومن سن سنة سيئة فإثم من تبعه يناله، وللمؤمن حرمة عظيمة أعظم من حرمة الكعبة، وهكذا كل من كان سببًا في فعل شيء، فإن كان سيئًا فعليه إثم من تبعه، وإن كان حسنًا فله أجر من اقتدى به، والله أعلم.

فائدة: تمييز اهل السعادة من أهل الشقاوة

قال الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

هذه الدنيا فيها الخبيث والطيب، وكذا الناس والجن، وفيها الضدان من كل شيء: حر وبرد، وليل ونهار، وسماء وأرض، وألم ولذة، وداء ودواء، وعلو وسفل، وحسن وقبيح، وقد خلق الله من كل شيء زوجين اثنين، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] فهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أما المخلوقات ففيها الخبيث والطيب، والطاهر والنجس، والشر والخير، فالطيبات للطيبين، والخبيثات للخبيثين، والمادة التي خلق منها الإنسان من الأرض فيها الطيب والخبيث، فالطيبون في الجنة، والخبيثون في النار، ولابد من التمييز بينهما، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] وقال: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ

إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج:٧٥] وقد اختار الله من خلقه الرسل، ومن آتاه العلم والإيمان، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:١١] وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ﴾ [الروم:٥٦].

فائدة: حياة الشهداء

حياة الشهداء أعظم حياة بعد فراقهم هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] وقال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤] وقال رسول الله ﷺ: «ما أحد يدخل الجنة، يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة» [البخاري:٢٨١٧، مسلم:١٨٧٧] وقال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم يوم أُحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب مدلاة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومآكلهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ أخواننا أننا أحياء في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله عز وجل أنا أبلغهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] [أبو داود:٢٥٢٠، واللفظ له، وأحمد ١/٢٦٦ والحاكم ٢/٢٩٧ وحسنه الألباني] وفي صحيح البخاري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: يانبي الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم

بدر - فإن كان في الجنة صبرتُ، وإن كان في غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء، قال: «يا أم حارثة إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» [البخاري:٢٨٠٩] نسأل الله تعالى أن يبلغنا منازل الشهداء في الفردوس الأعلى.

فائدة: لاينتفع بالقرآن إلا من القى السمع وهو شهيد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧] هذا القرآن ذكرى لمن اتصف بهذه الصفات، وهي أن يكون له قلب مبصر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] فمن جمع قلبه عند تلاوة القرآن، ولم يشغله بشيء آخر غير التدبر، وألقى سمعه وحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه ﴿وهو شهيد﴾ أي حاضر مصغٍ حي، وذلك بالاستماع وشهادة القلب وعدم الغفلة وعدم السهو، وحياة الروح، وعدم غياب الذهن، والتعقل والنظر والتأمل والإصغاء والعلم، قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٦] وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس:٦٩، ٧٠].

فائدة: فضل ليلة القدر

ليلة القدر ليلة مباركة، تكون في شهر رمضان، وهي ليلة الحكم ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤] يقضي الله فيها الآجال والأعمال والأرزاق إلى سنة كاملة، ويكتب فيها من يموت ومن يحيى، ويكتب الرزق والمطر والحُجَّاج وجميع أمر السنة، وما يحصل على العباد والبلاد، فهي ليلة التقدير، ليلة شريفة وعظيمة،

يبرم فيها الأمور وتقدر المقادير، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١] وقال: ﴿حمٓ ○ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ○ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ○ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ○ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ [الدخان:١-٥].

فائدة: فضل الصدقة في سبيل الله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد:١٨].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الصدقة لتطفىء على أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته» [الطبراني في الكبير ٢٨٦/١٧ قال الهيثمي في المجمع ٣/ ١١٠: رواه الطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام].

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة» [البيهقي:٤/ ١٨٩ عن أنس رضي الله عنه موقوفًا، والطبراني في الأوسط:٥٦٨٣، قال الهيثمي في المجمع ٣/ ١١٠: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عيسى بن عبدالله بن محمد، وهو ضعيف].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله» [البخاري:١٤١٠ ومسلم:١٠١٤] وفي الحديث: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة» [البخاري:١٤١٧، ومسلم:١٠١٦] وقد غفر الله لمن سقى كلبًا على شدة ظمئه، فكيف بمن سقى المسلمين، أو أشبع الجياع أو كسا العراة،

وهي تقي مصارع السوء، وتدفع البلاء، وتطفىء الخطيئة، وتحفظ المال، وتفرح القلب، وتجلب الرزق، وترغم الشيطان، وتزكي النفس، وتستر العيب، وتزيد العمر، وتجلب الدعاء للمرء، وتكون ظلًا له يوم القيامة، وتقي من عذاب القبر، وتشفع له عند الله، وتهون عليه المصائب، وتحبب العبد لربه وللناس.

فائدة: مرد التنازع عند الاختلاف

قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

هذه الآية الكريمة تفيد أن كل تنازع يرد إلى القرآن والسنة، وأن القرآن والسنة فيهما فصل الخطاب، وأن التنازع لا يخرج عن الإيمان إذا لم يكن في العقيدة، وأنه يجب الرد إلى القرآن والسنة، وذلك من موجبات الإيمان، وأن من قيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أعرضوا عن ذلك وحكموا غير الكتاب والسنة غير مؤمنين، وأنه يجب الرجوع إلى العلماء المستنبطين للأحكام إذا أشكل أمر، وكذا يجب طاعة أولي الأمر من الحكام في غير معصية الله، وتدل الآية على بطلان التقليد، ووجوب العلم والتعلم، وأنه لا يجوز الرد إلى الرأي أو المذهب إلا بدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن من احتكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومساءلة أهل العلم فهو من عبدة الطاغوت، ومن حكم غير الله ورسوله ﷺ فهو غير مؤمن، وتدل الآية على بطلان الرأي والهوى، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠] وقال:

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦] وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨،١٩] فالذي يتبع الهوى من الذين لا يعلمون، وكل شيء ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ فهو من الهوى والظلم والاعتداء والجهل والافتراء والضلال، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

فائدة: مباركة بعض الأزمنة والأمكنة

عِلْمُ الله وحكمته بالغة، فقد خص أرض الشام بالبركة، فقال: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨١].

وخص مكة بالكعبة والبيت الحرام والهدي والقلائد، فقال: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٩٧] ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٦] وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ﴾ [الأنعام:١٢٤] وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣].

فائدة: أعظم الخذلان إرادة الإنسان بعمله غير الله

أعظم الخذلان إرادة غير الله في العمل والقول والنية، أو إرادة

شيء مع الله، قال الله تعالى في الحديث القدسي «من أشرك معي غيري تركته وشركه» [مسلم:١٧١٨] وأعظم الفلاح إخلاص الإرادة لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [الإسراء:١٩] وقال: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عمران:١٥٢] وقال: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب:٢٩] فالتعلق بغير الله شرك وخذلان ومذمة، قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا﴾ [الإسراء:٢٢].

فائدة: النفس والشيطان مصدر الشر

مصدر الشر النفس والشيطان، لهذا كان رسول الله ﷺ يستعيذ منهما، قال رسول الله ﷺ: «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، لا إله إلا أنت، رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءًا، أو أجره إلى مسلم» [الترمذي:٣٥٢٩، وأبو داود:٥٠٨٣، وأحمد ١/ ٩،١٤،٤١٢، وصححه الألباني] كان يستعيذ من هذه الأمور إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أخذ مضجعه، كما في الحديث الصحيح، أما إذا استيقظ ورفع رأسه فإنه يقرأ عشر آيات من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الآيات [آل عمران:١٩٠-٢٠٠] [البخاري:٤٥٦٩-٤٥٧١، ومسلم:٧٦٣] ثم يدعو بقوله: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت حق، ووعدك حق، وقولك

حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، لا إله إلا أنت» [البخاري: ٦٣١٧، ١١٢٠، واللفظ له، ومسلم: ٧٦٩].

فائدة: الصدقة الجارية

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] وقال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [مسلم: ١٦٣١ والترمذي: ١٣٧٦، وأبو داود: ٢٨٨٠] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علمه ونشره، أو ولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه بعد موته» [ابن ماجه: ٢٤٢، وحسنه الألباني] وقال عليه الصلاة والسلام: «من سن في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» [مسلم: ١٠١٧] وقال النبي ﷺ: «من سن خيرًا فاستُن به، كان له أجره كاملًا، ومن أجور من استن به، لا ينقص من أجورهم شيئًا، ومن استن شرًا فاستُن به، فعليه وزره كاملًا ومن أوزار الذي استن به، لا ينقص من أوزارهم

شيئًا» [أحمد ٢/ ٥٢١،٥٢٠ عن أبي هريرة، وقال محققو المسند: صحيح على شرط الشيخين] وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل» [البخاري: ٦٨٦٧،٣٣٣٥، ومسلم: ١٦٧٧] وقال ﷺ: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء» [أبو داود: ٣١٩٩، وابن ماجه: ١٤٩٧، والبيهقي ٤/ ٤٠ وحسنه الألباني] وفي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل» [أبو داود: ٣٢٢١، والحاكم ١/ ٣٧٠، والبغوي في شرح السنة ٥/ ٤١٨، وصححه الألباني] وفي صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه كان ﷺ يعلمهم السلام على المقابر «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» [مسلم: ٩٧٥،٩٧٤] ومن الدعاء المأثور عند الصلاة على الميت: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، وعذاب النار» [مسلم: ٩٦٣، والنسائي: ١٩٨٤،١٩٨٣، وأحمد ٦/ ٢٣، وابن ماجه: ١٥٠٠] وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك، وحبل جوارك، فقه من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق، فاغفر له وارحمه، إنك أنت الغفور الرحيم» [أبو داود: ٣٢٠٢، وابن ماجه: ١٤٩٩] وغير ذلك مما

يدل على وصول ثواب الدعاء والصدقات والعلم، وما سنه المسلم في حياته من خير، وما كان سببًا فيه.

فائدة: جوامع خصال البر

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

هذه الآية جمعت خصال البر، وهي صفات الصادقين وصفات المتقين، حيث قال تعالى في آخر الآية: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] فالبر هو الكمال والخير والإيمان والطمأنينة وسلامة القلب والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنفقات الواجبة والصدق والصبر والوفاء بالعهد وطاعة الله والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢] فهو يشمل جميع خصال الدين سواء ما يتعلق بالجوارح أو في القلوب، والإثم خلافه، فهو الشر والعيب، وما يذم الإنسان عليه كالكذب والزنا وشرب الخمر والعدوان على الأموال والأبدان والأعراض، والعدوان في حق الله، وحق العباد، وتجاوز الحدود، والبغي والسرقة والبهت والأذى وغير ذلك.

فالبر ما اطمأن إليه القلب والنفس، والإثم ما حاك فيهما.

فائدة: الله خالق كل شيء

قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ○ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٧،٨] وقال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر:٥٢] وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] فقد خلق الله كل شيء من الخلق والشر والسعادة والشقاوة بقدر، عن الأسود الديلي قال قال لي عمران بن الحصين رضي الله عنه: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدرِ ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت به الحجة عليهم؟ فقلت: بل فيما قضي عليهم ومضى عليهم، قال فقال: أفلا يكون ظلمًا؟ قال: ففزعت فزعًا شديدًا، وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحرز عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا إلى رسول الله ﷺ فقالا: يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «لا، بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ○ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾» [الشمس:٧،٨] [مسلم: ٢٦٥٠، واللفظ له، وأحمد ٤/٤٣٨] وفي رواية لأحمد قال: فلم يعملون إذًا يارسول الله؟ قال: «من كان الله خلقه لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها . . .» الحديث [أحمد ٤/٤٣٨، وقال محققو المسند: إسناده على شرط مسلم].

فائدة: عذاب القبر حق

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام:٩٣] وقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١] سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هل عذاب القبر على النفس والبدن، أو على النفس دون البدن، أو على البدن دون النفس؟ وهل يشارك البدن النفس في النعيم والعذاب أم لا؟ فأجاب بما نصه: (بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما تكون على الروح منفردة عن البدن، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام) [الضوء المنير].

وقد ذكر عذاب القبر في عدة آيات من القرآن الكريم، منها:

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام:٩٣] وقال عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦] وقوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور:٤٧] وقوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة:٢١] والأحاديث في ذلك كثيرة، منها الحديث الطويل الذي فيه «وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها» الحديث [أبو داود:٤٧٥٣ وأحمد:٤/٢٨٨] وفيه عن المؤمنين «أنه تفتح لهم أبواب السماء فيصلي عليهم كل ملك في كل سماء مر بهم حتى ينتهي بها بين يدي الملك الجبار» [المصدر السابق بلفظ قريب منه] إلى آخر الحديث المشهور عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وغيره من الأحاديث، نعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن

فتنة المسيح الدجال.

فائدة: من أراد الإنتفاع بالقرآن فعليه بالتدبر

للحصول على الانتفاع بالقرآن يجمع المرء قلبه ويلقي سمعه ويحضر حضور من يخاطب به، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧] وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس:٦٩،٧٠] فالحضور للقلب والاستماع وحياة القلب والإصغاء وعدم الذهول سبب لفهم القرآن، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد:٢٤].

فائدة: الذنوب سبب الابتلاء والمصائب

كل ما يحصل على العبد من مصائب سببها الإنسان نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] وكذا ما أصاب الأمم والبلاد، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩] فكل نقص في الأموال والأنفس والثمرات، وكل شر في الدنيا والآخرة سببه الذنوب، وإذا لم يتدارك العبد نفسه بالتوبة والاستغفار المستمر هلك، وتسبب الذنوب الران على القلب وانقلابه، وتسبب العقوبات والجدب ونقص الأموال والأنفس والثمرات، فهي مثل السموم المضرة، إذا لم تداو أهلكت المرء، وهي بريد الكفر، ومن كان ذا بصيرة وجد بعد الذنوب الجفوة وتغير القلب والهوان على الناس، والمصائب، والران، الذي لا يجليه إلا الاستغفار والتوبة وعمل الحسنات المكفرة، قال تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ

ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ [الزمر:٣٥] وقال: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ [الرعد:٣٣] قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن للحسنة نورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وقوةً في البدن، وزيادةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق).

وكل ذنب أو حسنة جزاؤها مثلها، فالكبر جزاؤه الذل، والعفو جزاؤه العز، قال الرسول ﷺ: «ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا» [مسلم:٢٥٨٨، والترمذي:٢٠٢٩،٢٣٦٩، وأحمد ٢/٣٦٨] قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى:٤٠].

فائدة: الحض على التفكر في مخلوقات الله العظيمة

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ○ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ○ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ○ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠].

هذه الجبال التي نصبها الله في الأرض، وجعلها أوتادًا، فيها من المنافع والفوائد والحكم مالا يعلمه إلا الله، ومن منافعها:

أن قممها في بعض الأماكن يسقط عليها الثلج، ويسيل في الحر، فيسقي الزروع ويملؤ الأنهار والأودية، كما أن حصون الجبال وكهوفها ومغاراتها أكنان للناس والحيوانات، وفيها المعادن من الذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها، وينحت الناس من أحجارها الأبنية، وهي ترد الرياح العاصفة والسيول الحادرة، وهي علامات وأعلام يهتدي بها المسافرون وغيرهم، وينبت بها النباتات

المختلفة عن نبات الرمال والسهول، وهي حصن من الأعداء، وهي أوتاد تثبت الأرض، ورواسي للسفن، وهي ستر عن الشمس، وقد بين الله تعالى أنها تحمد الله وتخشع له وتسجد وتتشقق وتهبط من خشية الله، وتتفجر منها الأنهار، كلم الله موسى عليه السلام من جبل طور سيناء، وكان الصفا والمروة مسعى لهاجر وللحجاج من بعدها، وفي عرفات جبل الرحمة، وجبل حراء الذي كان رسول الله ﷺ يخلو فيه، ونزلت أول سورة من القرآن في الغار، وجبل أُحد الذي يحبه الله ورسوله ﷺ وأصحابه ويحبهم، وقد أخبر الله تعالى أن هذه الجبال تنسف نسفًا، وتكون كالعهن المنفوش يوم القيامة، وتكون قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، وقد كرم الله بعض الجبال على بعض، كما كرم بعض الرجال على بعض، وبعض النساء على بعض، وبعض المخلوقات على بعض، وإن من الجبال من هو أرق من الإنسان، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٧٤] ومن الناس من هو أقسى من الجبال، مصيرهم إلى نار تذيبهم ما دامت لم تلن من كلامه تعالى، ولم تخشع، ولم تنب إليه.

فائدة: لا يقبل الله من أحد دينا غير الاسلام

من أسلم لله وجهه، واتبع ملة محمد ﷺ، وانتمى إلى الإسلام الحنيف قبل الله منه، ولن يقبل الله من أحد غير الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] أما من كفر بمحمد ﷺ وبدين الإسلام فهو في الآخرة من الخاسرين، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ

هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ○ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١١،١١٢] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ﴾ [آل عمران:٢٠] وقال تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧] وقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢] وقال رسول الله ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد» [مسلم:١٧١٨].

فشرط قبول العمل موافقته لهدي الرسول محمد ﷺ، وإخلاصه لله، فلا يقبل عمل الرهبان ومن شابههم من أهل البدع، وإن أخلصوا لله وحده، كما لا يقبل عمل من لم يخلص لله تعالى العمل، ولم يبتغ به وجهه الكريم وحده، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور:٣٩] وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ○ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ○ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ○ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية:٢-٥].

فائدة: اسباب افتراق الأمة

التأويلات والآراء والهوى، وتحكيم العقل دون النقل، واتباع المتشابه، والخروج عن أئمة المسلمين وعلمائهم الكبار المستنبطين للأحكام، والجدل بدون علم، هو الذي فرق الأمة الإسلامية، ومزق

الأمم من قبلهم، وسبب في القتال والخلافات وتسلط الأعداء وإراقة الدماء، وما ظهرت الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة (السلفيين) المتبعين للدليل إلا من هذه الفرق، كالخوارج والروافض والقرامطة والباطنية والنصيرية والحلولية والاتحادية والباطنية والإسماعيلية والمكارمة والإباضية والمعتزلة والأشعرية والأحزاب المختلفة، قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة» [أبو داود: ٤٥٩٦، ٤٥٩٧، وابن ماجه: ٣٩٩٢، وأحمد ٢/ ٣٣٢، والبيهقي ١٠/ ٢٠٨، والترمذي: ٢٦٤٠، ٢٦٤١ وقال الألباني: حسن] وهي التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه الذين لم يؤولوا ولم يعطلوا، ولم يشبهوا الله بخلقه، أو يمثلوه، وإنما سلكوا ظاهر الشرع.

فائدة: درجات الكمال البشري

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩] فأعلاهم الرسل والأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون، والصديق هو الكامل الإيمان، العالم بالدين، القائم بما أمره الله تعالى، وهو أفضل من الشهداء، ومن ذكره الناس بخير فهو على خير، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مُرَّ بجنازة فأثني عليها خيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «وجبت» ومُرَّ بجنازة فذكرت بشر فقال: «وجبت» وقال: «من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، وأنتم شهداء الله في الأرض»

[البخاري: ١٣٦٧، ٢٦٤٢، ومسلم: ٩٤٩].

فائدة: سد الذرائع

سد الذرائع في القرآن الكريم كثير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] لأن سب آلهتهم قد يفضي إلى سبهم الله تعالى، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] نهى عن الضرب بالأرجل حتى لا يسمع صوت الخلخال فيثير الشهوة، وقال تعالى: ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ [النور: ٥٨] وذلك لئلا يكون دخولهم سببًا لاطلاعهم على عوراتهن، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] لئلا يكون ذلك ذريعة إلى التشبه باليهود في أقوالهم، لأن اليهود يخاطبون الرسول ﷺ بقولهم: راعنا، يريدون السب بالرعونة.

فائدة: قد افلح من حمل نفسه على طاعة الله

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ○ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠] وفي الحديث: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها» [مسلم: ٢٧٢٢، أحمد ٤/ ٣٧١، والنسائي في الكبرى: ٧٨٦٥ وغيرها].

قال الحسن في تفسيرها: قد أفلح من زكى نفسه، وحملها على طاعة الله، وقد خاب من أهلكها، وحملها على معصية الله).

ولا شك أن الطاعة والصدقة والبر وعمل الخير واجتناب المحرمات والمكروهات تزكي النفس، وأن المعصية

والكذب والفجور والكبر والبخل تدنس النفس، وهذه الأمور من فعل العبد واختياره، لهذا يثاب العبد على عمل الخير، ويعاقب على عمل الشر، أما ما لم يكن من اختيار العبد كالبياض والسواد والطول والقصر والنسب والجمال والقبح فلا مجال لعقاب المرء عليه أو إكرامه بسببه، والنفس قابلة للفجور وللتقوى، قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] وقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨] ومن شأن المعاصي أنها تدنس النفس وتصغرها وتذلها وتحقرها، كما أن الطاعات تعزها وتنميها، والله تعالى بيَّن لنا طريقي الخير والشر، وأمرنا باتباع طريق الخير وتجنب طريق الشر.

فائدة: اقسام من الله عز وجل بأن العذاب واقع

قال الله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ○ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ○ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ○ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ○ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ○ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ○ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الطور:١-٧] هذه أقسام خمسة أقسم الله بها، وهي:

١- الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، وهو طور سينين.

٢- الكتاب المسطور في الرق المنشور، وهو القرآن العظيم الذي في الصحف المطهرة بأيدي السفرة الكرام البررة.

٣- البيت المعمور الذي في السماء فوق الكعبة الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، فهو معمور بالملائكة، وهو سيد البيوت في السماء، كما أن البيت الحرام سيد بيوت الأرض.

٤- السقف المرفوع، وهو السماء المحكم صنعها.

٥- البحر المسجور، وهو المملوء المحبوس، قال رسول الله ﷺ: «ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات، يستأذن الله أن ينفضح عليهم فيكفه الله عز وجل» [أحمد ١/ ٤٣ وهو ضعيف] وفي البحار عجائب عظيمة، ففيه نظير كل ما في الأرض، وأشياء ليس مثلها في الأرض، ومنه الجواهر والمرجان واللؤلؤ، وتسير فيه السفن، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ○ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٢، ٣٣] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤] وقال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ○ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١١، ١٢].

أقسم الله تعالى بهذه الخمسة العظام على أن عذابه واقع ماله من دافع، وذلك ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ○ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩، ١٠] فسبحان القادر العظيم، ونسأله أن يجيرنا من عذابه يوم يبعث عباده، وأن يجيرنا من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، إنه سميع مجيب الدعاء.

فائدة: القتل العمد من أكبر الكبائر

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] وقال: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا

فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] والأحاديث في ذلك كثيرة.

فالقتل أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، يرى ابن عباس رضي الله عنهما أن القاتل لا تقبل توبته، لأنه حق للمقتول، ولا سبيل لاستحلاله، أو إعادة نفسه إلى جسده، فالمال مثلًا يمكن إعادته إلى ورثته أو التصدق به، فالقتل من هذا الجانب أعظم من الشرك، لأن الشرك حق لله تعالى والتوبة منه ممكنة، أما حق الأدمي فالتوبة منه غير ممكنة، إلا بعد أدائه أو استحلاله، وهذا متعذر، وقال آخرون: إن التائب من القتل إذا سلم نفسه تاب الله عليه بالقصاص أو الدية أو العفو، لأن ورثة المقتول ينوبون عنه، ويعوض الله المقتول، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [النمل: ٧٨] وهذا هو الذي اختاره ابن قيم الجوزية وغيره، وهو الصواب إن شاء الله، والله أعلم. فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ١١٦].

فائدة: زينة الحياة الدنيا

قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٤] إذا كبرت هذه الأمور لدى الإنسان وآثرها على الآخرة واستمتع بها ولم يؤد ما أوجبه الله منها، حصلت لديه النكسة في الدين والأخلاق، واتبع الشهوات، وزين له سوء عمله من الغي والكبر، وفي هذه الأمور ابتلاء عظيم أعظم من ابتلاء الفقر،

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ○ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ○ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣] وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾ [التغابن:١٥] وقال: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ [الأنعام:١٦٥] فالنساء والبنون والذهب والخيل والأنعام والحرث كلها فتن للإنسان، والعاقل يؤدي ما عليه منها، ويزداد إيمانه إذا حصل عليها، وتعينه على العمل للآخرة.

فائدة: سلامة قلب ابراهيم عليه السلام

قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٤] وقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ○ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨،٨٩] فسلامة القلب تكون بسلامته من الشرك والغل والحسد والحقد والضغينة والكبر والبخل والشح وحب الدنيا والبغي وحب الرئاسة، وسلم من الشبهات والشهوات والبدع والغفلة والهوى والرياء والاعوجاج، وهذا القلب سلم أمره لله لا يريد سواه، فسلَّمه الله من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، لأنه لا يفعل إلا ما يرضي ربه، فهو غايته ومقصوده ومراده، يحبه ويرجوه ويخافه ويطمع في جنته ورضاه، يطيع رسوله ﷺ، ولا يعصيه منقادًا إليه خاضعًا له، ومن صفات هذا القلب أنه يحب لحب الله، ويوالي من يحبه الله، ويعادي من يعاديه مولاه، ويبغض من يبغضه الله، ولا يتقدم بين يدي رسوله ﷺ بعقيدة أو قول أو عمل، سلم من جميع الآفات، فنجاه الله من عذاب يوم القيامة ومن أهوال الطامة، وحفظه في دينه ودنياه.

فائدة: فوائد من قصص موسى وهارون عليهما السلام

من قصص موسى وهارون عليهما السلام تستنبط الأمور الآتية:

قوة موسى عليه السلام وشجاعته وغيرته على دين الله، وثباته على الحق، وصبره، وأخلاقه، وأن قوة الله غالبة، ومهما أراد العدو أن يمكر فلن يقدر على من حماه الله، فهذا موسى عليه السلام ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص:٨] لقد ربى فرعون موسى عليه السلام في بيته، وأرضعته أمه وأخذت الأجرة على ذلك، فصار موسى عليه السلام سببًا في هلاكه، وربط الله على قلب أم موسى عليه السلام، فصار هذا الصبر سببًا لإيمانها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:١٠] ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ﴾ [البقرة:٢١٦] وهذه القصص يستفيد منها المؤمنون، قال تعالى: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص:٣] ومن الفوائد نصر الله للمظلومين إذا عملوا الأسباب، وأن المؤمن لا يخاف إلا من الله ومن ذنوبه، وأنه يجوز أخذ الأجرة على الرضاعة، ويجوز خروج المرأة لحاجتها إذا تسترت، وعدم جواز قتل المعاهدين من الكفار والذميين، وأن القتل بغير حق فساد في الأرض كبير، وأن على المؤمن نصر إخوانه المؤمنين، وأن يعمل الأسباب، ومن ذلك الدعاء والتضرع لله تعالى، وعلى المؤمن الإحسان للعجزة والضعفاء، وعليه مجازاة المحسن، وجواز أخذ المكافأة على الخير إذا لم يطلبها، وجواز أن يخطب الرجل لبنته، وجواز الإخبار بالصفات الحسنة عند المرء للمصلحة، قال تعالى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن

شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص:٢٧] وأن القوة والأمانة صفتان عظيمتان، وأن إمامة الناس في الخير من نعم الله ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء:٧٣] وأن ذلك لا يتحقق إلا بالصبر واليقين، وأن العلم فضل كبير ونعمة عظيمة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص:٤٤] وقال: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القصص:٤٥] وقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص:٤٦] ومن الفوائد أهمية ذكر الله ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ○ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه:٣٣، ٣٤] وقال: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه:٤٢] ومن الفوائد بر الأخ بأخيه حيث بر موسى بأخيه هارون عليهما السلام في سؤال الله له الرسالة، والدعاء له، وأهمية البيان والفصاحة، وأن الدعوة تكون باللين والحكمة، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٤].

فائدة: الإعجاز القرآني

سورة الرحمن فيها آيات من المثاني المزدوجات:

الخلق والتعليم ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ○ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:٣، ٤].

سراجا العالم ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥].

النبات الذي منه على ساعد وما انبسط على الأرض ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:٦].

السماء والأرض ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن:٧] ثم قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن:١٠] الآيات.

العدل والظلم ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧].

الحبوب والثمار ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ○ وَٱلْحَبُّ ذُو

ﵟٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُﵞ [الرحمن: ١١، ١٢].

خلق الإنسان والجن ﵟخَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖﵞ [الرحمن: ١٤، ١٥].

المشرقان ﵟرَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِﵞ [الرحمن: ١٧].

المغربان ﵟوَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِﵞ [الرحمن: ١٧] أي مشرقي صعود الشمس ومغربيها.

التقاء البحرين: المالح والعذب ﵟمَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِﵞ [الرحمن: ١٩، ٢٠].

اللؤلؤ والمرجان ﵟيَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُﵞ [الرحمن: ٢٢].

النار والنحاس ﵟيُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِﵞ [الرحمن: ٣٥].

النواصي والأقدام ﵟيُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِﵞ [الرحمن: ٤١].

النار والحميم ﵟيَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖﵞ [الرحمن: ٤٤].

الجنتان ﵟوَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِﵞ [الرحمن: ٤٦].

العينان الجاريتان ﵟفِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِﵞ [الرحمن: ٥٠].

زوجا الفاكهة ﵟفِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِﵞ [الرحمن: ٥٢].

الجنتان المدهامتان ﵟمُدۡهَآمَّتَانِﵞ [الرحمن: ٦٤].

العينان النضاختان ﵟفِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِﵞ [الرحمن: ٦٦].

الرفرف الخضر والعبقري ﵟمُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖﵞ [الرحمن: ٧٦].

وقد ختمت السورة بما بدأت به، وهو اسم الله العظيم (الرحمن).

قال تعالى في ابتداء السورة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ وقال في انتهائها: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨] الجلال والإكرام صفتان لله تعالى، فهي سورة مباركة ببركة اسم الله تعالى.

فائدة: محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] فهو رحمة للمؤمنين، حيث نالوا كرامة الدنيا والآخرة، ورحمة لمن قتل من الكافرين المحاربين، لأن موتهم خير من حياتهم، حيث إن في حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب، وقد كتب عليهم الشقاء في الآخرة، ورحمة للكافرين المعاهدين حيث عاشوا في عهده وذمته، ورحمة للمنافقين حيث حقنت دماءهم وأهليهم، وقد رفع الله العذاب على جميع أهل الأرض بسببه، حيث إنه تعالى نظر إلى أهل الأرض من عرب وعجم فمقتهم، إلا بقايا على آثار دين صحيح، كما أنه ﷺ رحمة للعالمين، فمن العالمين مَنْ قَبِل هذه الرحمة، ومنهم من ردها فلم يقبلها، وهو ﷺ أرحم الخلق وأوصلهم لرحمه، وهو رحمة حيث يشفع يوم القيامة بشفاعات كثيرة، فكل يحمده، ويصل إليه من رحمته، ويعطى لواء الحمد يوم القيامة، ويحمد في الدنيا على مكارم أخلاقه وحسن طباعه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] صلوات الله وسلامه عليه وعلى

آله وأصحابه، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

فائدة: أول من هاجر إلى الله

لما آمن لوط بعمه إبراهيم عليهما السلام، وصدقه في كل ما يقول: قال إبراهيم عليه السلام: إني مهاجر إلى ربي، أي إلى الجهة التي أمرني ربي أن أهاجر إليها، حيث لا يمنع عن عبادته، فهاجر من الكوفة مع لوط عليه السلام وسارة إلى حران، ثم منها إلى الشام، فنزل قرية من أرض فلسطين، ونزل لوط عليه السلام قرية سدوم، وهي المؤتفكة، قيل: إن عمر إبراهيم عليه السلام خمس وسبعون سنة، وقيل: إنه أول من هاجر إلى الله تعالى، فوهب الله له إسحاق عليه السلام، ثم يعقوب عليه السلام من زوجته العجوز العاقر سارة، أما إسماعيل عليه السلام فكان وقتها في مكة مع أمه هاجر، فصارت الأنبياء كلهم من ذريته، فمحمد صلوات الله وسلامه عليه من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وبقية الأنبياء من ذرية إسحاق عليه السلام، وكذا الكتب وهبها الله له ولذريته، وآتاه الله أجره في الدنيا بإنجائه من النار، ومن الملك الجبار، وبالثناء عليه من كل أمة ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت:٢٧] الكاملين في الصلاح.

فائدة: الصلح خير

قال الله تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨] وقال: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:١١٤] وقال: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾ [النساء:١٢٨] وقال: ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ [الحجرات:٩] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾

[الحجرات: ١٠].

الحقوق تنقسم إلى قسمين: حق الله، ولا مجال للصلح فيه كالحدود، وأما حقوق العباد فيجوز الصلح فيها، ويجب أن يكون الصلح بالعدل لا بالجور، لأن الصلح بالجور ظلم، وقد أمر الله بالصلح بين الطائفتين، فإن بغت إحداهما على الأخرى فنقاتل الباغية، لأنها ظالمة، وكل صلح يحل حرامًا أو يحرم حلالًا فهو صلح جائر لا يجوز، قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى يارسول الله، قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين» [الترمذي: ٢٥٠٩، وأبو داود: ٤٩١٩، وأحمد ٦/ ٤٤٤، وابن حبان: ٥٠٩٢، والبيهقي في شعب الإيمان: ١١٠٨٨، والبغوي في شرح السنة: ٣٥٣٨، وصححه الألباني].

فائدة: من صفات الأعراب

قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧] هذه صفة عامة في الأعراب، أنهم أشد كفرًا ونفاقًا من أهل الحضر المنافقين والكفار، لأنهم غلاظ شداد متوحشون قاسية قلوبهم، قال النبي ﷺ: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن» [أبو داود: ٢٨٥٩، والترمذي: ٢٢٥٦، وأحمد ١/ ٣٥٧، وصححه الألباني] ومنع رسول الله ﷺ من هاجر وسكن الحاضرة أن يرجع إلى البداوة، ويسكن في الصحاري، فإن ترك الجمعة والجماعات ومجالس الذكر والعلم والخير والاجتماع، فيه قسوة للقلب وجهل، وفيه من التعصب

وكراهية الحاضرة، والتربص بهم الدوائر ما الله به عليم، ولا يمنع ذلك من وجود أعراب أهل خلق ودين وإيمان، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٩٩].

فائدة: من صفات اهل الجنة

من صفات أهل الجنة أن قلوبهم ليس فيها غل ولا حسد، فهم متلاقو القلوب ومتلاقو الوجوه، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

ومن صفاتهم أنهم على صورة أبي البشر آدم عليه السلام ستون ذراعًا في السماء، قال ﷺ: «أخلاقهم على خَلْق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعًا في السماء» [البخاري: ٣٣٢٧، ومسلم: ٢٨٣٤، واللفظ له] فهم في السن والطول والعرض والجمال والحسن متساوون، أما أخلاقهم فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرةً وعشيةً» [البخاري: ٣٢٤٥، ومسلم: ٢٨٣٤].

أما نساؤهم فهن أتراب في سن واحدة لسن عجائز، في سن القوة واللذة، أما الطول والعرض فهو متناسب، حور عين متحببات لأزواجهن أبكار ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤] ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصفافات: ٤٩].

فائدة: حال المتقين في الآخرة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ

﴿مَلِيكٍ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

مقعد الصدق هو المقعد الحسن في الجنة، ومنه مودة صدق، وحلاوة صدق، وحملة صدق، وكلام صدق، وقدم صدق، ولسان صدق، ومدخل صدق، ومخرج صدق، ومنه الدعاء ﴿رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٠] فالمدخل والمخرج الذي يكون فيه العبد ضامنًا على الله في دخوله وخروجه داخلًا في أمر وخارجًا من أمر، دخوله لله وبالله، وخروجه بالله ولله، ومنه الصداقة وصدق العمل، أما قدم الصدق فقد فسر بالجنة، وبالأعمال الصالحة، وبالسابقة التي سبقت للعبد من الله، وبالرسول الذي هو سبب الهداية، ومنه الصدق في العمل، والصدق بالحديث، وسميت الصداقة لصفاء مودتها، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] ولا يزال المرء يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا.

فائدة: من يعرض عن كتاب الله يقيض له شيطانا

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزخرف: ٣٦] الذي يعرض عن كتاب الله تعالى، فلا يقرؤه ولا يتدبره ولا يلقي سمعه عند تلاوته، ولا يذكر الله تعالى، يقيض الله له شيطانًا قرينًا، فتعشو بصيرته عن فهمه، ويلزمه هذا الشيطان في إقامته ومسيره، ويصده عن سبيله، فيظن أنه على هدى، وهو على ضلال، ويتعلق قلبه بالأمور التافهة أو المحرمة، كالغناء والمعازف عقوبةً له على إعراضه، ويظن أنه على هدى وهو على ضلالة، قال تعالى: ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧] وما ظلمهم الله ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ هُمُ

ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف:٧٦].

فائدة: المؤمنون بعضهم أولياء بعض

قال الله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور:٢٦] وقال: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣] وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات:١٠] وقال: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة:٧١] وقال: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [آل عمران:١٩٥] وقال ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى» [أحمد ٥/٤١١] وقال: «الناس من آدم، وآدم من تراب» [الترمذي:٣٢٧٠، والبزار في مسنده:٣٥٨٤، وصححه الألباني في الصحيحة:١٠٠٩] وقال: «إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء، إن أوليائي المتقون حيث كانوا» [البخاري:٥٩٩٠، ومسلم:٢١٥] وقال لبني بياضة: «أنكحوا أبا هند، وانكحوا إليه» [أبو داود:٢١٠٢، وحسنه الألباني] وكان حجامًا، وزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش القرشية رضي الله عنها من زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو مولى، وزوج فاطمة بنت قيس الفهرية رضي الله عنها من أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وتزوج بلال بن رباح رضي الله عنه بأخت عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، وقال النبي ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد» [الترمذي:١٠٨٥، والبيهقي ٧/٨٢، والبغوي في شرح السنة ٩/١٠، وحسنه الألباني] فلا يجوز

تزويج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر، ولا مسلمة بزان خبيث، وقد جوز الرسول ﷺ نكاح القرشيات من غيرهم، والهاشميات من غيرهم «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم» [أبو داود:٢٧٥١، وابن ماجه:١٦٨٣، وأحمد ٢/ ١٩٢، والبيهقي ٨/ ٢٩، قال الألباني: حسن صحيح] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦] ثم قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧].

فائدة: الامام العادل

أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأحبهم إليه، الإمام العادل، قال رسول الله ﷺ: «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسًا إمام عادل» [الترمذي:١٣٢٩ وضعفه الألباني] وهو أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فبالإمام العادل تستقيم الأمور، وتأمن البلاد، ويُنصر المظلوم، ويذهب الفساد، ويؤمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحكم الدين، وتذهب البدع والأهواء، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «المقسطون على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمن تبارك وتعالى، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا» [مسلم:١٨٢٧] وأبعد الناس عن الله يوم القيامة، وأبغضهم إليه الإمام الجائر، قال رسول الله ﷺ: «وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلسًا إمام جائر» [الترمذي:١٣٢٩ وضعفه الألباني] ولا يجوز الخروج على الأمراء الظلمة ما أقاموا الصلاة، قال رسول الله ﷺ: «ألا من

ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعنَّ يدًا من طاعته» [مسلم:١٨٥٥] وقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم» [مسلم:١٨٤٦، والترمذي:٢١٩٩، والبغوي في شرح السنة ١٠/ ٥٤] وقال: «إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا» [مسلم:١٨٥٤].

فائدة: قيام الليل أفضل النوافل

قال الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة:١٦] وقال: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧] وقال: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٨] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩] وقال لرسوله ﷺ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ○ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ○ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٢-٤] لقد أثنى الله على الذين يقومون بالليل للتهجد، ويستغفرونه بالأسحار، فقيام الليل أفضل النوافل، به يبلغ المرء أعلى الدرجات، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

فائدة: وجوب صلاة الجماعة على الرجال

صلاة الجماعة واجبة على الرجال المقيمين، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣] ولا تسقط إلا لعذر شرعي، كمرض وسفر وخوف ومطر، قال ﷺ لمن بينه وبين المسجد نخل وشجر وهو أعمى، في طريقه سباع: «هل تسمع النداء؟» قال: نعم، قال: «أجب، لا أجد لك رخصة» [مسلم:٦٥٣،

وأبو داود:٥٥٢، وابن ماجه:٧٩٢، والحاكم ١/ ٢٤٧، ٣/ ٦٣٥] وهمَّ ﷺ بإحراق بيوت من لا يحضر الجماعة، وقال أبو هريرة رضي الله عنه لرجل خرج من المسجد بعد الأذان، أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ، وقال ﷺ: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له» [ابن ماجه:٧٩٣، والبيهقي ٣/ ٥٧، ١٧٤، ١٨٥ وابن حبان:٤٢٦، والحاكم ١/ ٢٤٥، وصححه الألباني] وأوجبها الله في حالة الحرب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ﴾ [النساء:١٠٢] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم:٤٢، ٤٣] فقد عاقبهم الله يوم القيامة بأن حال بينهم وبين السجود، لما دعاهم إلى السجود في الدنيا فأبوا أن يجيبوا الداعي، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم:٤٣] أي قول المؤذن: (حي على الصلاة، حي على الفلاح) وقد أجمع الصحابة على وجوبها، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق) [مسلم:٦٥٤، وأبو داود:٥٥٠] وقال رسول الله ﷺ: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر» [ابن ماجه:٧٩٣، والبيهقي ٣/ ٥٧، ١٧٤، ١٧٥، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٤٥، وغيرهم، وصححه الألباني] وقال علي رضي الله عنه: (لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد) [البيهقي ٣/ ١١١ عن علي رضي الله عنه موقوفًا والحاكم ١/ ٢٤٦ مرفوعًا عن أبي هريرة رضي الله عنه] وقال الحسن رضي الله عنه: (من سمع النداء فلم يجب لم تجاوز صلاته

رأسه) وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (لأن تمتلىء أذنا ابن آدم رصاصًا مذابًا خير له من أن يسمع المنادي ثم لا يجيبه) وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له) وقال عتاب بن أسيد أمير مكة رضي الله عنه: (ياأهل مكة والله لا يبلغني أن أحدًا منكم تخلف عن الصلاة في المسجد في الجماعة إلا ضربت عنقه).

فائدة: عمل الخير يرفع الدرجات عندالله

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف:١٩] الذي يرفع درجاته عند الله عمل الخير، والذي يقلل من درجاته عمل الشر، فأعمال البر تنهض بالعبد فتعلو درجاته بحسبها، وأعمال الفجور تهوي به إلى الهاوية السحيقة إلى أسفل السافلين بحسبها، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠] وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ○ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩، ١٠] وقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ○ وَطُورِ سِينِينَ ○ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ○ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ○ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ○ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [التين:١-٥].

فائدة: الإيمان سبب كل خير

الإيمان سبب لكل خير، ومن هذه الخيرات التي يمنحها الله للمؤمن:

دفاع الله عنه الشرور في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨] وإعطاؤه الأجر العظيم، قال تعالى: ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:١٤٦] وموالاة الله له ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢٥٧] واستغفار حملة العرش له ﴿ٱلَّذِينَ

يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧] وتثبيت الله له، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال:١٢]. ومعيته تعالى له، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١٩] والعزة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] والرفعة له، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [المجادلة:١١] وأن القرآن شفاء لهم وهدى ورحمة، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤] وقال: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [التوبة:٦١] وأن الله يعطيهم كفلين من رحمته، ونورًا ومغفرةً لذنوبهم، قال تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد:٢٨] والأمن وعدم الخوف، قال تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام:٤٨] والمحبة من الله، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] وشكر الله تعالى له، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤] وعدم عذابه، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء:١٤٧].

فائدة: كيد النساء عظيم

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨] المرأة كثيرة الكيد والاحتيال والمكر على وجه العموم، ولهذا اتخذهن الشيطان وسائل لإغواء من صعب عليه إغواؤه، وما يئس الشيطان من أحد إلا أتاه من جهة النساء، قال أحد العلماء: أخاف من النساء أكثر من خوفي من الشيطان، لأن كيد الشيطان ضعيف، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

[النساء:٧٦] وقال عن النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨] فالشيطان يوسوس وهن يواجهن، والظاهر أن هذا الاستدلال غير صحيح، فكيد الشيطان ضعيف بالنسبة لكيد الله، أما كيد النساء فعظيم بالنسبة لكيد الرجال، أما بالنسبة لكيد الشيطان فلا، والله أعلم.

فائدة: عائشة أحب أزواج رسول الله الى رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور:٢٦] فعائشة رضي الله عنها طيبة لرسول الله ﷺ الطيب أفضل الخلق عند الله، اختارها رسولنا ﷺ، وأحبها، لا يبغضها إلا منافق معلوم النفاق، قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «أريتُكِ في المنام ثلاث ليالٍ، جاءني بكِ الملَكُ في سرقةٍ من حرير فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك، فإذا أنتِ هي، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه» [البخاري:٣٨٩٥،٥١٢٥، ومسلم:٢٤٣٨، واللفظ له] فهي ابنة أفضل الصحابة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، أنكحها الله تعالى من عنده رسوله ﷺ، وكانت عالمةً فصيحةً حافظةً للحديث والشعر والقصص، مؤنسةً لرسول الله ﷺ، برأها الله تعالى من فوق سبع سماوات، فضلها على النساء كفضل الثريد على الطعام، كما رواه البخاري:٣٤٣٣ ومسلم:٢٤٣١ عن رسول الله ﷺ.

قال عنها رسول الله ﷺ: «والله ما نزل علي الوحيُ وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها» [البخاري:٣٧٧٥، والترمذي:٣٨٧٩ وأحمد ٦/ ٢٩٣].

من أحبها أحبه الله، ومن أبغضها أبغضه الله، ومن بركاتها نزول

آية التيمم، كما في صحيح البخاري: ٣٧٧٣، ومسلم: ٣٦٧ أن قلادة لعائشة رضي الله عنها هلكت، فأرسل الرسول ﷺ من يطلبها فحضرت الصلاة، وليس عندهم ماء، فصلوا بغير وضوء، فنزلت آية التيمم، قال أسيد بن خضير رضي الله عنه: (جزاك الله خيرًا يا عائشة، والله ما نزل بكِ أمر قط إلا جعل الله لكِ منه مخرجًا، وجعل للمسلمين فيه بركةً) وهي أول من قالت لما نزلت الآية الكريمة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]: (إني أريد الله ورسوله والدار الآخرة).

كانت رضي الله عنها تواسي المنكوبين، وتطعم الطعام، وتصل الأرحام، وتكسو العاري، وكانت فقيهةً عالمةً بالحلال والحرام، داعيةً إلى الله، مفتيةً كبيرةً، مجاهدةً في سبيل الله، تحمل قرب الماء في الجهاد، وتداوي الجرحى، روت من الأحاديث (٢٢١٠ حديثًا) عدا القصص والأشعار والآثار.

فائدة: من الابتلاء والامتحان استعلاء الكفار على المؤمنين

من الفتنة والابتلاء والامتحان أن يكون المؤمنون ضعافًا والكافرون أقوياء، حكى الله تعالى عن المشركين قولهم: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٣] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ [الأنعام: ٥٣] ثم قال: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] وقال: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] وقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة: ٤] وقال:

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩] وقال: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١] وهذه من الفتن.

فائدة: الاخلاص لله سبب للعصمة من الوقوع في المعاصي

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] فالذين أخلصوا لله ولم يشركوا به شيئًا، أخلصهم الله، وصرف عنهم السوء والفحشاء، ولهذا صرف الله عن يوسف عليه السلام الغرام في امرأة العزيز، أما هي فوقعت فيه، لأنها مشركة مع أنها متزوجة، ومع أن يوسف عليه السلام أعزب، وقد راودته عن نفسها، واستعانت عليه بالنسوة اللاتي قطعن أيديهن، وهددته بالحبس، بل وتم حبسه، فعصمه الله تعالى لإخلاصه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] وقال عن الشيطان: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ○ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠] فالإخلاص سبب العصمة من الوقوع في الذنوب والمعاصي، نسأل الله تعالى الإخلاص له.

فائدة: أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ أبوبكر رضي الله عنه

قال الله تعالى عن رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠] وقال عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور: ٢٢] فقال

أبو بكر رضي الله عنه: بلى أحب أن يغفر الله لي، وأنفق على مسطح، وهو ممن خاض في حديث الإفك.

وأمره رسول الله ﷺ كما في الحديث الذي رواه البخاري:٧١٣،٧١٢ أن يصلي بالناس، وأمر صحابته بذلك، فهو أعلم الصحابة، وأسلم على يديه كثير من الناس، وأعتق بلالًا وعامر ابن فهيرة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، فسمي العتيق، وكان مع رسول الله تعالى في العريش يوم بدر، وأعطاه الراية الكبرى في غزوة تبوك، حج أول سنة فرض فيها الحج، وهو أول الخلفاء الراشدين، صدَّق الرسول ﷺ حين كذبه الناس، فسمي الصدِّيق، وآمن به قبل الناس، وزوجه ابنته، وتبرع بماله كله في سبيل الله، وقاتل المرتدين، ولم يفل راية أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين عقدها رسول الله ﷺ قبل موته، ومشى على قدميه، وأسامة بن زيد رضي الله عنهما راكب، فقال أسامة: لتركبن أو لأنزلن، قال: (والله لا نزلتَ ولا أركب، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله تعالى) [الكامل في التاريخ ٢/ ١٩٥ وغيره] كان لا يتمالك نفسه من البكاء حين قراءة القرآن، قال قولته المشهورة حين توفي رسول الله ﷺ: (من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) وتلا الآية حين نسيها الكثير من الناس ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ﴾ [آل عمران:١٤٤][الكامل في التاريخ ٢/ ١٨٦، وكذا في سيرة ابن هشام ٤/ ٣٠٧، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٠٠، ٢٠١] .

كان شجاعًا لا يخاف في الله لومة لائم، أمر رسول الله ﷺ بسد

جميع الخوخ التي على المسجد النبوي إلا خوخة أبي بكر رضي الله عنه. وهو من بين الذين نزلت فيهم الآية الكريمة ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨] ومن لم يدعُ له ويحبه لا يدخل فيمن أثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

فائدة: ذم الجهل

ذم الله تعالى الجهل في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١] وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال:٢٢] وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٣٧] وقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ﴾ [الفرقان:٤٤] وقال: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام:٣٥] وقال موسى عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧] وقال لنوح عليه السلام: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود:٤٦] وقال عن الكفار عند سماعهم القرآن: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ﴾ [الإسراء:٤٦] وقال: ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥] وقال عن المؤمنين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان:٦٣] وأثنى سبحانه على العلماء في آيات كثيرة.

فائدة: الإعتصام بحبل الله يحمي الانسان من الضلال

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١] فالذي يعتصم بالله يهديه إلى الصراط المستقيم ويتولاه

وينصره، والمعتصم به حقًا هو المتوكل عليه، المستعين به في جميع أموره، المفوض له، الملتجىء والمستعيذ به الذي استسلم له وأسلم نفسه إليه، واعتصم بوحيه وحكمه، واعتصم بحبله، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣] وقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨] فهو في حمايته وكلئه سبحانه، يعصم من اعتصم به من الضلالة والهلاك، ويهديه الطريق المستقيم، ويسلمه من الآفات، ويوفقه للخير والجماعة وعدم الفرقة، وينور قلبه بالإيمان والقرآن والذكر الحكيم والطاعة والإخلاص، ويحميه من البدع والذنوب، ويدفع عنه الشرور والشبهات والشهوات والأعداء، وشر النفس والاختلاف والشرك، روى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «القرآن هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه» [الترمذي:٢٩٠٦، والدارمي:٣٣٥٨، وقال الألباني: ضعيف الإسناد].

فائدة: اسم الله مبارك

قال الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨] اسم الله مبارك، ومجيء البركة منه، فكل ما ذكر اسم الرحمن بورك الشيء الذي ذكر عليه، وكلما أخلي منه نزعت البركة منه، فلا بركة فيما ذكي ولم يذكر اسم الله عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام:١٢١] وكل طعام لم يذكر اسم الله عليه يصاحبه الشيطان، وكل

نكاح كذلك، وكل مدخل أو مخرج لا توجد فيه بركة إلا بذكر الله تعالى، وقد اشتق الله الرحم من اسمه الرحمن، ولما أراد إنزالها إلى الأرض تعلقت بعرشه سبحانه، فقال: «مه» فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال: «ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك» [البخاري: ٤٨٣٠، ومسلم: ٢٥٥٤] وهي متعلقة بالعرش لها حنحنة كحنحنة المغزل، وهذا من رحمة الله تعالى، فمن وصل رحمه قربه الرحمن إليه ورعاه، واتسعت معيشته في دنياه وأخراه، وبورك له في عمره وأثره، ورحمه مولاه، ومن قطع رحمه فسدت دنياه وأخراه، ومحقت بركة رزقه وأثره، قال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم» [أبو داود: ٤٩٠٢ والترمذي: ٢٥١١، وصححه الألباني] وقال: «من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه» [البخاري: ٥٩٨٥، ومسلم: ٢٥٥٧] ورحمة الله تعالى تسبق غضبه، والله تعالى أرحم الراحمين.

فائدة: كل المحرمات ترجع إلى الظلم

جميع المحرمات ترجع إلى الظلم، إما في حق الله، أو حق العباد، أو حق النفس، ولهذا قال آدم عليه السلام لما تلقى من ربه كلمات: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] وقال يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦] وقال نبينا محمد ﷺ: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم» [البخاري: ٨٣٤، ومسلم: ٢٧٠٥].

فائدة: حقوق المرأة في الاسلام

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ [النساء:١٩] ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾ [البقرة:٢٢٨] في هاتين الآيتين يبين الله تعالى حقوق المرأة وكرامتها، وأنها لا تورث بعد موت زوجها كما يفعله أهل الجاهلية، وأنها لا تعضل، ولا تهان، ولا يجوز للرجل أن يتغيب عنها أكثر من أربعة أشهر، أو يعتزلها إضرارًا بها، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:٢٢٦] وبيّن تعالى أن للمرأة مثل ما للرجل بالمعروف فلا يجوز هضم حقوقهن ولا التطاول عليهن، وأن لهن مثل الذي عليهن للرجال، فهن كريمات لا يجوز الاستخفاف بهن وعدم إنصافهن، فهن ربات البيوت، كما قال مرة بن محكان السعدي:

يا ربة البيت قومي غيرَ صاغرةٍ
ضُمِّي إليكِ رحالَ القوم والقِرَبا

فلسن خدمًا فهن مثل الرجال، لهن حقوق عليهم، وعليهن حقوق لهم، ولكل اختصاصه، فهي تنظف بيته وتجهز طعامه، أو تشرف على ذلك، وعليه الإنفاق وحراسة البيت، وكلاهما راع ومسؤول عن رعيته، وعليها حضانة ولده، وعليه أن يكفيها مؤونة الارتزاق كي لا تهمل أولاده، وعليه تأديب أولاده وتعليمهم، وعليه أن يعدل بينها وبين زوجاته، وعليه معاشرتها بالمعروف، وعليها حفظ نفسها، وأن لا يطأ فراشه من يكرهه، وعليه مثل ذلك ممن ليست زوجة شرعية أو أمة له، وعليهما غض البصر عن الأجانب، قال

تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور:٣٠] وقال: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١] فهما متماثلان في بعث الحكمين، والمماثلة في الرعاية «الرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم» [البخاري:٨٩٣، ٢٥٥٤، ومسلم:١٨٢٩] والمماثلة أيضًا في التشاور في الرضاع والمفاصلة والائتمار بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق:٦] وقال: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ [البقرة:٢٣٣] ولا يجوز أن يضر أحدهما الآخر، وعليهما المعاملة بالمعروف غير المنكر، وبمقتضى الفطرة والآداب والمصلحة والشرع والاجتهاد، فهي وليته، يجب الإحسان إليها والشفقة والمحبة، ولها الميراث المخصص لها شرعًا، ولا يجوز أن يطلب مالها، قال تعالى: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ [النساء:١٢٧].

وقال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٢] وكثيرًا ما يعطف في الشرع أحكام المؤمنين بأحكام المؤمنات ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ الآية [الأحزاب:٣٥] ويعطف النساء على الرجال، فلا عبرة بالعادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام، ولا انحياز للأهواء والتعاليم الضالة، فالمقاصد الشرعية والمصالح العامة مقدمة على العادات، وما جاء به الإسلام هو الحسن، فلهن حقوقهن الخاصة وللرجال حقوقهم الموضحة في الشرع الكريم بالمعروف، ولا تجبر على الزواج بمن تكرهه، ولها حق الوصية بثلث مالها، ولها إيقاف ما تشاء منه وقفًا ناجزًا، ولها حق الخيار في فراق زوجها

إذا كانت به عاهة، فهي نصف النوع الإنساني، والإسلام اعتنى بإصلاح شأنها، قال الشاعر:

الأم مــدرســة إذا أعــددتــهــا
أعـددت شـعـبًـا طـيـب الأعـراق

ولا تسود الأمة إلا إذا أصلحت شأن المرأة، فالمساواة بين الرجل والمرأة في أن لكل منهما حقوقه الخاصة، وللرجال حقوق أخرى بيَّنها الله تعالى في قوله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء:٣٤] وقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾ [البقرة:٢٢٨] فقد أودع الله في صنف الرجال القوة العقلية والبدنية والعزيمة والذكاء على وجه العموم، وقد يوجد في النساء من تفوق الرجال في ذلك، وللرجل أن يتزوج بأربع، وليس للنساء مثل ذلك، وذلك لحكمة تعدد النساء وكثرتهن وغير ذلك، والطلاق يكون بيد الرجل وليس بيد المرأة، لقدرته على التحكم بالعاطفة الجياشة عند النساء وسرعة التأثر ولغير ذلك من الحكم، وكذا للرجال المراجعة في العدة، فهو المرجع في كثير من الشؤون وعند الاختلاف، فبه تأسست العائلة، وهو مظنة الصواب في الغالب، وإن حصل الشقاق والخصام والتنازع فيرجع إلى القاضي.

وعلى الرجال تحمل الجهاد وولاية الحكم في الدولة يختصون بها، وشهادته عن شهادة امرأتين، وله ولاية النكاح والرعاية، وهو مفضل بالإرث وعليه الإنفاق، كما أن لهن الحضانة لا يشاركهن في ذلك الرجال، وشهادة المرأة على ما يخص النساء كالبكارة وغيرها.

فيجب الرضا بما قسم الله وعدم معارضة شرعه تعالى، فإن من فعل ذلك قد يخرج من الإسلام وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

فائدة: الوعيد الشديد لمن يقتل نفسا مؤمنة متعمدا

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣] في هذه الآية تهديد عظيم لمن يقتل مؤمنًا متعمدًا، فهذا جزاؤه الذي يستحقه بفعله الشنيع، وقول الله تعالى: ﴿خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ مبالغة في طول المكث بالنار، ومن تاب فالله تعالى يغفر له، قال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢] وفي المسألة خلاف كبير، والله تعالى يغفر لمن يشاء عدا الشرك به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

فائدة: من صفات المحسنين

وصف الله تعالى المحسنين بثلاث صفات مهمة، وهي أعلى درجات الإحسان، فقال في سورة لقمان: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ○ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان:٢،٣] فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالآخرة واليقين، هذه الصفات الثلاث أفضل الحسنات وأزكاها.

فائدة: مكابرة ومعاندة اهل الكتاب

قال الله تعالى بعد أن أمر باستقبال شطر المسجد الحرام في الصلاة: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:١٤٤] لأنهم يعلمون أن شريعتهم نسخت بشريعة الإسلام، حيث

يجدون ذلك في كتبهم، ويعلمون أن قبلتهم للبيت المقدس ستنسخ، فقد أخبرهم أنبياؤهم بذلك، وأُخذ العهد عليهم بأن يتبعوا الرسول محمدًا ﷺ إذا بعث، ولهذا توعدهم الله بقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٤] وبين سبحانه أن إنكارهم أحقية الكعبة بالاستقبال ليس عن شبهة لديهم، ولكنه مكابرة ومعاندة، فقال: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ﴾ [البقرة:١٤٥] ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦] فعلى المسلم ألا يتبع أهل الكتاب في أهوائهم، وأن لا يشك في نسخ دينهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [البقرة:١٤٧] وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥] ومع أن استقبال قبلة المسجد الحرام واجب، ولا يجوز المرية فيه، إلا أن البر أعظم من ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ﴾ الآية [البقرة:١٧٧] وأن على المسلمين أن يهتموا بالمقاصد، ويستبقوا الخيرات، ويصلحوا أنفسهم وغيرهم، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة:١٤٨] وفي هذا تحريض على الأعمال الصالحة.

فائدة: من تيسير الله على الحاج أنه إذا لم يجد الهدي ينتقل إلى الصيام

قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ [البقرة:١٩٦] حكمة كون الأيام عشرة نشأ من جمع سبعة وثلاثة، لأنهما عددان

مباركان ضبطت بمثله الأعمال الدينية والقضائية، وفائدة التوزيع في الصوم التيسير، وحكمة تفاوتهما ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله ظاهرة، ولم يقل: خمسة وخمسة لاختلاف حالة الاشتغال بالحج ففيها مشقة، وحالة الاستقرار بالمنزل، وحكمة جعل بعض الصوم في مدة الحج جعل بعض العبادة عند سببها، أما قوله تعالى: ﴿كاملة﴾ فيفيد التحريض على الإتيان بصيام الأيام كلها لا ينقص منها شيء. والله أعلم.

فائدة: حرمة نكاح المشركة وانكاح المشرك

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٢١] البون شاسع بيننا وبين المشركين، فلا يجوز التزاوج منهم للرجل ولا للمرأة، لأنهم لا يوحدون الله ولا يؤمنون بالرسل، فلا يجمعهم بالمسلمين شيء يتفقون عليه.

أما أهل الكتاب فيجمع بينهم وبين المسلمين اعتقاد وجود الله، وانفراده بالخلق، والإيمان بالأنبياء، ويفرق بيننا وبين اليهود والنصارى الإيمان بمحمد ﷺ، فنحن نؤمن به وهم لا يتبعونه، لهذا أباح الله تزوج المسلم بالكتابية، ولم يبح تزويج المسلمة من الكتابي، لأن تأثير الرجل على امرأته قوي، فقد يؤثر عليها فتسلم.

فائدة: وعد الله للمؤمنين بالاستخلاف

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

هذا وعد من الله تعالى للمؤمنين إلى قيام الساعة أن من آمن وعمل صالحًا يستخلفه الله في الأرض، وقد استخلف الله المؤمنين فترات من الزمان في الأرض، بسبب الإيمان والعمل الصالح، وعاد المسلمون اليوم إلى الذلة والهوان بسبب ذنوبهم ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] فالأمن والاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والشريعة سنة من سنن الله لمن آمن وعمل الصالحات، ومن الصالحات عمل الأسباب المعنوية والمادية والاستعداد بالقوة، فإذا اهتم ولاة الأمور وعموم الأمة باتباع أوامر الله تعالى من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، والابتعاد عن الفحشاء والمنكر والبغي، وأكل أموال الناس بالباطل، والإفساد في الأرض، وقاموا بالمعاملة الحسنة مع أهل الذمة والأعداء، جعلهم الله خلفاء في الأرض، ومكن لهم الأمن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ○ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦] وإذا أخذت الأمم الكافرة بالعدل وبهذه القيم - ولو كانت كافرة - مكن الله لهم في الأرض، وأكبر دليل على ذلك أن الكفار اليوم جوزوا على أعمالهم الدنيوية بهذا النصر، وإن كانوا فقدوا كفالة ربهم وتأييده إياهم ودفع العوادي عنهم، ووكلوا إلى أعمالهم وجهودهم، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ

وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ [الإسراء:٤-٧] فهذه سنة الله، من أحسن أحسن لنفسه، ومن أساء فعليها، وقد حكم العالم وسيطر عليه من قبل: الأشوريون والمصريون والفينيقيون، واليهود زمن سليمان عليه السلام، والفرس واليونان والرومان، والمسلمون في أزمان الصحابة والتابعين والمماليك والأتراك، وصلحاء الملوك، مثل يوسف وداود وسليمان عليهم السلام، وأنوشروان وأصحمة النجاشي وحمورابي وذي القرنين وإسكندر المقدوني، والخلفاء مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية.

فائدة: من يُقاتل ومن لا يُقاتل

قال الله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء:٩١] هؤلاء يظهرون المودة للمسلمين ليأمنوا غزوهم، ويظهرون المودة لقومهم ليأمنوهم وهم كاذبون، قال الله تعالى عنهم: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ [النساء:٩١] فكلما أبعدوا عن الفتنة رجعوا إليها ونكسوا وردوا إلى الكفر جزاءً لسوء اعتقادهم وعدم إخلاصهم وضلالهم، وهؤلاء غطفان وبنو أسد من حول المدينة قبل أن يخلص إسلامهم وبنو عبد الدار من أهل مكة، أمر الله تعالى بقتالهم إذا قاتلوا وناصبوا العداء للمؤمنين ولم يكفوا

أيديهم ولم يلقوا السلم ولم يعتزلوا، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء:٩١] أي حجة واضحة دالة على نفاقهم.

فائدة: لم يذكر الله من المناسك باسمه الا عرفة والصفا والمروة

قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [البقرة:١٩٨] لم يذكر من المناسك باسمه غير عرفات والصفا والمروة، وذلك دلالة على أنها من الأركان، ويؤخذ ركن الإحرام من قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾ [البقرة:١٩٧] أما طواف الإفاضة فركنيته ثبتت بالسنة والإجماع. وسميت المزدلفة مزدلفة، لأنها ازدلفت من منى أي اقتربت، وتسمى جَمْعًا، لأن جميع الحجاج يجتمعون في الوقوف بها الحمس وغيرهم، أما عرفة فلا يقف الحمس بها في الجاهلية، وتسمى المزدلفة (قُزَح) باسم قرن جبل بين جبال من طرف مزدلفة، ويقال له: المِيقَدَة، لأن العرب في الجاهلية يوقدون عليه النيران، وهو موقف قريش في الجاهلية، وسميت المزدلفة بالمشعر الحرام، لأنها من أرض الحرم، بخلاف عرفات، فهي ليست من الحرم.

فائدة: أقدم من عرف الحج من الأمم

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ○ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ

ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٨،١٩٩] وقال: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

الحج عند العرب في الجاهلية مما ورثوه عن شريعة إبراهيم عليه السلام، وهم أقدم أمة عرفت عندها عادة الحج، وكانوا يعتقدون أن زيارة الكعبة سعي لله تعالى، قال النابغة الذبياني يصف الحجيج ورواحلهم:

عليهن شُعْثٌ عامدون لربهم
فهن كأطراف الحَنِيِّ خواشع

وكانوا يتجردون عند الإحرام من مخيط الثياب ولا يمسون الطيب ولا يقربون النساء ولا يصطادون، وكان الحج طوافًا وسعيًا بين الصفا والمروة ووقوفًا بعرفة لغير الحمس - حيث يقف الحمس في مزدلفة - ونحرًا بمنى، وكانوا لا يأكلون مدة الحج أقطًا ولا سمنًا، لأنه أكل المترفهين، ولا يستظلون بسقف، ومنهم من يحج متجردًا من الثياب إذا لم يأخذ ثيابًا من أهل مكة، ومنهم من لا يستظل من الشمس، ومنهم من يحج صامتًا لا يتكلم، ولا يشربون الخمر في أشهر الحج، ولهم مناسك وأحكام، وكان اليهود يحجون إلى هيكل - أورشليم - المسجد الأقصى ثلاث مرات في السنة، ويذبحون هناك القرابين، ولهم عيد اسمه عيد الفصح، وللنصارى حج إلى منازل ولادة عيسى عليه السلام وزيارة أورشليم وقبر (مار بولس) وقبر (مار بطرس) برومة، ومدينة (عسقلان) من بلاد السواحل الشامية، وكان للمصريين والكلدانيين حج إلى البلدان المقدسة عندهم، ولليونان كذلك لمواقع مقدسة، مثل (أولميا) وهيكل (زفس)

وللهنود حجوج كثيرة، وكان للعرب في الجاهلية عمرة يقولون فيها (إذا برىء الدبر، وعفا الأثر، وخرج صفر حلت العمرة لمن اعتمر) وكان المضريون يعتمرون في شهر رجب، ولذلك حرمته مضر، فلقب برجب مضر، وتبعهم بقية العرب ليكون المسافر آمنًا، ولذلك لقبوا رجبًا (منصل الأسنة) ويرون العمرة في أشهر الحج فجورًا، وكانوا يتقربون للأصنام، فقد وضعوا هبلًا على الكعبة، ووضعوا أسافًا ونائلة على الصفا والمروة، وكانوا يتفاخرون بآبائهم وأجدادهم في المشعر الحرام، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠] ويسألون الله أمور الدنيا والخصب والمطر.

فائدة: السلم الحقيقي

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨] إما أن يراد بالسلم المعنى الحقيقي، ويكون السلم بين المسلمين، يأمرهم الله تعالى بعد أن اتصفوا بالإيمان بألَّا يكون بعضهم حربًا لبعض، كما كان في الجاهلية من عداوات بين القبائل، قال النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض» [البخاري: ١٢١، ٤٤٠٥، ٦٨٦٩، ومسلم: ٦٥].

وقيل: الخطاب لمن آمن من اليهود كعبدالله بن سلام رضي الله عنه، أي لا تستمروا على تحريم السبت وترك شرب ألبان الإبل وبعض ما اعتادوه من الأحوال أيام تهودهم، وقيل: ادخلوا في دين الإسلام، أي تمكنوا فيه وداوموا عليه، ولا تتركوا شيئًا من أموره وتأخذوا بشيء، فهو لا يتجزأ، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ [البقرة: ٨٥] وقيل: ادخلوا في الصلح

والمسالمة دون القتال والحروب، وعليكم بالرضا بالصلح الذي عقد رسول الله ﷺ مع أهل مكة عام الحديبية، لأن بعض المسلمين كانوا آسفين من وقوعه، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال: (ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ فكيف نرضى بالدنية في ديننا؟) والله أعلم.

فائدة: رفع الحرج في الأكل من بعض البيوت

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾ الآية [النور:٦١] لم يقل: أو بيوت أبنائكم، لأن بيوت الأبناء من بيوت الإنسان، لقول النبي ﷺ: «أنت ومالك لأبيك» [أبو داود: ٣٥٣٠، وابن ماجه: ٢٢٩١،٢٢٩٢ وأحمد: ٢/ ٢٠٤ قال الألباني عنه: حسن صحيح] وقوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ المراد بأكل الإنسان من بيته الأكل غير المعتاد، أي أن يأكل أكلًا لا يشاركه فيه بقية أهله، كأن يأكل الرجل وزوجته غائبة، أو أن تأكل هي وزوجها غائب، فهذه أثرة مرخص فيها.

فائدة: أوقات الاستئذان الثلاثة

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ﴾ [النور:٥٨] هذه الأوقات الثلاثة لابد من الاستئذان فيها، حتى للمماليك والأطفال، لأنها أوقات يتجرد فيها أهل البيوت من الثياب، وهي أوقات خلوة الرجال بالنساء، وقوله: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ﴾ أي الليل كله ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ

﴿ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي الظهر كله.

فائدة: جواز اتيان النساء على كل حال إذا كان في موضعه

قال الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ [البقرة:٢٢٣] روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما أن اليهود قالوا: إذا أتى الرجل امرأته مجبِّية جاء الولد أحول، فسأل المسلمون عن ذلك فنزلت هذه الآية. [البخاري:٤٥٢٨، ومسلم:١٤٣٥]

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من اليهود وهم أهل كتاب، وكانوا يرون لهم فضلًا عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء إلا على حرف، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا - أي يطأونهن وهن مستلقيات عن أقفيتهن - ومقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرته عليه وقالت: إنما كنا نُؤتَى على حرف فاصنع ذلك، وإلا فاجتنبني، حتى شري أمرهما - أي تفاقم اللجاج - فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾ أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد [أبو داود:٢١٦٤، وحسنه الألباني]

أما التقديم للأنفس فهو بالملاعبة والتقبيل ونحوهما، والله أعلم.

فائدة: فضل الصلاة في المساجد

لما قال الله تعالى في سورة النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾

الآية [النور:٣٥] أتبعها بقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ [النور:٣٦] فقوله: ﴿في بيوت﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نور﴾ أي أن هذا النور في تلك المساجد التي رفعت حسيًا بالبناء ومعنويًا بالذكر ﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ﴾ [النور:٣٨] فيه إشارة إلى زيادة أجر الصلاة في المساجد، وخصص الرجال في قوله: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور:٣٧] لأن صلاة الجماعة للرجال، وليس المقصود أنهم لا يبيعون ولا يتجرون، وإنما المفهوم أنهم يبيعون ويتجرون ويعملون لحصول الرزق، ولكن ذلك لا يلهيهم عن صلاة الجماعة.

من فوائد الصلاة:

من فوائدها ذكر الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤]. ومن فوائدها أنها تشرح الصدر وتؤنس القلب وتطمئن النفس، ويحصل بها الذلة لله والخضوع له والإيمان به وتعظيمه، وتنمية الصفات الحميدة والآداب القويمة والبعد عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت:٤٥]. ومن فوائدها أنها تعين المرء على كل مصلحة دينية ودنيوية، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة:٤٥]. فهي ترغب في فعل الخيرات وتسهل الطاعات وتردع عن السيئات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية [التوبة:١٨]. وهي بركة في المال والأهل والولد والعمر والعمل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]. وهي نجاح وفلاح في الدنيا

والآخرة، تكفر السيئات وترفع الدرجات وتقرب إلى رب الأرض والسموات، وهي نور للقلب والبدن. فيها جميع أركان الإسلام الخمسة، ففي التشهد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وفيها الصوم عن الأكل والشرب، وفيها الاتجاه للقبلة التي يتجه إليها الحجاج، وهي زكاة وطهارة للنفس والبدن والعقل والفكر. وفي الاجتماع لها تواد وتواصل بين المسلمين وتعارف وقراءة للقرآن وتدبر. ويعطى المسلم بكل خطوة إليها حسنة ويُحَطُّ عنه سيئة. فيها رياضة عقلية وبدنية وتقوية للجسم وصحة من ذهاب وجيئة وقيام وقعود وركوع وسجود. ونظافة وطهارة ولبس جميل وريحة طيبة ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] أي عند كل صلاة. فيها مناجاة لله ووقوف بين يديه وحمد وثناء وحضور للملائكة الكرام يُؤَمِّنون على دعائه. واجتماع مع الصالحين لعبادة رب العالمين (هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم). تنحلُّ بسببها العقد النفسية، فإذا قام وذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عقدة، وإذا صلى انحلت عقده كلها، فأصبح طيب النفس نشيطًا كما في الحديث الصحيح. [البخاري: ٣٢٦٩، ومسلم: ٧٧٦]. فيها معراج إلى الله تعالى وثناء عليه وحمد ودعاء وإقرار بأن كل المحامد له والتحيات والصلوات والطيبات له، وصلاة وسلام على النبي الكريم ﷺ، وسلام على عباد الله الصالحين من أول ما خلق الله الأرض إلى قيام الساعة من الإنس والجن والملائكة وغيرهم. فسبحان من يحصي فضلها وأجرها وثوابها وما يتحصل عليه العبد من خيرات بسببها، كم عدد عباد الله الصالحين! أن للمصلي بعددهم مضروبًا بعشر حسنات،

لأنه يسلم عليهم، وكم له من الأجور؟ وهو يسلم على الرسول ﷺ فيها عدة مرات بدون شد الرحال للصلاة في مسجده والسلام عليه، ومن صلى عليه صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ومن سلم عليه بلغ بسلامه ورد عليه إذا شاء الله، وهو ومن بجوار قبره سواء إذ لم يكن أجره أعظم، لأنه يصلي عليه وهو متلبس بالعبادة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

من فوائد الزكاة:

هي برهان على الإيمان، ودليل على طاعة الرحمن، تطهر القلب وتزكي النفس وتنمي المال وتُقوِّم الخلق، وتبعد المرء عن البخل والشح، وتنمي الصفات الحميدة والآداب القويمة، وهي دليل على شكر نعمة الله وحب الخير للناس والإخلاص لله، بها تشرح الصدور وتسعد العقول وتفرح النفوس وتقوى القلوب، تدفع بها النقم والأمراض والمصائب والمكاره، وتجلب محبة الخلق ومودتهم، تنقي المال وتدفع عنه الآفات، وهي سبب بركته وزيادته، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، بسببها يحصل المرء على دعاء الملائكة ودعاء الناس: (اللهم أعط منفقًا خلفًا) [البخاري: ١٤٤٢، ومسلم: ١٠١٠]، تدفع بسببها الحاجات والضرورات، ويستغني بسببها الفقراء والمساكين، تقام منها الجيوش للجهاد في سبيل الله ومصالح الدين والدنيا، ينشر بها العلم والخير وتكفل بها الأيتام والدعاة والمدرسون، تقام بها حلقات العلم والتعليم والتربية والتوجيه، وتفك بها الرقاب، ويساعد بها الغارم وابن السبيل، وبها تؤلف القلوب، وتدفع الشرور، وتنهض الأمم

والشعوب.

من فوائد الصيام:

للصيام فوائد عظيمة: أولها وأهمها وأعظمها الحصول على التقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣] فالصيام طريق لحصول التقوى، فمن ترك محبة نفسه من الطعام والشراب وغيرهما تقديمًا لمحبة الله تعالى وإيثارًا لها جازاه الله بالتقوى التي هي أعظم الجزاء، وهي سبب رضوان الله تعالى ودخول الجنة، ومن فوائد الصيام الصبر وزيادة الإيمان وكثرة العبادات وقراءة القرآن، والتهجد والتراويح والذكر واجتماع المسلمين والصدقات وتذكر الفقير، ومعرفة نعمة الله على العبد وتقييد الشياطين، فلا يصلون إلى ما يصلون إليه في غيره، فيبتعد عن المحرمات والمكروهات ويشكر الله تعالى. ومن فوائده تكفير المعاصي وعظم الأجور، وإذا أتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله، ومن صام من كل شهر ثلاثة أيام فكأنما صام الشهر كله والسنة كلها، وفي الصيام فوائد صحية: فهو يخلص المسلم من الفضلات ويريح المعدة ويقوي الجسم ويشفي من كثير من الأمراض التي علاجها الحمية. والله أعلم.

من فوائد الحج:

من فوائد الحج - الذي لا رفث فيه ولا فسوق - أن الحاج يرجع مغفورًا له من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وهذه الفائدة لا توجد في غير الحج، ومن فوائده أن جزاءه الجنة، وهو شكر لله تعالى

للمستطيع إليه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] ومن فوائده وفوائد العمرة أنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد، وفيه فوائد عامة من اجتماع المسلمين وتحابهم وتوادهم والمشاورة بينهم وإرهاب عدوهم، قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨] وفي الحج يقوم الدين وتقوم الدنيا، فبوجود بيت الله الحرام وعمارته بالحج والعمرة والاعتكاف والعبادات وجدت هذه الدنيا، ولو خرب - لا قدر الله ذلك - لخربت البلاد والعباد، لهذا فمن أمارات الساعة أن يهدم هذا البيت العتيق ويترك الناس الحج إليه والعمرة، وفي الحج توحيد الله والتلبية (لبيك لا شريك لك) وتذكر توحيد إبراهيم عليه السلام وطاعته لربه، والحجاج ضيوف الله، ولكل ضيف قِرَى، والله أكرم الأكرمين يجزل لضيوفه العطاء، وهو عبادة روحية وبدنية ومالية يتذكر فيه المسلم الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥] وقال ﷺ: «خذوا عني مناسككم» [أحمد: ٣/ ٣١٨ واللفظ له، ومسلم: ١٢٩٧، وأبو داود: ١٩٧٠].

وفيه إقامة ذكر الله، قال ﷺ: «إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله» [أبو داود: ١٨٨٨، أحمد: ٦/ ٦٤] وفي اجتماع المسلمين في وقت واحد ومكان واحد تعارف وتعاون ومعالجة للمشاكل ومصالح دينية ودنيوية، ووحدة للصفوف وأخوة إيمانية، وفيه فوائد دنيوية وتجارات ومكاسب في تلك المواسم العظيمة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٩٨] وقال: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٢].

فائدة: من كان الله معه امن من كل خوف

قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:١٠] وقال موسى عليه السلام لقومه لما قالوا له: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١] ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢] وقال نبينا محمد ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] فمن كان مع الله كان الله معه، فلا يخاف من أحد سوى الله تعالى، ويتبين التوكل على الله تعالى، وعدم الخوف من أحد سواه عند الشدائد والمصائب.

فائدة: كل إنسان مرهون بعمله

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨] فكل إنسان مرهون بعمله، ولهذا لما حَبَسَ المجرمون ما يجب عليهم لله تعالى وللخلق من الحقوق، حبسوا في النار وارتهنوا فيها.

أما المؤمنون الذين أطلقوا نفوسهم وألسنتهم وجوارحهم في طاعة الله تعالى، فقد أطلق الله إسارهم ولم يحبسهم ولم يرتهنهم، ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر:٣٩-٤١] فلهم ما اشتهت أنفسهم من النعيم المقيم.

فائدة: الذنوب تمرض القلوب وتصم الآذان

إذا أذنب الإنسان مرض قلبه وربما مات، وصار لا يسمع ولا يعقل، وقفل عليه ومنع من الهداية وارتكس بالران، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥] وقال: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [الروم:٥٢،٥٣]

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ○ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يسٓ:٩، ١٠] ومن بحث عن الهداية وسلك طريقها هداه الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩] ومن تكبر عن سماع الحق والبحث عنه، صرفه الله وأبعده عن رحمته، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ﴾ [الأعراف:١٤٦].

فائدة: اقسام الصبر والشكر

الصبر والشكر هما نصفا الإيمان

الصبر نصف الإيمان، والنصف الثاني الشكر، وقد ذكر الصبر في القرآن تسعين مرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [البقرة:١٥٣] وقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [النحل:١٢٧] وقال: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩] فقد أمر الله تعالى به ونهى عن تركه، وبين أنه يحب أهله وأنه معهم وأنه خير عظيم وأجره جزيل، وبشر الصابرين وضمن لهم النصر والإعانة وأثنى عليهم، وبين أن أجرهم بغير حساب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] وأنهم هم الذين ينتفعون بالآيات والمواعظ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى:٣٣] وأن الإمامة لا تنال إلا بالصبر واليقين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤] فالصبر كالرأس من

الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، ومن يتصبر يصبره الله، وهو خير كله.

وعلاج حر الصبر يكون بالأمور الآتية:

١- قول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥] وقول: «اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها» كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها [مسلم:٩١٨، وأبو داود:٣١١٩. والترمذي:٣٥١١].

٢- ومن علاجه: الإيمان بالقضاء والقدر، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ○ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد:٢٢،٢٣].

٣- ومن علاجه: أن يتذكر نعم الله عليه، وأن ينظر إلى من دونه، ويتذكر أهل المصائب الكبيرة، ويتذكر الأجر الذي يناله من الصبر، ويحتسب الثواب من الله، ويتجلد، وأن يقتدي بأولي العزم من الرسل، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

٤- وعليه بالصلاة، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥].

٥- وعليه بالذكر، فإنه طمأنينة للقلب، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

فإذا عوَّد الإنسان نفسه على الصبر استراح في الدنيا والآخرة، وحسنت حاله وصحته وفاز في الدنيا والآخرة.

فائدة: أنواع الحب

الحب خمسة أنواع:

١ـ محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٢ـ محبة ما يحبه الله، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» [شرح السنة للبغوي: ١/ ٢١٣، صححه النووي في أربعينه، وقال الحافظ في فتح الباري: ١٣/ ٢٨٩: ورجاله ثقات وقد صححه النووي في آخر الأربعين].

٣ـ المحبة لله وفيه، كما في الصحيحين: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار» [البخاري: ١٦ ومسلم: ٤٣].

٤ـ المحبة مع الله، وهذه شرك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٥ـ المحبة الطبيعية كمحبة الشرب عند العطش، والأكل عند الجوع، والنوم عند التعب؛ ومحبة الزوجة والولد؛ فهذه لا تذم إلا إذا أَلْهَتْ عن ذكر الله تعالى وشغلت عن طاعته ومحبته، قال تعالى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون: ٩].

فائدة: حرمة الزواج بالمشركة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾ [البقرة:٢٢١] وهذا يدل على أن على المرء ألا يخالط ولا يصاحب إلا الصالحين الذين يدعون إلى الجنة بأقوالهم وأفعالهم، وأن عليه أن يتجنب الفجار الذين يدعون إلى النار ولو كانوا من ذوي المال والمنصب والجاه والحسب والنسب، ولو حصل له منهم مصلحة دنيوية، فإن مصالح الآخرة هي التي يجب تقديمها، فهي الحياة الأبدية والمستقبل المهم، فالصديق لصديقه مقتدٍ، والجليس لجليسه متأثر، فالعاقل يختار من يفيده في أخراه ويدله على الخير ويناصحه، ويكون قدوة له يستفيد من أخلاقه وآدابه وعلمه.

من لي بإنسان إذا أغضبته
وجهلت صار الحلم رد جوابه

فائدة: أهوال يوم القيامة وأماني المجرمين

قول الله تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ○ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ○ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ○ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج:١١-١٤] أما غير المجرم فلا يود ذلك، لأنه افتدى في الدنيا من عذاب الله بالتقوى والإيمان والعمل الصالح، فهو في سعادة لأمله في دخول الجنة والاجتماع بأحبابه، فلا يحزنه الفزع الأكبر، وتبشره الملائكة بذلك، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٣] ﴿نَحْنُ

أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣١].

فائدة: الصبر لوجه الله تعالى

الصبر يجب أن يكون لوجه الله تعالى، ولهذا قال سبحانه للرسول ﷺ في سورة المدثر: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [الآية: ٧] فإذا احتسب المسلم لله تعالى خفت عليه المصائب، لأنه يرجو الثواب منه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ [النساء: ١٠٤] أما غير المحتسب فعذابه ومصيبته صعبة وجزعه عظيم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٥٦] كما أن الإيمان بالقضاء والقدر يبعث على الصبر وعدم الجزع، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ○ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فائدة: أقسام المرض

المرض مرضان: مرض القلوب ومرض الأبدان.

وأخطرهما مرض القلوب، وهو نوعان: مرض شبهة ومرض شهوة، قال الله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾ [البقرة: ١٠] وقال: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [المدثر: ٣١] وقال: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [النور: ٥٠] وقال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ

مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢]. ومنهما مرض الرياء والكبر والحسد والعجب والخيلاء والفخر وحب العلو في الأرض وحب الرئاسة والمدح، والأدلة على ذلك من القرآن كثيرة.

وعلاج هذه الأمراض العلم، فالعلماء أطباء القلوب وحياة الأرواح وحاجة المرء إلى العلم أعظم من حاجته إلى الهواء والماء، فكما أن السمك إذا فقد الماء مات، فكذلك المرء إذا فقد العلم مات قلبه، والجهل عمى وصمم وبكم، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٧٢].

أما مرض الأبدان، فعلاجه عند الأطباء ومآله الموت بخلاف مرض القلوب الذي مآله النار والعذاب. نسأل الله العافية من المرضين.

فائدة: سماحة أحكام الاسلام

أحكام الإسلام سمحة يسيرة لا مشقة فيها ولا عسر ولا حرج، وهي حسب استطاعة الإنسان، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق:٧] وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦] وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨] وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ○ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥،٦] وقال ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» [البخاري:٧٢٨٨ ومسلم:١٣٣٧] فالصلوات خمس في اليوم والليلة، والزكاة في السنة مرة إذا بلغت النصاب، والصيام الفرض في شهر رمضان، والحج في العمر مرة، ويعذر المسلم عند العجز

والمشقة، ويباح له القصر والفطر في السفر، ويعفى عن الدم اليسير النجس، والأصل في الأشياء الطهارة، ولا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة، والضرورات تبيح المحظورات، ولحضور الجماعة والجمعة أعذار، وإذا عجز عن الكفارة الأعلى انتقل إلى ما دونه، وليس على الأعمى حرج في الجهاد ولا على المريض ولا على الأعرج. ومن عجز عن الإنكار باليد واللسان أنكر بالقلب، والنفقة حسب السعة، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله. والأصل في الأمور الحل عدا العبادات، وتحمل العاقلة الدية عن القاتل خطأ أو شبه عمد، ويرجع إلى الظن إذا تعذر اليقين في الطهارة وإسباغ الوضوء ودخول الوقت وغير ذلك. ويكتفى بالاستجمار عن الاستنجاء، ويعفى عن طين الشارع ولو ظنت نجاسته، وإن علمت نجاسته عفي عن القليل، ويكتفى بنضح بول الغلام الصغير الذي لم يأكل الطعام بشهوة، ويعفى عن قيئه، ويمسح المسافر على الخفين، ومن مرض أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا، ويصلي المريض حسب قدرته، والمشقة تجلب التيسير. وغير ذلك.

فائدة: حكم الجهاد في سبيل الله

قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةًۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦] من فوائد هذه الآية الكريمة:

١ـ وجوب القتال، فالأمر للوجوب في الأصل.

٢ـ فرضية الجهاد كفاية على القادر، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ﴾ الآية [التوبة: ١٢٢] ولقوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَى

﴿ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية [النور:٦١].

٣ـ أن الكفار والدهريين واليهود والنصارى وأهل الشرك والملاحدة يدخلون في هذه الآية ويجب قتالهم بشروطه.

٤ـ يقاتل من أفسد في الأرض كالبغاة والخوارج.

٥ـ أن من لم يُقَاتِل المسلمين لا يُقَاتَل كالنساء والأطفال والرهبان والعجزة، وكذا من أقر بالجزية.

٦ـ يكون القتال لوجه الله تعالى لا للرياء ولا للسمعة ولا للشجاعة ولا غيرها.

٧ـ تقبل الجزية من المشركين كلهم.

٨ـ يجب بغض الكفار وكراهيتهم حيث أمر الله تعالى بقتالهم.

٩ـ وجوب تقوى الله، حيث قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٣٦] وهذه معية خاصة، ومن ذلك يتبين أن نصر الله لمن اتقى.

١٠ـ وجوب الإعداد للقتال، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠].

١١ـ لابد من قيادة ترفع راية التوحيد في حالة الابتداء بقتال الكفار، أما الدفاع عن النفس والمال فله حكم آخر.

١٢ـ من شروط النصر عدم المنازعة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

فائدة: صفات المؤمن الحق

المؤمن الحق يعبد الله في الرخاء والشدة، أما الذي يعبد الله في الشدة ويغفل في الرخاء فهو ناقص الإيمان أو معدومه، قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم:٣٣] فهذه حال أكثر الناس إذا كانوا في الرخاء غفلوا، وإذا أصابتهم شدة رجعوا، وكذا المشركين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥] ومن كان من المسلمين بهذه الصفة ففيه شبه بالمشركين فيها. أما المؤمنون الحق فهم يعبدون ربهم في كل حال في الرخاء والشدة، قال تعالى عن ذي النون: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣،١٤٤] لقد استجاب الله دعاءه حين نادى في ظلمات ثلاث: ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة بطن الحوت، لأنه كان وقت الرخاء يسبح الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨] وقال ﷺ: «تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة» [مسند أحمد:١/٣٠٧، قال أحمد شاكر: روي هذا الحديث بثلاثة أسانيد، أحدها صحيح والآخران منقطعان].

وكثير من الناس يغفل عن عبادة الله ويرتكب حرمات الله في حال الرخاء والترف والأمن، وإذا مسته الضراء أقبل إلى ربه ودعاه وتضرع له لكشف ما دهاه، وإذا زالت هذه النائبة عاد إلى حالته الأولى من الغفلة والفجور والنسيان: ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ [الزمر:٨] فهو لا يعرف الله إلا عند الضرورة. نسأل الله العافية.

فائدة: مراتب الإيمان

الإيمان أشرف مراتب العبد، مدح الله تعالى أهله، وبين أن من عباده المؤمنين نوحًا وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس وغيرهم،

فقال: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات: ٨١] فكل خير ورشاد وفلاح ورضا الله ودخول الجنة بسبب الإيمان، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣] وقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩] وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨] والإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان، وهو قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، وأكمل الناس إيمانًا أحسنهم خلقًا، والذين يتيقنون ولا يرتابون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ويصلون من قطعهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويعطون من حرمهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويتصدقون ويؤثرون على أنفسهم ويصبرون. ومن صفاتهم ما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال: ٢-٤]. ومن صفاتهم أنهم يذكرون الله كثيرًا وتطمئن قلوبهم بذكره، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ٢٨] يتحابون في الله، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١]، يحبون لإخوانهم المسلمين ما يحبونه لأنفسهم، يكرمون جيرانهم وضيوفهم، ويصلون أرحامهم، ولا يقولون إلا خيرًا. ومن صفاتهم أن الله ورسوله ﷺ أحب إليهم مما سواهما، وأنهم يكرهون الكفر بعد الإيمان، رضوا

بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، وعلامتهم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت والعزوف عن الدنيا، يتلذذون بالعبادة، قرة أعينهم الصلاة. نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

فائدة: الإيمان بالغيبيات

تنقسم الأشياء إلى قسمين: أمور حسية وأمور غيبية. فالحسية: هي المشاهدة وهذه يعرفها المؤمن والكافر ولا يترتب عليها أي حكم من أحكام الإيمان، وإنما هي أدلة وبراهين على ما أخبر به سبحانه. والقسم الثاني: أمور الغيب التي هي الفارق بين المؤمن والكافر، وقد أثنى الله تعالى على المؤمنين بالغيب، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ○ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢، ٣] وأجلها معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العُلىٰ وأوصافه الجليلة وأفعاله الحميدة، وكلما ازداد العبد معرفة بذلك كان أعظم إيمانًا بالغيب، فمن أحصى التسعة والتسعين اسمًا بأسمائها ومعانيها وعرف معناها وتعبد الله بها زاد إيمانه ودخل الجنة، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة» [البخاري: ٧٣٩٢ ومسلم: ٢٦٧٧] فحب العبد لهذه الأسماء سبب لدخول الجنة، كما أن الرجل الذي كان يقرأ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في صلاته، لأنه يحب صفات الرحمن، قال له الرسول ﷺ: «حبك إياها أدخلك الجنة» [البخاري: الأذان، باب الجمع بين السورتين... حديث: ٧٧٤م] قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ

أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦،٢٧]، ومن الإيمان بالغيب: الإيمان بالرسل والكتب واليوم الآخر والبعث والنشور، ونعيم القبر وعذابه والجنة والنار والملائكة والقدر خيره وشره.

فائدة: الحيلة من صفات اليهود

كل حيلة تتضمن تغيير الحكم الشرعي إما بإسقاط واجبٍ أو إحلال محرم وذلك بصورة المباح، فهي مذمومة، وقد جعلها الله زيادة في الكفر، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ﴾ الآية [التوبة:٣٧] وذلك أنهم يبدلون الشهر الحرام بالشهر الحلال، أو الحلال بالشهر الحرام، ويسمون ما يشاؤون الأشهر الحرم موافقة لعددها، فالأشهر الحرم لا تتغير، وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، لا يجوز إيقاد الحروب فيها، وكل حيلة من هذا القبيل في بيع أو شراء أو ربا أو غيرها فهي محرمة، ومثل ذلك حيلة بني إسرائيل في صيد السمك عندما حرم الله عليهم صيده يوم السبت، فأقاموا الشبك في يوم السبت وأخذوا ما تجمع فيه يوم الأحد، قال تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ﴾ [الأعراف:١٦٣] وهذا امتحان من الله لهم لم ينجحوا فيه. والحيلة هذه أعظم إثمًا من مجرد العمل يوم السبت، ولهذا مسخهم الله قردة، فعلى المسلم أن يتقي الله ويحذر من استحلال المحارم بأنواع الحيل والمكر.

فائدة: من صفات المولى جل وعلا

يتحلى الله في آيات القرآن الكريم بصفات: العظمة والكبرياء

والجلال والجمال والكمال، والرحمة والبر واللطف والإحسان والجبروت والعدل، والانتقام والسخط والغضب والعقوبة والأمر والنهي والوصية والعهد وإرسال الرسل، والحكمة والعطاء والجود والكرم والستر والتجاوز والعز والرضا والغضب والحلم والغنى والقيومية، والثواب والعقاب والعطاء والمنع. إنه تعالى يعز ويذل ويخفض ويرفع ويرى ويسمع، وهو موصوف بكل كمال، منزه عن كل عيب، عليم قدير.

فائدة: تعنت اليهود وتشددهم

لا ينبغي التعنت والتشدد وكثرة الأسئلة، إذا أمر المسلم بأمر فعليه امتثاله، وقد ذم الله بني إسرائيل وشدد عليهم في أمر البقرة حينما قال لهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ وقالوا: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ وقالوا: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ [البقرة:٦٧-٦٩] وهذا يدل على تلاعبهم، ولو أنهم حين أمروا بذبح بقرة أخذوا بقرة من البقر فذبحوها لكان خيرًا لهم وأسهل، ولكنهم تشددوا فشدد الله عليهم، إن المسلم مستجيب لأوامر الله منفذ لها لا يتوقف في ذلك، يقول: سمعنا وأطعنا، وقد أمروا بذبح هذه البقرة وضرب بعض عظامها ببعض لما قتلوا القتيل وتدافعوا فيه. وهذه القصة تدل على معاد الأبدان، وأن الله تعالى عالم الغيب، وأنه لا ينبغي التعنت والتشدد عند الأوامر، وفيها دلالة على صحة رسالة موسى والأنبياء عليهم السلام جميعًا، ورحمة الله تعالى في إقامته البراهين على عباده، وفيها دلالة على مكر بني إسرائيل وجهلهم، ولهذا قالوا: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [البقرة:٧١] وكأن

موسى عليه السلام لم يأتهم بالحق إلا بعد أن بين لهم أمر البقرة المطلوب ذبحها، وقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ وهذا أكبر الجهل أن يشكُّوا في صدق نبيهم.

فائدة: التسليم لأمر الله وعدم الاعتراض

لا ينبغي للإنسان أن يفاجيء الناس بشيء مستغرب عليهم، بل ينبغي أن يقدم لذلك مقدمة تسهل عليهم قبول المستغرب أولًا، ومن ثم يبلغهم بالتدريج بعد استعدادهم لقبوله، ولهذا ذكر الله قصة زكريا عليه السلام وإخراج الولد منه وهو شيخ كبير مقدمة بين يدي قصة المسيح عليه السلام وولادته من غير أب، وذكر قصة مريم وأن رزقها يأتيها في غير وقته قبل ذكره قصة المسيح، وفي نسخ القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام قدم لذلك بقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦] وبين أنه على كل شيء قدير وأنه عليم بكل شيء، وحذرهم من الاعتراض على رسول الله ﷺ كما اعترض من قبلهم على موسى عليه السلام، وأمرهم بالطاعة والتسليم، وأن لا يستخفهم اليهود والمنافقون الذين يودون أن يردوهم كفارًا من بعد ما تبين لهم الحق، وبين أن دخول الجنة بإسلام الوجه والقصد والعمل والنية لله تعالى ومتابعة أمره، وبين سعته سبحانه، وأنه حيث ولى المصلي وجهه فثم وجه الله، فهم مستقبلون وجهه سبحانه في القبلة الأولى والثانية، وحذرهم من اتباع أهواء الكفار، وذكر عظمة البيت الحرام وعظمة إبراهيم عليه السلام، وأن من يرغب عن ملته سفيه، فقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠] وبين فضل أمة محمد ﷺ وفضل نبيهم

وأنهم الأمة الوسط العدول الخيار، وكل ذلك توطئة بين يدي تحويل القبلة. نسأل الله أن يفقهنا في دينه.

فائدة: أمومة زوجات رسول الله ﷺ لأمته

قال الله تعالى عن الرسول ﷺ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب:٦] وما دامت أزواجه أمهات لنا فهو أبونا ورسولنا ومعلمنا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الولادة نوعان: أحدهما هذه المعروفة، والثانية ولادة القلب والروح وخروجهما من مشيمة النفس وظلمة الطبع) [مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ص٧٢ الجزء الثالث].

فائدة: ذكر الله من أجل الطاعات

ذكر الله تعالى أكبر العبادات وأجل الطاعات، قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت:٤٥] فالمقصود من جميع الطاعات إقامة ذكره وهو روحها وسرها، ومن ذكر الله ذكره الله، وذكره تعالى للعبد أعظم من ذكر العبد لربه وأكبر، وفي ذكره تعالى بالصلاة نهي عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه:١٤] وقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت:٤٥] وكل عبادة تختم بذكر الله تعالى، قال تعالى في الحج: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البقرة:٢٠٠] وقال في الصلاة: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾ [النساء:١٠٣] وقال في الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠] وقال في الجهاد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ

فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥] وخاتمة الحياة الدنيا أن يقول العبد: لا إله إلا الله. نسأل الله أن يجعلها آخر كلمة نقولها في هذه الحياة الدنيا، وأن يختم لنا بأحسن خاتمة .

فائدة: العدول من المفتي إلى ما فيه فائدة

إذا سئل المفتي عن شيء لا نفع فيه فمن الأولى أن يعدل إلى ما فيه فائدة ونفع للمستفتي، ومن ذلك ما قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ [البقرة:٢١٥] فيسألون عن المنفَق (بفتح الفاء) فأجابهم عن المصرَف. ولما سألوا عن الأهلة، قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ﴾ [البقرة:١٨٩] فأجابهم عن المواقيت، لأنهم أشد حاجة لها من معرفة الأهلة، وكون الهلال يبدو خفيفًا ثم يتزايد بالتدريج حتى يكمل بدرًا ثم يأخذ بالنقصان حتى يغيب، فمعرفة المواقيت للصيام والحج والقبلة والأحوال أهم مما سألوا عنه، ويسمى هذا في البلاغة (أسلوب الحكيم).

فائدة: أقسام الهجرة

تنقسم الهجرة إلى ثلاثة أقسام:

١ـ الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام.

٢ـ الهجرة إلى الله تعالى بالتوحيد والإخلاص والتوكل والإنابة والمحبة والتوبة.

٣ـ الهجرة إلى رسول الله ﷺ بالمتابعة والانقياد لأوامره والتصديق بإخباره وتقديم أمره على أمر غيره، قال ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا

يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» [البخاري:٥٤ ومسلم:١٩٠٧ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨] فرحمة الله تكون للمهاجرين المؤمنين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم.

فائدة: طلب العلم وبذله جهاد في سبيل الله

طلب العلم جهاد كبير في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢] وقد عبر الله تعالى عن الجهاد بالنفور في قوله: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة:٤١] وقوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة:٣٩] وقوله: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ﴾ [التوبة:٣٨] كما عبر عن الخروج في طلب العلم بالنفور، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١٢٢] فالجهاد بالقوة والعلم والتفقه في الدين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ﴾ [الحديد:٢٥] فالكتاب والحديد كلاهما وسيلة للجهاد في سبيل الله إذا استعملا في ذلك، لهذا فإن من مصارف الزكاة الجهاد بالعلم تعلمًا وتعليمًا ودعوة إلى الخير، بل هو الجهاد الممكن غالبًا في زماننا هذا، لأن الجهاد بالقوة المادية تتولاه الحكومات، أما جهاد التعليم والدعوة فيقوم به الجميع أفرادًا كانوا أو حكومات. ويؤخذ من هذه الآيات الكريمات مشروعية الخروج والسفر لطلب العلم ووجوب التعليم والدعوة على

العالم، فكما أن التولي يوم الزحف من كبائر الذنوب، فكذلك عدم نشر العلم وتعليم الناس والدعوة إلى الله تعالى لمن منَّ الله عليه بالعلم من الذنوب الكبيرة.

فائدة: ذم اتباع الهوى والشهوات

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩] فمن اتبع الشهوات وأرادها وصارت همه وانقاد لها وأطاعها، ليس كمن تناولها وأكلها أو شربها بدون اتباع، فالمؤمن قد يتناول الشهوات ولكنه لا يتبعها ولا يبحث عنها وليست أكبر همه وإن تناولها، وإذا قصد التوصل بها إلى القربات انقلبت طاعات، وكل إنسان له هوى والمؤمن هواه تابع لما جاء به الرسول ﷺ، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» [شرح السنة:١/٢١٣ صححه النووي في أربعينه، وقال الحافظ في فتح الباري:١٣/٢٨٩: ورجاله ثقات وقد صححه النووي في آخر الأربعين] والمذموم اتباع الهوى بغير هدى من الله، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القصص:٥٠].

فائدة: امور الشريعة مبنية على الاخلاص والمتابعة

جميع أمور الشريعة مبنية على أمرين: الإخلاص والمتابعة، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠] وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٣] وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧] وقال: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [النساء:١٢٥] فلابد للعبادات

والمعاملات كلها أن تكون خالصة لله لا رياء فيها ولا سمعة ولا فخر ولا قصد غير وجه الرب الكريم، ولابد لها من متابعة، فمن خالف الكتاب والسنة فعمله مردود عليه، والأعمال بالنيات.

فائدة: شروط دفع الأموال إلى الأيتام

يستفاد من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء:٦] شروط دفع الأموال إليهم وهي: البلوغ، والعقل، والرشد. وهذه شروط لصحة جميع المعاملات، ومن فقد واحدًا منها لم تصح معاملته ولم تنفذ تصرفاته، وتعين الحَجْرُ عليه، أما التبرعات فتزيد شرطًا رابعًا وهو: تملك المال المتبرع به، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٣٤].

فائدة: أحب البقاع إلى الله المساجد

وردت الآية الكريمة ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٦،٣٧] بعد آية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور:٣٥] للدلالة على أن نور الله تعالى في تلك البيوت وهي المساجد، وأن الصلاة نور، وقوله: ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ جار ومجرور متعلقان (بنور) من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهذه المساجد نورها في السماء كما نتراءى النجوم من الأرض، ومن خشع في صلاته وأكثر منها وقام الليل للتهجد يزداد نوره في وجهه وبدنه وقبره والصراط ويوم القيامة، وهذا النور مُشَاهَدٌ حسيًا فيمن يقوم الليل للتهجد، حتى أن المتوسم يعرفهم بسيماهم. ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩].

فائدة: لايترك الواجب لشبهة عارضة

يستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة:١٥٨] أنه لا حرج بالسعي بينهما مع وجود الصنمين سابقًا (إساف) على الصفا (ونائلة) على المروة، وأنه لا إثم على من طاف بينهما، لأن وجود الصنمين عارض، والسعي عبادة مفروضة منذ عهد إبراهيم عليه السلام، فلا يترك الفرض لشبهة عارضة، قال عروة بن الزبير: سألت عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية فأجابت أنها نزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلُّون لمناة الطاغية التي يعبدونها بالمشلَّل، فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: (إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة) فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة:١٥٨] [البخاري: ٤٤٩٥، وتفسير الطبري:٢/ ٥١ رقم:٢٣٥٦] .

فائدة: وجوب تقديم الأولى والأحسن على غيره

يجب اتباع الأحسن في جميع الأمور وتقديم الراجح على غيره، والواجب على المستحب، وأخف الضررين على أشدهما، يؤخذ هذا من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:١٨] وقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ [الزمر:٥٥]. ومثال ذلك خرق الخضر للسفينة أولى من ذهابها غصبًا، ومنه تقديم ما تجب نفقته على ما تستحب، وتقديم من تجب

طاعته على من تستحب، وتقديم طاعة المرأة لزوجها على طاعة والديها، وطاعة الله تعالى على طاعة خلقه، والسنن الراتبة على المطلقة، والعبادات المتعدي نفعها على القاصرة، والعلم على نفل العبادات، ومن عليه قضاء رمضان يقدم صيامه على صيام النفل، وإذا أقيمت الصلاة فلا صلاة نفل، ويقدم ناظر الوقف والوصي ما هو أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢] وغير ذلك.

فائدة: مراتب الهداية

الهداية لها عشر مراتب. أعلاها تكليم الله لعبده، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، والثانية: الوحي المختص بالأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣] والثالثة: إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري، فيوحي إليه عن الله وقد يكون على صورة رجل يراه عيانًا ويخاطبه أو يراه على صورته التي خلق عليها، وقد يدخل فيه الملك فيوحي إليه ما يوحيه ثم يفصم عنه، وكلها حصلت للنبي ﷺ وهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء. والرابعة: التحديث، قال النبي ﷺ في عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر» [البخاري:٣٦٨٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ومسلم:٢٣٩٨ من حديث عائشة رضي الله عنها]، والخامسة: الإفهام، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء:٧٩] والسادسة: البيان العام، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥] ويكون البيان

بالآيات المسموعة المتلوة أو بالآيات المشهودة المرئية، والسابعة: البيان الخاص، وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، والثامنة: الإسماع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣]، والتاسعة: الإلهام، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٧،٨]، والعاشرة: الرؤيا الصادقة، وهي جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة. [ملخص من كلام ابن قيم الجوزية].

فائدة: الصحة والمصائب ابتلاء وامتحان

كما أن المصائب امتحان وابتلاء، فالكرامات كذلك، فالملك والمال والصحة امتحان، وقد أخبر الله تعالى عن سليمان عليه السلام لما رأى عرش بلقيس قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠] ومن نسب الخير إلى نفسه وقوته وذكائه ونحو ذلك فهو كافر بالنعمة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ۞ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۞ كَلَّا﴾ [الفجر:١٥ـ١٧].

فائدة: القياس العقلي الفاسد

يزعم إبليس أن النار خير من الطين، ويفتخر بأصله لا بعمله، فمن افتخر بأصله على الناس فهو مشابه لإبليس في ذلك، لأن الفخر بالعلم والإيمان، وافتخار إبليس بأن أصله النار وأصل خلق الإنسان من طين في قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦] لا أساس له من الصحة، بل هو فاسد، إذ أن الطين خير من النار

للأمور الآتية: فعنصر النار مادة الشر والفساد والطيش والخفة والعلو، وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع وإخراج الأشجار والنبات، وهو يطفىء النار وقائم بنفسه، أما النار فلا تقوم إلا بغيرها من الوقود، والطين ينبت الأشجار والزروع، أما النار فتحرقها، وهكذا حال كل من افتخر بغير العلم والإيمان، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١] كما أن الأصل واللون والطول والجمال لا يمدح بها أو يذم أحد، فهي من الله تعالى والاعتراض عليها اعتراض على قدره وقضائه، وليست من كسب المخلوق، أما الصفات التي يمدح بها المخلوق فهي التي يكون للمخلوق أثر فيها، كالشجاعة والكرم والبر والصلة والصدق والأمانة وتزكية النفس، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

فائدة: الذكرى تنفع المؤمنين

قال تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] فالتذكير نوعان: إما أن يكون بما هو معلوم من الخير والشر ليرسخ في أذهان المذكرين، وينتهوا ويعملوا بما ذكروا به وينشطوا وتزداد همتهم وينتفعوا بالذكرى، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى﴾ [الأعلى: ٩-١١]، وإما أن يكون التذكير بما لا يعلمه المخاطب فيحصل بذلك نشر العلم والمعرفة، فينتفع من لديه الاستعداد لقبول الحق، أما من ليس لديه الاستعداد لقبول الحق فلا يفيده التذكير، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ

سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ٩-١١] فهم كمن يُنادَى من مكان بعيد لا يسمعون ولا يبصرون، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤] وقال سبحانه في وصفهم: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] وقال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧] في قلوبهم مرض، كما قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] وفيها ران، كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

فائدة: أقسام آكلي الأموال المحرمة

الذين يأكلون الأموال المحرمة ينقسمون إلى قسمين:

١- إما أن يأخذها بغير حقها كالغصب والرشوة والسرقة ونحو ذلك.

٢- وإما أن يمنع الحق الذي عليه من ديون الله وديون الآدميين، ويأكل الزكاة المستحقة عليه للفقراء والمساكين والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، أو يمنع الكفارات والنفقات الواجبة عليه ونحو ذلك، فكل هذا داخل في أكل الأموال المحرمة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]

فاشتملت الآية جميع أشكال أكل الأموال بالباطل. نسأل الله العافية والسلامة. قال تعالى: ﴿يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ ولم يقل: (يحمى في نار جهنم) فهي مع حرارة نار جهنم تستعمل لها الآلات المحمية وتنفخ حتى يتضاعف حرها، فيزداد عذابها ويشتد ألمها، فتكوى بها الجباه والجنوب والظهور. قال بعض المفسرين: لأنه إذا جاءه الفقير صعر بوجهه، فإذا جاءه ثانية ولاه جنبه، فإذا جاءه الثالثة وألح عليه ولاه ظهره، فلهذا عذبت هذه الثلاثة المواضع، كما أن كيَّ هذه المواضع أشد من كي غيرها، وأشمل لجهاته الأربع: الأمام والخلف واليمين والشمال، فهم منعوا الواجب من جميع جهاتهم وجوزوا بعذاب جميع جهاتهم، فهذه هي الخسارة الحقيقية في المال الذي جمعه البخيل فعذب به، قال ﷺ: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا» (يعني بين يديه وعن يمينه وعن شماله) [البخاري:٢٣٨٨].

فائدة: مفاسد الترف

الترف مرض خبيث، والمترفون هم الذين لا ينقادون لدعوة الرسل ودعوة الدعاة إلى الله، وإن المترف لا يصلح للجهاد ولا ينقاد له، همه الأكل والشرب وشغله الملذات والشهوات، فهو كالأنعام لا هم له إلا التمتع في الأكل والشرب، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحذر من الترف ويقول: (اخشوشنوا، فإن النعمة لا تدوم) [ضعيف، انظر: تنزيه الشريعة:٢/٣٩] ويأمر بتعويد الأولاد على السباحة والرماية وركوب الخيل، فما أحرى شباب المسلمين بالاخشيشان وتعلم آلات الحروب والتجنيد الإجباري حتى يكونوا مستعدين لجهاد

أعداء الإسلام، الذين تسلطوا على المسلمين وازدادت قوتهم المادية عليهم واستعمروهم، وذلك إذا طلب ولي الأمر منهم، إن الترف هو آفة المسلمين اليوم، فوَّت عليهم أمورًا عظيمةً ومكاسب كبيرةً. هل يجاهد المترف؟ هل يتحمل المترف مشاق الحياة؟ وإن الترف هو سبب الكبر والخيلاء والبطر والأشر والرياء والسمعة والإسراف والفخر، وغير ذلك من الصفات القبيحة.

وإن الخشونة وعدم التنعم والبعد عن الانغماس في ملذات الدنيا سبب للتواضع والرحمة، والأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، والسلامة من الآفات والشرور المترتبة على الترف.

فائدة: الحق ضالة المؤمن

الحق يُقْبَلُ حتى من الكافر، وهو ضالة المؤمن، أنى وجده أخذه، ولهذا لما قالت ملكة سبأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ صدَّقها الله، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٣٤] ولما قال الكفار: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف:٢٨] صدَّقهم الله في الأولى وهي: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ وأكذبهم في الثانية، فقال: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨].

فائدة: تشبيه الحياة الدنيا بالماء

ورد تشبيه الدنيا بالماء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٢٤] وقال: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ

نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ﴾ [الكهف:٤٥] قيل في ذلك أقوال منها: إن الماء ليس له قرار كذلك الدنيا، وقيل: لأن الماء يأتي قطرة قطرة ويذهب دفعة واحدة وكذلك الدنيا، وقيل: إن الماء يستر الأرض وكذلك الدنيا تغطي العيوب، وقيل: إن أمسكته تغير ونتن وكذلك الدنيا لمن أمسكها، وقيل: إن الماء طبعه النقصان وكذا الدنيا، وقيل: إن المطر - وهو من الماء - لا يقدر أحد أن يرده وكذلك الدنيا، وقيل: الماء يكون في موضع كثير وفي موضع قليل وكذلك الدنيا، وقيل: الزرع يفسد بالماء الكثير وكذلك القلب يفسد بالمال الكثير، وقيل: الماء قليله ري للعطشان وكثيره داء وغرق وكذلك الدنيا، وقيل: من الماء ما ليس صافيًا وكذلك من الدنيا الحلال والحرام والمشتبه، وقيل: الماء يطهر النجاسات وكذلك المال الطيب الحلال يطهر من الآثام، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣] وقيل: إن الدنيا تشبه الماء إذا نزل وأثمر ثمرته يمكث ما شاء الله ثم يضمحل. والله أعلم.

فائدة: الأصل في العبادات التحريم والعادات الإباحة

من قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١] وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩] وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢] نستفيد أن الأصل في العبادات التحريم، وفي العادات الإباحة، فلا يجوز أن يشرع الناس لأنفسهم عبادة لم ترد في الشرع، ولا يجوز أن يحرموا إلا ما حرمه الله ورسوله ﷺ، ولا يجوز الابتداع في الدين ولا تغيير ما شرعه الله

ورسوله ﷺ، ومن فعل ذلك فهو مبتدع ضال، وكذا من حرم ما لم يحرمه الله ورسوله ﷺ، أو أباح ما حرمه الله ورسوله ﷺ. فالعبادات توقيفية لا زيادة عليها ولا نقصان.

فائدة: حياة القلوب بالقرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الروم: ٥٠] كما أن حياة الأرض بالمطر، فحياة القلوب بالقرآن، فالأرض القاحلة إذا نزل عليها المطر اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، وكذلك الذكر يحيي القلوب والعلم ينور النفوس، وعمل الخير نبات تلك القلوب من كل زوج بهيج: من البر والإحسان ومحبة الله ورسوله ﷺ والإخلاص والتوحيد والرجاء والخوف من الله، والخشوع والتضرع والعبادات والنصح لله ولرسوله ﷺ ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم وغير ذلك، كلها جزاء العلم والتعلم والتفكر في آيات الله، قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨] ولا يكون المرء طيبًا إلا بشيئين: العلم والإيمان، وبقدر نقصه منهما ينقص طيبه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ○ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ○ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤].

فائدة: العزم

العزم صفة كريمة، مدح الله المتصفين به وأثنى عليهم وأمر رسوله محمدًا ﷺ بالصبر كما صبروا، فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥] وهو قوة وإرادة ونشاط واستمرار في عمل الخيرات، وحزم وهمة عالية في طلب معالي الأمور، ولهذا لام الله تعالى آدم عليه السلام في نقصه بعدم العزيمة واغتراره بإبليس وأكله من الشجرة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه:١١٥].

والإنسان يعتريه فتور عن العبادة وتقصير في عمل الخير، ويظهر من لسانه أحيانًا أخطاء وعدم عزم على الرشد ونقص في الثبات على الحق، ولهذا فمن الدعاء المأثور عن النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد» [الترمذي:٣٤٠٧ والنسائي:١٣٠٥، وأحمد:٤/١٢٣،١٢٥ وضعفه الألباني] ويقول المسلم في كل ركعة من الصلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فإذا أعانك الله على عبادته وعزمت نفسك على طاعته سعدت في الدنيا والآخرة، كما أن المسلم إذا فتر عزمه تذكر واستغفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١] وهذه الحياة عراك بين الشيطان وهوى النفس من جهة، وبين الإنسان من جهة أخرى، والعاقل من يكون عازمًا على ترك الشر والمعاصي والذنوب، وعلى فعل الخيرات، ثابتًا على دينه. نسأل الله مقلب القلوب أن يثبتنا على دين الإسلام حتى نلقاه وهو راض عنا.

فائدة: لايكلف الله نفسا إلا وسعها

تقوى الله تعالى واجبة ما استطاع الإنسان إلى ذلك، قال تعالى:

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦] وقال ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» [البخاري: ٧٢٨٨، ومسلم: ١٣٣٧] فيفعل المسلم ما يستطيع من العبادات وما يقدر عليه، ولا يؤاخذ بما يعجز عنه، فإذا عجز عن القيام في الصلاة مثلاً سقط عنه ذلك، وكذا إذا عجز عن أي شيء، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فائدة: اليأس خلق مذموم

إذا انقطع سبب من الأسباب وانفصم خير أو مات ميت أو طلقت امرأة فلا ييأس المسلم، وعليه أن يسأل الله تعالى التعويض والخلف خيرًا مما فاته، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠] فهذه المرأة التي فارقها زوجها ورجت فضله وسألته أن يخلف لها خيرًا منه، كما فعلت أم سلمة رضي الله عنها حين أخذت بوصية رسول الله ﷺ لما مات زوجها أبو سلمة رضي الله عنه فقالت: (اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها) [مسلم: ٩١٨ وأحمد: ٤/ ٢٧ وأبو داود: ٣١١٩، والترمذي: ٣٥١١] يخلف الله له خيرًا منه، كما أخلف لأم سلمة رضي الله عنها رسول الله ﷺ الذي هو خير من أبي سلمة رضي الله عنه، فبالتوكل على الله والاعتماد عليه وسؤاله ورجاء فضله وإحسانه ينفتح أمام المسلم أبواب الخيرات والرزق والراحة والطمأنينة، فليس الخير في جهة واحدة إذا انقطعت انقطع. إن أبواب الخير كثيرة وفضله واسع، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠] فحكمته عظيمة وخيره واسع، وإذا انسد باب فتحت أبواب كثيرة.

فائدة: غاية الداعي إلى الله

يجب على الداعي إلى الله تعالى إذا دعا أن يكون لدعوته غايتان: الأولى المعذرة إلى الله تعالى بقيامه بالدعوة إليه الواجبة عليه، كما قال تعالى: ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الأعراف:١٦٤] والثانية الحرص على هداية المدعو ورجوعه إلى الحق، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤] فلا يكفي من الداعية أن ينصح ويدعو إلى الخير ويكتفي بذلك مدعيًا أنه قد أبرأ ذمته وحصل له الإعذار إلى الله تعالى، فهذا أمر يتمكن منه الكثير وهو سهل ميسر في الغالب. أما الأمر الثاني فهو الشاق الذي لا يتمكن منه إلا القليل، وهو بذل الجهد لهداية الناس والحرص على ذلك، وهداية واحد من الناس إلى الحق خير من حمر النعم، كما روي عن الرسول ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» [البخاري:٣٧٠١ ومسلم:٢٤٠٦].

فائدة: كل مباح طيب وكل منهي عنه خبيث

جميع ما أباحه الشارع فهو طيب ومعروف في الشرع والعقل، وليس فيه إصر ولا غل، وجميع ما نهى عنه الشارع فهو خبيث ومنكر في الشرع والعقل، قال تعالى في وصف النبي ﷺ: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف:١٥٧].

فائدة: الخشوع وما يتبعه من صفات حميدة

إذا خشع القلب خشعت الجوارح، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه:١١١] وقال: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا

هَمۡسٗا﴾ [طه:١٠٨] وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١،٢] فإذا خشع المسلم لله تعالى في صلاته وغيرها غض بصره وقلت حركاته وحسن سمته، وذل وخضع لربه وانقادت جميع جوارحه لخالقها، وترك الأشر والبطر والمرح، وإذا بَعُد عن الخشوع قسى قلبه وغلظ فؤاده ولم يخضع لربه ولم يذكره وزادت فتنته وشهواته وفسوقه، ولما رأى الرسول ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، قال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» [سنن البيهقي:٢/٢٨٥ وضعفه الألباني في إرواء الغليل:٢/٩٢] ولهذا وصف الله عباد الرحمن بقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان:٦٣] وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد:١٦] وقال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ○ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٢،٢٣] وقال: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الحج:٥٤].

فائدة: اهمية الاخلاص في العبادة

لا تكون الصلاة قرة عين وراحة ضمير إلا بالأمور الآتية:

الإخلاص لله بأن تكون غايته منها محبة الله وطلب مرضاته، وأن يكون صادقًا ناصحًا في أدائها ظاهرًا وباطنًا مقبلاً فيها على الله، خاشعًا غير مضيع لشيء منها متابعًا مقتديًا بصلاة رسول الله ﷺ غير مبتدع فيها محسنًا في أدائها كأنه يرى الله تعالى مجلاً ومعظمًا له

سبحانه، منيبًا متوكلاً عليه خاضعًا لجلاله وعظمته، معترفًا بفضل الله تعالى عليه أن هداه إلى الصلاة وجعله عبدًا قائمًا بطاعته، غير معجب بنفسه وعمله ولا مستكثر لعبادته، معترفًا بتقصيره وخطئه وعمده، وذنوبه وإجرامه على نفسه، راغبًا في مرضاته، وخائفًا من عذابه مستعينًا به سبحانه، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

فائدة: وجوب التعاون في خصال البر

الواجب على المسلم أن يساعد ويعاون ويشجع كل من دعا إلى الله تعالى، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو سعى للإصلاح أو لإبطال باطل، ليكون من أنصار الله تعالى الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] ولهذا سمي الأنصار أنصارًا لنصرتهم لرسول الله ﷺ يوم خذله الناس.

فائدة: من صور لطف الله بعباده

وردت في القرآن صفة (اللطيف) لله تعالى عدة مرات، بأنه لطيف بعباده، فمن لطفه بعبده أن يهديه إلى الصراط المستقيم، وأن يوفقه لهداية الخلق فتتضاعف حسناته، ومن لطفه أن يبتليه ببعض المصائب ليصبر ويرجو ربه ويأمل رحمته وكشف الضر عنه، ويحتسب الأجر والثواب، أو يعافيه من المصائب والابتلاءات التي قد تضعف إيمانه ويقينه، ومن لطفه أن لا ييسره لأسباب المعصية فلا يفعلها العبد ليحصل على أكمل الصفات، كما لطف بيوسف عليه السلام في مراودة امرأة العزيز، ومن هؤلاء أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله

يوم لا ظل إلا ظله: رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ومن لطف الله تعالى أن يعمل الإنسان عملاً ينتفع منه غيره من زراعة ينتفع منها كل ذي روح، أو بهائم ينتفع بلبنها الناس، أو مساكن ينتفع بسكناها أو كتاب أو مصحف. وخير الناس أنفعهم للناس، والله الموفق إلى الخيرات، نسأله التوفيق إليها، إنه سميع مجيب الدعوات.

فائدة: آداب إسلامية عظيمة

في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١] فوائد عظيمة، منها: أن الرفعة الحقة هي بالإيمان والعلم، وأن التأدب بآداب الإسلام رفعة وشرف، فمن فسح لأخيه في المجلس فسح الله له، ومن تواضع لله رفعه، ومن أكرم الكبير وعطف على الصغير وخدم القريب والبعيد فهو سيد القوم، كما قيل: (سيد القوم خادمهم) وليس في إكرام المسلمين وخدمتهم منقصة أو ذلة، بل فيه العزة والشرف والرفعة والخير العميم والأجر الجزيل. وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] يدل على أن الانقياد لأوامر الله يكون من الذين أوتوا العلم والإيمان، فلم يقل: (يرفعكم) وإنما قال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [المجادلة:١١] فهي تنفع صاحبها المؤمن العالم المخلص لله تعالى، ولا ينتفع بها المرائي والمنافق والذي يريد السمعة في الدنيا، لهذا فعلى المسلم أن يخلص العمل لله تعالى لينال الجزاء

والأجر والثواب منه سبحانه .

فائدة: القرآن الكريم دليل عل نبوة محمد ﷺ

القرآن الكريم دليل واضح على نبوة محمد ﷺ، وأنه جاء من عند الله تعالى، وأن الذي جاء به روح القدس المطهر، فليس لأرواح الشياطين والأرواح الخبيثة إليه سبيل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ○ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ○ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ○ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٧-٨٠] وقال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ○ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ○ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ [الشعراء:٢١٠-٢١٢] وهذا القرآن طاهر لا يمسه إلا طاهر، ولا يجد حلاوته إلا المؤمن العامل به، ولا ينتفع به ولا يحمله بحقه إلا المؤمن، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة:٥] فمن ليس بمؤمن لا يفقه معانيه ولا يفهمها حق فهمها، وكل نجس خبيث ممنوع عن فهمه وإدراك معانيه، وكلما زاد إيمان الإنسان زاد فهمه للقرآن الكريم، وكلما نقص إيمان المرء نقص فهمه وإدراكه لمعانيه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ○ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ○ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾ [يس:٩-١١].

فائدة: الله يقسم الأرزاق بحكمته

تقدير الله لأرزاق العباد حسب علمه سبحانه بما يصلحهم لا حسب رغبة الناس ومرادهم، فقد يريدون أشياء ضارة لهم ويكرهون أشياء نافعة لهم، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي

ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورى:٢٧] وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

فائدة: الأعمال بالنيات

من أصبح أو أمسى همه الدنيا وزخرفها جعل الله فقره بين عينيه، وزادت همومه وغمومه ووكل إلى نفسه وانشغل قلبه وتسلط الشيطان عليه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزخرف:٣٦] ومن كان همه الآخرة ورضا الله جعل الله غناه في قلبه وانشرح صدره ولا يكون للشيطان عليه سلطان، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٩٩].

فائدة: الحياة الحقيقية حياة الروح

الحياة الحقيقية هي حياة الروح، فهي الحياة النافعة حياة من يستجيب لله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٢٤] فهذه هي الحياة الطيبة وغيرها موت، فالكفر موت، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام:١٢٢] والإسلام حياة حقيقية، وقد دعانا الله لما يحيينا في الدنيا وفي الآخرة في دار الحيوان دار الحياة الدائمة الطيبة، وفي القصاص حياة، قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البقرة:١٧٩] وفي الجهاد حياة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] وفي القرآن حياة

للأرواح، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] وقال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وفي قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] فوائد: الأولى، أنه يمشي في الناس بالنور وهم في الظلمات لم يهتدوا، والثانية، أنه يمشي فيهم في الدنيا بنوره فهم يقتبسون منه لحاجتهم إلى النور، والثالثة، أنه يمشي فيهم بنوره يوم القيامة على الصراط، وأهل الشرك والنفاق في ظلماتهم.

فائدة: الفرق بين الإيمان والإسلام

الإيمان أعلى من الإسلام، قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] فهؤلاء الأعراب مسلمون وليسوا كفارًا، وليسوا مؤمنين حيث لم يذوقوا طعم الإيمان، فالمؤمنون هم الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، باشر الإيمان قلوبهم فليس عندهم ريب، وبرهنوا على إيمانهم ببذل أموالهم وأنفسهم في الجهاد بسبيله. قال الحسن: (ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل).

فائدة: الكافر لاعقل له

الكفار لا عقول لهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾

[الطور:٣٢] أخرج الترمذي: (أن رجلاً قال: يارسول الله! ما أعقل فلانًا النصراني) فقال النبي ﷺ: «مَهْ إن الكافر لا عقل له، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾» [الملك:١٠] وفي رواية عن ابن عمر فزجره وقال: «مه إن العاقل من يعمل بطاعة الله» [عزاه القرطبي في تفسير سورة الطور ١٧/ ٧٣ إلى الحكيم الترمذي] وقدم السمع على العقل، لأن سماع الدعوة أولاً ثم يعملون بعقولهم.

فائدة: صفات أهل الإيمان

بين الله تعالى صفات المؤمنين في آيات كثيرة من القرآن، وأثنى على المؤمنين وذكر أن كل خير بسبب الإيمان، وأن أهله هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون، وأنهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يدافع عنهم ويحبهم ويحبونه وهو معهم، وأنه لا نجاة إلا بالإيمان ولا فلاح إلا به، وأنه علم وعمل وحال ومعرفة ووصف، قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، جامع لجميع الشرائع الظاهرة والباطنة، وأكمل الإيمان اليقين وحق اليقين، وأكمل أعماله الإحسان وحسن الخلق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ○ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال:٢،٣] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥] وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ○

وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ○ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ○ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ○ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١ـ١٠] وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ﴾ [النور: ٦٢] وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] وقال: ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ﴾ [النساء: ٥٩] وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ﴾ [التوبة: ٧١] وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] وقال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ﴾ [النور: ٢] وقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤]

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ الآيات [المؤمنون:٥٧-٦١] وقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة:٢٥٧] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٤] وغير ذلك من الآيات التي تبين صفات المؤمنين، كما بين الرسول ﷺ أن: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» [مسلم:٣٥] وكمال الإيمان أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، والصدقة برهان. الإيمان والصبر رأسه، ومن صفات المؤمنين إكرام الجار والضيف وقول الخير أو الصمت، وعدم الغش والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، والحب في الله والبغض لأجله وكراهية الكفر. وبالله التوفيق.

فائدة: إذا اجتنب المسلم الكبائر كفر الله عنه الصغائر

إذا اجتنب المسلم الكبائر كفر الله عنه الصغائر، قال تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء:٣١] وإذا اجتنب الشرك كفر الله عنه الكبائر من باب الأولى، فنسبة الصغائر للكبائر كنسبة الكبائر للشرك، بل محو الكبائر بالتوحيد أولى، قال ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «ياابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة» [الترمذي:٣٥٤٠، الصحيحة:١٢٧،١٢٨] وقال: «إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه» [أحمد: ٣/ ٤٦٧ وابن حبان في صحيحه حديث:١٩٩] ولكن التوحيد الخالص عزيز،

والشرك أخفى من دبيب النملة السوداء على صَفَاة سوداء في ظلمة الليل.

فائدة: من لطف الله بعبده أن يهيء له أعونا على الخير

من لطف الله تعالى بعبده أن يهيء له مشايخ وأصدقاء وزملاء وإخوانًا يعينونه على الخير، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢] وقال موسى عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ○ هَٰرُونَ أَخِي ○ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ○ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ○ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ○ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه:٢٩-٣٤] وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة:١١١].

فائدة: أسعد الناس

من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ○ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٥،٦] يستفيد المسلم: أن أسعد الخلق وأعلاهم درجة هم أهل العبادة لله والاستعانة به والهداية إلى طريقه المستقيم، وأن أشقى الخلق هم تاركو عبادة الله والاستعانة به، الضالون عن الصراط المستقيم، وهذا الدعاء شمل جميع الدين وجميع الخير، وعلى المسلم إذا عزم أن يفعل شيئًا أن يعلم هل هو طاعة لله، وهل هو معان عليه، وهل هو على الصراط المستقيم؟ ومن ثم يسأله الهداية، وهي المعرفة بالحق والعمل به وإيثاره على غيره، ولهذا نسأل الله في جميع صلواتنا أن يهدينا الصراط المستقيم.

فائدة: الناس في سفر إما إلى الجنة و إما النار

الناس في هذه الحياة الدنيا في سفر، إما إلى الله تعالى ولقائه

والجنة، وذلك للمؤمنين، قالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١] فطلبت أن تكون عند ربها، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ○ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ○ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ○ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧ـ٣٠] فأخبر الله تعالى أن هذه النفس المطمئنة ترجع إلى ربها. أما الكافر فلا تفتح له أبواب السماء ولا يدخل الجنة، ومصيره النار وبئس القرار، نعوذ بالله من ذلك، قال تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠].

فائدة: لاتحزن على ما فاتك وانظر إلى من هو دونك

إذا حُرِم الإنسان من شيء يتمناه فلا يحزن، ولينظر إلى فضل الله عليه في أمور أخرى تعوضه عما فقده، أو مما لم يحصل عليه، فتطمئن نفسه بذلك ويرضى، ولهذا قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤] وذلك بعد أن منعه من رؤيته لعدم قدرته على ذلك، حيث قال موسى عليه السلام لربه: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] فقال له الله تبارك وتعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣] وعوضه الله عن هذا بالاصطفاء والرسالة وبكلامه له، وأمره أن يأخذ ما آتاه ويكون من الشاكرين.

ومن ذلك عدم تسليط الكفار على المؤمنين نعمة عظيمة، فلو شاء الله لسلطهم عليهم وقاتلوهم، ولكن الله كف أيديهم وجعلهم يسالمونهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾

[النساء: ٩٠].

ولو نظر العبد إلى نعم الله وإلى من دونه في المال والجاه، والعافية والصحة والجمال وغير ذلك لحمد الله وشكره، وأعظم نعمة هي نعمة الإسلام، ومن حصل عليها اطمأن قلبه واستراحت نفسه وحمد الله وصبر وشكر، وأي شيء يصيب الإنسان دون نعمة الإسلام، وأكبر مصيبة هي فقدُ هذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على المؤمنين: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

فائدة: لاضرر ولا ضرار

يستفاد من الآيات الكريمات: ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾ [البقرة: ٢٣١] وقوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقوله: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ ﴾ [النساء: ١٢] وقوله: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ [الطلاق: ٦] أنه لا يحل لمسلم أن يضر أخاه المسلم بأي شيء، ولا يصح للزوج مضارة الزوجة والتضييق عليها لتفتدي منه بغير حق، ولا يصح للجار أن يضر بجاره، وأن كل ضرر أوصله أحد إلى مسلم فهو حرام، سواء كان الضرر بالفعل أو القول، أو منع منفعة أو غير ذلك. ومن ضار مسلمًا ضاره الله، والمسلم مأمور بالإحسان لا بالإضرار، قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

فائدة: البلاء موكل بالمنطق

البلاء موكل بالمنطق، ولما خاف يعقوب عليه السلام من أكل الذئب لولده يوسف عليه السلام، فقال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ

﴿وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف:١٣] لقنهم الحجة، فقالوا لأبيهم: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ﴾ [يوسف:١٧] ولما خاف من العين وقال لهم: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ [يوسف:٦٧] حصل لهم من النقص ما حصل، ولما قال يوسف عليه السلام: ﴿ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يوسف:٣٣] حصل له السجن، ولو قال: العافية أحب إلي لكان أولى، قال ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية» [البخاري:٧٢٣٧ ومسلم:١٧٤٢] والله أعلم، نسأل الله العفو والعافية.

فائدة: التحلي بالزينة الظاهرة والباطنة

على المسلم أن يزين باطنه وظاهره، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ﴾ [الزخرف:١٢] ثم قال: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٤] فهما سفران: سفر حسي وسفر إليه، كما قال: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [البقرة:١٩٧] فهما زادان: زاد السفر وهو المتاع، وزاد المعاد وهو التقوى، وقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦] فهما لباسان: لباس الريش والزينة الظاهرة، ولباس التقوى، فلابد للمسلم الذي يريد النجاة أن يزين ظاهره وباطنه، وزينة باطنه أولى وأتم وأحرى.

فائدة: جواز القرعة عند التزاحم أو جهل التعيين

يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ﴾ [الصافات:١٤١] ومن قوله سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾ [آل عمران:٤٤] جواز القرعة، وأنها تستعمل عند التزاحم وحين

لا يكون مميز لأحد الأمرين على الآخر، وفي حالة تأكد أن الشيء لأحدهما، وعند جهل التعيين والتمييز، فمن خرجت له القرعة قدم على الآخر، أما إذا علم اشتراكهما فلا تجوز القرعة.

فائدة: أصحاب الصراط المستقيم هم الصحابة ومن والاهم

من قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] نستفيد أن طريق الرافضة معوج غير مستقيم، فالذين على الصراط المستقيم هم أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، وهم المستحقون بهذه الصفة من الرافضة، وهم الذين عرفوا الحق ولم يعرفه الرافضة، وآثارهم تدل على أنهم هم الذين على الصراط المستقيم بعكس الرافضة الذين ما قام عدو للإسلام والمسلمين إلا كانوا عونًا له، فهم مع هولاكو والتتار واليهود والنصارى والمشركين، أما الصحابة فهم الذين على الصراط المستقيم، وهم آله وأتباعه، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما صاحباه أنعم الله عليهما، والآل كل من يؤول إلى النبي ﷺ بأخص صفاته لا بالولادة، فهو ﷺ من البشر مثل غيره، وإنما خصوصيته الرسالة والعلم والهدى والحكمة، لا النسب والزمن والبلد، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠] وليس من آل محمد ﷺ أبو جهل وأبو لهب وأبو طالب، ومن آله سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» [المستدرك للحاكم:٣/ ٥٩٧] وقال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤].

فائدة: شكر النعم

قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩] وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا

بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] وقال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣] ومن شكر النعم أن لا يملَّها العبد ويطلب الانتقال منها ويتبرم منها قال تعالى عن قوم موسى عليه السلام ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة:٦١]، وأن يشكر الله عليها ويحمده على فضله، ومن لم يفعل ذلك فإنه غير شاكر لنعم الله وغير راضٍ بقضائه، وهو عدو لنعم الله وعدو لنفسه مضيع لفرصته، قال الشاعر:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته
حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فائدة: تقديم الآراء والعقول على الشرع يحبط العمل

إذا كان رفع الصوت على صوت النبي ﷺ والجهر بالقول يحبط الأعمال، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢] فإن تقديم آراء الرجال وعقولهم وأذواقهم وأفكارهم وسياساتهم وعلومهم ومعارفهم على ما جاء به الله تعالى وبلغه رسوله ﷺ يحبط العمل من باب الأولى والأحرى، وكذلك رفع الصوت على العلماء العاملين الربانيين، وتقديم قول الإنسان على قولهم وعدم الالتفاف إليهم وترك سؤالهم، كل ذلك إثمه عظيم وانحرافه جسيم يوشك أن يحبط العمل.

فائدة: ذم اللهث وراءء الدنيا الفانية

من آثر الدنيا على الآخرة من العلماء والحكام وغيرهم، وقال

على الله غير الحق وحكم بغير ما أنزل الله واتبع الشهوات، خفي عليه الحق وزادت شبهاته، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأعراف:١٦٩] وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩] لما أضاعوا الصلاة اتبعوا الشهوات، ولما أخذوا عرض الدنيا قالوا على الله غير الحق، ونسوا ما أعطاهم الله من الكتاب ودرسوا ما فيه، وقال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ○ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ [الأعراف:١٧٥،١٧٦] لما اتبع الشيطان والنفس والهوى والدنيا انسلخ من الدين وضل، وفارقه الإيمان وأدركه الشيطان ولحقه (فأتبعه الشيطان)، وصار من الغاوين الضالين في علمهم وقصدهم، فصار العلم وبالاً عليه، لأنه اختار الدنيا وملذاتها على شرف العلم والمعرفة، واختار الأدنى على الأعلى، وأخلد إلى الأرض ومال إلى الدنيا ولازمها، واتبع هواه ولم يتبع العلم، فهو كالكلب، يلهث على الدنيا كما يلهث الكلب، يلهث في حال التعب وحال الراحة وحال الري وحال العطش وكل حال، قال سفيان بن عيينة: (احذروا فتنة العالم الفاجر).

فائدة: قد يأتي المكروه بالمحبوب

قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن

تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] وقال: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩] فقد يأتي المكروه بالمحبوب، وقد يأتي المحبوب بالمكروه، لهذا لا يحسن بالمسلم أن يأسى ولا أن يفرح ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد:٢٣] بل يجب عليه الرضا بالقضاء والقدر، وسؤال الله أن يكون في الأمر الواقع خير كثير، ويفوض الأمر إلى الله تعالى، ولا يقترح على ربه، ولا يختار ولا يسأله ما ليس له به علم، بل يسأله حسن الاختيار والرضا بما قسم له، وأن يصرف عنه الآفات ويعينه، فالقدر نافذ، وعليه أن يسأل ربه اللطف فيه والعافية من كل بلاء وشر.

فائدة: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية

معرفة سبب نزول الآيات تعين على فهم الآية، ومعرفة عموم الآية والمقصد منها، وأنها عامة وليست خاصة بالواقعة، أهم من معرفة أسباب النزول، فمثلًا في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ [النور:٢٢] نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لما أراد منع الصدقة عن مسطح رضي الله عنه لخوضه في حديث الإفك، ولكنها عامة، لها مقاصد مهمة وقواعد كلية يدخل فيها أفراد كثيرة وجزئيات ووقائع لا تحصر، فليستعن المسلم بسبب النزول على فهم الأمور العامة ولا يقتصر على فهم سبب النزول، فإنه وإن كان يوضح المعنى فليس أهم من المعنى العام، ولهذا فيختلف العلماء في أسباب النزول اختلافًا كثيرًا، حتى أن المرء لا يعرف

السبب الحقيقي من غيره.

فائدة: تفوق حضارة سليمان عليه السلام

من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥] نستفيد أن سليمان عليه السلام أعطي من الأسباب العظيمة والتمكين في الأرض ما لم يبلغه أحد ولن يبلغه أحد من خلق الله، فقد سخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد، وأحضر له عرش بلقيس من اليمن قبل أن يرتد إليه طرفه، وسخر له الطير والوحوش، وعرف منطقها وسمع صوت النملة وهي تدعو قومها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:١٨] ومهما بلغت حضارة هذا العصر المادية فلن تبلغ حضارة سليمان عليه السلام التي فاقت ماديًّا ومعنويًّا، فسبحان من يعطي ملكه من يشاء.

فائدة: خلاصة الدين في سورة الفاتحة

في سورة الفاتحة خلاصة الدين، فيها معرفة الله بأنه الرب الرحمن الرحيم، وهذه الأسماء تدور عليها أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

وفيها عبادته وحده والاستعانة به ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] وفيها سؤاله أن يهديه الصراط المستقيم، الذي لا سبيل إلى أي خير إلا بسلوكه ومعرفته، وفيها سؤال الله أن يجنبه الانحراف عن الصراط المستقيم، من ضلال أو فساد قصدًا ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] وتضمنت السورة إثبات يوم القيامة ﴿مَٰلِكِ

يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وإثبات النبوات، فكونه ربًّا لا يليق به أن يترك عباده سدى بدون أن يرسل لهم رسلاً، وهو رحيم ورحمن، لهذا رحمهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

فائدة: الفجر الصادق

إذا أكل بعد طلوع الفجر وهو صائم وهو لا يدري طلوعه صح صومه، لأنه لم يتبين له الفجر، قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [البقرة: ١٨٧] أما إذا أكل ظانًّا أن الشمس قد غابت ولم تغب، فقال بعض العلماء: يلزمه قضاء ذلك اليوم لأنه لم يتمه، ولأن الأصل بقاء النهار والله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ [البقرة: ١٨٧] والعبرة بظهور الفجر للمسلمين فيما يظهر لهم بائنا لا حقيقة ظهوره، ولهذا قال تعالى: ﴿يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ وهو الفجر الصادق المعترض.

فائدة: جواز شهادة الإبن عليى أبيه وبالعكس إذا انتفت الموانع

شهادة الابن على أبيه مقبولة، وشهادة الأب على ابنه كذلك، إذا انتفت التهمة، قال تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾ [النساء: ١٣٥] وهذا هو الصحيح، أخذًا من هذه الآية وخلافًا لمن لم يثبت ذلك، وعلى المسلم أن يكون قوامًا بالقسط شاهدًا لله ولو على نفسه ووالديه وأقاربه عدلاً منصفًا لا يميل ولا يحيد، قال تعالى: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

فائدة: التمحيص زكاة النفس

النفس لا تزكو ولا تصلح حتى تمتحن وتفتتن وتمحص،

كالذهب لا يخلص جيده من رديئه إلا بعد أن يفتن في الكير، وهي منشأ الشرور والآثام والمصائب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] وقال: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء:٧٩] وقال: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران:١٦٥] والابتلاء والامتحان بالسراء والضراء والفتن هي الوسائل للتمحيص، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:٧] وقال: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨] وقال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤] وقال: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢] وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١١٠].

ولابد من الصبر واليقين حتى يحصل المرء على الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤] اللهم اجعلنا للمتقين إمامًا، اللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

فائدة: الله يحب الملحين في الدعاء

الله تعالى يحب الذين يدعونه ويلحون عليه بالسؤال والطلب ويرغبون إليه، وفي السؤال لله تعالى عبودية وفقر وحاجة وعوز واعتراف بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وغنى الرب تعالى

وتفرده بالعطاء والإحسان والفضل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ﴾ [الفرقان:٧٧] وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة:١٨٦] وقال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ﴾ [النساء:٣٢] وقال: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ﴾ [الأعراف:٥٥] وقال: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ﴾ [الأعراف:٥٦].

فائدة: الدروس والحكم من القصص القرآني

جميع ما قص الله تعالى علينا من قصص الأنبياء وغيرهم في القرآن الكريم لها نفع عظيم للمتدبر في آيات الله، فهي أحسن القصص، كما قال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] ولو تأمل المسلم أي قصة من قصص القرآن لوجد فيها من الحكم والعلوم والعبر مالا يمكن حصره، وقد بارك الله تعالى في رسله فجعل كل قصة تحصل لهم فيها نفع عظيم وفائدة كبيرة. انظر إلى قصة سليمان عليه السلام حين حضر عنده عرش بلقيس في أسرع وقت، فقال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠] قال سليمان عليه السلام ﴿ومن شكر﴾ ﴿ومن كفر﴾ لينتفع جميع الخلق بما ورد في هذه القصة، وهذا من بركة الله عليه وبركته وبسبب نصحه وشكره، فلنتدبر قصص القرآن ونتعظ بها ونفهم معانيها، فإنها خير القصص وأحسنه وما أجدر مدارسنا أن تعلمها لابنائنا بدلاً من القصص الفارغة التي يقرؤونها. نسأل الله التوفيق لذلك.

فائدة: الصراط المستقيم واحد لا يتعدد

الصراط المستقيم واحد، لهذا أفرد ولم يجمع في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] أما الطرق الضالة فكثيرة، ولهذا تكون جمعًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣] وقد خط الرسول ﷺ خطًّا واحدًا مستقيمًا ثم خط خطوطًا كثيرةً عن يمينه وشماله وقال: «هذه سبل الشياطين، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] [أحمد:١/ ٤٦٥، والحاكم في المستدرك:٢/٣١٨، وصححه أحمد شاكر].

فائدة: لا يجوز التقرب إلى الله بما لم يشرع

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧] يستفاد منه أن أي عمل لم يشرعه الله قربةً وبرًّا ولا ندب إليه فليس من البر في شيء، ولا يجوز التقرب إلى الله تعالى به، بل هو بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فائدة: حرمة التفرق في الدين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩] يدل على أن الدين عقيدة واحدة وعمل واحد لا يجوز التفرق فيه ولا في أصوله، فالحق واحد فلا يجوز التفرق كما تفرق الذين من قبل فهلكوا، وكما تفرق المشركون في عبادة الأصنام، ولا يجوز أن يكون المسلمون شيعًا يحارب بعضهم بعضًا، فأهل التفرق ليس منهم الرسول ﷺ في

شيء، قال تعالى: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام:١٥٩] وقال: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١٣] وقال أبو بكر رضي الله عنه: (والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة) [البخاري:١٤٠٠، ومسلم:٢٠]. وإذا حصل اختلاف في الاستنباط في الأمور الفرعية والاجتهادية والظنية، فليس هذا من التفرق، ولا يجوز أن يحصل بسببه فرقة أو فتن أو قتال أو نزاع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦].

فائدة: من لطف الله بعباده أنه وسع لهم في الحلال

قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [المائدة:٤] كل من عُلِّم من الجوارح فهو مكلب، مشتق من تعليم الكلاب، لأن تعليمهن أكثر من تعليم غيرهن، وفي هذه الآية دلالة على أن يأخذ الإنسان العلوم من العلماء لا من الجهال وأنصاف العلماء.

وفيها بيان لطف الله بعباده حيث أباح لهم مالم يذكوه مما صادته الجوارح، كالكلاب والفهود والصقور مما يصيد بالناب أو بالمخلب.

وفيها اشتراط أن تكون معلَّمةً، وأن تجرح الصيد لا أن تخنقه أو تكتمه حتى يموت.

وفيها جواز اقتناء كلب الصيد وطهارة ما أصاب فمه، وفيه فضيلة العلم، فالكلب المعلم له ميزة على غير المعلم، وليس من العبث تعليم الجوارح الصيد، وفيه دليل على جواز بيع كلب الصيد، وأن من شروط أكل المصيد أن يسمي الصائد عند إرسال الجارح وإن

لم يسم متعمدًا لا يجوز أكل ما قتله، والله أعلم.

فائدة: الصراط المستقيم طريق الاخيار

إذا عرف المسلم أن سلوكه الصراط المستقيم ليس لوحده حتى يستوحش، وإنما سلكه قبله النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩] فهؤلاء هم رفقاؤه في هذا الطريق، وهم أهل الهداية الذين شملهم الدعاء: «اللهم اهدني فيمن هديت» [أبو داود:١٤٢٥،١٤٢٦، والترمذي:٤٦٤، وأحمد:١/ ١٩٩،٢٠٠ وصححه الألباني] وهم الرفقاء الذين يؤنسونه وقت الغربة، وهم الذين أنعم الله عليهم بالهداية، إذا عرف ذلك فلا يخاف ولا يستوحش ولا يقلق ما دام الله ورسله والصديقون والشهداء والصالحون معه ورفقاؤه في المسير.

فائدة: تعريض النفس للهلكة في الجهاد في سبيل الله

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧] استدل بها بعض العلماء على جواز تعريض النفس للهلكة في الجهاد في سبيل الله، وأخرج الفريابي وغيره عن المغيرة قال: كنا في غزاة فتقدم رجل فقاتل وقتل، فقالوا: ألقى هذا بيده إلى التهلكة، فكتب فيه إلى عمر رضي الله عنه، فكتب عمر رضي الله عنه أن ليس كما قالوا، هو من الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة:٢٠٧] وأخرج ابن جرير عن أبي الخليل، قال: سمع عمر رضي الله عنه إنسانًا يقرأ هذه الآية فاسترجع عمر رضي الله عنه فقال: (إنا لله وإنا

إليه راجعون! قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل) [تفسير الطبري: ٤٠١٠].

فائدة: فوائد مهمة تضمنتها سورة (ق)

تضمنت سورة (ق) جميع أصول الإيمان، من مبدأ الإنسان إلى معاده، ومن توحيد الله تعالى بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ومن الشهادة بصدق رسوله ﷺ والإيمان بالكتب والملائكة والقدر خيره وشره، وأن الناس على قسمين: سعيد وشقي، وأن الكمال لله تعالى، وبينت القيامة وما فيها من أهوال، وذكر فيها خلق الإنسان ووفاته وبعثه وحالته عند الموت ويوم المعاد، وأن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وما توسوس به النفوس، وأن له حفظة يحفظون الإنسان ويحصون أعماله، وسيكون معه سائق وشاهد، وأن المؤمن ينعم والكافر يعذب بنفسه بروحه وجسده، وأن الله يعلم ما تنقص الأرض منهم، وعنده كتاب حفيظ، وأنه على كل شيء قدير، ولهذا كان الرسول ﷺ يكرر قراءتها في خطب الجمعة. وبينت السورة أن الكافرين بالبعث في أمر مريج مختلط، ودعاهم إلى النظر والتفكر في العالم العلوي وبنائه وارتفاعه واستوائه وحسنه، وإلى العالم السفلي وكيف بسط الأرض وهيأها وثبتها ودحاها بالمنافع، وأنبت الزرع بأشكاله وألوانه ومقاديره ومنافعه، وأن ذلك تذكرة لكل عبد منيب، وبين الله ما في الماء الذي ينزل من السماء من فوائد وبركات، حيث ينبت به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد، ويحيي به الأرض بعد موتها كذلك الخروج، وأنه سبحانه أرسل الرسل إلى الأقوام السابقة: قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم

وإخوان لوط وقوم فرعون وأصحاب مدين، وأنهم لما كذبوا الرسل أهلكهم بأنواع الهلاك، وبين سبحانه أنه لم يعي بالخلق الأول، ولم يتعب من خلق السموات والأرض، وما مسه لغوب، وبين سبحانه القيامة الكبرى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق:٢٠،٢١] وأن الإنسان في غفلة من هذا، وسيكشف الغطاء وتحضر الأعمال وتحصى الأقوال، ويدخل أهل الجنة في الجنة ويلقى أهل النار في الجحيم: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [ق:٢٤ـ٢٦] فهؤلاء المعاندون مناعو الخير المعتدون الشاكون المشركون هم الملقون في النار، فيقول الكافر: إن هؤلاء الملائكة كتبوا علي مالم أعمله، وأنه أعجله بالكتابة عن التوبة ولم يمهله حتى يتوب، فيقول الملك: ما زدت في الكتاب على عمله ولا أعجلته عن التوبة ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ [ق:٢٧] فيقول الله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۝ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق:٢٨،٢٩] ويقول للنار: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ [ق:٣٠] فتقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠] وتقرب الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٣١] ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٢ـ٣٥].

فائدة: دعوة يوسف عليه السلام إلى التوحيد وهو في السجن

في قول الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ

إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٣٩،٤٠] فوائد عظيمة، منها: أن الشرك باطل وقبيح، وأن العقول السليمة لا تقره كما لا تقره النقول، وأكبر دليل على ذلك أنها آلهة متفرقة متعددة، كل يزعم أن له إلٰهًا، أما الله تعالى فهو إله واحد، ثم إن هذه الآلهة المزعومة لا تنفع ولا تضر، فهي أسماء ناقصة سموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان، فالكمال المطلق لله تعالى الذي لا شبيه ولا نظير ولا مقارب ولا مثيل له، فهو الواحد القهار، وهو الذي يستحق العبادة والحب والخضوع والذل، وهو الكبير المتعال، له الحكم وإليه يرجع الخلائق، وهذه المعبودات تموت أو تفنى ولا تنفع نفسها فضلاً عن نفع غيرها، وكل من المشركين يعبد إلٰهًا غير إله الآخر، وهم متشاكسون مختلفون. نسأل الله العافية.

فائدة: بعد المكان والاستجابة للحق

في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ [القصص:٢٠] فوائد، منها: أن بُعْدَ المكان لا يعوق من أراد الاستجابة للحق، كما أن القرب في المكان قد لا يكون داعيًا للإجابة، ومثال ذلك حال قريش القريبين من الرسول ﷺ مكانًا ونسبًا، وحال الأنصار الذين آمنوا به مع بُعْدهم مكانًا ونسبًا، ومنها: أن الفقراء الضعفاء في الغالب يسكنون أقاصي المدن وهم أقرب للخير من أهل الترف والعظمة.

ومنها: أن في ذلك تبكيتًا للمخاطبين من القوم الذين كفروا بالرسل، فهذا الرجل الناصح جاء من أقصى المدينة ولم يحضر ما

حصل للنبي، فصار خيرًا مما شهد منهم الواقعة ولم يؤمن ولم ينصح.

ومنها: أن في ذلك دليلاً على أن دعوة الرسول وصلت إلى أقصى المدينة وأبعد نقطة فيها، فلماذا لا يستجيب أهل القرية القريبون للرسول! والله أعلم.

فائدة: الدين مبناه على الذكر والشكر

الدين مبناه على شيئين: الذكر والشكر، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] وقال ﷺ في الدعاء الذي علمه معاذًا رضي الله عنه وأمره أن يقوله دبر كل صلاة: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» [أبو داود:١٥٢٢ وأحمد:٥/ ٢٤٥ والحاكم:١/ ٢٧٣ وابن حبان:٢٣٤٥ وابن خزيمة:٧٥١ وصححه الألباني في صحيح أبي داود] ويكون الذكر باللسان والقلب، والذكر لنعمائه وإحسانه وذكر أسمائه وصفاته وأمره ونهيه وكلامه وذكر نعوت جلاله والثناء عليه، أما الشكر فيكون بطاعته وعبادته والثناء عليه وحمده ومحبته: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] فغاية الخلق والأمر أن يذكر الله تعالى ويشكره، ومن ذكر الله ذكره الله في ملإ خير منه.

فائدة: الصلاة إذا صلحت صلح سائر العمل

من أحسن موقفه بين يدي الله في الصلاة ووفاه حقه، أحسن الله موقفه بين يديه يوم القيامة، ومن أساء في موقفه في الصلاة بين يديه سبحانه، لم يحسن الله له موقفًا يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان:٢٦،٢٧] وقال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩].

فائدة: ما خلق الله الجن والإنس إلا لعبادته

كل شيء خلقه الله تعالى لعبادته ولحكمة يريدها، وللحق وبالحق لا للعبث ولا للباطل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] وقال: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١] وقال: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٢] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥].

فائدة: جواز انفاق ما زاد على النفقة الواجبة

من قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] استدل العلماء على تحريم الصدقة بما يحتاجه المسلم لنفقة من تلزمه نفقته، وعلى منع أن يهب المرء ماله بحيث لا يبقى له ما يكفيه، لأن الله تعالى قال: ﴿العفو﴾ أي ما زاد عن النفقة الواجبة يجوز إنفاقه، وما يحتاجه للنفقة الواجبة لا يجوز إنفاقه.

فائدة: دفع الضرر مقدم على جلب المصلحة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢] قدمت المغفرة على الأجر طمأنةً لقلوبهم، لأنهم يخشون المؤاخذة على ما فرط منهم، ثم أعقب ذلك بالبشارة بالأجر العظيم، والتخلية مقدمة على التحلية، ودفع الضر مقدم على جلب النفع، وتنكير ﴿مغفرة﴾ ﴿وأجر﴾ للعموم.

فائدة: نعمة الله في تسخير الأرض

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: ١٥] هل

يفهم منه أن الأرض تدور، فالذلول من الدواب منقادة مطاوعة، فهي مع صلابة خلقتها مذللة للإنسان مرتاضة مسخرة للركوب والأكل منها والمشي عليها، وقال تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك:١٥] فجمع المناكب، لأن الأرض لها مناكب ومتسعات كثيرة، أما الذلول من الأنعام فلها منكبان فقط. والله أعلم.

فائدة: علو خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [ن:٤] فائدة علو أخلاق نبينا محمد ﷺ، فقد أقسم رب العزة والجلال وأكد ذلك بإنّ واللام: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ [ن:٤] ووصف الخلق بالعظمة ﴿عَظِيمٍ﴾ وهذا أعلىٰ من قول: (لعلى خلق حسن) ونفى أن يكون مجنونًا، وأقسم على ذلك بالقلم وما يسطرون، وجاء بالباء التي تزاد من النفي للتأكيد (بنعمة ربك) وبالجملة الاسمية، وبتقديم المجرور ﴿لك﴾ وبـ ﴿على﴾ لإفادة التمكن والثبات على الخلق العظيم. وكان خلق رسول الله ﷺ القرآن، وكانت معاملته للناس أحسن المعاملة وأرفعها، وكان ﷺ رحيمًا لينًا: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ [آل عمران:١٥٩] يأخذ بالعفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين، وكان حليمًا عدلاً صبورًا يثني على المحسن، متواضعًا زاهدًا عفوًا عن المسيء عفيفًا عدلاً شجاعًا، حسن الصمت والتؤدة والوقار والمعاشرة، طلق الوجه مؤدبًا لأهله وللناس، فصيحًا حكيمًا في سياسته لأمته، أعطاه الله جوامع الكلم واجتمعت فيه جميع الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة، وبلغ أعلى صفات الكمال المحمود في طبع الإنسان. فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين.

فائدة: الحلم أفضل الصفات

الحلم أفضل الصفات وأزكى ما في العبد، والغضب بخلاف ذلك، ولهذا لما سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يهب له ولدًا من الصالحين فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠] أجيب بقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١] فالحلم أعلى الصفات وأرفع ما يكون في صلاح العبد بخلاف الغضب. ولما طلب أحد الصحابة أن ينصحه الرسول ﷺ قال له: «لا تغضب» فردد مرارًا قال: «لا تغضب» [البخاري:٦١١٦].

فائدة: العبودية لله اكمل الصفات

العبودية لله أكمل الصفات وأحب الأسماء إلى الله، والرسول الكريم ﷺ وصفه الله بالعبودية في عدة آيات من القرآن، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١] وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩] وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة:٢٣] والعبودية هي الحب التام للمعبود مع الذل التام له والخضوع، يقول عيسى عليه السلام إذا طلبوا منه الشفاعة: «ائتوا محمدًا عبدًا قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» [مسلم:١٩٢] ويقول النبي ﷺ: «أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن» [الترمذي: ٢٨٣٣ الصحيحة: ٩٠٤].

فائدة: وصف الله تعالى الوليد بن المغيرة بأشنع الصفات

لقد وصف الله تعالى الوليد بن المغيرة بصفات النقص وأشنع الأوصاف، فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ [القلم:١٠] أي كثير الحلف ﴿مَّهِينٍ﴾ أي ضعيف الرأي والتمييز ﴿هَمَّازٍ﴾ كثير الطعن والغيبة

والأذى للناس ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ كثير النميمة والمشي فيها، يسعى في الإفساد ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ شديد المنع للخير لا يعطي الضعفاء ولا يحض على طعام المسكين ﴿مُعۡتَدٍ﴾ شديد العدوان والظلم ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم والخطايا والفساد والفجور ﴿عُتُلِّۭ﴾ غليظ شديد الخلقة أكول شروب غشوم ظلوم كثير اللحم مختالٍ فخورٍ ﴿زَنِيمٍ﴾ قيل: لصيق في القوم، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده، وهذه الصفات القبيحة بعكس صفات النبي ﷺ المذكورة سابقًا في هذه السورة: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ○ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ○ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ○ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ١-٤].

فائدة: الابتلاء يكون بالنعم وبالنقم

والابتلاء والاختبار يكون بالنعم ليشكر المبتلون أو يكفروا، ويكون بالنقم لينظر هل يصبرون أو يجزعون ويقنطون، وفي سورة (ن) ابتلى الله تعالى أصحاب الجنة وقص علينا قصتهم، وبين أنه ابتلى أهل مكة حيث يسر لهم الأمن والرزق الذي يأتي من كل مكان والتجارة برحلتي الشتاء والصيف، وأكمل ذلك بإرسال النبي محمد ﷺ منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ○ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ○ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ○ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ○ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ○ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ○ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ﴾ [القلم: ١٧-٢٥] وقال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ○ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ○ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ○ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ١-٤].

فائدة: الغاية من ارسال الرسل

توحيد الله والإخلاص في عبادته، والبراءة من الشرك وأهله هو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وكل نبي يدعو قومه إلى ذلك، قال نوح عليه السلام: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩] وقال هود وشعيب وصالح وإبراهيم وجميع الرسل عليهم السلام مثل ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] وقال: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢] وجميع الملائكة والأنبياء والمقربين لا يستنكفون عن عبادة الله ولا يستكبرون، ومن تكبر عن عبادة الله واستنكف يعذبه الله عذابًا أليمًا، قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

فائدة: جواز طلب الإمارة إذا علم أنه لا يصلح لها غيره

قول يوسف عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] طلب يوسف عليه السلام أن يجعله الملك على خزائن الأموال ليقوم بمصالح الأمة على سنة أهل الفضل والكمال، حيث إنهم يرتاحون لعمل الخير، ولم يسأل لنفسه أجرًا ولا شيئًا من أمور الدنيا، وقد وجد من نفسه القدرة على حفظ الأموال والعدل والرفق بالرعية وإيصال المال إلى أهله، ثم وصف نفسه بأنه حفيظ عليم، حتى يقتنع الملك ولأجل المصلحة العامة، فهو مؤتمن وعنده

علم، وفي هذا جواز، بل استحباب أو وجوب عرض المرء لنفسه لولاية أمور الأمة، إذا علم أنه لا يصلح لها غيره، وهذا من النصح لله ولرسوله وللمسلمين، وكان يوسف عليه السلام الوحيد في مصر ممن يؤمن بالله ويتبع شريعة الأنبياء من آبائه، وهذا ليس فيه معارضة لنهي النبي ﷺ عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه، حيث قال: «ياعبدالرحمن لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها» [البخاري:٦٧٢٢ ومسلم:١٦٥٢] لأن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه لم يكن الوحيد بالفضل من بين أمثاله ولا راجحًا عليهم، كما هي الحالة في يوسف عليه السلام.

فائدة: تحقق رؤيا يوسف عليه السلام

قوله تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف:٥٨] أن يوسف عليه السلام عرف إخوته لذكائه وفراسته، أما إخوته فلم يعرفوه، وكان إخوته عشرة، أما الحادي عشر (بنيامين) فلم يحضر معهم لصغر سنه، ولهذا قال لهم: ﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف:٥٩] أي أنه أخ لهم من الأب حيث علم بعد الحديث معهم أن لهم أخًا من أبيهم، وهؤلاء هم العدد الذي رأى يوسف عليه السلام في منامه ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤] وهم أبوه وأمه.

فائدة: وجوب الأخذ بالاسباب والتوكل على الله

قول الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف:٦٧] دليل على أن يعقوب عليه السلام أخذ بالأسباب وتوكل على الله، وأنه يعلم أن دخولهم من باب واحد أو من أبواب متفرقة لا يغني عنهم من الله من شيء، فقضاؤه سبحانه نافذ، ولكنها الأسباب التي تنفع عن العين، وقد أمرنا بها كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين منع الجيش عن دخول عمواس لما بلغه ظهور الطاعون بها، وقال له أبو عبيدة رضي الله عنه: أفِرارًا من قدر الله؟ فقال عمر رضي الله عنه: (لو غيرك قالها ياأبا عبيدة، نعم نفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله) [البخاري:٥٧٢٩ ومسلم:٢٢١٩] وكثير من الناس لا يعلمون، فمنهم من يترك الأسباب، ومنهم من يتكل عليها، والواجب عملها والاتكال على الله، وقيل: إنه لو لم يخف من العين لكان أولى، والله أعلم.

فائدة: آداب فهم القرآن ومعرفة معانيه

من أراد فهم القرآن ومعرفة معانيه وتفسيره فعليه بما يلي:

أولاً: تلاوته حق تلاوته مرتلاً، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل:٤].

ثانيًا: تدبر آياته، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

ثالثًا: العمل بما فيه، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف:٣] ويدل على ذلك كله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩] الأولى التلاوة، والثانية التعليم بالتدبر، والثالثة التزكية والعمل، فالتلاوة باللفظ والحفظ والتعليم للمعنى والتزكية

بالتربية على العمل به، وقد كان الرسول ﷺ يفسر القرآن بالعمل كما قالت عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن) [مسلم:٧٤٦] وكذا الصحابة رضوان الله عليهم وكذا الراسخون في العلم: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧] وقد جمعوا بين العلم والعمل فلا يأخذون عشرًا من الآيات إلا ويتعلمون معناها والعمل بها، وعلى من علم وعمل أن يبين للناس ويدعوهم ولا يقتصر على نفسه، ولهذا فقد علم الرسول ﷺ القرآن وأخذه من جبريل عليه السلام وبينه للناس، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] أخرج البخاري في صحيحه رقم:٤٧٧٠ ومسلم في صحيحه رقم:٢٠٤،٢٠٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يابني فهر، يابني عدي» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال عليه الصلاة والسلام: «أريتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:١،٢].

وفي هذا دلالة على أن على الداعية أن يبدأ بأهل بيته وعشيرته وأقاربه، فيحذرهم من المعاصي ويدعوهم إلى الخير.

فائدة: علامات المحبة لله تعالى

من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي

ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ [المائدة: ٥٤] نستفيد أن علامات المحبة لله تعالى أربع: **إحداها**: أنهم أذلة على المؤمنين، **والثانية**: أنهم أعزة على الكافرين، **والثالثة**: أنهم يجاهدون في سبيل الله، **والرابعة**: أنهم لا يخافون لومة لائم.

ومن قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] نستفيد أن من علامات محبة الله اتباع الرسول ﷺ.

ومن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥] نستفيد أن من علامات المحبة لله تعالى أن لا يحب المرء أحدًا حبه لله، وأن تكون محبته لله أشد من محبته لغيره، فلا يسوي بين محبة الله ومحبة ما سواه، قال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ○ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨].

ومن علامات محبة الله الإحسان، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] والصبر ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] والتوبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] والتطهر من النجاسات ﴿وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] والجهاد في سبيله صفًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤] والتقوى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧] وعدم الفساد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] وعدم الاختيال والفخر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [لقمان: ١٨] وعدم الظلم ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧] والصلاة في أول وقتها، وبر الوالدين والجهاد والإيمان بالله والحج المبرور، ومداومة العمل الصالح والأخذ برخص الله،

قال ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله الصلاة في أول وقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله» [الترمذي:١٧٣ وصححه] وقال ﷺ لما سئل عن أفضل الأعمال: «إيمان بالله ورسوله، ثم جهاد في سبيل الله، ثم حج مبرور» [البخاري:٢٦ ومسلم:٨٣] وقال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» [البخاري:٦٤٦٤ ومسلم:٧٨٣] وقال: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه» [أحمد:١٠٨/٢ وصححه أحمد شاكر].

فائدة: أنواع الناس من حيث الإخلاص والمتابعة

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠] وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء:١٢٥] وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥] وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] هذه الآيات وغيرها تبين أهل الإخلاص والمتابعة الذين زكت أعمالهم وأقوالهم، وعطاؤهم ومنعهم وحبهم وبغضهم ومعاملاتهم ظاهرًا وباطنًا لله تعالى، لا يريدون من أحد سواه جزاءً ولا شكورًا ولا مدحًا ولا نفعًا، أخلصوا أعمالهم وأقوالهم وعطاءهم ومنعهم لله تعالى، ووافقت عباداتهم لأوامره، هم أهل الإخلاص والصواب وفق السنة الصحيحة، مقتدون برسول الله ﷺ لا يزيدون في العبادات ولا ينقصون، بعيدون عن آراء الرجال وأهوائهم وأفكارهم. وعكس هؤلاء من لا إخلاص له ولا متابعة، الذين يراؤون الناس بما لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ وهم شرار الخلق عند الله، قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا

تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران:١٨٨] فهم أهل البدع والضلال والشرك والرياء والسمعة والغضب والضلال، وكذا من هو مخلص في عمله غير متابع لرسول الله ﷺ كالجهال من العباد والصوفية والمنحرفين والمبتدعة والروافض وأهل الطرق.

والنوع الرابع من أعماله على متابعة الرسول ﷺ ولكنها لغير الله كالمرائين، ومن يقاتل حميةً وشجاعةً، ويحج ليقال، ويقرأ القرآن ليقال. وأفضل العبادات العمل على مرضاة الله في كل وقت بما يناسبه، ففي وقت الجهاد أفضل العبادات الجهاد، وفي وقت السحر الذكر والصلاة، وفي وقت الأذان إجابة المؤذن، وهكذا.

فائدة: أهمية تبليغ رسالة الإسلام للعالمين

نستفيد من قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ [الأنعام:١٣٠] أن الإيمان واجب على من بلغته الدعوة، لا من لم تبلغه الدعوة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء:١٥] وفي هذا دلالة على أهمية تبليغ الإسلام لأهل الأرض، والإثم العظيم على من قدر على التبليغ فلم يفعل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام:١٣١] وقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾ [طه:١٣٤].

فائدة: شروط الانتفاع بالقرآن

من أراد أن ينتفع بالقرآن فعليه أن يجمع قلبه عند تلاوته أو سماعه، ويتصور أنه هو الذي يخاطب فيه، وأن يصغي بقلبه وسمعه

ولا يفكر بشي آخر، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم قبل قراءته، فهذه شروط الانتفاع بالقرآن الكريم:

١ـ الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم قبل قراءته، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

٢ـ تلاوته حق تلاوته: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١].

٣ـ حياة قلب المرء، وتأمل معانيه وتدبره: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠].

٤ـ الإصغاء وانشغال القلب بالقرآن دون الغفلة أو التفكير في غيره، قال تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧].

٥ـ إلقاء السمع، قال تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ [ق: ٣٧].

٦ـ الشهادة على صحة القرآن وأنه حق، قال تعالى: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

٧ـ أن يتصور أنه هو الذي يخاطب به: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٥٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦] فيتصور مناجاة ربه له ومناجاته لربه.

٨ـ طهارة قلبه وجسمه: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].

٩ـ تعظيم القرآن: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

فائدة: الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

[الأنعام:١٣٥] هذه الآية تدل على فتح مكة وأنها ستكون للمسلمين، وأن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، وأن الظالم لا يفلح أبدًا، ولا يمكَّن في الأرض إذا وقف في طريق أهل الحق.

فائدة: الأمر بالتزين عند الذهاب للمسجد

قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١] هذه الآية جمعت أصول حفظ الصحة من جانب الغذاء، والنهي عن الإسراف في الأكل والشرب والزينة، وغير ذلك، وأكل الطيبات من الرزق، والقسط في كل الأمور، والعدل، وفي هذا رد على المشركين الذين يتعرون رجالاً ونساءً عند الطواف، ويقول أحدهم:

اليوم يَبْدو بعضُه أو كلُّه
وما بدَا منه فلا أحِلُّه

وكانت الحُمْس تلبَس أو تُلبس غيرها، وما عداهم إما أن يستعيروا ثيابًا منهم، أو يطوفوا عراةً، أو يطوفوا بثيابهم. فإذا فرغوا ألقوا ثيابهم عنهم فلم يمسها أحد، وكان ذلك الثوب يسمى اللَّقى، قال الشاعر:

كفَى حَزَنا كَرِّي عليه كأنه
لَقىً بأَيْديِ الطائفِين حرامُ

لأنهم يعتقدون أنهم لا يعبدون الله في ثياب أذنَبوا فيها، وقد أبطل الإسلام ذلك، فقد قال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه في حجة الوداع: نادِ بالناس «أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت

عريان» [البخاري: ١٦٢٢، ومسلم: ١٣٤٧].

فائدة: أوجه تفسير القرآن الكريم

تفسير القرآن يكون؛ إما بالقرآن، لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣] أي يُشبه بعضه بعضًا ويفسِّر بعضه بعضًا.

وإما بالسنة، لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فالسنة تفسر القرآن، فالصلاة - مثلاً - جاء وجوبها في القرآن، أما تفصيل ركَعاتها وواجباتها وسننها وأركانها ففي السنة، وكذا الحج، قال الرسول ﷺ: «لتأخذوا [عني] مناسككم» [مسلم: ١٢٩٧، والبيهقي: ٥/ ١٢٥].

وإما أن يفسَّر القرآنُ بلغة العرب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنت أعلم قول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] حتى اختصم رجلان في بئر فقال أحدهما: إني فطَرْتُها أي: حفرتها أوّلًا، فعلمت معنى الآية، لأن القرآن نزل بلغة العرَب.

ويفسر القرآن بالاستنباط من الأدلة الشرعية، وفق القواعد المرعية عند العلماء، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] وقال ﷺ: «من يُرِد الله به خيرًا يفقِّهْه في الدين» [البخاري: ٧١، ومسلم: ١٠٣٧] وقال سبحانه عن موسى عليه السلام: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ○ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه: ٢٧، ٢٨] فالاجتهاد لمن لديه مؤهلاتُه مطلوبٌ، وقد دعا الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «اللهم فقِّهْه في الدين، وعلِّمْه التأويل» [البخاري: ١٤٣] ولا يجوز تفسير القرآن بالهَوَى والرأي، قال تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى

ﱡﭐﭐﭐ ﭐﭐﭐﭐﭐﭐ ﭐﭐﭐ ﭐ

ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] وقال: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام:٢١].

فائدة: حاجة الإنسان إلى الهداية

قال الله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] فالعبد مهما كانت استقامَتُه فهو في حاجة إلى الهداية في كل لحظة وحال؛ فإن العبد إما أن يكون قد أتى أمورًا على غير وجه الهداية جهلًا، فيسأل الله تعالى أن يهديه إلى الحق، أو أتى أمورًا عارفًا بالهداية فيها فأتاها على غير وجهها عمْدًا، فهو محتاج إلى التوبة منها؛ أو أتى أمورًا لم يعرف وجه الهداية منها ففاتته الهداية إلى علمها ومعرفتها، وإلى قصدها وعملها، فيسأل الله الهداية إلى ذلك؛ أو أخذ أمورًا قد هدي فيها من وجه دون وجه فهو محتاج إلى إتمام الهداية فيها؛ أو أتى أمورًا قد هُدي إلى أصلها دون تفاصيلها، فهو بحاجة إلى هداية التفصيل؛ أو أتى أمورًا قد هُدي إليها وهو محتاج إلى هداية أخرى، فإن الهداية إلى الطريق تختلف عن الهداية في نفس الطريق، وكذا يسأل الله أن يحصل له الهداية في المستقبل مثل ما هدي في الماضي، ومن ذلك أمور يعتقد أنه فيها مهتد وهو على ضلالة، أو أمور قد فعلها على وجه الهداية فهو محتاج إلى أن يهدي غيرَه إليها، ولهذا فالأنبياء والصالحون وغيرهم كل يسأل الله الهدايةَ، وكلٌ مفتَقِر إليها وكل هدايةٍ يوجد أعلى منها وأزكى، فما أعظم هذا الدعاء في سورة الفاتحة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦،٧] وقد أثنى الله تعالى على الذين يسألونه أن يجعلهم أئمة يُهتدى بهم، فقال: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ

إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

فائدة: إذا متلأ القلب بشيء أعرض عن غيره

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠] وقال: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤] وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١].

هذه الآيات تفيد أن القلب إذا امتلأ بشيء أعرض عن ذكر ما سواه، وانشغل بما امتلأ قلبه به، فمن امتلأ قلبه بحبه لله لا يذكر ما سواه، وأم موسى عليه السلام امتلأ قلبها بموسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠] ويعقوب عليه السلام امتلأ قلبه بيوسف عليه السلام، ولهذا لم يتأسف على أخيه بعدما قالوا له: ﴿إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: ٨١] وإنما ذكر يوسف عليه السلام فقال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] وكذلك النسوة نسين أنفسهن وقطعن أيديهن.

فائدة: مثل ضربه الله للمؤمن والكافر

قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢] يستفاد منه: أن الكافر لا يميز بين الحق والباطل، ولا بين الصالح والطالح، فهو كالميت. أما المسلم فهو حي يسعى إلى ما فيه الصلاح، ويمشي في نور بين الناس، وقد زين للكافرين ما كانوا يعملون، ورضوا بالضلال والظلمات، وزين

لهم شياطين الجن والإنس ذلك، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَـٰدِلُوكُمۡۖ﴾ [الأنعام: ١٢١].

فائدة: حكمة الله في إمهال الكافرين

يؤخر الله تعالى العذاب عن المكذبين، ويمهلهم حتى يحصل اليأس لدى بعض المؤمنين أحيانًا، لحكمة يريدها سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلۡبِلَـٰدِ ۝ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧] وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠] وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا﴾ [الحج: ٤٨] وقال: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] ومن حكمته في الإمهال أن أخرج من أصلابهم من يعبده، كما قال ﷺ: «لعل الله أن يُخرج من أصلابهم من يَعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا» [البخاري: ٣٢٣١، ومسلم: ١٧٩٥].

فائدة: التهديد الشديد لمن تقول على الله

قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَـٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧] هذا تهديد عظيم شديد على من يتقول على الله تعالى، أو على رسوله ﷺ، فلو تقول الرسول عليه الصلاة والسلام على الله - وحاشاه ذلك - لعوقب بالأخذ بالقوة والشدة وقطع نياط قلبه، فما بالك بغيره من المتقولين على الله ورسوله ﷺ، فليحذر كل إنسان من القول على الله

وعلى رسوله ﷺ بغير الحق.

أما من ادعى النبوة، فإن الله يهلكه بعد حين، كما كان في أمر الأسود العنسي الذي ادعى النبوة باليمن، ومسيلمة الحنفي الكذاب الذي ادعى النبوة في اليمامة.

فائدة: إصلاح النفس أولا

يستفاد من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة:١٠٥] أن يهتم المسلم بنفسه أولاً فيصلحها، وأن لا يخاف من الكفار والمنافقين، فإنهم لن يضروه إذا اهتدى، وأن لا يحزن عليهم ولا يجزع، فمعاصيهم عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧].

وأن لا يركن إليهم، ولا يمد عينه إلى ما عندهم من مال وشهوات وغيرها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ [طه:١٣١].

وأن لا يعتدي عليهم ولا على أهل المعاصي فلا عدوان إلا على الظالمين، وأن يعدل ويقسط في معاملتهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠] وقال: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ [المائدة:٨] وقال: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣].

فائدة: الدعوة إلى الله بالسنة والوحي لا بالبدعة والرأي

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ

﴿ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨] الداعي إلى الله هو الذي يجمع بين الصبر واليقين، والدعوة إلى الله بالسنة والوحي والبصيرة، لا بالرأي والبدع، يدعو الناس ويصبر على أذاهم بالكتاب والسنة، ينفي عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:١-٣] فكمال الشخص الإيمان بالله والعمل بما علم من الحق، والتواصي بتعليم الناس وإرشادهم، والتواصي بالصبر والثبات؛ قال الشافعي رحمه الله: (لو لم ينزل على الناس إلا هذه السورة لكفتهم) [تفسير ابن كثير].

فائدة: نفاق أهل المدن أشد من نفاق الأعراب

نفاق أهل المُدُن أشد خطرًا من نِفاق البَوادي، لقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة:١٠١] فالنفاق في الأعراب كان مجردًا، والنفاق في أهل المدينة نفاقًا ماردًا، فالأعراب على الفطرة السليمة وعندهم جهل، ولكنهم إذا سمعوا الخير قبلوه في الغالب، بخلاف أهل المدن الذين أفسدت فطرهم الحضاراتُ الزائفة، إلا من رحم الله.

كما أن إيمان أهل المدن إذا وجد أعمق في الغالب، لأنهم أهل علم ودراية وفهم، ولهذا يكون الرسل من أهل القرى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف:١٠٩]. ولا يكون الرسل من النساء لتفضل الرجال على النساء درجة، قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾ [البقرة:٢٢٨] ولقوله تعالى: ﴿إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ [يوسف:١٠٩]. وكذا أكابر المجرمين في

القرى، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٣] والذي يظهر أن أكابر مجرمي الأعراب أقل مكرًا من أكابر مجرمي أهل القرى.

والعبرة في كل الأحوال بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

فائدة: تلاعن أصحاب النار

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ﴾ [الأعراف:٣٨] يفهم منه أن الذين يدخلون متأخرين يلعنون من سبقهم في الدخول في النار لأنهم أضلوهم، ويفهم من قوله: ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ﴾ أن السابقين أيضًا يردون عليهم اللعن بدليل آخر، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٣٩] فأمة نكرة تفيد العموم، وكذلك أختها نكرة مضافة إلى ضمير تفيد العموم، أي: كل أمة تلعن كلَّ أخت لها، حيث يتبين لهم أنهم سبب دخولهم النار، وحيث تبين لهم ضلالهم وباطلهم نعوذ بالله من النار.

فائدة: لاتفتح أبواب السماء للمستكبرين والمكذبين

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف:٤٠] هذه الآية تدل على أن للسماء أبوابًا، منها عوالم القدس الإلهية: من الملائكة، والروحانيات الصالحة النافعة، ومصدر إفاضة الخيرات الروحية والجثمانية، على العالم الأرضي، ومصدر المقادير المقدرة، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾

[الذاريات:٢٢] وهي أسباب، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]. أما الكفار فمحرومون من الخيرات الإلهية، وإن كانوا ينالون من نعم الله الجثمانية مثل غيرهم، فيغاثون بالمطر، ويأتيهم الرزق من الله، أما ما هو وسيلة لدخول الجنة ورضا الله فهم محرومون منه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ○ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ○ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ○ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ○ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥ـ١٠] أما المؤمنون فتفتح لهم أبواب السموات، ويستجاب دعاؤهم، وتصعد صلواتهم وأرواحهم إلى بارئها، ويدخلون الجنة، وتأتيهم النفحات الإلهية، وتثبتهم الملائكة، وتحضر إليهم في كل صباح ومساء وغير ذلك.

فائدة: من أداب الدعاء

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] يدل على أدب الدعاء، وأنه يكون بخشوع وتضَرُّع وخُفْيَة وتذلل، وخوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه، وبدون جهر شديد يخرج عن حد الخشوع، فإن الصراخ بالدعاء وعدم التقيد بشروطه المذكورة اعتداء، والله تعالى لا يحب المعتدين، ثم قال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦] فالمؤمن يخاف من غضَب الله وعقابه، ويطمع في رضاه وثوابه وفي هذا إحسان، ورحمة الله قريبة من المحسنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

فائدة: مراتب العلم

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الحاقة:٥١] وقال: ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾

[التكاثر:٧] وقال: ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر:٥] وفي سورة الحاقة قال: ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الحاقة:٥١] وكذا في آخر سورة الواقعة قال: ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة:٩٥] ومراتب العلم في عين اليقين: أن تشاهد النفس المعقولات والمعارف، وفي حق اليقين: أن تتصل النفس بالمعقولات اتصالاً عقليًا وتلاقي ذاتها تلاقيًا روحانيًا.

فائدة: طيب العيش يحصل بأمور

لا يتحصل الإنسان على طيب العيش ولذته إلا بالأمور الآتية:

١- معرفة النافع من الضار.

٢- معرفة الطريق الموصلة إليه.

٣- معرفة الضار المؤذي.

٤- معرفة الطريق الموصل إليه.

٥- سلوك طريق الهدى.

٦- تجنب سلوك طريق الغي.

فمن عرف ذلك واتبع الهدى وسلك طريق الرشاد حصل له من قرة العين والحياة الطيبة والنعيم والطمأنينة ما الله به عليم، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩].

فائدة: الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر واليقين

من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤] نستفيد أن التمكين لا يكون إلا بعد الإيمان والصبر واليقين، وأن من أراد الإمامة في الدين، فليصبر عن المعاصي والشهوات، ويصبر على فعل الواجبات والمندوبات، ويكون من أهل اليقين في توحيد الله وآياته، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟

بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] لا من أهل الشك والريب والتردد. سأل رجل الشافعي رحمه الله فقال: ياأبا عبدالله، أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ قال الشافعي: (لا يمكَّن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم).

وما أصاب المرء من مصيبة إلا بسبب نقص في إيمانه وصبره ويقينه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠] وقال: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩] وقال: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَـٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فائدة: دخول الجنة برحمة الله وفضله

قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] يدل على أن الجنة ليست ثمنًا للعمل، وإنما أورثها الله بسببه، فالباء سببية أي: بسبب أعمالكم الصالحة وإيمانكم، فالله تعالى أعطاهم الجنة، أما عملهم فنالوا به السلامة من غضب الله، وحصلوا على شكره ومرضاته، فالإيراث في قوله: ﴿أورثتموها﴾ يدل على أنه عطية من الله بدون تعاوض ولا تعاقد، وأنها فضل منه سبحانه، فشكر المنعِم واجب. ولكن العمل سبب لدخول الجنة لا ثمنٌ لها كما تقوله المعتزلة، قال ﷺ: «لن يُدْخِل أحدًا منكم عملُه الجنة» [البخاري: ٥٦٧٣، ومسلم: ٢٨١٦].

فائدة: هداية الله بالقرآن لمن اقبل إليه

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ○ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَـٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾

[البقرة:١،٢] فهداية الله بالقرآن لمن كره الظلم والفواحش والفساد، وأحب الخير والإحسان والجود والعدل والصدق والإصلاح في الأرض، فهو هدى للمتقين أهل البر والمعروف، وضلالٌ لأهل الفجور والطغيان، قال تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٦] وقال: ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣] وقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾ [الأعلى:١٠] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ [يونس:٩] فقد هداهم للإيمان وزادهم هدى على هداهم ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ [مريم:٧٦] وقال: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر:١٣] فالتذكر يكون لمن أناب إليه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [سبإ:٩] ولكل عبد صابرٍ شكور، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [سبإ:١٩] ولمن يخشى الله، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه:٣] وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٥] وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [هود:١٠٣] فهذه الصفات سبب للانتفاع بالقرآن الكريم. وعكس هذه الصفات سببٌ للضلال، قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦] وقال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ [إبراهيم:٢٧] وقال: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [البقرة:٨٨] فمن تخلف عن الإيمان بعد مجيئه إليه حال الله بينه وبين قلبه عقوبةً له، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤] ومن زاغ عن الحق أزاغ الله قلبه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥١] ومن كسب السيئات جاء الران على قلبه، قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] ومن نسي الله أنساه الله نفسه، قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر: ١٩] ومن اتبع هواه طبع الله على قلبه، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٦] فالجزاء من جنس العمل، والقرآن هدى ورحمة لقوم يؤمنون، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، وضلال لغيرهم، قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] وهو عمى للظالمين، قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٤] وويل للقاسية قلوبهم، قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢] وهلاك لمن لم يستفد مما أعطاه الله من قلب وسمع وبصر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ومن أعرض عن ذكر الله جازاه الله بالهم والغم، والألم والحسرة، مهما أوتي من مظاهر الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه: ١٢٤].

فائدة: الإيمان يخفف المصائب

قوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾ [النساء: ١٠٤] يدل على أن الإيمان يخفف المصائب وعدمه يزيدها، وكذا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ

كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ﴾ [آل عمران:١٥٦] وكذا قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ○ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد:٢٢،٢٣] وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ [التغابن:١١] فبالإيمان تكون الهداية والصبر والاحتساب وتخفيف المصائب.

فائدة: الله جميل يحب الجمال

الله تعالى جميل يحب الجمال في الأمور كلها، وطيب يحب الطيب، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، فإن ذلك من شكر الله ومن الجمال، كما يحب جمال الباطن بتقوى الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف:٢٦] وقد جمل الله أهل الجنة بنضرة الوجوه وسرور القلوب ولباس الحرير، قال تعالى: ﴿ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ○ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ [الإنسان:٧٦].

كما يحب ربنا جمال الأقوال والأفعال واللباس والهيئات، فإنه يبغض القبيح منها، وكان ﷺ يتجمل للوفود والاجتماعات والجمعة والجماعات.

ويحب صدق الكلام وإخلاص العمل والمحبة، وهذه من الجمال للسانه وقلبه وجوارحه وبدنه، ويحب الطهارة من الأوساخ والشعور المكروهة. ويحب الختان وتقليم الأظفار، وفي الصحيح «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا» [مسلم في الزكاة:١٠١٥ وأحمد:٢/٣٢٨ وغيرهما] ولما رأى الرسول ﷺ أبا الأحوص الجشمي عليه أطمار بالية

قال له: «هل لك من مال؟» قال: نعم، قال «من أي المال؟» قال: من كل المال قد آتاني الله عز وجل، من الشاة والإبل، قال ﷺ: «فليُر نعم الله وكرامته عليك» [أحمد:٣/ ٤٧٣ والترمذي:٢٠٠٦ والحاكم:١/ ٢٥ والنسائي:٨/ ١٩٦ وصححه الألباني في الصحيحة:١٣٢٠].

وجمال الله تعالى لا يماثِله شيء، وقد زين عباده الصالحين بالجَمال بالأقوال والأعمال والأخلاق، وجمل أبدانهم باللباس الذي يواري سوءاتهم، وجمل أعضاءهم بالطهارة من الأنجاس والأحداث والأوساخ، وجمل أقوالهم بالصدق، ومعاملاتِهم بالأخلاق الجميلة والصفات الحميدة، وكل ما كان من جمالٍ في طاعة الله فهو عبادة لله.

فائدة: من تكلم بغير علم فقد اعتدى

قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام:١١٩] يفيد أن من تكلم في الدين بما لا يعلم، أو دعا إلى شيء لا يعلمه، أو نهى عن حق، أو اتبع الهوى بدون دليل من كتاب وسنة وقول معتبر، أو دعا إلى ضلالة، أو أفتى وليس هو بكفء للإفتاء، أن هؤلاء كلهم معتدون، والله لا يحب المعتدين.

فائدة: حصر العبودية والاستعانة على الله وحده

جميع معاني الكتب السماوية بما فيها القرآن الكريم تشتمل عليها هذه الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] فنصفها عن الرب تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونصفها عن العبد ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ففي العبادة غاية الحب وغاية الذل، وفي الاستعانة الثقة بالله والاعتماد عليه والتوكل، وفي تقديم العبادة على الاستعانة تقديم للغايات على الوسائل. والاستعانة تكون قبل العبادة وبعدها، إلى أن

ينتهي أجل العبد، وفيها حصرُ العبودية والاستعانة واختصاصهما بالله العظيم - وذلك بتقديم «إياك» - كما قال تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال: ﴿وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١] وإعادة ﴿إياك﴾ مرتين قوة وتأكيد واختصاص وحب وخوف واهتمام بذكره تعالى.

وغاية أمنية العباد عبادته وإعانته تعالى عليها، ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ أنه وصى معاذًا رضي الله عنه بأن يقول دبُر كل صلاة: «اللهم أعني على ذِكرك وشُكرك وحسن عبادتك». [أبو داود: ١٥٢٢، والحاكم: ١/ ٢٧٣، ٣/ ٢٧٣، ٢٧٤، وصححه الألباني].

فائدة: ذم الدنيا

ذم الله تعالى الدنيا في آيات كثيرة من القرآن منها: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ [الحديد: ٢٠] إلى قوله: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] وقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية [يونس: ٢٤] وقوله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [الكهف: ٤٥] وقوله: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾ [النساء: ٧٧] وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ○ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٧، ٨] وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ [طه: ١٣١] وقوله: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ﴾ الآية [الزخرف: ٣٣] والزهد في الدنيا أن تكون (الدنيا) بيدك لا بقلبك، وأن لا تفرح بموجود من أعراضها، ولا تيأس منها على مفقود، وأن تكون سخيًّا، وأن تترك

مالا ينفع في الآخرة وما تخاف ضرره عليها، ولا تفرح بإقبالها ولا تحزن على إدبارها، وأن تترك كل ما يشغل عن طاعة الله، ولا تطمع فيما ليس لك، وأن تؤثر غيرك عليها، وتترك كل محرم وفضول وشبهة، وأن تشغل أوقاتها بطاعة الله. وليس من الزهد رفضها فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما وعندهم من المال والملك والنساء، وعند رسول الله ﷺ تسع نسوة وهو أزهد البشر، ويدخل عليه من الغنائم الكثير من المال ويفرقه، وكان أبو بكر الصديق وعبدالرحمن بن عوف، والزبير وعثمان رضي الله عنهم من أزهد الناس وعندهم الأموال، وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما من الزهاد، وكان يحب نكاح النساء، ولعبد الله بن المبارك مال كثير وخدم يزيدون عن المائة، وكذلك الليث بن سعد.

وليس الزهد بأكل الغليظ ولا لبس الصوف، وإنما هو في بذل ما في يدك للغير تقربًا إلى الله وعدم طمعِك بما في أيدي الناس.

فائدة: من داوم على ذكر الله استقامت أحواله

شرعت جميع العبادات لذكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] بل هي ناشئة بسبب ذكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ○ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥] فلما ذكر صلى وترك المعاصي. والتوبة والاستغفار بسبب ذكر الله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فمن داوم على ذكر الله استقامت جميع أحواله وابتعد عنه الشيطان وفعل المأمورَ وانتهى عن المحذور، والذكر أكبر من جميع العبادات، لهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ

تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت:٤٥] وقال: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤] والتفكر في خلق الله تعالى من الذكر، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ○ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٩٠،١٩١] وجميع العبادات أُمر بها لذكر الله تعالى، نسأله أن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين لله كثيرًا، وأن يعيننا على ذلك.

فائدة: الله غاية كل مطلوب

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:٤٢] وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر:٢١] يدلان على أن الإنسان لا يطلب إلا من بيده الخزائن، وأنه سبحانه غاية كل مطلوب ومحبوب ومنتهى كل الأمور، فلا يحب إلا لأجله، ولا يستقر قلب ولا تطمئن نفس، ولا يسكن ضمير إلا بالوصول إليه، فهو المحبوب لذاته، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وكلما زاد إيمان الإنسان بذلك رضي بما قسم الله له ووحده، وعرف أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه سبحانه عدل في قضائه، ماضٍ في حكمه، وأن رحمته تسبق عذابه، وأنَّ حكمته اقتضت ما قدره على عبده، فله الحمد ونحن عبيده، تجري علينا أحكامُه وأقضيتهُ، نرضَى بما قسم لنا، فله الشكر، لا نحصي ثناء عليه، هو سبحانه كما أثنى على نفسه.

فائدة: الفرح منه ما هو ممدوح وما هو مذموم

الفرح مذموم في أمور الدنيا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟

بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] وقال قوم قارون له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦] وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود:١٠] أما إذا كان في أمور الآخرة مقرونًا بالخوف والحذر والسرور بالرب تعالى وتذكر فضله وإحسانه فهو محمود، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] والصلاة قرة عين المؤمن، قال ﷺ: «وجعلت قرة عيني بالصلاة» [النسائي:٣٣٩١، وأحمد:٣/١٢٨، ٢٨٥ وصححه الألباني] وجميع العبادات قرة عين للمؤمنين وسبب سعادتهم في الدنيا والآخرة، وجنتهم في الدنيا توحيد ربهم واتباع رسولهم ﷺ، والتأسي به في كل شيء صلوات الله وسلامه عليه.

والذكر من أعظم ما يطمئن القلب ويفرحه ويسره، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] وقال: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران:١٧٠].

فائدة: العدل في القول

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢] يدل على أن المسلم في سعة من السكوت إن خشي أن لا يقول بالعدل، أما أن يقول الجور والباطل فلا سبيل له إلى ذلك، ومن قول الباطل الكذب، وروي أن رجلاً خطب من آخر أخته فذكر الأخ له أنها قد أحدثَتْ سابقًا، فبلغ ذلك عمر ابن الخطاب فضربه، وقال له: في السكوت سعة، مالك وللخبر بذلك.

فائدة: اقسام السماع

السماع قسمان: القسم الأول: سماع قبول وانقياد وإجابة، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة:٢٨٥] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:١٨] وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ [القصص:٥٥].

والقسم الثاني: سماع إدراك، قال تعالى عن هؤلاء: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء:٤٦] وقال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧] وقال: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة:٤١].

ومن علم الله فيه خيرًا أسمعه سماع إجابة، ومن علم منه ضد ذلك لم يسمعه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣] ومن حمد الله وأثنى عليه واعترف بفضله وشكَره، أسمعه الله سماع قبول وإجابة، ولهذا يقول المصلي: (سمع الله لمن حمده).

فائدة: تفاوت الناس في الدرجات

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥] فيها دلالة على البعث، فالذي جعل الأجيال يخلف بعضها بعضًا، لا يعجزه أن يحشرها جميعًا بعد انتهاء حياتها، كما لا يليق به سبحانه أن لا يقيم موازين الجزاء؛ فيأخذ كل مظلوم بمظلمته، ويجازي كل عامل بعمله، ولهذا قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥] ورفعُه بعضَهم على بعض ابتلاءٌ وامتحان فيما آتاهم، وكل ذلك دليل على البعث والجزاء والحساب

والعقاب، وفي قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ تأكيد واحد بالنسبة للعقاب، أما الغفران والرحمة فأكدتا بثلاثة تأكيدات: إن ولام الابتداء والتوكيد اللفظي، فالرحيم يؤكد معنى الغفور ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ فالحمد لله تعالى الذي تسبق رحمته عذابه.

فائدة: المحكم والمتشابه

الراسخون في العلم يؤمنون بمحكم الآيات ومتشابِهِها، ويردّون المتشابه للمحكم الصريح، ويُنزلون النصوص الشرعية منازلها، وأنها حق من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويعترفون بنقص أفهامهم وعلومهم، وأن العلم عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢] ومن كان راسخًا في العلم من أهل الكتاب آمن بنبينا محمد ﷺ، ولهذا قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [النساء: ١٦٢] وقال تعالى: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

فائدة: أعمال القلب

أصل أعمال القلب الصالح الطاهر: الصدق، وأصل أعمال القلب الفاسد النجس: الكذب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وقال: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٩] وقال: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ [التوبة: ٩٠] وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ

صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١] وقال ﷺ: «إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار» [متفق عليه: البخاري: ٦٠٩٤ ومسلم: ٢٦٠٧ وأحمد: ١/ ٣٨٤، ٤٣٢] وإذا وقع المرء في الكذب وقع في كل صفة قبيحة، وإذا اتصف المرء بالصدق، هداه الله ووفقه لمصالح دينه ودنياه، وفي السنن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا» [الترمذي: ٢٤٠٧ وأحمد: ٣/ ٩٦ وأبو نعيم في الحلية: ٤/ ٣٠٩ وابن السني في أول كتاب عمل اليوم والليلة وابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وله شواهد].

فائدة: أهمية الوقت

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠] وقال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤] وقال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩] ومن انتهز الوقت فيما يقربه إلى الله فاز، ومن ضيعه خسر، ومن أراد عِمارة وقته بالطاعات فليلتزم حب الله والخوفَ منه ورجاءَه، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧] وكل نبي يبعث في قومه بالوقت الذي يحتاجونه فيه، ويكون نفعه فيه أحسن، كما أن الغيث ينزل في أحوج الأوقات إليه

والفرج في أليقها، وجميع أقدار الله كذلك، وبُعث موسى وعيسى ومحمد وكل الأنبياء عليهم السلام في الوقت المناسب.

فائدة: لا تنفع التوبة بعد مجيء الآيات

قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨] يفيد أن النفوس لا ينفعها اكتسابُ الخير - بعد مجيء الآيات - ولا التوبة إذا لم تكن كسبت في إيمانها من قبل مجيء الآيات خيرًا، وليس معناه ضياع الإيمان كما يقوله الخوارج، الذين يخلدون مرتكب الكبيرة في النار. وفي الآية تحذير من التريث عن الإيمان؛ خشية أن تأتي الآيات وهم على حالهم من الكفر، فحينئذ لا ينفعهم إيمانهم، حيث لم يؤمنوا قبل مجيئها.

فائدة: مما تحدى الله به العرب فواتح السور (الم)

جميع السور التي بدأت بالحروف المقطعة في أوائلها أعقبت هذه الحروف بذكر القرآن أو الوحي، أو ما في معنى ذلك، لأن هذه حروف هجاءٍ مكوَّن منها القرآن الكريم، وفي ذلك تحدٍّ للعرب أهلِ الفصاحة والبيان عن الإتيان بمثل هذا القرآن المكون من حروف الهجاء، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ○ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:١،٢] وقال: ﴿الٓمٓصٓ ○ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف:١،٢] وقال: ﴿الٓمٓ ○ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ○ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران:١-٣] وقال: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس:١] وقال: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود:١] وقال: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف:١] وقال: ﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ

ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرعد:١] وقال: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١] وقال: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:١] وقال: ﴿طه ○ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:١،٢] وقال: ﴿طسٓمٓ ○ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الشعراء:١،٢] وقال: ﴿طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل:١] وقال: ﴿طسٓمٓ ○ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ○ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ [القصص:١-٣] وقال: ﴿الٓمٓ ○ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان:١،٢] وقال: ﴿الٓمٓ ○ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [السجدة:١،٢] وقال: ﴿يسٓ ○ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس:١،٢] وقال: ﴿صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص:١] وقال: ﴿حمٓ ○ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر:١،٢] وقال: ﴿حمٓ ○ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت:١،٢] وقال: ﴿حمٓ ○ عٓسٓقٓ ○ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الشورى:١-٣] وقال: ﴿حمٓ ○ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الزخرف:١،٢] وقال: ﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق:١] وغير ذلك.

فائدة: الاعتراف بالظلم مع عدم التوبة لا يفيد

نستفيد من قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ○ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤،٥] أن العذاب يأتي على غرة في البيات أو القيلولة، وأن الاعتراف بالظلم مع عدم التوبة لا يفيد، فلم يفدهم اعترافهم بظلمهم حيث قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٥] ما داموا مستمرين على عنادهم وظلمهم، فهذا الاعتراف دعوًى وليس حقيقةً، ولو كان حقيقةً لتابوا إلى الله واتجهوا إليه بالدعاء - لا بالقول فقط -

كما تدل الآية على أن إهمال شكر النعمة يعرِّض صاحبَها لزوالها.

فائدة: من طلب الهداية وفق لها

الذي يبحث عن الحق يهديه الله تعالى إليه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧] فهم لمّا طلبوا الهداية وبحثوا عنها هداهم الله تعالى إليها، أما من لم يرع قلبه ولم يستمع للحق، فيضله الله تعالى، قال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء:٤٧] ومن تكبر عن الحق وأعرض عنه صرفه الله عنه، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٦] ولهذا هدى الله سلمان الفارسي رضي الله عنه - وهو من بلاد بعيدة - لما بحث عن الحق واتَّبعه، وأبعد الله كفار قريش مع قربهم من الرسول ﷺ وطنًا ونسبًا، لأنهم تكبروا عن الاستماع للحق، اللهم اجعلنا ممن يستمع إلى القول فيتبع أحسنه.

فائدة: سجود الملائكة لآدم عليه السلام

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [الأعراف:١١] المخلوق المُصوّر هو آدم عليه السلام، أي خلقنا أصلكم وصورناه. وقد أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام لفضل علمه بالأسماء - بما لم يعلمه الملائكة - ولا يلزم أن الأمر لجميع الملائكة بالسجود، فقد يكون المأمورون من كان بالمكان، وقد يكون جميع الملائكة، والله أعلم.

أما إبليس فليس من الملائكة، وإنما كان مختلطًا بهم، ولم يكن من الساجدين، فجبلّته وطبعه مخالف لجبلة وطبع الملائكة، ولهذا قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف:١١] ولم يقل: لم يسجد معهم، فمن جبلته: الكبر حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢] فاستدل بتفضيل عنصره على غيره، فغَرَّه عنصره وافتخر به لا بعمله.

فائدة: إدعاء امرأة العزيز البراءة

قال الله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣] وهذا الكلام منها احتراس من قولها: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف:٥٢] فتبرئة نفسها من هذا الذنب ادعاءٌ بأن نفسها بريئة براءةً تامة، مع أنها قامت بمحاولة الإثم، ولكنه لم يقع. وقولها: ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣] فمن رحمته تعالى أن قيض من صرف فعل السوء، وذلك بامتناع يوسف عليه السلام عنه، وهذا من رحمة الله بالعبد أن يقيض له أمرًا يمنعه عن فعل السوء، وقيل: هذا من كلام يوسف عليه السلام أي: لست أقول: ﴿لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف:٥٢] براءة للنفس من ارتكاب الذنوب، ولكن ذلك رحمة من الله بأنْ منعَني عن ارتكاب هذا السُّوء العظيم، ومعنى ﴿لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي لم أخن سيدي في حرمته حال مَغيبه.

فائدة: اعجاب ملك مصر بيوسف عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ○ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ

عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٤،٥٥] قوله: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ يدل على أن يوسف عليه السلام كلمه بكلام فيه حكمة وأدب وعقل، أُعجب به الملك وقرَّر وقال: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [يوسف:٥٤] أي: ذو مرتبة عظيمة، ومكانة سامية، وثقة وأمانة لحسن منطقك وبلاغة قولك، وإصابة رأيك، وثقتك في قولك وعدالتك.

فائدة: تسليط بعض الظالمين على بعض

من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩] نستفيد أن الله تعالى يسلط بعض الظالمين على بعض، قال عبدالله بن الزبير رضي الله عنه لما بلغه أن عبدالملك بن مروان قتل عمرو ابن سعيد الأشدق بعد أن خرج عمرو عليه: ألا، إن ابن الزرقاء يعني عبدالملك بن مروان قد قتل لطيم الشيطان، وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون، قال الشاعر:

وما ظالِم إلا سيُبْلى بظالم

وفي ذلك تحذير من الظلم، وأن عاقبته وخيمة، وفيه بيان لسنة الله تعالى في الظالمين، وقال بعض المفسرين: يجعل الله بعض الظالمين ولاة على بعض، وقد سلط الله ظالمي الجن على المشركين والكفار والعصاة، وكلهم ظالمون، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ﴾ [الأنعام:١٢٨].

فائدة: تقديم الدين على الوصية

قال الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ [النساء:١٢] وقال: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ﴾ [النساء:١٢] وقال:

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ﴾ [النساء: ١٢].

من هذه الآيات نأخذ أن الدَّيْن يجب قضاؤه، ولو لم يوص بذلك الميت، أما الوصية فلا تنفذ إلا إذا ثبتت، ولهذا قال: (توصون، ويوصي، ويوصين) ولم يقل: دَيْن توصون به، وإنما أطلق الدَيْن فقال: (أو دَيْن) فالدَيْن يقضى عن الميت سواء أوصى بذلك أو لم يوصِ، وهو مقدم على حقوق الورثة سواء كان دينًا لله أو للآدميين، وسواء كتب الميت ذلك أو لم يكتبه، وتكون الوصية بالثلث أو أقل، ومن زاد عن الثلث أو أوصى لوارث فقد اعتدى، ولهذا قال الله تعالى بعد ذكر المواريث والوصية: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء: ١٤].

فائدة: احوال الناس في قبول الحق والانتفاع به

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨] صفات الناس ومؤهِّلاتهم مختلفة، وكذلك الأراضي مختلفة، فمنها: الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه، ويستفيد من المطر. ومنها: النَّكِد الذي لا ينبت طيِّبًا، قال النبي ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتتِ الكلأ والعُشب الكثير، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماءَ فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقَوا وزرعوا، وأصاب طائفةً أخرى، إنما هي قيعانٌ لا تُمسك ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مثلُ من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع

بذلك رَأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به». [البخاري:٧٩، ومسلم: ٢٢٨٢].

وكذلك الناس يختلفون كما تختلف الأراضي، وكما بينه رسولنا ﷺ في هذا الحديث، فمن زكى نفسه وهذبها وأدبها واتبع هدى الله الذي أرسل به محمد ﷺ، وتفقه في الدين وعلِم وعَمِل، قَبِل الخير ونفعه الله به، وانتفع غيره منه، ومن لا فلا. وليست هذه نَسَبًا كما يظنه البعض، لأن الأخوين من أب وأم يختلفان حسب تزكيتهما لنفسيهما، والله خلق الإنسان على الفطرة «كل مولود يولد على الفطرة» [البخاري: ١٣٨٥، ومسلم:٢٦٥٨] وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ○ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ○ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ○ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ـ١٠].

فائدة: صفة النار وصفة أهلها

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥] قال تعالى: ﴿عذاب السعير﴾ ولم يقل: (عذاب النار) لأن الشياطين من عنصر النار، والسعير طبقة أشد طبقات النار حرارةً وتوقُّدًا، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبإ: ١٢] وقوله: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] يعني النار، وقال: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الملك: ٦] فكان التعبير بجهنم لا بالسعير، ولأجل أن لا يتوهم أن العذاب للشياطين خاصة، وإنما هو لجميع الكافرين والمشركين.

فائدة: عدد الملائكة الموكلين بجهنم

قال الله تعالى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ﴾ [المدثر: ٣٠، ٣١].

التسعة عشر هم: نقباء الملائكة الموَكَّلون بجهنم، روى الترمذي بسنده إلى جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي ﷺ: هل يعلم نبيكم كم عدد خزَنَة جهنم؟ قالوا لا ندري حتى نسألَ نبينا، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يامحمد، غُلب أصحابك اليوم، قال: «وبم غُلبوا؟» قال: سألهم يهود هل يعلم نبيكم كم عدد خزنة النار؟ قال: «فما قالوا» قال: قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا، قال: «أفَغُلِب قومٌ سئلوا عما لا يعلمون، فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا...» إلى أن قال جابر رضي الله عنه: فلما جاءوا قالوا: يا أبا القاسم، كم عدَدُ خزنة جهنم؟ قال: «هكذا وهكذا» في مرة عشرةٌ وفي مرة تسعٌ - (إشارة الأصَابع) قالوا: نعم ... إلخ. [الترمذي: ٣٣٢٧ وضعفه الألباني].

وفي هذا موافقة لما في كتب أهل الكتاب من أنهم تسعة عشر، وسبب لاستيقانهم ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [المدثر: ٣١].

وقوله: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ﴾ [المدثر: ٣١] إذا عرفوا أن ما في القرآن يوافق ما في كتب أهل الكتاب، فتطمئن قلوبهم بذلك.

وقوله: ﴿وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ﴾ [المدثر: ٣١] أي: لينتفي عنهم الريب، فلا تعتريهم شبهة من بعد علمه، لأنه إيقان عن دليل.

أما الذين في قلوبهم مرض وسُوء نية، وتردد بين أن يُسلِموا أو يبقوا على الشرك، فقال تعالى عنهم: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ﴾ [المدثر:٣١] فهم يقولون: إن الله تعالى لم يُرد العدد، وينفون قوله ذلك، فيطعنون في القرآن ويستهزؤون، قال أحدهم: هذا عدد قليل أنا أكفيكم ثمانية عشر وعليكم واحدًا فقط، ويسخرون من المؤمنين ويستهزؤون بالنبي ﷺ، ويكذبون القرآن الكريم، وهذا من إضلال الله لهم، قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [المدثر:٣١] فأهل الكتاب استيقنوا من صحة العدد، ومع ذلك لم يؤمنوا، وكذا الذين في قلوبهم مرض، والكافرون استهزؤوا فلم يؤمنوا، وفي هذا ذِكرى للبشر، ليعلموا غِنى الله عن الأعوان والجُند، وأنه لا يَعلم جنوده إلا هو، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٣١].

فائدة: المصائب والابتلاءات تزيد المؤمن يقينا

قد يحصل للعبد شدائدُ ومصائب ومخاوف لمَصلَحته، وليزدادَ إيمانًا وتوكلاً على الله، فتنقلب تلك المَخاوفُ أمْنًا وتتبدل تلك المصائب فَضْلاً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ○ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ○ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤].

فائدة: الوساوس تمرض القلوب

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ○ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ○ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢] فالقلب إذا غُذِي بالتذكر والتفكر باللسان والقلب، والفكر والتأمل، وصارت خواطرُ المرء بمراقبة الله، وتذكرِ آلائه ونعمه، وتوحيده ومعرفته، وابتعَد عن الخواطر الدنيئة والأفكار الرديئة، والأوساخ والأقذار المشينة، إذا حصل ذلك حَسُنت الإرادةُ والعمل، وإذا دفع الإنسان عن نفسه الخواطر السيئة والتمني القبيح، والشهوة للمكروه، صلحت أحواله كلها، وكثيرًا ما يلقي الشيطان الأفكار السيئة والخواطر القبيحة في نفس الإنسان، فيقع في الوساوس ويحول بينه وبين الخير، فإن ما يلقيه الشيطان في القلب من الفتن مالا يعَدّ ضررُه قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣] فعلى المسلم أن يكون تفكيره في العلم النافع والتوحيد الخالص، وتذكر الموت والجنة والنار، والإرادات النافعة من أعمال الخير، وما يعود على المرء بالنفع في الدنيا والآخرة، فإن الفكر مبدأ الإرادة والعمل.

ولا تفكر فيما لا نفع فيه أو مالا يمكن الإحاطة به، فلا تفكر في ذات الله، لأن الإحاطة به مستحيلة، وفكِّر في مخلوقاته، ولا تفكر فيما لا نفع فيه: كالغناء والموسيقى والتصاوير، والعلوم الضارة، والخيالات، والحيل والمكر، والمستحيلات، ولا تضيع

وقتك وجهدك وفكرك في أمور لا تزيدك علمًا بالله وقربًا منه، فإن من يحوم حول الأوساخ يقع فيها، ومن يحوم فكره حول الفضائل يحصل عليها، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وكجليس بائع العطر أو نافخ الكير. والموفق من وفقه الله وهداه.

فائدة: الشرك والظلم سبب الهلاك والعذاب

الشرك والظلم سبب الهلاك والعذاب، ولكن الله تعالى من رحمته وعدله أنه لا يهلك الظالمين إلا بعد إنذارهم وبلوغ الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام:١٣١] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه:١٣٤] وقال: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢].

فائدة: اخبار من الله تعالى بأن المشركين لا يؤمنون ولو شاهدوا الايات

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١] هذه الآية ردٌّ على قولهم: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام:١٠٩] فبين تعالى: أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون، بثلاثة أمور: لو نزلت عليهم الملائكة، وكلمهم الموتى، وحشر الله عليهم كل شيء قبلا، أي: قِبالَ وجوههم، فعاينوا كل شيء، لأن أكثرهم يجهلون. أما من عنده علم أو بحث عن العلم - وهم القلة حيث قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١] - فقد آمنوا حسب وعد الله تعالى في قوله في هذه الآية ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ

ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، وهم عقلاؤهم الذين لا يجهلون.

فائدة: العين حق

قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١] تدل على أن العين حق، فإن ما تنطوي نفوس المشركين عليه من الحقد والغيظ وإضمار الشر، عندما يسمعون القرآن يكاد يُزلق ويسقط ويصرع، ويُدحض رسول الله ﷺ بنظراتهم المسمومة الحاقدة الحاسدة، ولكن الله تعالى حماه ونصره وأيده، فالأبصار الحاقدة مثل السهام تزلق وتصيب المحسود، ولو سبق القدَرَ شيء لسبقتْه العين. [مسلم: ٣١٨٨].

فائدة: قصة المؤتفكات قرى قوم لوط عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة: ٩] المؤْتفكات: قرى قوم لوط الثلاث، والمقصود سكانها لجريمتهم النَّكْراء أهلكوا، وكان العرب يمرون على تلك القرى في رحلتهم للشام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ○ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨] وقال: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ [الفرقان: ٤٠] وسميت المؤتفكات - جمع مؤتفكة اسم فاعل ائتفك - أي المنقلبات حيث قلبها الله وخسف بها، كما قال سبحانه: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤] وقد أهلكوا بفعلهم الخطأ (بالخاطئة، وهي اسم فاعل خَطِئ) أي: جاء كل منهم بالخطأ المستحق للعقاب، نسأل الله العافية. وقوله: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ١٠] أي: استأصلهم كلَّهم وليس في إهلاكهم بقاء قليل منهم، وإنما أبيدوا كلهم وأخذوا كلهم أخذةً رَابِيَةً.

فائدة: أهوال القيامة

تكرار (يومئذ) أربع مرات في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ○ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ○ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ○ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ○ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ○ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٣-١٨] لتهويل ذلك اليوم الذي يبتدىء من نفخ الصور، فنعوذ بالله من كرباته.

فائدة: حياة القلب بالعلوم النافعة

كما أن الأرض الخاشعة الهامدة الخالية من كل نبات، إذا نزل عليها المطر اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، فكذلك القلب الخالي من العلم والخير حين ينزل عليه الوحي، ويتفقه في دين الله، يُنبت العلوم المختلفة النافعة، والمعارف والخير والبر والإحسان، ومحبة الله ورسوله، وجميع أنواع العبادات، وهذا من سعة فضل الله وجوده وتنوع هِباته، قال تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الروم: ٥٠].

فائدة: الرسالة والهداية من الله تعالى

الله سبحانه وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلَم حيث يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فله الحكمة في ذلك، فهو العالم بالسرائر، ويعلم من أهَّلَهم لِقبول دينه وتوحيده، وهو أعلم بما في النفوس، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] وقال: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [هود: ٣١] وقال

النبي ﷺ: «رب أشعثَ أغبر مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه» [مسلم:٢٦٢٢،٢٨٥٤] وليس عطاء الدنيا دليلًا على عطاء الآخرة، فإذا علَتْ همةُ المرء وصَفَا قَصْدُه، وصح سلوكه، واتبع النور الذي أنزل على محمد ﷺ، واقتفى أثره، وأراد وجه الله، ولم تلهه تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، وانتسب إلى الإسلام في كل أموره وأحواله، قال الشاعر:

أبـي الإســلام لا أبَ لــي سِــواه
إذا افـتَـخَـروا بـقَـيْـسٍ أو تـمِـيـمِ

وأحب في الله وأبغض لأجله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤] إذا حصل من المرء ذلك، وعلم الله منه هذا، وفَّقه للخير وهداه إلى البر، ورفع من قدره، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣] وقال: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦] فمقدار الهداية على علم الله ما في القلوب، ومن يستحقها، نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى صراطه المستقيم.

فائدة: أكثر اهل الأرض في ضلال

من قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١١٦] هذه الآية تدل على أن أكثر أهل الأرض في ضلالٍ، ولا تدل على أن أكثر أهل الأرض مضِلُّون، وإنما هم ضالون يتَّبعون الظن ويخرصون، فهم على ضلال، ولو استفرغوا عقولهم في البحث عن الحق

لاهتدوا، ولكنهم اتبعوا الظن بدون دليل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وهذا الظن هو ظن أسلافهم كما يُشعر به قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ وفي هذا: التحذير من أهل الظنون والآراء، والأفكار التي لا تَستند إلى بينة ودليل، وإنما تأخذ علمَها من الكثرة، أو من التقليد للآباء واتباع العادات البائدة لا من الدليل من الكتاب والسنة.

فائدة: من خصال الأعراب الذميمة

قول الله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ﴾ [التوبة: ٩٧] الألف واللام في الأعراب تدل على أن هذه صفة عامة لهم، ومنهم من يخرج عن هذه الصفة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٩٩] وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۗ﴾ [التوبة: ٩٨] فقد صَدرت الآيتان الأخيرتان بمِنْ التي للتبعيض، أما الآية الأولى فصدرت بالألف واللام التي تدل على العموم.

أما أهل المدينة فقال الله تعالى عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحشر: ٩] وهذه صفة عامة لأهل المدينة، ويوجد خلاف ذلك في بعضهم، حيث قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ﴾ [التوبة: ١٠١] فقد صدرت هذه الآية بمِن التي للتبعيض، ولكن نفاق

بعض أهل المدينة أنكى، فقد مردوا على النفاق، نسأل الله العافية.

فائدة: وجوب الدعوة على الله تعالى

الدعوة إلى الله تعالى كانت واجبة وجوبَ عينٍ في صدر زمان البعثة المحمدية، لقوله ﷺ: «بلِّغوا عني ولو آية» [البخاري: ٣٤٦١] أي بقدر الاستطاعة، وفي الآية الكريمة ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ﴾ [يوسف: ١٠٨] أي أدعو بعلم وحجة واضحة أنا ومن اتبعني، ولما ظهر الإسلام وبلغت الدعوة الأسماع، صارت الدعوة إليه واجبة على الكفاية، لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وفي عصرنا اليومَ كثير من الناس لا يعرفون عن الإسلام شيئًا، بالرغم من توسُّع الإعلام والمواصلات، وقد سمعت في إذاعة «لندن» أنه حصل استفتاء في «لندن» نفسها لمجموعات من الناس: (ماذا تعرفون عن الإسلام؟) فقال بعضهم: لا نعرف عنه شيئًا. وقال آخرون: هو ألف ليلة وليلة. وقال آخرون: هو دين خاص بالعرب. وقال آخرون: هو الإرهاب والقتل. ولم يعرف حقيقة الإسلام إلا القليل. فما بالك بالناس النائين في غياهب أفريقيا، وأقاصي آسيا واستراليا، وأوروبا؛ إن واجب المسلمين كبير في نشر دينهم بجميع الوسائل الحديثة التي أصبحت حجة عليهم، وبجميع اللغات، خاصة وقد أعطاهم الله المال ويسر لهم وسائل المواصلات والإعلام، وقد سمعتُ مرة أحد المسلمين من الألمان وهو يقول: (إن موت والدي وأجدادي على غير الإسلام إثمُه عليكم أنتم - أيها العرب -

وسنحاسبكم على ذلك يومَ القيامة) فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فائدة: الحق لا يتبع الهوى

صلاح السموات والأرض ومن فيهن باتباع الحق، وفسادُهما في اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١] فهم قد خالفوا الرسول ﷺ لكراهيتهم للحق، لأنه يخالف أهواءهم، وكل من خالف الحق فهو فاسد الطبع والفطرة والعقل، كما أن كل من وافق الحق حصل على الذكر الحسن في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

فائدة: الغرباء من اهل الإسلام

المؤمنون الأتقياء غُربَاء في بداية الإسلام وفي آخر الزمان، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] وقال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] وقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١٦] فأهل الإسلام غُرَباء بالنسبة إلى الناس، والمؤمنون غرباء بالنسبة للمسلمين، وأهل العلم غرباء في المؤمنين، وأهل السنة غرباء بين أهل العلم، وأهل الدعوة إلى الله غرباء بالنسبة لأهل العلم، قال ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء» [مسلم: ١٤٥، الترمذي: ٢٦٢٩، وابن ماجه: ٣٩٨٦]

قيل: مَن الغرباء يارسول الله؟ قال: «الذين يُحيُون سنتي ويعلِّمونها للناس» فهؤلاء هم الغرباء حقًّا الممدوحون، لقلتهم وثباتهم على الحق، ودعوتهم إليه.

فائدة: الورع في غير محله منكر عظيم

الورع إذا كان في غير محله فهو منكر عظيم، وقد كان أهل الجاهلية يتورعون من الطواف في الثياب، ومن أكل الطيبات، ويسألون عن الشهر الحرام قتال فيه، ولديهم عوائد يزعمون أن تركها ورع: كالوصيلة والحام، فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ﴾ [البقرة:٢١٧] وهكذا إذا فسدت فطرة الإنسان يتورع من أشياء، ويفعل أشياء أكبَرَ منها وأكثَرَ إثمًا، كالخوارج الذين يسألون عن طهارة دم البَعوضة ويستحلون دم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فائدة: حكمة الله في خلق السموات والأرض في ستة أيام

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون خلق السموات والأرض في ستة أيام لا دفعة واحدة، لأن جعل العوالم متوالدًا بعضُها من بعض أتقن صنعًا، مما لو خلقت دفعة واحدة، فهذا الخلق مَظهرٌ من مظاهر صنع الله وقدرته وإبداعه

وعلمه وحكمته، وهو سبحانه قادر على أن يخلقها بأقل من ذلك بقول: «كن فيكون».

فائدة: وسائل الدعوة إلى الله تعالى

تكون الدعوة إلى الله بثلاثة أمور:

أولها: الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

وثانيها: أن تكون الدعوة إلى سبيل الله وصراطه المستقيم.

وثالثها: الإخلاص لله تعالى.

فإذا حصلت هذه الثلاثة أثيب الداعي على دعوته.

أما هداية المدعوين من عدمه، أو أذيتهم له بالقول أو الفعل، فهي عند الله تعالى، ولهذا فلا ينبغي الجَزَع عند عدم استجابة المدعوين، بل يجب الصبر والاحتساب، ليؤجر الداعي، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ [هود:١٢] وقال: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورى:٤٨] فهذه وظيفة الداعي.

أما هداية العباد ومجازاتهم فذلك إلى الله تعالى الذي على كل شيء وكيل.

فائدة: قصة صواع الملك وإخوة يوسف عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف:٧٥] كان هذا الحُكم مشهورًا بين الأمم بأن من يسرِق يُسترَقّ، كما أن المغلوب في القتال يسترق، وهذا الحكم معروف عند الرومان وغيرهم. ثم قال الله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ

وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٧٦] فهذا إلهام من الله ليوسف عليه السلام وإخوته في وضع الصُّوَاع، وتفتيشه، وحكمِ إخوته على أنفسهم بأن من يوجد برحله فهو جزاؤه، وفي هذا رفعُ درجاتٍ لبنيامين أخي يوسف عليه السلام، لإلحاقه بأخيه في العيش الرفيه، والكمال والحكمة.

وقولهم: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يوسف:٧٧] أي أخ له من أمه وأبيه، لأن أمهما واحدة وهي (راحيل) أما الآخرون فإخوان ليوسف عليه السلام من الأب، وهذا كذب وبهتان فلم يسرق يوسف عليه السلام، وتحمَّل هذه الكلمةَ وأسرَّها ولم يُبدِها لهم وقال: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:٧٧] فحالتكم شر حالة من أخيكم ومن يوسف عليه السلام، وعدم دفاع بنيامين عن نفسه يدل على وجود اتفاقٍ مع أخيه من قبل، على هذا الأمر، بدليل قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [يوسف:٦٩].

وفي القصة: أن يوسف عليه السلام بيَّن لإخوانه لما جاؤوا إليه آخر مرة، يطلبون الميرة ويشتكون من الضر ومعهم بضاعة مزجاة، عن نفسه وأخيه، وقال لهم: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [يوسف:٩٣] جعل إرسال قميصه علامة على صدق إخوته فيما يبلِّغون إلى أبيهم أمر يوسف عليه السلام.

وعدد أخوة يوسف عليه السلام أحد عشر: رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وربولون وجاد وأشير ودان ونفتالي وبنيامين، وأبوه يعقوب عليه السلام وأمه راحيل. وقول يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠] تذكر لنعم الله عليه وإخراجه من السجن، وفي مجيء أبويه وأخوته من البدو، فالحضارة رقي وتقدم ونعمة وأفضلية على البداوة.

فائدة: الله وحده هو المستحق للعبادة

من فوائد الآية الكريمة: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أن الله تعالى الرب الإله المعبود، وربوبيته موجبة لتوحيده وعبادته، فما دام ربًّا فليعبد، ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾.

ومن فوائدها: الأمر بالصبر بجميع أنواعه: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصيته، وصبر على أقداره، لقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾.

ومن فوائدها: كمال الله تعالى في أسمائه وصفاته، وتفرُّده في ذلك، وأنه وحده المستحق للعبادة، فكما خَلُص له الكمال، فلتخلُص له العبادة.

وتدل على بطلان الشرك، فكيف يُشرَك الكامل بالناقص الذي لا يملك شيئًا؟ وكما أنه سبحانه لا سمِيَّ له فلا أحسَنَ من عبادته ولا أنفعَ للعبد من ذلك، وذلك بالإحسان في عبادته، بأن يُعبد كأنه يُرى، وحُسن العبادة أهم من كثرتها، ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ في الدعاء المأثور: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك» [أبو داود: ١٥٢٢، والحاكم: ١/ ٢٧٣، ٣/ ٢٧٣، ٢٧٤، وصححه الألباني] ولم يقل:

وكثرة عبادتك، وقد أمر الله تعالى بالاصطبار على الصلاة خاصة، فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] ومن اصطبر على الصلاة حصل له من الخير نور في قلبه، وذاق لذتها، وباشر حلاوتها، وصارت سببَ فلاحه ونجاحه، ونهته عن الفحشاء والمنكر، وقادته إلى الخيرات كلها.

ومن فوائدها: تفرد الله تعالى بصفات الكمال في الأسماء، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

فائدة: الاستعانة بالصلاة عند المصائب

تُستحب الصلاة عند المصيبة، فإنها تعين صاحبها، لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥] وكان ﷺ إذا حزبه أمر صلى، روى سعيد بن منصور عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان في مسير فنعي إليه ابن له، فنزل فصلى ركعتين، ثم استرجع وقال: فعلنا كما أمرنا الله. ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥] [سعيد بن منصور في سننه: ١٨٩، ٢٣٢].

فائدة: الخديعة من كبائر الذنوب

من أكبر الذنوب: الخديعة لأهل الحق وأهله في الكلام والفعل، والمكيدة لهم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨] فذمّهم على فعل الذنب والإصرار عليه، وعلى المكر والتبييت والتدبير ليلًا، لخديعة المسلمين، فلم يقل: إذ يقولون مالا يرضى من القول، وإنما قال: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨].

وعكس ذلك من ينوي الخير فيؤجر عليه ولو لم يتمكن من فعله،

ويكون ممن اتبع رضوان الله، قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢] وقال: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

فائدة: وجوب الشكر على نعم الله المتجددة

كلما تُجدَّد للعبد نعمة يجب عليه أن يجدِّد الشكر لله، ويذكُره ويسبحه بكرةً وعشيًا، ولهذا لما بشّر الله زكريا بيحيى عليهما السلام أمره الله بتسبيحه بكرةً وعشيًّا، وذلك للشكرِ له سبحانه على هذه النعمة العظيمة، ولهذا قال له: ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١] وأمر قومه بالتسبيح، فقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

فائدة: الله يعين من التجأ إليه بصدق

إذا صدق العبد مع الله وبذل ما يستطيع في طاعته وترك معاصيه، وقام بالاستعانة به، والدعاء والتضرع إليه، فإن الله تعالى - وهو أكرم الأكرمين - لا يخيبه مهما كان عدوه، ولهذا لما صدق يوسف عليه السلام في الالتجاء إلى الله تعالى، من أن يحميَه مما تدعوه النسوة من السُّوء والفحشاء، وطلَبَ السجن الذي هو خير مما يدعونه إليه، استجاب الله له وأنقذه من هذه الفتنة العظيمة، ولو طلب العافيةَ ولم يطلب السجن لكان أكملَ وأولى. ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ○ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [يوسف: ٣٣، ٣٤].

فائدة: أهل الأعراف

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ○ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٦،٤٧] تدل هذه الآيات الكريمة على أن الأعراف جعلها الله مكانًا يوقف به بعض من جعله الله سبحانه من أهل الجنة، قبل دخوله إياها، ومنهم من تساوَت حسناتهم وسيئاتهم - وهو نوع من العقاب - حيث إن الداخلين إلى الجنة متفاوتون في السبق إليها، حسَب أعمالهم، فمنهم من يدخلها بدون حساب ولا عذاب، ومنهم من يعذب ثم يدخلها. ومن العذاب الخفيف: وقوفُهم في الأعراف وتمنيهم دخول الجنة، وخوفهم من دخول النار، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٧] فهم ينادون أهل الجنة من بعيد، ويرجون أنهم صائرون إليها، ويطمعون في ذلك.

فائدة: ما أحل من الزينة

قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١] يستفاد منه: أن الله تعالى عاقب المشركين على شِرْكهم وعِنادهم، وتكذيبهم بعقاب في الدنيا قبل الآخرة حيث وصفوا لأنفسهم شرعًا حرَمهم من طيبات كثيرة، وشوَّه سُمعتهم عند الحُجّاج في تعرِّيهم من اللباس، وشددوا على أنفسهم في تحريم كثير من الطيبات، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام:١٣٩] وغير ذلك: من تحريمهم لبعض الأنعام، والتشدد على أنفسهم.

أما المؤمنون فقد أباح الله لهم الزينة وأكل الطيبات من الرزق، وجعل ذلك لهم في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة، فالمشركون يتورعون من أكل الطيبات، ومن الطواف في البيت بلباسهم، فيطوفون عراةً، ولكنهم يرتكبون أكبر الذنوب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق، والشركِ بالله بما لم ينزل به سلطانًا، والقولِ على الله بغير علم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] وقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨].

فائدة: تكذيب من إدعى أن لله تعالى ولدا

قال الله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥] كذَّب الله مَن يزعم أن له ولدًا في أربعة أمور:

الأمر الأول: أنه قول بلا علم ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ وكل قول بلا علم فهو باطل وضلالة.

والأمر الثاني: أن آبائهم لم يقولوا ذلك، حتى يزعموا تقليدهم، ولهذا قال: ﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾.

والأمر الثالث: أن هذه الدعوى كبيرة جدًّا، كيف تخرج من الأفواه! قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ فكيف ينطقون بها وهي كلمة تكاد السموات يتفطرن منها، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدًّا، أن دعوا للرحمن ولدا، فالله تعالى واحدٌ أحد فرد صمَد لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، ولم يكن له كفوًا أحد.

الأمر الرابع: أنهم كاذبون، قال تعالى: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ وبهذا يتبين أهمِّية توحيد الله تعالى، وأن الانحراف فيه أعظم الانحرافات والافتراءات، والكذب والبهتان الذي تأباه السموات والأرض والجبال والملائكة، ومؤمنوا الإنس والجن والمخلوقات.

فائدة: الرفعة الحقيقية بالعلم والإيمان

الرفعة الحقيقية في الدنيا والآخرة ليست بالمال ولا بالجاه، ولا النسب ولا اللون، وإنما هي بالعلم والإيمان، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم:٥٦] وقال: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٦١] وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة:١٢٠] وقال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:١٦٦] وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]

فالمؤمنون العالمون هم أفضل الناس وأزكاهم، والعلم الحقيقي هو: الذي جاء به رسول الله ﷺ، أما التخرصات والآراء والكلام والجدال، والأفكار والهواجس والخيالات، فليست من العلم في شيء، قال تعالى: ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر:٨٣] وقال: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣] وكل كلام مختلفٍ متناقض فهو جَهْل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

قال ابن القيم رحمه الله:

العـلـمُ قـالَ الله قـال رسـولـه

قال الصحابة ليس بالتَّمْويه

ما العلم نصَبك للخلاف سَفاهةً
بين الرسول وبين رأي فقيهِ

كلا ولا جحدِ الصفاتِ ونفيِها
حذرًا من التمثيل والتشبيه

كما أن الإيمان هو الداعي لمحبة الله ومعرفته، ومحبة الرسول ﷺ والمؤمنين، وكراهية أعداء الدين.

الإيمان هو: القول باللسان، والاعتقاد بالجنان، والعمل بالأركان، ومعرفة ما جاء به الرسول الكريم ﷺ، والتصديق به، والإقرار والانقياد، والخضوع والعمل والدعوة إلى ذلك، والصبر والشكر، والحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله والمنْع له، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ في الظاهر والباطن، وعدم الالتفات إلى ما سوى الله ورسوله ﷺ.

فائدة: مراتب القرب من رضا الله وثوابه

قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤] المعارج: منازلُ ترتقي إليها الملائكة، قرَّبَ بعضهم وشرفه كجبريل عليه السلام، وكذا أرواح أهلِ الجنة تعرج وتصِل إلى درجاتها، وهذا العروج كائن يوم القيامة، وهو اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة، ويدل ذلك على عظمة تلك المنازل، وعروج أهل العالَم الأَشراف إليها، وعظمة وقوعها.

وفي قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج:٣] دلالة على

عظمته سبحانه، وكثرةِ مراتب القرب من رضاه وثوابه، والله تعالى يرفع أهل الإيمان والعلم، حيث قال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وجاء لفظ المعارج في قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٢] وقد حظي رسولنا محمد ﷺ بأعلى الدرجات حيث عُرِج به إلى السموات، وإلى سدرة المنتهى فهو خير خلق الله، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

فائدة: من صفات الإنسان الجزع والهلع

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢١] أي: جنس الإنسان، والهلع: قلة إمساك النفس عند الحَزَن والسرور، وتوقع ذلك، والخوف والجزَع والشَّرَه والضجْر والشح والجبن، ولكن الإنسان يستطيع أن يترك الهلع إذا تدبر العواقب، واتصف بالصفات الآتية المذكورة في الآية: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٢٢-٣٥].

فائدة: تهديد ووعيد من الله تعالى لزعيم قريش (ابن الغيرة)

قال الله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا

عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ١١-٢٦].

هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي زعيمِ قريش، روى ابن إسحاق أنه اجتمع نفر من قريش فيهم أبو لهب وأبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وأمية بن خلف، والعاص بن وائل والمطعم بن عدي فقالوا: إن وفود العرب ستقدم عليكم في الموسم وهم يتساءلون عن أمر محمد ﷺ، وقد اختلفتم في الإخبار عنه، فمِن قائلٍ يقول: مجنون، وآخر يقول: كاهن، وآخر يقول: شاعر تجتمعون عليه، وتسميه العرب به، فقام رجل منهم فقال: شاعر، فقال الوليد بن المغيرة سمعت كلام ابن الأبرص - يعني عبيد ابن الأبرص - وأمية بن الصلت وعرفت الشعر كله، وما يشبه كلامُ محمد ﷺ كلامَ شاعر.

فقالوا: كاهن. فقال الوليد: ماهو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه، والكاهن يصدق ويكذب، وما كذب محمد ﷺ قط.

فقام آخر فقال: مجنون، فقال الوليد: لقد عرفنا الجنون فإن المجنون يخنق فما هو بخَنْقه ولا تخالُجه ولا وسوسته.

فقالوا: ساحر، فقال الوليد: لقد رأينا السُّحَّار وسحرَهم فما هو بنفثه ولا عقده.

وانصرف الوليد إلى بيته فدخل عليه أبو جهل فقال: مالك يا أبا عبد شمس أصبأت؟ فقال الوليد: فكرت في أمر محمد ﷺ وإن أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء

وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فقال ابن اسحاق: فأنزل الله في الوليد بن المغيرة قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ [المدثر:١١،١٢] الآيات، وقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي﴾ تهديد ووعيد لهذا الذي كفر بنعم الله، وسمي وحيدًا لتوحده باجتماع مزايا له، لم تجتمع في غيره من كثرة الولد وسعة المال، والمجد له ولأبيه وأجداده، وكان مرجع قريش في أمورهم، فهو أسن من أبي جهل وأبي سفيان، وكانت غلة ماله ألف دينار في السنة، وامتن الله عليه بنعم عظيمة، منها: البنون الذين يحضرون ويشهدونه، ولا يفارقونه، والغنى، قيل: إنهم ثلاثة عشر ابنًا وكان طماعًا، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدثر:١٥] وكان مكذِّبًا وعنيدًا، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر:١٦] مجادلاً طاعنًا في القرآن وبمحمد ﷺ، مع أنه متحقق من أنه ليس في شيء من ذلك، كما أعلن به قريش، وبعد تفكيره رأى أن يقول: إنه ساحر مستدلًا بأنه يفرق بين الرجل وأبيه، والرجل وأخيه، وهذا من خصائص السحر، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤] وقال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:١٧-٢٥] ومعنى فكرّ وقدرّ :كرر فكره ليبتكر عذرًا يموه به على الناس ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر:٢١] في وجوه القوم وأقوالهم ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ [المدثر:٢٢] قطَّب وجهه ﴿وَبَسَرَ﴾ كلح وتغيّر لونه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [المدثر:٢٣] أعرض متكبرًا عن قبول الحق ثم قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر:٢٤] نعوذ

بالله من الكبر والعِناد.

فائدة: الذكر يجبر ما نقص من العبادة

ذِكر الله تعالى يجبر ما نقص من العبادات ويكملها، ولهذا لما كانت صلاة الخوف فيها نقص بالطمأنينة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣] وذلك لتكميل الناقص فيها، ومن ذلك: أن الرسول ﷺ إذا نسي وقال: ﴿إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف:٢٣] ولم يقل: إن شاء الله، أمره الله تعالى أن يذكر ربه، فقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف:٢٤] وهذا التكميل لما فاته من الكمال، وإذا فعل المسلم عبادة فيها قصور فعليه تكميلها بذكر الله تعالى، فإن الذكر يكمل ما نقص ويجبره، والله أعلم.

فائدة: تعلق همة ابليس بطول العمر

قال تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف:١٤،١٥] انقلبت همة إبليس إلى التعلق بطول العمر، لصغاره وحقارته، بعد ما كان في عزة وشرف مع الملائكة الكرام فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف:١٥] فقد قضى الله وقدّر قبل أن يسأل أنه من الذين أنظِروا إلى يوم البعث، وأنه من جملتهم من قبل حدوث المعصية منه، وأن الله لا يغير ما قدره، فليس هذا إجابة لسؤاله، فهو أهون من أن يجاب طلبه فلم يقل أجبت طلبك.

فائدة: الأرض مقر الإنسان في حياته ومماته

من قوله تعالى لآدم وحواء ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف:٢٥] يفهم أن مقر الإنسان في حياته ومماته،

وخروجه للبعث في الأرض، وأنه لا يمكن أن يستقر في غيرها من الكواكب، وأن المحاولات للاستقرار في الكواكب الأخرى غير مُجدِية ولا ممكنة، فالأرض قرارهم ومنها مبعثهم.

فائدة: لايرى الإنسي الجن على الحقيقة

من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧] نستفيد: أن رؤية ذوات الشياطين والجن على حقيقة خلقها لا تحصل للإنس، إلا إذا تشكَّلت بأشكال جسمانية، كما حصل للنبي ﷺ حيث قال: «إن عفريتًا من الجن تفلَّت عليَّ البارحة، ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد» [البخاري:٤٦١، ٣٤٢٣، ومسلم:٥٤١] وكما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن الذي جاء يسرق من زكاة الفطر فقال الرسول ﷺ: «ذلك شيطان» [البخاري:٢٣١١، وأحمد:٢/٢٩٨].

فائدة: نور الإيمان يظهر علي وجه المؤمن

نور الإيمان في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥] وهذا النور يرى أثره في الوجه، والعين، والقول والعمل، وغير ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠] وقال: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] فالكافر، والمنافق، ومن غلبت عليه الشقوة، والمبتدع، وأهل الأهواء، وأهل الكبائر كأهل الكِبر والعُجب والرياء والحسَد، والفخر والخيلاء،

والذنوب، على قلوبهم رانٌ وحُجب تمنعها عن قَبول الحق والعمل به، وتسود وجوههم بعدما اسودت قلوبهم، نسأل الله العافية.

فائدة: توعد الشيطان لإضلال الإنسان

قوله تعالى عن إبليس: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧] هذه الجهات الأربع يأتي من طريقها الشيطان ويخاتل، ولم يذكر في الآية من فوقهم ولا من تحتهم، إذ أن ذلك ليس من شأن المخاتلة والمهاجمة، وقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧] زيادة في بيان قوة الاحتيال والمخاتلة، حيث لا يفلت من الوقوع في حبائل الشيطان إلا القليل، وإذا استقبل الإنسان الشمس عند شروقها، صارت يده وعينه وأذنه اليمنى تجاه اليَمَن، ويده وعينه وأذنه اليسرى تجاه الشام، وأمامه مشرق الشمس، وخلفه مغربها.

فائدة: كل نفس مرهونة بما قدمت

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ○ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ○ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ○ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ○ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ○ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ○ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ○ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ○ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ○ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ○ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٣٨-٤٨].

قوله: ﴿كُلُّ نَفۡسِۢ﴾ عام أريد به خاص بدليل قوله: رهينة أي: محبوسة ومأسورة، وأصحاب اليمين هم أهل الخير، فهم في الحشر، وفي مناولة الصحف، وفي موقف الحساب، وغير ذلك من جهة اليمين، وغيرهم أهلُ الشر من جهة الشمال.

وقوله: ﴿لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ○ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾ [المدثر:

٤٣، ٤٤] يدل على أن الذي لا يصلي ولا يزكي تناله سقر، حيث قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] وأن الشفاعة لا تنفعه، لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

فائدة: مثل الحياة الدنيا

الحياة الدنيا بالنسبة للحياة الآخرة مثَّلها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤] وبقوله: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠] فلا ينبغي للمسلم أن يغتر في هذه الحياة الدنيا، فهي بالنسبة إلى الآخرة كالمنام بالنسبة إلى اليقظة، وكالظل بالنسبة إلى الشاخص، فهل يساوى بين المقام المؤقت والمقام الدائم، ودار النكد والكبد، بدار النعيم والبهجة؟ وكذا حياة البرزخ للمؤمنين بالنسبة لسجن الدنيا وضيقها، تعتبر حياة طيبة واسعة.

فائدة: من فضله الله ورحمته يضاعف الحسنات

قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٦٠] تدل على عدل الله تعالى وفضله وكرمه، فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ولم يقل: فليس له إلا عشر أمثالها؛ لأن الله تعالى يضاعف الحسنات إلى أكثر

من العشر، وإلى مائة ضعف إلى سبعمائة، إلى أضعاف كثيرة، أما من جانب السيئة فقال تعالى: ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: لا يزاد على السيئة ولا يضاعف العقاب، وفي هذا اهتمام بجانب نفي الزيادة على جزاء السيئات، وأعقب سبحانه ذلك بقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ إظهارٌ لفضله وكرمه، ففضله كبير عظيم، فمن همّ بالحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة كاملة، ومن هَم بها وعملها كتبت له عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هَمَّ بالسيئة فترَكها ولم يعملها كتبت له حسنة كاملة، ومن هم بها وعملها كتبت عليه سيئة واحدة - فأكدها بواحدة تحقيقًا لعدم الزيادة في جزاء السيئة -.

فائدة: تحذير من اقتراب المعاصي والمحرمات

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] في ذلك تحذير من الاقتراب للمعاصي، وسدٌّ للذرائع، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢] فلم يقل: (فلا تأكلا من هذه الشجرة) إذ نهوا عن القرب منها حتى لا يطمعوا بالأكل منها، وهكذا المسلم لا يقرب المحرمات ولا ما فيه شبهة، ولا يدخل في شيء قد يسبب له الوقوعَ في المحظور والظلم والاعتداء، فإن المعصية ظلم لحق الرب تعالى الذي تجب طاعته، وظلم للنفس في إلقائها في العواقب الوخيمة، فمن انتهك المحرمات فهو ظالم في حق الله وظالم لنفسه.

فائدة: خسارة أولياء الشيطان

من قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] نستفيد أن الضلالة حقت عليهم، لأنهم اتخذوا الشياطين أولياء من

دون الله، بعد سماعهم التوحيد والإسلام، وطابت نفوسهم بوسوستهم، وائتمروا بأمرهم، واتخذوهم أولياء، ولم يتفكروا، وأهملوا النظر وطلبَ الهداية والجهادَ في ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩] وقال ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى﴾ [محمد:١٧] فهؤلاء طلبوا الهداية فهداهم الله، أما أولئك فحسبوا أنهم مهتدون ولم يسألوا الله الهداية، فلا عذر لهم، لأن الله نصب الأدلة على الحق فلم يتبعوها.

فائدة: التوكل على الله يحيي القلوب

من توكل على الله تعالى أحيا الله قلبه وعمله، وقولَه وجميع أموره، يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨] فأمر الله تعالى بالتوكل على كامل الحياة، ومن لم يتوكل على الله تعالى أمات الله قلبه وقوله وفعله ودينه ودنياه، فالتوكل يحيي القلوب والأقوال، والدين والدنيا، والأفعال وجميع الأحوال، اللهم إن نسألك توكلاً عليك تحيي به قلوبنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقلَّ من ذلك.

فائدة: تعدد مطالع الشمس ومغاربها في فصول السنة

قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج:٤٠] جمع المشارق والمغارب باعتبار تعدد مطالع الشمس ومغاربها، في فصول السنة المختلفة، وفي هذا دليل على قدرة الله تعالى وحكمته، وعظيم صنعته، ولم يقل: الشمال والجنوب حيث إن الحركات لهذه المخلوقات حافّة بالشمس من المشارق والمغارب ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس:٤٠] وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ

ٱلنُّجُومِ ○ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥،٧٦] وقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ○ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة:٣٨،٣٩] فسبحان خالق هذه الأكوان والبروج التي تسير بأمر ربها، وتسبح في سمائه الواسعة، وهذا الخلق العظيم يدل على عظمة الخالق الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، والذي لا يحاط بشيء من علمه إلا بما شاء.

فائدة: من عمل صالحا فله الجزاء الحسن

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦] يدل على أن الله تعالى يجازي الأمة المستقيمة على الدين جزاءً حسنًا في الدنيا، ورضًا من الله وثوابًا في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

وقد كان العرب في مكة قبل هجرة الرسول ﷺ في بحبوحة من العيش، ولما كفروا وهاجر عنهم الرسول ﷺ ومن معه إلى المدينة دعا عليهم بسنين كسِني يوسف عليه السلام فأصيبوا بالقحط والجوع، قال تعالى: ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا﴾ [الجن:١٧] فمن أعرض وانقلب عن اتباع الحق سلك بالعذاب المتصاعد الشاقّ.

فائدة: القرآن الكريم أعظم البينات

أرسل الله تعالى رسله بالبينات الواضحات وضوحَ الشمس في رابعة النهار، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد:٢٥] وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ○

بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل:٤٣،٤٤] وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [آل عمران:١٨٣] وقال: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [فاطر:٢٥] وأعظم البينات هذا القرآن الكريم الذي جاء به رسولنا محمد ﷺ ونطق بالبينات الواضحات والأدلة والبراهين الساطعات، ولكن الذين ظلموا لا يعترفون بهذه البينات فيقولون كما قال قوم هود: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود:٥٣].

فيقف الرسل متبرئين من قومهم الكافرين، كما تبرأ إبراهيم عليه السلام ومن معه من قومهم، قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] وكما تبرأ هود عليه السلام من قومه حيث قال: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ○ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ○ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٤-٥٦] وكل نبي يتبرأ من قومه الظالمين، ولابد للمسلم من البراءة من الشرك وأهله، والكفر والنفاق، ومن لم يتبرأ من ذلك - ولو آمن بقلبه وناصر المسلمين بماله وجاهه - لا ينفعه ذلك، لهذا لم ينتفع أبو طالب من نصرته للإسلام والمسلمين ودفاعه عن الرسول الكريم ﷺ، لأنه لم يتبرأ من قومه، حيث قال:

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية دينا

لـولا الـمَـلامـة أو حِـذار مَـسـبَّـة
لـرأيـتَـنـي سـمـحًـا بـذاك مـبـيـنًـا

فائدة: المعاصي تفسد الفطرة

من فطرة الإنسان ستر العورة وكراهية ظهورها، وإذا فسدت الفطرة الإنسانية بسبب المعاصي والآثام، ظهرت العورة لدى الرجال والنساء، فلم يعبأوا بظهورها كما هو الحاصل فيمن فسدت فطرتهم في الشرق والغرب، وانظر إلى ظهور عورات النساء المتبرِّجات لمّا فسدت فطرتهن، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف:٢٢] حكايةً عن آدم وحواء عليهما السلام لما حصلت منهما المعصية، من الأكل من الشجرة التي نهى الله الأكل منها، في قوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥] فالعصيان ظلم لحق الله وحق النفس، ولكنهما اعترفا بالذنب، ولم يفعلا مثل فعل إبليس الذي قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:١٢] فتكبر وتجبر، وإنما قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣] فقد تضررا من المعصية بظهور السَّوْءات والهبوط من الجنة، وحصلت لهما فوائد كبيرة، منها: التوبة وعدم الغرور الذي حصل لهما عندما دلاهما الشيطان بغرور، ومنها: ما أنزل الله لهما من اللباس الذي يواري سوءاتِهما والريش، ولباس التقوى، والاعتراف بالذنب، والعبودية لله تعالى.

فائدة: من اتبع الهوى ضل عن الصراط المستقيم

من اتبع الهوى ضل عن الصراط المستقيم، ومن حكم بالعلم والحق المبين والعدل والقسط فقد سلك سبيل المؤمنين، ومن حكم

بالجهل والظلم والباطل والهوى فقد سلك سبيل الشياطين، قال تعالى لداود عليه السلام: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦].

فائدة: النهي عن تمني مافضل الله به بعض الناس عن بعض

إذا مُنِعَ العبد من شيء فرضي بما قسم الله له وسأله من فضله فتح الله له شيئًا أفضل منه وأنفع - والله أعلم بما ينفع العبد - قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٢] فمنع الله تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من مال وصحة وجمال وغير ذلك، وبين أن الله أعلم بما ينفع عبده، فالله سبحانه يعلم من يصلحه الغنى ممن يصلحه الفقر، فهو بكل شيء عليم، وقد منع بعض الناس من الغنى حتى لا يطغوا، ومنع بعضهم من الجاه حتى لا يتكبروا، وإذا أصيب المسلم بمصيبة فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، أخلف الله له خيرًا منها» [مسلم:٩١٨ وأبو داود:٣١١٩ والترمذي:٣٥١١] وللإنسان حظه المكتوب، وله ما اكتسب حسب عمله، ولهذا قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ [النساء:٣٢] فعلى المسلم أن يعمل ويتكل على الله ولا ييأس، ولا يتمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض، وعليه بالرضى بالقضاء والقدر، فالله أعلم بما يصلح العبد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ

ﵟٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰﵞ [طه:١٣١] فمد العين استحسانًا وتشرفًا لما عندهم لا مجرد النظر، ولهذا لم يقل: ولا تنظر، وإنما قال: ﵟوَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَﵞ بأن تتطلع إلى مثل ما أعطوا وتستحسن ذلك، فإن هذا متاع الحياة الدنيا، ورزق ربك في الآخرة خير وأبقى من الدنيا وزخرفها، قال تعالى: ﵟوَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖﵞ [الكهف:٢٨] وقال تعالى: ﵟلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَﵞ [الحجر:٨٨].

فائدة: الدعاء بالخاتمة الحسنة

قول يوسف عليه السلام: ﵟرَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَﵞ [يوسف:١٠١] شكر الله تعالى على نعمتين وهما: نعمة الولاية على الأرض ونعمة العلم بتأويل الأحاديث، وطلب من الله نعمتين هما: أن يميته على الإسلام وأن يلحقه بالصالحين، وأتى الأولين بمن التي للتبعيض، لأن الذي أوتيه بعض من الملك وبعض من التأويل.

فائدة: تكفل الله بحفظ القرآن الكريم

من فوائد قوله تعالى: ﵟإِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَﵞ [الحجر:٩] أن القرآن منزل غير مخلوق، وأن الله تعالى عالٍ على خلقه، وأنه كلامه سبحانه، ويدل على عظمة القرآن ورفعة شأنه أن الله هو الذي تولى إنزاله، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ، وأنه حفظه ويحفظه ولا يستطيع أحد تحريفه وتبديله كما

حرفت الكتب السماوية الأخرى، وأنه مشتمل على جميع ما يحتاجه العباد في الدنيا والآخرة، فهو ذكر الله لعباده إلى ما يحتاجونه، ومن تذكره رفعه الله وشرفه وصار له ذكرًا في العالمين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وأن جميع الذكر في هذا القرآن وما سواه ليس بذكر، فالألف واللام في قوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ تدلان على الاستغراق لجميع الذكر، وأنه كامل في كل شيء، فهو مذكر لهم ولما فطروا عليه من خير، ويوافق للمعقول الصريح والنقول الصحيحة، لا يقربه شيطان، وأنه نزل على أزكى القلوب وهو قلب محمد ﷺ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٤] وأن الله ضمن لرسوله ﷺ قرآنه وبيانه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ○ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨، ١٩] وأنه نعمة عظيمة من الله لخلقه، لا تتغير ولا تتبدل ألفاظه ومعانيه، ولا تخلق ولا تندرس، بل هي غضة طرية، وهذا من أدلة صدقه وصدق ما اشتمل عليه، وصدق رسولنا محمد ﷺ فقد أخبر الرسول ﷺ بذلك، وجاء وفق ما قال، فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: الحمد لله أبلغ صيغ الحمد

الحمد لله أبلغ صيغ الحمد، ولهذا بدأت الفاتحة بها، وهي فاتحة القرآن، وأجل الحمد (الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافىء مزيده) ففيه مجامع الحمد والتسبيح، وخاتمة دعوى أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] وعند الدعاء يقدم الحمد والثناء على الله تعالى، على الصلاة على النبي ﷺ، ثم الخضوع والتذلل قبل طلب الحاجة، ولهذا قدم الخضوع في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

فائدة: مراحل القتال في سبيل الله

القتال مر بأربعة مراحل:

الأولى: التحريم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧].

الثانية: أذن فيه بعد الهجرة، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

الثالثة: فرض لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم، قال تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ﴾ [البقرة: ١٩٠].

الرابعة: فرض قتال المشركين كافة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وقال: ﴿وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ﴾ [التوبة: ٣٦].

فائدة: نسخ وجوب قيام الليل

قال الله تعالى في نسخ وجوب قيام الليل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠] وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليلة بات في بيت خالته ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها قال فيه: (نام رسول الله ﷺ وأهله حتى إذا كان نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله ﷺ ثم وصف وضوءه، وأنه صلى ثلاث عشرة ركعة، ثم نام حتى جاءه المنادي لصلاة الصبح) [البخاري: ١٨٣، ومسلم: ٧٦٣].

ولما قصت حفصة رضي الله عنها رؤيا رآها عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «إن عبدالله رجل صالح لو كان يقوم الليل» فما ترك عبدالله بن عمر قيام الليل بعدها. [البخاري:٧٠٣٠،٧٠٣١، ومسلم:٢٤٧٩].

وقام الرسول ﷺ بالناس وصلى بهم القيام بالمسجد في رمضان، ولما خشي أن يفرض عليهم ترك ذلك، وبعد ذلك قام عمر رضي الله عنه بالناس. وكان ﷺ يقوم قبل نزول هذه الآية، وطائفة من الذين معه، وقالت عائشة رضي الله عنها: (إن فرض الصلوات الخمس نسخ وجوب قيام الليل) وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ ثناء على الرسول ﷺ لوفائه بحق القيام، وجاء في الحديث (أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه) [البخاري:٤٨٣٧ ومسلم:٢٨٢٠] وفي قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:٢٠] حكمة عظيمة ودليل على الأجر الكبير الذي يحصل عليه من احتسب لله في هذه الأمور المرض والاشتغال بالعيش من تجارة وصناعة وحراثة وغير ذلك والقتال في سبيله، وفيها فضيلة التجارة والسفر إليها حيث سوى الله تعالى بين المجاهدين والمكتسبين المال الحلال، وفيه تنويه بفضل ذلك حيث جعلت سببًا للأعذار عن قيام الليل، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «أيما رجل جلب شيئًا إلى مدينة من مدائن المسلمين محتسبًا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء» وقرأ ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠] [الدر المنثور في تفسير

الآية المذكورة نقلًا عن ابن مردويه، وتفسير القرطبي] وعن ابن عمر رضي الله عنهما (ما خلق الله موتة بعد الموت في سبيل الله أحب إلي من أن أموت بين شعبتي رحلي أبتغي من فضل الله ضاربًا في الأرض) [تفسير القرطبي في تفسير الآية المذكورة] وقال تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٣٧] وقال: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء:١٠١] وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: (إن الصلاة فرضت ركعتين، ثم زيد في ثلاث من الصلوات في الحضر، وأبقيت صلاة السفر). [البخاري: ٣٥٠، ٣٩٣٥].

وخير الناس أنفعهم للناس، وإذا صدق الإنسان في بيعه وشرائه بارك الله له، وإذا أنفق من الخير الذي يكتسبه في وجوهه الصحيحة حصل على الأجر الكبير كما في الحديث (ذهب أهل الدثور بالأجور) [البخاري:٨٤٣، ٦٣٢٩، ومسلم:٥٩٥] وإذا وقف أو بنى لله مسجدًا أو أوصى حصل له من الثواب الكبير، قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ﴾ [يس:١٢] فالإسلام دين العمل، والله تعالى لا يضيع عمل عامل من المسلمين يبتغي به وجه الله ويحسنه ويفيد المسلمين منه، فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: المؤمن لاييأس من نصر الله

اليأس آفة سيئة إذا استولى على القلوب قتلها، والمؤمن الحق لا ييأس، ويكون أمله بالله قويًا حتى ولو رأى انتصار الكفار وقوتهم فإن القوة لله جميعًا، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ

يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢] إن العزة لله تعالى، ويجب على المسلمين أن لا ييأسوا من النصر مهما غلب الكفار عليهم، كما يجب عليهم عمل الأسباب والاستعداد بالقوة المعنوية والحسية، فإن الأسباب محل حكمة الله تعالى وأمره، فإذا فعل المسلمون هذه الأسباب وأخذوا بها، نصرهم الله وخذل عدوهم وإن تفوق عليهم ماديًا، وإذا أراد الله أمرًا هيأ أسبابه، قال تعالى: ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ﴾ [الأنفال: ٤٣، ٤٤] وبعض الناس لقلة إيمانه ينظر إلى الأسباب المادية وحدها، ولا يلتفت إلى الأسباب المعنوية التي هي أقوى من الأسباب الحسية، فهذا الذي في الآية الكريمة من تقليل الكفار في أعين المسلمين، وتقليل المسلمين في أعين الكفار صار سببًا من أسباب النصر، ومن أهم أسباب النصر تصحيح العقيدة واجتماع الكلمة وإخلاص النية وتجنب المعاصي والصدقات والدعاء، فهذه أسباب معنوية غفل عنها كثير من الناس وتعلقوا بالأسباب الحسية وحدها.

فائدة: تهديد كفار مكة واخبارهم بحال السابقين

قول الله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] خص الوقتان لأنهما اللذان يطلب فيهما الراحة والدعة والنوم، فإذا وقع العذاب فيهما صار أشد وطأً وتنغيصًا على المكذبين، فالقيلولة من نصف النهار إلى العصر والبيات بالليل، وهذا تهديد لأهل مكة وغيرهم من المكذبين حتى يكونوا على وجل في كل

وقت لا يدرون متى يحل بهم العذاب ولا يأمنون في أي وقت.

فائدة: الأمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ○ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ○ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ○ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل:١-٤] تخصيص للرسول ﷺ في قيام الليل وأمر به، لأن الليل وقت سكوت الأصوات واشتغال الناس فتكون نفس القائم فيه أقوى استعدادًا للعبادة وأقوم قيلًا وأشد وطئًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل:٦] وأمره بترتيل القرآن في قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل:٤] لأن ذلك أكثر فائدة وأرسخ للحفظ والفهم والتدبر، وفي ذلك النطق بحروف القرآن نطقًا واضحًا، وإشباع الحركات والتذكر وعدم النسيان، وأوفق بالمصلي بين اللسان والقلب والنطق بالألفاظ وتفهم معانيها، وأشد أثرًا للخير في نفسه، وأكثر ثوابًا وخيرًا.

فائدة: معنى الهجر

في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزمل:١٠] دليل على أن مخالطة الناس والصبر على أذاهم خير من الانعزال عنهم، وليس معنى ﴿واهجرهم هجرًا جميلًا﴾ ترك دعوتهم إلى الخير، وإنما معناها - والله أعلم - أن لا يسبهم انتقامًا بسبب إعراضهم ولا يجفو معهم ولا يؤذيهم، وإنما يهجرهم هجرًا لا أذية فيه ولا قسوة.

فائدة: أهوال اليوم الآخر

قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ○ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ○ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ○ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ○ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ○ كَلَّا لَا وَزَرَ ○ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ

ٱلْمُسْتَقَرُّ ○ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ٦-١٣].

سؤالهم متى يوم القيامة وما وقته؟ والله تعالى أخفى وقت هذا اليوم وأجابهم بالتهديد والإنذار بما يقع فيه من الأهوال، مثل قول الرجل الذي سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ فقال له: «ما أعددت لها» [البخاري: ٦١٧١] لأن المهم الإعداد للساعة وليوم القيامة لا السؤال عن الوقت، وهذا يسمى باللغة أسلوب الحكيم، وقوله: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي لمع من الفزع والرعب وشدة شخوصه، وقوله: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أي انطمس نوره بسبب زواله عن مكانه ومداره ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي التصقا بسبب اختلال الجاذبية، عند ذلك ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ وليس له نجاة ولا يجد سبيلاً للفرار ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ، فلا جبال ولا حصون يلجأ إليها، فلا يجد إلا النار، ولا مستقر إلا إلى الرب سبحانه وتعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ فهذا مصيرهم، ينبئون بما قدموا وأخروا: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ويجازى على أعماله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧].

فائدة: التجارة الرابحة والتجارة الخاسرة

التجارة تجارتان: تجارة الإيمان بالله ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله بالمال والنفس وهذه تجارة رابحة، وتجارة مشغلة عن طاعة الله، مفوتة للتجارة الرابحة، وهذه تجارة خاسرة، قال الله تعالى في التجارة الأولى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ○ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١٠، ١١] الآيات، وقال عن التجارة الثانية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا

وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة:١١] والمؤمنون الصادقون إذا جمعوا بينهما حصلوا على خيري الدنيا والآخرة، وصارت تجارة الدنيا عونًا لهم على طاعة الله، قال تعالى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور:٣٧] فلم يقل: لا يتجرون ولا يبيعون، وإنما أخبر أنهم لا تلهيهم هذه التجارة الدنيوية عن التجارة الأخروية ولا تشغلهم، فهم يذكرون الله، وقد استنبط العلماء رحمهم الله من عطف البيع على التجارة - مع أن البيع من التجارة - الدلالة على أن التجارة أبركها وأنفعها البيع والشراء.

فائدة: تقليد الأباء و الاجداد مذموم

التقليد المذموم هو تقليد الآباء والأجداد، لأنهم أقدم جيلاً، أو تقليد الكفار والمنحرفين والعصاة في معاصيهم. أما تقليد الصالحين والأئمة ومن هو أهل للتقليد لعلمه ومنهجه السليم وطاعته لله تعالى فهو غير مذموم، إلا إذا ظهر دليل يخالفه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ [الأعراف:٢٨] فالمشركون لم يعتذروا بأنهم وجدوا عليه الصالحين والعلماء الربانيين، ولا أنه كان عليه إبراهيم عليه السلام وأبناؤه والأنبياء عليهم السلام، ومن قلد في أمور الانحراف والفساد والعصيان والعادات السيئة التي لدى الآباء والأجداد فتقليده مذموم، وهو مثل من سن سنة سيئة، وفي الحديث الصحيح «ما من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، ذلك لأنه أول من سن القتل» [الترمذي:٢٦٧٣، وأحمد:١/٤٣٣ وصححه الألباني] وحديث «من سن سنة

سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» [مسلم:١٠١٧، والترمذي: ٢٦٧٥ وأحمد: ٤/ ٣٥٧،٣٥٩].

فائدة: مآخذ الخضر على موسى عليهما السلام

في سورة الكهف كان جواب موسى عليه السلام للخضر عند خرقه للسفينة ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف:٧٣] فاعتذر بالنسيان وفي الثانية عند قتله للغلام بالشرط إذ قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف:٧٦] وفي الثالثة بالإنصات إذ جعل لصاحبه العذر في ترك مصاحبته تجنبًا لإحراجه.

فائدة: جواز سؤال الضيافة

ضيافة العابر السبيل مشروعة، قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فهو صدقة» [البخاري:٦١٣٥ ومسلم:٤٨] وهي من مكارم الأخلاق.

وقول الله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف:٧٧] يدل على جواز سؤال الضيافة، وإباحة طلب الطعام لعابر السبيل، لأنه شرع من قبلنا ولم ينسخ.

فائدة: وجود أعوان للمرء في الدعوة سبب لقوتها

قول موسى عليه السلام لربه: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ○ هَارُونَ أَخِي ○ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ○ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ○ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ○ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه:٢٩-٣٤] فيه فوائد: أن التسبيح لله تعالى إعانة على العمل، وأن الذكر قوة للداعية، وأن وجود أعوان مع المرء في الدعوة سبب من أسباب قوتها وتسهيل لأمرها بتوفير آلاتها ووجود العون عليها

وتكثيرها ومضاعفتها، ولهذا قال الله تعالى له: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه:٤٢] وقال: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٣٦] وأيضًا في التعاون على الدعوة تقليل من الاشتغال بضرورات الحياة، إذ يمكن أن يقتسما العمل الضروري لحياتهما فيقل زمن ذلك وتتوفر لهما الأوقات لأداء الرسالة، وقد اختار موسى أخاه هارون عليهما السلام لفصاحته في القول وقدرته على الكلام والتبليغ ولقرابته وثقته فيه، وقد ورد في الإصحاح السابع من سفر الخروج (فقال الرب لموسى: أنت تتكلم بكل ما آمرك به، وهارون أخوك يكلم فرعون) وهذه منة من الله لموسى عليه السلام لما منَّ عليه مرة أخرى حين أوحى إلى أمه ما يوحى أن تقذفه في البحر، وكذا حين ألقى عليه محبة منه ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩] وهذه عناية من الله، وحين نجاه من الغم بعد قتله للقبطي الذي اختصم مع رجل من بني إسرائيل، وحين رعاه يوم كان لدى مدين قوم شعيب عليه السلام، وزوجه وأطعمه ثم جاء على قدر من الله وقضاء وتدبير منه خاص وعناية بتدرج أحواله إلى أن بلغ الموضع الذي كلمه الله منه واصطفاه لنفسه وأرسله وأخاه هارون عليهما السلام إلى فرعون، وأمرهما أن يقولا له قولاً لينًا لعله يتذكر أو يخشى، فسبحان من لا تخفى عليه خافية ومن يدبر الأمر وييسر الأسباب، نسأله أن يوفقنا لكل خير.

فائدة: من الأدب ترك المجادلة

قول موسى عليه السلام لفرعون حينما سأله: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥١،٥٢] فيه أدب ترك المجادلة، وأن يرجع المرء الأمور لله تعالى

فيقول لما لا يعرفه: الله أعلم. وفي سؤال فرعون حيدة عن الجواب ليشغله بأخبار القرون الأولى حين نهضت حجة موسى عليه السلام، فلو قال موسى عليه السلام إنهم في عذاب لثارت ثائرة أبنائهم وصاروا أعداء لموسى عليه السلام، ومثل ذلك جواب الرسول ﷺ حين سئل عن ذراري المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». [البخاري: ٦٥٩٧، ٦٥٩٨، ومسلم: ٢٦٦٠].

فائدة: دفن الميت واجب في جميع الشرائع

في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] أن دفن الموتى في الأرض هو الطريقة الشرعية لا الإحراق بالنار ولا الإغراق ولا وضعهم في صناديق فوق الأرض، ولهذا حين قتل أحد أبناء آدم أخاه ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١] فالدفن واجب بجميع الشرائع.

فائدة: معا تبة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في تحريمه الحلال على نفسه

ليس من مصلحة المرء أن يحرم على نفسه شيئًا أحله الله له، ولا قربة في ذلك ولا نفع، ولهذا عاتب الله نبيه محمدًا ﷺ في سورة التحريم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١] ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها يفعل الذي هو خير ويكفر عن يمينه.

فائدة: حسن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكمال أدبه

قول الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣] يدل على حسن خلق الرسول ﷺ وكمال آدابه، إذ أعرض الرسول ﷺ عن تعريف زوجه ببعض

الحديث الذي أفشته، ولم يعاتبها بكل ما قالت، ولا شك أن التغافل من فعل الكرام، قال الحسن: (ما استقصى كريم قط) وما زاد على المقصود، ولم يقلب العتاب إلى تقريع، وقصة هذه الآية ما ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ شرب عسلاً عند إحدى نسائه فعلمت بذلك عائشة رضي الله عنها فتواطأت هي وحفصة رضي الله عنها على أن أيتهما دخل عليها تقول له: (إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير) وكان النبي ﷺ يكره أن توجد منه رائحة كريهة، وإنما تواطأتا على ذلك غيرة منهما أن يحتبس عند زينب زمانًا يشرب فيه عسلًا، فدخل على حفصة رضي الله عنها فقالت له ذلك، فقال: «بل شربت عسلاً عند فلانة ولن أعود» [البخاري:٤٩١٢،٥٢٦٧، ومسلم:١٤٧٤] وأراد بذلك استرضاء حفصة في هذا الشأن وأوصاها أن لا تخبر بذلك عائشة رضي الله عنها لأنه يكره غضبها، فأخبرت حفصة عائشة رضي الله عنهما فنزلت هذه الآية.

فائدة: معنى (التحية)

قول الله تعالى عن امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠] التحتية بمعنى الصيانة والعصمة، ومنه قول أنس بن مالك رضي الله عنه في الحديث المروي في الموطأ وفي صحيح البخاري عن أم حرام بنت ملحان: (وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت رضي الله عنه). يروى أن أحد الأمراء من الروافض سأل أحد علماء السنة: من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ فأجابه (الذي كانت ابنته تحته) فظن الرافضي أنه

فضل عليًّا رضي الله عنه، وإنما أراد السني أبا بكر رضي الله عنه فعائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ.

فائدة: وصف عيسى عليه السلام بالعبودية

قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ○ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ○ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ○ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠-٣٣].

في هذا وصف عيسى عليه السلام بالعبودية لله، ألقاه الله على لسانه، لأن الله علم أن قومًا سيقولون إنه ابن الله، وقدر الله أن يؤتيه الكتاب - أي الشريعة التي من شأنها أن تكتب - وهو الإنجيل، وجعله نبيًّا وجعله مباركًا أينما كان، فهو ذو بركة والبركة معه والخير واليمن والرحمة، فقد حلل لهم بعض الذي حرم عليهم، ودعاهم إلى مكارم الأخلاق بعد أن قست قلوبهم، وإذا حل في مكان كان سبب خصبه وهداية أهله وتوفيقهم للخيرات، وإذا لقيه العصاة صلحوا وصاروا أهل حكمة وإيمان، ومن بركته هداية الحواريين الذين كانوا من عامة الناس، وقوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي أن بركته حيثما حل وارتحل، وأوصاه بالصلاة والزكاة والصدقة ما دام حيًّا، ومنحه البر بوالدته ولم يجعله جبارًا متكبرًا غليظًا عنيدًا ولا شقيًا خاسرًا، وقوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] أي ففي ذلك تفضيله على يحيى عليه السلام الذي قال الله فيه: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥] بالتنكير، بينما ورد السلام هنا معرفًا بالألف واللام للعهد، أي يثني الله عليه بالملأ

الأعلى، ومن ذلك قولنا في التشهد: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».

فائدة: أسلوب وأدب الخليل في دعوة أبيه

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ○ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ○ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ○ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ○ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم:٤١-٤٥] خاطب إبراهيم عليه السلام أباه بوصف الأبوة إيماء إلى أنه مخلص له بالنصيحة، فكيف يعبد ميتًا لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئًا عنه، وبين له أنه قد جاءه من العلم ما لم يأته، وأمره بأن يتبعه ليهدى الصراط السوي، وبين له أن ما هو عليه من الشيطان، وأنه يخاف عليه من العذاب، وبين له وعيد الله، وأنه إذا استمر على فعله يكون للشيطان وليًا، وفي النداء ﴿ياأبت﴾ أربع مرات تأكيد لإحضار الذهن، وتأدبًا معه.

فائدة: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ○ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم:٤٩، ٥٠] ذكر الله تعالى إسحاق ويعقوب عليهما السلام ولم يذكر إسماعيل عليه السلام وهو ابنه، لأن إسماعيل عليه السلام وهبه الله لإبراهيم عليه السلام قبل الاعتزال وأمه هاجر، ولما اعتزل إبراهيم عليه السلام زوجته سارة وهي قريبته اعتزلت قومها إرضاءً لربها ولزوجها وهبه الله إسحاق وبعده يعقوب عليهما السلام

جزاءً على مفارقته أباه وقومه ليؤنسوه بدلهم، أما إسماعيل عليه السلام فقد أراد الله أن يكون بعيدًا عن إبراهيم عليه السلام في مكة ليكون جار بيته وهو جوار أعظم من جوار إسحاق ويعقوب عليه السلام أباهما، وفي سورة ص خص إسماعيل عليه السلام وذكر إسحاق ويعقوب عليهما السلام مع أبيهما، فقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ [ص:٤٥] ثم قال: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ﴾ [ص:٤٨].

وقد ذكر الله تعالى إسحاق عليه السلام: ﴿نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١١٢] وإسماعيل عليه السلام: ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات:١٠١] وذكر يعقوب عليه السلام وهو حفيده الذي سر به قبل موته بخمس عشر سنة، ومن يعقوب عليه السلام نشأت أمة عظيمة، ومن إسماعيل عليه السلام نشأت أمة الإسلام، وأفضل خلق الله محمد بن عبد الله ﷺ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات:١١٣].

فائدة: إصطفاء الله تعالى لموسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم:٥١] فموسى عليه السلام كان مخلصًا لله في دعوته إليه، وقد استخف بأعظم جبار وهو فرعون، وجادله مجادلة الأكفاء، كما أن الله اصطفاه لنفسه، فقال: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه:٤١] وفاز بكلامه مباشرةً مع ربه وناداه الله باسمه ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤] وناجاه وقربه ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم:٥٢] ووهب له أخاه هارون عليه السلام معينًا، وكان فصيح اللسان يتكلم بما يريد إبلاغه موسى عليه السلام .

فائدة: خص الله تعالى لإسماعيل عليه السلام بصدق الوعد

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم:٥٤] الآيات، فإسماعيل عليه السلام خصه الله بصدق الوعد والصبر في صبره على الذبح حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢] وأهله هم العرب من قبيلة جرهم الذين صاهرهم وتعلم لغتهم وسكن أرضهم وصار منهم، وبارك الله في نسله وجعل أشرف الأنبياء محمد بن عبدالله ﷺ من ذريته، وجعل الشريعة العظمى على لسان رسول من ذريته ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم:٥٥] وكان رسولاً نبيًّا.

فائدة: ذكر صفات ادريس عليه السلام

عن إدريس عليه السلام الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٦،٥٧] وكان إدريس عليه السلام نبيًّا وصدِّيقًا، ورفعه الله مكانًا عليًا. قيل: إنه يصف ربه بثلاث صفات الوجود والحكمة والحياة، وقيل: إنه أول من وضع للبشر عمارة المدن وقواعد العلم وقواعد التربية والخط والحساب وسير الكواكب والنجوم وعلم الكيمياء والخياطة، ورفع الله منزلته مكانًا عليًّا، وفاق بالعلم من سبقه، ورفعه الله إلى السماء بعد نزع روحه، وفي حديث مالك بن صعصعة في الإسراء بالنبي ﷺ إلى السموات أنه وجد إدريس عليه السلام، وسلم عليه فقال له: «مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح» ولم يقل: والابن الصالح، لأن محمدًا ﷺ ليس ابنًا له، والله أعلم.

فائدة: لا تتنزل الملائكة إلا بامر ربها

قول الله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤] سبب نزولها أن النبي ﷺ ود زيارة جبريل أكثر فقال: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [البخاري:٧٤٥٥ والترمذي:٣١٥٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما] وقوله: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي أمامنا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ أي وراءنا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي اليمين والشمال ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي غافلاً.

فائدة: التحذير من التنازع

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦] تدل هذه الآية على أن الطاعة لله ولرسوله ﷺ ولولي الأمر، وعدم التنازع سبب من أسباب النصر والقوة وعدم الفشل، وأن التنازع والخلاف والخصام والمراء والمجادلة وعدم طاعة الأمير والعلماء والقادة من أسباب الفشل وذهاب الريح والخذلان والانهزام والضعف، وأن على المسلمين التفاهم والتشاور، وأن يتحدث كل واحد منهم عن الحق، ويصدروا عن رأي واحد، ويرجعوا إلى الله والرسول ﷺ، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] وعليهم مساءلة أهل العلم، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] وقال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣] فالتنازع يسبب الفرقة والضعف والفشل، أما طاعة الله ورسوله ﷺ والصبر على ذلك

فتسبب الاجتماع والقوة والنصر.

فائدة: المعاصي سبب لزوال النعم

قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال:٥٣] تدل هذه الآية الكريمة على أن الأمة إذا بطرت النعمة وعظم فسادها تغير ما كانوا عليه من صلاح ومعيشة طيبة وأمن ورخاء وقوة وغلبة إلى عذاب ونقمة وخوف ومرض وجوع وضعف وتغلب الأعداء عليها، وإذا أراد الله إصلاحها جاءهم من يدلهم على الخير ويصلح أمورهم، فإذا اهتدوا زادهم الله هدى وحل بهم الخير والأمن والرخاء والنصر على الأعداء (والله يمهل ولا يهمل) وانظر إلى عز المسلمين يوم كانوا متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما آلت إليه حالتهم من الذل والهوان يوم غيروا نعمة الله عليهم، وكذا الأمم السابقة كبني إسرائيل حين أفسدوا في الأرض سلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، ثم أعقب هذه الآية بقوله تعالى: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنفال:٥٤] فهذه سنة الله وقدره، وهو السميع العليم.

فائدة: الاسلام دين الرحمة والعزة والقوة

الإسلام دين رحمة والرسول ﷺ رحمة للعالمين، ولكنه عند نكث العهود والخيانة يستعمل الشدة، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ○ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال:٥٦،٥٧] ومن هؤلاء الخائنين بنو قريظة الذين نقضوا العهد فجعلهم الرسول

ﷺ مثلاً وعبرةً لغيرهم من الكفار حين حاصرهم ونزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى الذرية، فقتلهم رسول الله ﷺ وكانوا أكثر من ثمانمائة رجل، وكذا عدم الرأفة في إقامة حدود الله، قال تعالى في حق الزناة: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٢] وقال: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة:١٧٩] أما الخيانة فإن الله تعالى لا يحبها، ولهذا أعقب الله تعالى هذه الآية بقوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال:٢٧] وقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧].

فائدة: لا اسلام بلا جهاد الكفار

قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٦] هذه الآية تدل على أنه لابد للمسلمين من الجهاد، وأنه لا يمكن أن يحسبوا أن يتركوا بدون جهاد لأعداء الله وأعداء رسوله ﷺ فيعلم الله وقوع الجهاد وحصوله امتثالاً لأمره، ويعلم الذين لا يتخذون دخيلةً وخديعةً ممن يتخذون ذلك من المنافقين الذين يتخذون أعداء الإسلام أولياء يفضون إليهم بأسرار المسلمين، وكيف يتم ذلك ويترك الأمر بالجهاد مع أن الله تعالى خبير بما يعملون. فلا إسلام إلا بجهاد الكفار، وإذا ترك الجهاد سلط الله على المسلمين الذل والهوان، نسأل الله العافية.

فائدة: العمارة الحقيقية للمساجد

المشركون لا يعمرون مساجد الله عمارةً حقيقيةً، وكذا الكفار عامة واليهود والنصارى والمنافقون، إنما الذي يعمرها عمارةً حقيقيةً ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨] أما سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الحسية كما في الآية ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [التوبة:١٩] فلا تساوي شيئًا إذا لم يؤمنوا بالله واليوم الآخر ويجاهدوا في سبيله، ولا يمكن مساواة هؤلاء الظالمين بالمتقين، وسبب نزول هذه الآية ما رواه الطبري والواحدي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل منهم: (ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج) وقال آخر: (بل عمارة المسجد الحرام) وقال آخر: (بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم) فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: (لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، فاستفتيته فيما اختلفتم فيه قال فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة:١٩] [تفسير الطبري:٦/٣٣٦ برقم ١٦٥٧١] فالله تعالى لا يقبل أي عمل من الكفار ويضاعف الأجر للذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ويبشرهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم.

فائدة: اعظم الظلم اتخاذ الآباء والإخوان أولياء من دون الله

أعظم الظلم اتخاذ الآباء والإخوان أولياء إن استحبوا الكفر على

الإيمان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣] فصيغة الحصر للمبالغة بظلمهم وبيان أن ظلم غيرهم كلا ظلم بالنسبة لعظمة ظلمهم، فلا يجوز توليهم ما داموا كفارًا، فالإسلام حسم الموقف منهم، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

فائدة: قصة ذي النون عليه السلام

في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] فوائد منها: تخصيص ذي النون، وهو يونس بن متى عليه السلام بالذكر لأجل ما في قصته من الآيات في الالتجاء إلى الله تعالى والندم على ما صدر منه من الجزع واستجابة الله له، وذهابه مغاضبًا على قومه لعدم إيمانهم لما أوحي إليه من أن العذاب نازل بهم وذلك قبل أن يؤذن له بالخروج، فعوتب على ذلك، ولما التقمه الحوت وصار في ظلمات ثلاث: ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت وظلمة البحر، نادى ربه ألا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، واعترف بخطئه وأسند إلى نفسه هذا الظلم وأنه واحد من الظالمين، وفي تقديمه الاعتراف بالتوحيد (لا إله إلا أنت) وتأخير التسبيح إقرار بانفراد الله تعالى بالتدبير والقدرة، فاستجاب الله دعاءه،

لأنه كان من المسبحين، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣،١٤٤] فخرج يسبح على شاطىء البحر، وفي ذلك إشارة إلى أن الله ينجي المؤمنين من الغم والنكد والمصائب إذا كانوا من المسبحين وتابوا وأنابوا إلى الله ودعوه والتجأوا إليه وحده لا إله إلا هو.

فائدة: استجابة الله لأنبيائه عليهم السلام

كما استجاب الله ليونس عليه السلام استجاب لزكريا عليه السلام ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٨٩،٩٠] فقد كان زكريا عليه السلام منقطعًا للعبادة، وهو فرد لا ولد له، فأثنى على ربه بأنه خير الوارثين، وأن إرث ربه خير إرث وأبقى، فأصلح الله زوجه بأن جعلها صالحةً للحمل بعد أن كانت عاقرًا، واستجاب الله له كما يستجيب لكل من يسارع في الخيرات ويدعوه رغبًا ورهبًا، وهو خاشع له سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فائدة: فضل الله واكرامه لمريم عليها السلام

وممن أعطاه الله الخير مريم ابنة عمران، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٩١] فكما أن الله يتفضل على الرجال فقد تفضل على مريم، وهي من النساء التي أحصنت فرجها فأكرمها الله بالحمل دون قربان ذكر، وهذا مثال للتكوين الأول، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ

مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] والروح التي نفخت في مريم مخلوقة من الله تعالى كالروح التي نفخت في آدم عليه السلام عندما كان من صلصال من حمأ مسنون، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

فائدة: لا ينتفع بالآيات والأمثال إلا المتفكرون

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] من هذه الآية نستفيد أن التمتع بالدنيا قصير وأنه زائل، وأنها تشبه الزرع النضر الذي ينتهي إلى الحصاد، وتدل على أن أهل الدنيا منكبون إليها، وأن ابتداء أطوار الحياة مثل نزول المطر، وأن نضارة العيش يشبه خروج الزرع واختلاطه بالماء، وأن ما يخرج من المطر يكون للإنسان والحيوان، وكذلك الدنيا يتنعم فيها الإنسان والحيوان بمقدار حياته، وفي هذا تشبيه معالي الأمور بما يتنعم به الإنسان، وسفاسفها بما يتنعم به الحيوان، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ [محمد: ١٢].

قوله: ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾ فيه دليل على أن غالب من بلغ أقصى نعيم الدنيا ينسى المصير إلى الفناء، وأنه كما تصاب الأرض باليبس والفناء فكذلك يصاب الناس، وفيه التنبيه على أن فناء الدنيا متوقع ليلاً أو نهارًا، وفيه تهديد للكفار، كما قال

تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] وفيها الحث على التفكر في قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤] وأن الذين لم ينتفعوا بالآيات ليسوا من أهل التفكر، ولم يفصل الله الآيات لأجلهم، وإنما فصلها لقوم يتفكرون.

فائدة: الجنة والزيادة للمؤمنين

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] الحسنى الجنة، والزيادة قيل: هي رؤية الله تعالى، كما في صحيح مسلم وجامع الترمذي عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ: إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، قالوا: ألم تبيض وجوهنا وتنجنا من النار وتدخلنا الجنة؟ قال فيكشف الحجاب، قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه» [مسلم:١٨١ والترمذي:٣١٠٥ واللفظ له] وقيل: هو رضوان الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢] والأول أظهر.

فائدة: عبر من قصة اخوة يوسف

أهل الغرض الواحد غالبًا يتفقون، وفي قصة أخوة يوسف عليه السلام عبرة في اتفاقهم على إلقائه في الجب إبعادًا له عن وجه أبيهم، وبدأوا بقولهم لأبيهم بالاستفهام عن عدم أمنه إياهم على أخيهم وإظهار نصحهم له ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف:١١] وأكدوا ذلك بالجملة الاسمية وحرف التوكيد ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ [يوسف:١١] ثم بينوا حرصهم على حفظه ونصحهم له وأكدوا ذلك،

وقولهم: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف:١٢] الرتع أكل المواشي والبهائم، واستعير في كلامهم للأكل الكثير، لأن الناس إذا خرجوا للبر أكلوا كثيرًا ولعبوا، فشبه أكلهم بأكل الأنعام وهو الرتع.

فائدة: كرامة الله لمريم عليها السلام

قول الله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم:٢٤] المنادي هو المولود عيسى عليه السلام ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ قبل أن ترفعه تسليةً لها وبشارةً ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ فعندك الماء الجاري، وهو (السري) والطعام الطيب وهو الرطب الجني، وهذه كرامة تدعو للمسرة دون الحزن.

فائدة: حكم من سمع برسول الله ﷺ ولم يؤمن به من أهل الكتابين

الذي يكفر بمحمد ﷺ ولا يتبع رسالته ويزعم أنه إسرائيلي أو مسيحي أو غير ذلك، كافر بالله تعالى وبجميع الأنبياء، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية [الحشر:١١] فسماهم الله تعالى كفارًا وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة، فمن سمع بالرسول ﷺ من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولم يتبعه فهو كافر، ولا يصح أي دين بعد بعثة محمد ﷺ إلا دين الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ﴾ [آل عمران:١٩].

فائدة: التفرق والتشتت يوهن الأمة

قول الله تعالى عن أهل الكتاب وأنصارهم: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ

شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤] هذا أمر للمسلمين بأن يتحدوا ويحذروا التخالف والتدابر ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمائر، يرون رأيًا واحدًا في أصول مصالحهم المشتركة، وإن اختلفوا في خصوصياتهم التي لا تنقص الأصول والمصالح، كما يجب أن تكون القلوب مجتمعة ضد الكفار، قال تعالى عن أهل الكتاب وأنصارهم من المنافقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ ومن عقل وفقه عرف أن التفرق والتشتت في الرأي يوهن الأمة ويفت من قوتها، ولهذا قال تعالى عن المتفرقين: ﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾ وقال: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر:١٣] وحذر المسلمين من مشابهتهم.

فائدة: الجزاء من جنس العمل

الجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩] وقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧] وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠] وقال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧] وقال الرسول ﷺ: «ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله» [البخاري:١٤٦٩ ومسلم:١٠٥٣] وغير ذلك من البراهين والأدلة على ذلك.

فائدة: الإيمان بالبعث والجزاء وارسال الرسل

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام:٧٣] يدل على أن معرفة الشهادة وحدها لا تكفي، بل لابد من علم الغيب من البعث والجزاء وإرسال الرسل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:٢،٣] الآيات، وعصرنا

هذا كثر فيه من يعلم الشهادة ويؤمن بالمشاهدات وحدها، ولا يؤمن بالمغيبات، وحضارة هذا العصر المزعومة عصارة مادية خالية من علم الروحانيات والمغيبات.

فائدة: اعظم من نصر دين الله بعد رسول الله ﷺ أبوبكر

قال الله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥] نصر الله تعالى هو نصر دينه، أما الله تعالى فغني عن النصر، وكذا نصر رسله القائمين لإبلاغ دينه، ونصر الدعاة إليه، ونصر الولاة المحكمين بشرعه، ونصر شرائعه بالجهاد في سبيله والدعوة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعظم من نصر دين الله تعالى بعد نبينا محمد ﷺ في هذه الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتاله لأهل الردة، وقوله: ﴿مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ أي بإخلاص حتى ولو لم يطلع عليه أحد من الخلق أو يرقبه رقيب منهم، والله تعالى هو القوي ذو القوة المتين، شديد العقاب، العزيز له العزة جميعًا، الحكيم في خلقه وتدبيره، وهو القادر على نصر أوليائه وإهلاك أعدائه، ولكن ما يجري في هذا الكون لحكمة أرادها سبحانه، وأصل الشرك إنكار الغيب الذي من آثاره إنكار البعث والجزاء والمغيبات.

فائدة: الرهبانية مبتدعة

من قوله تعالى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ [الحديد:٢٧] نستفيد أن الرهبانية مبتدعة ولم يكتبها الله، فالذي يمتنع عن التزوج خيفة أن تشغله زوجته عن عبادة الله، ويمتنع من مخالطة الناس خشية أن يلهو عن الذكر، ويترك لذائذ المآكل والملابس

والمشارب خشية أن يقع في اكتساب المال الحرام، كل هذا من البدع التي لم يكتبها الله تعالى على المسيحيين ولا على المسلمين، وليست من شرع الله، وحجة هؤلاء الرهبان من الزاعمين أنهم أتباع عيسى ابن مريم عليه السلام قولهم: إن عيسى عليه السلام لم يتزوج، والجواب على ذلك أن ترك التزوج ليس من شؤون النبوة فقد كان لجميع الأنبياء أزواج، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد:٣٨] ولعل عيسى عليه السلام ترك التزوج لعارض أمره الله تعالى به لأجله، والله أعلم.

فائدة: اسماء الله الحسنى

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ○ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٣،٢٤] الملك: الحاكم، القدوس: المنزه عن النقائص، السلام: العادل في معاملته للخلق، المؤمن: المنزه عن الجور والظلم، المهيمن: الحافظ لخلقه الرقيب عليهم، العزيز: الذي لا يغلبه ولا يذله أحد، الجبار: القاهر المكره غيره على الانفعال بفعله، المتكبر: شديد العظمة والجلال والكبرياء، الخالق: الموجد للخلق على الصور التي أرادها، البارىء: المخترع بارىء النسمة وفالق الحبة، المصور: مبدع التصوير، وهو العزيز الحكيم، فلا يغلبه أحد ولا يذله، وهو الحكيم في أقواله وأفعاله ذو الحكمة البالغة.

فائدة: سبب نزول سورة المنافقون

سبب نزول سورة (المنافقون) ما روي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري ياللأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دعوى جاهلية؟» قالوا: يارسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: «دعوها فإنها منتنة» (أي اتركوا دعوة الجاهلية) فسمع ذلك عبدالله بن أُبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. [البخاري:٤٩٠٥، ٣٥١٨ ومسلم:٢٥٨٤] فانظر - رعاك الله - كيف أنكر رسول الله ﷺ التفاخر حتى ولو كان بالهجرة والنصرة، فما بالك لو كان بالقبيلة أو الوطنية، إنها منتنة إنها دعوى جاهلية. ومن أحياها فهو من جثى جهنم، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم. وقال ﷺ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم!» [تفسير الطبري:١٢/ ١٠٥ وما بعدها رقم ٣٤١٦٩، والترمذي:٢٨٦٣، وأحمد:٤/ ١٣٠، ٢٠٢] وقال لمن قال: ياابن السوداء: «إنك امرؤ فيك جاهلية» [البخاري:٣٠، ومسلم:١٦٦١] فالناس ربهم واحد وأبوهم واحد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣] وهذه الدعاوى الجاهلية دليل على النفاق وسوء الطوية والطبع على القلب وعدم الفقه في الدين، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨] وفي الآية التي قبلها ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧].

فائدة: وجوب العدل والقسط مع الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨] تدل هذه الآية على وجوب العدل والقسط مع من لم يقاتلنا من الكفار، وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة:٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢].

فائدة: وجوب تدبر القرآن الكريم

التدبر والتذكر والذكرى وإصغاء السمع وإحضار القلب واجب على من يقرأ القرآن، قال تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص:٢٩] وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨] وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

فائدة: آيات البشارة للمؤمنين

آيات البشارة للمؤمنين كثيرة في القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت:٣٠] وقال: ﴿وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ﴾ [الزمر:١٧] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ [يونس:٢] وقال في المجاهدين: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [التوبة:٢١] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ [يونس:٦٣، ٦٤] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤] وقال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ

ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾ [يس:١١] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ [البقرة:٢٥].

فائدة: الفأل خير

البلاء موكل بالمنطق، فلما قال يعقوب عليه السلام: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف:١٣] ذكرهم بالكذبة التي قالوها لأبيهم: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ﴾ [يوسف:١٧] فراجعوه في قولهم: ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف:١٤] وكذا قوله: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ [يوسف:٦٧] فهذا الخوف سبب ما حصل لأخي يوسف عليه السلام الصغير، ولما قال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يوسف:٣٣] حصل عليه السجن، ولو قال: العافية أحب إلي لكان أولى، والله أعلم.

فائدة: قصة بيع يوسف عليه السلام واسترقاقه

قول الله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ﴾ [يوسف:١٩] أي أخفوا التقاطه من البئر خشية أن يكون من أولاد بعض الأحياء القريبين فيطلبونه، ولقلة دينهم لم يعلنوا عنه ويبحثوا عن أهله، وإنما استرقوه وباعوه، واشتراه العزيز بدراهم بخس معدودة وكانوا فيه من الزاهدين، فلم يعلموا عظمة من باعوه، وبعد شرائه طلب العزيز من امرأته أن تكرم مثواه حيث تفرس في ملامح يوسف عليه السلام كماله، ورجا أن يكون له كالولد. وقد أحسن الله ليوسف عليه السلام وآتاه الحكم والعلم وتفسير الأحلام، لأن يوسف عليه السلام محسن، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢].

فائدة: الدعوة بالهداية أفضل من الدعاء على العصاة

لما دعا موسى وهارون عليهما السلام ربهما بأن يطمس على أموال فرعون وملإه، ويشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٨٩] يظهر ـ والله أعلم ـ أن هذا عتاب لهما لدعائهما على قومهما، وكان الأولى أن يدعوا لقومهما بالهداية، كما فعل رسول الله محمد ﷺ حين قال: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» [البخاري:٣٤٧٧ ومسلم:١٧٩٢] وقوله: «لعله يأتي من أصلابهم من يعبد الله» [البخاري:٣٢٣١، ومسلم:١٧٩٥].

فائدة: انذار الكفار بقرب هلاكهم

قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ○ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم:٥٧،٥٨] أي قربت وحان زمانها، والآزفة الحادثة، وهي إهلاكهم في بدر وعذابهم يوم القيامة، ولا يستطيع إزالة وعيدها إلا الله، فوقوعها محقق لا شك فيه، فكيف تعجبون وتضحكون ولا تبكون، ألا تخشون عذاب الله الأليم: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم:٦١] متكبرون فرحون لاهون.

فائدة: معجزة انشقاق القمر

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] انشقاق القمر، روي فيه عدة أحاديث وآثار، قال الواحدي في أسباب النزول [رقم الحديث:٧٧٤] بسنده إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة سحركم، فاسألوا السُّفَّار، فسألوهم فقالوا: نعم قد رأينا.

وروى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت هذه الآية [الترمذي:٣٢٨٦ وصححه الألباني] وفي رواية للترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فِلْقَتينِ...) الحديث [الترمذي:٣٢٨٥ وصححه الألباني] وقيل: اجتمع المشركون بمنى وفيهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل والعاص بن هشام والأسود بن عبد غوث والأسود بن عبدالمطلب وزمعة بن الأسود والنضر بن الحارث فسألوا النبي ﷺ إن كنت صادقًا فشق لنا القمر فرقتين فانشق القمر، وفي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الصحيح أنه انشق فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا اشهدوا» [البخاري:٣٦٣٦،٤٨٦٤، ومسلم:٢٨٠٠] وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما نصف على أبي قبيس ونصف على قعيقعان. [الحاكم في المستدرك:٢/ ٤٧١، والبيهقي في شعب الإيمان:٢/ ٢٦٥ عن ابن مسعود رضي الله عنه].

فائدة: كل شيء بقدر

كل ما خلق الله تعالى خلقه لحكمة بالغة وبقدر معلوم، وليس عبثًا ولا باطلاً وبمقدار، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] وقال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:٨] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥] وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥] وقال النبي ﷺ «وتؤمن بالقدر خيره وشره» [مسلم:٨، أبو داود:٤٦٩٥، والترمذي:٢٦١٠، والنسائي: ٤٩٩٣، وابن ماجه:٦٣] وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ

أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨] وقال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر:٦] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق:٣٨] وقال: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٣] فسبحان من له الحكمة البالغة.

فائدة: المؤمنون أنصار الله في كل الرسالات

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ﴾ [الصف:١٤] أمر الله المؤمنين بنصر الدين، وهو نصر غير النصر الذي بالجهاد، لأن ذلك تقدم التحريض عليه في قوله: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ [الصف:١١] ومن نصر الدين ينصره الله، وقد نصر الله الحواريين الذين مع عيسى عليه السلام حيث صبروا ووقفوا مع عيسى عليه السلام مع أنهم لم يقاتلوا، وعيسى عليه السلام لم يجاهد من عاندوه، فهم أنصار الله وأنصار عيسى عليه السلام بالدعوة إلى دينه والمصابرة عليه، وصحابة رسول الله ﷺ نصروا دينه وجاهدوا أعداءه، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

فائدة: الدعوة لا ينتفع منها المتكبرون

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ﴾ [النجم:٢٩، ٣٠] أي لا تهتم بهم واترك مجادلتهم ولا تستمع لأقوالهم، وليس معناه لا تدعوهم إلى الإيمان، وقد كان ﷺ يدعوهم إليه قبل وبعد نزول هذه الآية، وفي هذا دليل على أن الدعوة لا ينتفع منها المعرضون والمتكبرون والذين يريدون الحياة الدنيا، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾

[النساء:٦٣] وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤] فالذي لا يؤمن بالآخرة ليس عنده علم، وما أكثر الجهلة في عصرنا هذا ممن أوتوا علم ظاهر الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧] إن هؤلاء الذين يخترعون المخترعات والصواريخ والقنابل المدمرة والذين يغزون القمر والكواكب - حسب زعمهم - ما داموا لم يؤمنوا بالله والدار الآخرة جهال، وجهلهم مركب.

فائدة: النهي عن تزكية المرء نفسه

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢] تدل هذه الآية على ضعف الإنسان وأنه نشأ من الأرض ومن التراب الضعيف، ولهذا خفف الله عنهم، فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال:٦٦] فالإنسان لا يتحمل المشاق، وأطوار نشأته تدل على ضعفه، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨] ومن ذلك قوله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج» [البخاري:٣٣٣١، ومسلم:١٤٦٨ والحاكم:٤/ ١٧٤، واللفظ له] ومنه قول موسى عليه السلام لنبينا محمد ﷺ: (إن أمتك لا تطيق ذلك، وإني جربت بني إسرائيل) [البخاري:٣٤٩، ٣٣٤٢، ومسلم:١٦٣، وأحمد:٤/ ٢٠٩، ٢١٠] فلا يجوز تزكية المرء نفسه، أو المدح الزائد عن الحد، أو التسمية بأسماء فيها تزكية مثل (برة) ولهذا إذا أخبر أحد عن غيره بفضل يقول: (ولا أزكي على الله أحدًا) أو (أحسبه كذلك).

فائدة: ذم من يقول مالا يفعل

يروى أن بعض الناس قالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لسارعنا إليها، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ○ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف:١٠،١١] فلما ابتلوا يوم أحد نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ○ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢،٣] تعيرهم بترك الوفاء، وفيه تعريض بالمنافقين الذين يظهرون الإيمان بأقوالهم وهم لا يعملون أعمال أهل الإيمان بالقلب والجسد.

فائدة: المساكن الأبدية في الجنة

خصت المساكن في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [التوبة:٢٤] لأن في الجهاد مفارقة مساكنهم، فوعدوا على تلك المفارقة المؤقتة بمساكن أبدية، وهي القصور التي في الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا﴾ [الفرقان:١٠].

فائدة: أصحاب خمس الغنيمة

قربى الرجل هم عصبة الرجل من أبناء جده الأدنى، وجد النبي ﷺ الأدنى هو عبدالمطلب بن هاشم، وأولاده حرم الله عليهم الصدقة وهم: آل علي والعباس وآل جعفر وآل عقيل وولد الحارث بن عبدالمطلب. وهؤلاء هم قرابته ﷺ، لهم حق خمس الغنيمة ولو كانوا أغنياء، فالغنيمة توزع، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم

مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال:٤١] والذي لله يصرفه لمن يشاء، وقد شاء فوكل صرفه إلى رسوله محمد ﷺ، وإن شئت فقل: القربى بنو هاشم، لأن هاشمًا لم يبق له عقب في زمن النبي ﷺ إلا من عبدالمطلب.

فائدة: يوم الفرقان هو يوم بدر

يوم الفرقان الذي ذكر في الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ [الأنفال:٤١] هو يوم بدر، وهو اليوم السابع عشر من رمضان سنة اثنتين، وسمي يوم الفرقان، لأن الفرقان الفرق بين الحق والباطل، وكان يوم بدر فارقًا بينهما، لأنه أول يوم ظهر فيه نصر المسلمين الضعفاء على المشركين الأقوياء، وهو نصر الحق على الباطل ونصر الأذلة على الأعزة ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ فصارت العزة للمسلمين والذلة للكافرين.

فائدة: وعد الله للأسرى بعوض أحسن إن علم فيهم خيرا

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال:٧٠] لما حزن بعض المشركين من أسرهم في غزوة بدر وفيهم العباس وعقيل بن أبي طالب بن عبدالمطلب ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وغيرهم من أكابر العرب، أمر الله تعالى نبيه بأن يقول لهم: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فمن علم الله في قلبه خيرًا أعطاه الله الإيمان الذي هو خير من الحرية التي أخذت منهم فترة من الزمن، وخير من مال الفدى الذي افتدوا به أنفسهم، وخير من الدنيا وما عليها.

وكثير من أبناء الموالي حسن إسلامهم، وصاروا بعد ذلك قادةً وعلماءَ، وهذا خير لهم من بقائهم مع المشركين على الكفر، وخير من حرية لا إيمان معها.

وإن خانوا الرسول ﷺ فإن الجزاء من جنس العمل فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ﴾ [الأنفال: ٧١] أي لم ينفلتوا من الرسول ﷺ ووقعوا في الأسر.

فائدة: مكانة الهجرة في الإسلام

الهجرة شأنها عظيم ومكانتها سابقة مرموقة، وقد هاجر إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] وهاجر لوط عليه السلام فقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦] وهاجر موسى عليه السلام بقومه، وهاجر محمد ﷺ، وهاجر المسلمون مرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، ومكانتها كبيرة وهي صفة مدح، قال ﷺ: «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار» [البخاري: ٣٧٧٩، ومسلم: ١٠٦١] والمهاجرون والأنصار ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ [الأنفال: ٧٢].

فائدة: علامة وآية لزكريا عليه السلام تدل على حصول المطلوب

قال الله تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠] وفي سورة آل عمران: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [آل عمران: ٤١] طلب زكريا عليه السلام من ربه أن يعين له الزمن الذي يتحقق به هذا الموعود به من

البشارة بالولد، وعلامة ذلك، فأخبره ربه أن علامة ذلك أن لا تقدر على كلام الناس ثلاثة أيام، وليس المراد نهيه عن كلام الناس، والاختلاف بين ثلاث ليال وثلاثة أيام يدل على أنها أيام بلياليها لقوله تعالى: ﴿سَوِيًّا﴾ أي بدون عاهة خرس وبكم، ويشابه ذلك قول الله تعالى لمريم: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم:٢٦] وكان الصمت من صنوف العبادات في الأمم السالفة، وقد آتى الله يحيى عليه السلام النبوة قبل بلوغ سن الأربعين بكثير، وأعطاه الحنان، كما قال تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم:١٣] وأعطاه الزكاة في النفس والنقاء، لقوله تعالى: ﴿وَزَكَوٰةً﴾ وأعطاه التقوى، لقوله: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٣] وأعطاه البر بالوالدين: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وأعطاه الرقة، لقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:١٤] وأعطاه السلام: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٥] وأعطاه الشهادة في مقتبل عمره وباكورة شبابه، وقد ورث والده زكريا عليه السلام، وورث من آل يعقوب عليه السلام النبوة والكتاب، وكان اسم يحيى عليه السلام أول اسم، لقوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٧] وآتاه الله الحكم صبيًا، وهذه كلها مميزات ليحيى عليه السلام الذي ولد من أم عاقر وأب بلغ من الكبر عتيًا، والذي قتله اليهود.

فائدة: الأخذ بالأسباب للحصول على المطلوب

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم:١٦] التصدي لوصفه بأنه شرقي للتنبيه على أصل اتخاذ

النصارى الشرق قبلةً لصلواتهم، قال ابن عباس: إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذ النصارى الشرق قبلةً، لقوله تعالى: ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:٢٥] فيه تعليم للأمم بأن يعملوا بالأسباب للحصول على ما يريدون، لهذا لم يسقط الرطب عليها بدون هز، وهو سبحانه قادر على ذلك، وإنما أمرها وهي المرأة الضعيفة المخاض أن تعمل الأسباب وتهز جذع النخلة، وهكذا أمر الله نبيه موسى عليه السلام إذ قال له: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾ [الشعراء:٦٣] فانفلق بسبب ضرب موسى عليه السلام بعصاه، مع أن الله قادر على أن يجعله يابسًا بدون ضرب العصا، وهكذا في قوله تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفال:١٧] فقدرة الله تعالى هي التي أوصلت التراب إلى عيون القوم، وغير ذلك من الأسباب التي أمر المسلم بعملها للحصول على مقصوده، مع أن الأسباب لوحدها لا تؤثر، والله تعالى قادر على إبطالها، كما أبطل الله إحراق النار عن إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

فائدة: العمل بالقرآن فيه سعادة الدنيا والآخرة

في قوله تعالى: ﴿طه ○ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ○ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه:١-٣] فوائد منها: أن من معه القرآن في قلبه ويتلوه ويعمل به لا يشقى أبدًا، بل هو السعادة بعينها، قال مقاتل: قال أبو جهل والنضر بن الحارث والوليد بن المغيرة والمطعم بن عدي للنبي ﷺ: إنك لشقي، لما رأوا طول عبادته واجتهاده، فأنزل الله تعالى هذه

الآية، وبين أن التوحيد مستقر في الفطرة والإشراك مناف لها، والإسلام تذكير لما في الفطرة وإلى ملة إبراهيم عليه السلام ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه:٣] وليس شقاء كما تزعمون، وقد نهى الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ عن الحزن عليهم بسبب إعراضهم عن الإيمان بالقرآن، فقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦] ووعد الله نبيه بالتأييد وحسن العاقبة وسعادة الدنيا والآخرة.

فائدة: أمر الله تعالى لكليمه موسى عليه السلام بخلع نعله في الواد المقدس

قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه:١٢] أمره الله تعالى بخلع نعليه، قيل: إن نعليه كانت من جلد حمار، لما روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كانت نعلاه من جلد حمار ميت» [الترمذي:١٧٣٤، وقال الألباني: ضعيف جدًا، وتفسير الطبري:٢٤٠٣٢] وقيل: لزيادة الخشوع في خلع النعلين ولطهارة الواد المقدس طوى، وهو واد مطهر منزه من النجاسة لما حل فيه من الأمور المعظمة، وهو هنا حصول الكلام من قبل الله تعالى في ذلك الوادي: ﴿طُوٗى﴾ وهو وادٍ مقدس.

فائدة: الخشوع في الصلاة

من أهداف الصلاة ذكر الله تعالى وعدم نسيانه من القلب أو اللسان، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤] فالخشوع في الصلاة هو روحها، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١، ٢] وقال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ○ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤، ٥].

فائدة: جواز الإجتهاد في الأمور العظام لمن هو أهل لذلك

قول الله تعالى على لسان هارون عليه السلام: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه:٩٤] فيه اجتهاد من هارون عليه السلام على سياسة الأمة، إذا تعارضت مصلحتان: مصلحة حفظ العقيدة، ومصلحة حفظ جمع الكلمة والأنفس والأموال والأخوة، فرجح هارون عليه السلام الثانية، لأن حفظ العقيدة يأتي فيما بعد، بعد رجوع موسى عليه السلام، بخلاف الفرقة إذا حصلت حصل شر كبير، ولهذا قال: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه:٩٤] فقد خشي الفرقة ورآها أهم، وهذا اجتهاد منه عليه السلام، وهارون عليه السلام كان بإمكانه تركهم واللحاق بأخيه موسى عليه السلام، ولكن ذلك يفضي إلى الاختلاف بينهم وفرقتهم فحافظ على ذلك، وهذا عذر هارون عليه السلام عندما قال له موسى عليه السلام: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه:٩٢،٩٣] ولهذا العذر أعرض موسى عليه السلام عن أخيه والتفت إلى السامري: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ [طه:٩٥] ولم يغلظ عليه كما أغلظ على أخيه هارون عليه السلام فأمسك بلحيته ورأسه، لأن السامري جاهل وليس من بني إسرائيل، وإنما كان من الأقباط، وشريعة موسى عليه السلام كانت لبني إسرائيل، ولهذا أمره موسى عليه السلام أن يذهب عنهم ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ﴾ [طه:٩٧] فقد عاقبه الله بالهوس والوسواس والتوحش من الناس، لا يخالطهم ويعيش وحده ولا يترك أحدًا يقرب منه، وفي الآخرة موعد لن يخلفه: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ﴾ [طه:٩٧] وفي

الدنيا إحراق العجل وذر رماده في البحر ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه:٩٧].

فائدة: منة الله على العرب بإنزال القرآن بلغتهم

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه:١١٣] سمي قرآنًا، لأنه نظم على أسلوب تسهل قراءته وتلاوته لتناسب حروفه، ونكر لإفادة الكمال، أي أكمل ما يقرأ، وقوله تعالى: ﴿عَرَبِيًّا﴾ وصف يفيد المدح، لأن اللغة العربية أبلغ اللغات وأحسنها وأفصحها، وهذه منَّة على العرب وذكر لهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:١٠] وهذا القرآن هو الذي حفظ اللغة العربية من الضياع والاندثار، فلا تجد لغةً غير العربية إلا اندثرت، ولا يمكن أن تبقى مدة طويلة كما بقيت اللغة العربية، يفهم أهلها لغة ما قبل الرسالة وما بعدها لحفظ القرآن لها، فما كتب منذ خمسة عشر قرنًا يفهمه أهل هذا العصر، بينما اللغات الأخرى لا يعرف أهلها ما كتب منذ قرون قليلة.

فائدة: نسيان آدم عليه السلام العهد

نسيان العهد لآدم عليه السلام عدم عزم منه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه:١١٥] فلم يجد الله لآدم عليه السلام امتثالًا للأمر بعدم الأكل من الشجرة، قال الله عنه: ﴿فنسي﴾ أما أولو العزم فقد امتثلوا عهد الله، قال الله فيهم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥] وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ إشارة إلى قصة هارون عليه السلام مع السامري،

حيث إن هارون عليه السلام لم يكن من أولي العزم.

فائدة: منافع الحديد

ورد الحديد في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦] ولم تسم به، وإنما سميت سورة الكهف للاهتمام بقصة أهل الكهف، وسميت سورة الحديد به، لأن الحديد الذي ذكر بها مراد به حديد السلاح من سيوف ودروع وغيرها، حيث ألهم الله الناس هذه الصناعة ليحصل لهم به المنافع والدفاع عن أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فائدة: حسرة الظلمة يوم القيامة

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ○ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٤، ١٥] المعنى: فما زالوا يكررون مقالتهم تلك حتى هلكوا عن آخرهم، وسمى الله ذلك القول دعوى، لأن المقصود منه هو الدعاء على أنفسهم بالويل، وهو دعوى، فهم لم يكفوا عن ظلمهم، وإنما هذا دعوى منهم حتى صيرهم الله حصيدًا خامدين فأهلكهم.

فائدة: إعراض الكفار عمن يدعوهم لمعرفة الله

قول الله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤] معنى ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أنهم لا يتطلبون علم الحق بدليل ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي معرضون عن النظر في الأدلة التي تدعوهم إلى معرفة الله والنظر في آياته، وقوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ يدل على أنه يوجد القليل ممن يبحث عن الحق منهم، مثل عمر بن الخطاب رضي الله

عنه حين وجد اللوح عند أخته مكتوبًا فيه سورة طه واستماعه، ثم أسلم بعد ذلك.

فائدة: أعظم البهتان أن جعلوا لله ولدا

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ﴾ [الأنبياء:٢٦] المراد قولهم: اتخذ الله بنات، لقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥۙ﴾ [النحل:٥٧] والولد يشمل الذكر والأنثى، وقوله ﴿سُبْحَٰنَهُۥۙ﴾ تنزيهًا له عن ذلك، فإن اتخاذ الولد يدل على الافتقار إلى الكمال، ولهذا قال تعالى في سورة يونس: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّۖ﴾ [يونس:٦٨].

فائدة: حياة الخلق بالماء

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠] في ذلك عبرة لمن يعتبر، فكل حي من المخلوقات لا يمكن استمرار حياته إلا بالماء، فالحيوانات والنبات والحشرات لا توجد ولا تتناسل إلا بالرطوبات والماء، وقوله: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ إنكار عليهم عدم إيمانهم وهم يرون ذلك في أنفسهم وفي جميع المخلوقات، فهي كلها لا تحيى إلا بالماء، ولو فقد الماء عنها لماتت، فسبحان الخالق العليم.

فائدة: آيات الله في السموات والأرض

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ○ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٣١،٣٢] لما ذكر رواسي الأرض امتن على المخلوقين فيها بقوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ وبكونها ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ ولهذا

قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ولما ذكر السماء وأنها سقف محفوظ قال: ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ فَلامَهم على الإعراض عن التدبر في آيات خلق السموات التي حفظها من أن تقع على الأرض فتهلك من فيها، وتشمل آيات السماء: الشمس والقمر والكواكب والشهب وسيرها وشروقها وغروبها وظهورها وحسابها القويم وترتيبها العجيب والسحاب والبرق والرعد، وفي هذا دلالة على عظمة الله وحكمته، ولهذا سماها: ﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ [النور: ١].

فائدة: سبب تأخير العذاب عن المشركين

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩] جواب عن قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٨] فسبب التأخير كلمة سبقت من الله بذلك لحكم يعلمها، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبإ: ٣٠] وقد أنظر الله قريشًا فلم يعجل لهم العذاب، لأنه أراد أن ينشر الإسلام بمن يؤمن منهم وبذرياتهم، وكان عذابهم القتل والأسر لوجود الرسول ﷺ فيهم ولاستغفارهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] وقد كان ذلك العذاب في غزوة بدر في الدنيا وفي الآخرة العذاب الأليم، لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ [الفرقان: ٧٧] كما أمر الله تعالى رسوله بالصبر على ما يقولون، وأمره بالتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل وأطراف النهار، وهذه أوقات الصلوات الخمس، فوقت الصبح قبل طلوع الشمس، ووقت الظهر والعصر قبل

غروبها، ووقت المغرب والعشاء من آناء الليل، وأمره بأن لا يمد عينيه إلى متاعهم الدنيوي، وأن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها، وفي هذا تثبيت لقلبه، وعلى كل داعية أن يأخذ بهذا العلاج، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:١-٥] فالصلاة والتسبيح وقيام الليل علاج لكل مصيبة وأذى يحصل للداعية إلى الله تعالى.

فائدة: لله وحده صفات الكمال

قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد:٣] فهو الأول الأزلي الذي ليس قبله شيء، السابق في الوجود على كل موجود، وهذا الوصف يستوجب أنه غني غنىً مطلقًا لا يحتاج لأحد، فهو الواحد له صفات الكمال، أما الآخر فمعناه الذي ليس بعده شيء، فهو الذي (يرث الأرض ومن عليها) ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص:٨٨] فوجوده مستمر لا يزول، ولا ينتابه العدم، أما الظاهر فهو غير خفي، أدلة صفاته لأهل النظر والاستدلال والتدبر بينة واضحة، قدير عليم حي مميت مريد خالق رازق واحد قديم غني غالب كامل ليس فوقه شيء، أما الباطن فهو الخفي محجوب عن إدراك الحواس الظاهرة ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] لا مطمع لأحد في إدراك ذاته ولا معرفة تفاصيل تصرفاته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] فهو جامع بين الصفتين: الأولية والآخرية والصفتين: الظهور والخفاء ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩] وهو سبحانه الرؤوف الذي يكره

إصابة خلقه بضرر، والرحيم بعباده يحب إيصال الخير إليهم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد: ٩].

فائدة: القرض الحسن

القرض الحسن هو القرض المستكمل المحاسن، فهو عن طيب نفس وبشاشة في وجه المستقرض، وخلو عن كل ما يعرض للمنة، أو استكثار القرض، أو تضييق أجل القضاء، قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد: ١١].

فائدة: ذكر اربع صفات للمنافقين

ذكر الله تعالى أربع صفات للمنافقين في سورة الحديد ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ [الحديد: ١٤] **فتنوا** أنفسهم بعدم قرار ضمائرهم على الإسلام، **وتربصوا** بانتظارهم الضرر بالمسلمين وهزيمتهم، يتربصون بهم الدوائر ويتمنون فرقتهم، **وارتابوا** أي شكوا وقعدوا عن الجهاد، فهم في ريبهم يترددون، **وغرتهم** الأماني، فقد كانوا يمنون أنفسهم من أنهم على الحق، وأن انتصار المؤمنين عرض زائل، كقولهم ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ [المنافقون: ٨] وقولهم: ﴿لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٧] وقولهم: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ [المنافقون: ٧].

فائدة: الحض على خشوع القلب ومحاسبة النفس

قول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] ثم قال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ [الحديد: ١٧] يدل ذكر الآية الثانية على شيء يعرفه العرب، ومع ذلك بدأه تعالى بقوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ لبيان الدلالة على التمثيل بين إحياء

الأرض بالمطر والماء، وبين إحياء القلوب بالذكر وتدبر القرآن، ولهذا قال: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الحديد:١٧] ومثل هذا قول النبي ﷺ لأبي مسعود رضي الله عنه: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» [مسلم:١٦٥٩، وأبو داود:٥١٥٩، والترمذي: ١٩٤٨] ويسمى هذا استعارة تمثيلية مكنية، وذلك بتشبيه حال ذكر الله والقرآن في إصلاح القلوب بحال المطر في إصلاح الأرض بعد جدبها، ومن ذلك قوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا من بعدي: كتاب الله وسنتي» [أبو داود:١٩٠٥، وابن ماجه:٣٠٧٤، ومالك في المؤطأ:١٦١٩، والحاكم:١/١٩٣ وصححه الألباني] وقوله: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب» الحديث. [البخاري:٧٩، ومسلم:٢٢٨٢].

فائدة: مثل الحياة الدنيا وأطوارها

ضرب الله مثل الحياة الدنيا وأطوارها المختلفة من طفولة وصبا وشباب وكهولة وهرم ولعب ولهو وتكاثر بالأموال والأولاد ففناء وموت، ومن إقبال وإدبار بأطوار الزرع، قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ [الحديد:٢٠] وقوله: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي أن الزرع إذا هاج وغلظ يكون لحركته صوت، فكأنه يهيج ويثور ثم يبتدئ باليبوسة والصفرة، وهكذا الدنيا نهايتها بعد العز، شيخوخة وهرم وضعف ومرض وفناء وزوال، وهذا المثل لأعمال الدنيا، أما أعمال الآخرة فلا تدخل في هذا

التمثيل كأعمال البر والعلم والعبادة، فهذه لا نقص فيها ولا فناء، وإنما تزداد وتنمو، ويجدها الإنسان في دار القرار ويوم الحساب مضاعفة.

فائدة: إذا قويت شوكة الكفار لا يراعون عهدا ولا ذمة

قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة:٨] أي أن المشركين والكفار لو انتصروا على المسلمين لنقضوا العهود التي بينهم وبين المسلمين ولم يراعوها ولم يوفوا حق الحلف ولا العهد ولا النسب ولا القرابة ولا الأواصر من الصحبة والخلة ولا الجوار، ولم يلتزموا بشيء تعاقدتم معهم عليه، فليس لهم وفاء.

والإل: الحلف والعهد والنسب والقرابة. والذمة: الصحبة والجوار، والخلة: الصداقة، فالخيانة متأصلة فيهم لسوء طويتهم وبغضهم للمؤمنين.

فائدة: جواز افساد مصالح العدو لإلقاء الرعب في قلوبهم

في سورة الحشر يقول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر:٥] هذه الآية تدل على جواز قطع نخل العدو وإفساد مصالحه، إذا كان الغرض منه إخزاء الفاسقين وإلقاء الروع في قلوبهم حال الحرب وإصلاح المسلمين وعزهم، فإتلاف بعض المال لإنقاذ باقيه جائز، وقد أحرق وقطع المسلمون نخل بني النضير، قال أبو سفيان رضي الله عنه:

أدام الله ذلك من صنيع
وحرَّق في نواحيها السعير

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

تفاقد معشر نصروا قريشًا
وليس لهم ببلدتهم نصيرُ

وهان على سَراة بني لؤيّ
حريق بالبُوَيرة مستطيرُ

فإذا دعت المصلحة قطع ثمار العدو أو إحراقه وتخريب ديارهم ومنازلهم وإتلاف أموالهم جاز للمصلحة.

وما حدث في حصار بني النضير يدل على ذلك، فإن بني النضير قبل أن يستسلموا اعتصموا في قريتهم فحاصرهم المسلمون وكانت حوائطهم خارج قريتهم اسمها (البويرة)، فقطع المسلمون بعض نخلهم دون أمر من النبي ﷺ لتخويف عدوهم ونكاية به، فقالت اليهود: يامحمد ألست تزعم أنك نبي تريد الصلاح، أفمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك إباحة الفساد في الأرض؟! فأنزل الله هذه الآية التي بينت أن القطع وتركه بإذنه تعالى لإخزاء الفاسقين، فما قطع المسلمون من نخل أو أحرقوا من شجر أريد به إلجاؤهم إلى الاستسلام وإلقاء الروع في قلوبهم وإذلالهم، بأن يروا أكرم أموالهم عُرضة للإتلاف بأيدي المسلمين، وما أبقي فلم يقطع أل إلى المسلمين فيما أفاء الله عليهم، فكلا الحالين القطع والإبقاء مصلحة، وكلاهما تخيير للمسلمين، وهذا الأمر وأمثاله حسب المصلحة وحسب اختلاف الأحوال. وحسب الطاعة للقيادة والقدرة، وليس هذا عامًا في كل الأحوال والأزمان،

فقد حذر الله تعالى من الإفساد في الأرض، فقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

فائدة: بموالاة الكفار تحصل الفتنة في الدين

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٣] إذا والى المسلمون الكفار وسكنوا معهم وخالطوهم ولم يهاجروا عنهم إلى دار الإسلام حصلت الفتنة في الدين، وجذبت نفوس المسلمين إلى الإعجاب بالكفار ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾ [البقرة:١٩١] قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٌ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ [البقرة:١٠٢] فيحصل الفساد الكبير والفتنة في الأرض، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

فائدة: من فوائد الجهاد

من فوائد قتال الكفار تعذيبهم وإخزاؤهم ونصر المؤمنين عليهم، وشفاء صدور المسلمين، وإغاظة قلوب الكفار، وإذهاب غيظ قلوب المؤمنين، وتوبة الله على من يستحق التوبة وهدايته للإسلام وغير ذلك، وقد ذكرت هذه في الآية ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ○ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].

فائدة: دوام إعجاز القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣] وقد حصل هذا،

فدانت جزيرة العرب كلها للإسلام، كما قال رسول الله ﷺ: «لا يبقى دينان في جزيرة العرب» [السنن الكبرى للبيهقي:١/٤٥٣،٢/١٣٥،٩/٢٠٨] كما ظهر الإسلام على الدين كله في العالم باتباع أهل الملل للإسلام في سائر الأقطار بالرغم من كراهية أقوامهم وعظماء مللهم ومقاومتهم إياه بكل حيلة، وبان فضله على الأديان لسلامته من الخرافات والأوهام، وكل ما عندهم من صلاح بسبب ما حاكوه من أحوال المسلمين، فالإسلام أشرف الأديان ومعجزته دائمة، وهي (القرآن) إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي معجزة تدرك بالعقل، ويستوي في إدراكها جميع العصور والأمم والبلاد لخلوه من العيب ومن إثبات مالا يليق بالله تعالى، ولعدم المشقة في تكاليفه، ولعدم معارضته للحياة الدنيا وتقدمها، ولا يلزم من إظهاره على الأديان أن تنتهي الأديان كلها.

فائدة: كنز المال في الدنيا سبب لحصول العذاب في الآخرة

قد يرفع الناس أقوامًا لعلمهم، وقد يرفعون آخرين لمالهم، ولكن العبرة في الصدق بالعلم والإنفاق من المال في وجوه الخير، ولهذا قال تعالى عن علماء السوء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة:٣٤] وقال عن أهل الأموال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التوبة:٣٤] والمراد بكنز المال عدم إخراج الزكاة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه، ثم

يقول: أنا مالك، أنا كنزك» [البخاري:١٤٠٣ والنسائي:٢٤٨٢].

وقوله تعالى عن المال المكنوز من الذهب والفضة: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٥] المراد تعميم جهات الجسم بالكي: الجباه والجنب اليمين واليسار والظهور، ليحصل لهم ألم الكي في جميع أبدانهم، وليذوقوا ما كانوا يكنزون، أي يذوقوا عذابه.

فائدة: فضل بعض الأزمنة والأمكنة على بعض

فضَّل الله تعالى بعض الشهور والأوقات على بعض كالأشهر الحرم ويوم الجمعة وليلة القدر والعشر من ذي الحجة وشهر رمضان، وفضل بعض الأمكنة على بعض كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، وفضل بعض الناس على بعض كالأنبياء، وأفضلهم نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ﴾ [التوبة:٣٦] وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، وعددها منذ خلق الله السموات والأرض اثنا عشر شهرًا، وحرمت الأربعة منذ أن شرع الله لإبراهيم عليه السلام إقامة الحج، قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ [المائدة:٩٧] وذلك لمصلحة الناس وأمنهم.

فائدة: البدن من شعائر الله وفيها خير ومنافع

قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ﴾ [الحج:٣٦] خص الله البدن، لأنها أفضل في الهدي لكثرة

لحمها، وألحق بها البقر والغنم بدليل السنة، فهي معالم تؤذن بالحج ولها حرمتها، ولهذا يجعل عليها علامة إشعارًا لها، وتقلد، فهي من جملة الحرمات، وفيها خير ونفع في الدنيا والآخرة، يذكر فيها اسم الله عند الذبح وتُصَفّ عند الذبح، وقد نحر الرسول ﷺ بيده الشريفة ثلاثًا وستين بدنة، ونحر علي رضي الله عنه ما بقي من المائة بدنة، وأكل من لحمها وشرب من مرقها، وأطعم القانع الذي لا يسأل، والمعتر الذي تعرض للعطاء بالتعريض لا بالسؤال، والبائس الفقير.

فائدة: معنى الإخبات

قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤] الإخبات هو الاتصاف بأربع الصفات المذكورة في الآية، وهي: وجل القلوب عند ذكر الله، والصبر على الأذى في سبيله، وإقامة الصلاة، والإنفاق على المحتاجين ووجوه الخير، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج:٣٥] فهؤلاء لهم البشرى في الدنيا والآخرة، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بمنه وفضله وكرمه وجوده وإحسانه وتوفيقه وهدايته.

فائدة: أول آية أذن فيها بالجهاد

قول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج:٣٩] كان المؤمنون يلاقون من الأذى الشديد في مكة فيأتون رسول الله ﷺ يتظلمون مما حل بهم من الكفار، فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أُؤمر بالقتال» [أسباب النزول للواحدي رقم:٦٢١ بدون إسناد، قال الحافظ في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف:٣/ ١٦١: (لم أجده هكذا) أي مسندًا] فلما هاجر نزلت هذه الآية بعد بيعة العقبة للدفاع عن أنفسهم ودينهم

والحق الذي هم عليه، وهذا الإذن يستفيد منه أهل التوحيد واليهود والنصارى، ولهذا قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾ [الحج: ٤٠] فالصوامع: مكان عبادة الرهبان، والبِيَع: مكان عبادة النصارى، والصلوات: مكان عبادة اليهود وهي الكنائس، والمساجد: مكان عبادة المسلمين، ولهذا قال العلماء: لا يجوز هدم الكنائس التي لأهل الذمة ولا البِيَع التي للنصارى.

فائدة: شروط النصر على العداء

قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١] يدل على أن شروط النصر أربعة: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فمن علم الله منه أنه إذا تمكن في الأرض حقق هذه الصفات نصره الله تعالى.

فائدة: لا يجوز للمسلمين أن يرضوا عن المنافقين

في قوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦] دليل على أنه لا يجوز للمسلمين أن يرضوا عن المنافقين ما دام أن الله تعالى لا يرضى عنهم، وفيه دلالة على ذمهم وقبح فعلهم وكثرة حلفهم وتفضيلهم حب الناس على رضى الله تعالى.

فائدة: فوائد وعبر من قصة ذي القرنين

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ○ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ○ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ إلى آخر الآيات [الكهف: ٨٣ـ٩٨].

اختلف في ذي القرنين، ومن هم يأجوج ومأجوج؟ وأين السد؟ والذي يظهر وتؤيده الأدلة أن ذا القرنين كان ملكًا صالحًا عادلاً ملهمًا، شمل ملكه الأرض وبلغت فتوحاته من المغرب ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وبلاد يأجوج ومأجوج والشرق والغرب، وأنه أقام سدًا يحول بين يأجوج ومأجوج وبين قوم آخرين صالحين، وأن يأجوج ومأجوج قوم يفسدون في الأرض، وأن مع ذي القرنين قومًا أهل صناعة في الحديد والبناء، وأن خبره خفي لا يعلمه إلا القليل، وقد رجح كثير من المفسرين أن السد هو الفاصل بين الصين وبلاد يأجوج ومأجوج - وهم التتار والمغول - وأن أهل الصين أهل صناعة، وذا القرنين ملك من ملوكهم، فملوكهم أهل عدل وتدبير في الغالب، وأن سماتهم تطويل شعر رؤوسهم وجعلها ضفيرتين، ولهذا سمي بذي القرنين، وأن السد العظيم الذي لا يعرف له نظير في العالم هو الموجود في بلاد الصين وبلاد المغول، وهو السور الأعظم، وأن وصفه بذي القرنين وصف لا لقب، وأن اسمه (تسينشي هوانقتي) أو (تسين شي هوانق تي) قال بعض المفسرين: إنه كان موجودًا في سنة سبع وأربعين ومائتين قبل ميلاد المسيح، وكان دين بلاد الصين وقتها (كنفيشيوس) أي المشرع المصلح، وقد مكن الله له في الأرض، وقص الله علينا ما فيه تذكير يتلى في القرآن ويساق خبره لأجل الذكر والموعظة، وهذا الذي ذكر في القرآن عنه جزء من أخباره الكثيرة،

ولهذا قال تعالى: ﴿سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٨٣] أما أهل الكهف فقص الله علينا نبأهم كله، فقال: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣] وقد آتى الله تعالى ذا القرنين من كل شيء سببًا فأتبع سببًا، وغزا العالم شرقًا وغربًا فبلغ بحر الخزر، وهو بحيرة قزوين التي غرب بلاد الصين وهي المقصودة - والله أعلم - بمغرب الشمس، وهي عين حمئة أي غير صافية، وكانت أحوال هذه البلاد في فساد، ولهذا قال الله تعالى له: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف:٨٦] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ○ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف:٨٩، ٩٠] أي شرق الصين، وهو ساحل بحر اليابان (منشوريا أو كوريا) وهي بلاد لا جبال فيها مكشوفة للشمس ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ○ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف:٩٢، ٩٣] أي أن لغتهم مخالفة للغات الأمم لا يعرفها المترجمون لدى ذي القرنين، وهؤلاء القوم مجاورون ليأجوج ومأجوج، وكانوا أضعف منهم فسألوا ذا القرنين أن يحميهم منهم، وكانوا من قبائل الصين المتاخمة لبلاد المغول والتتار، وكانت أعدادهم كثيرة، فبنى السد حمايةً للقوم الصالحين من الصين، ومنعًا لشر المغول والتتار، ثم لما جاء أمر الله غزا التتارُ العربَ والمسلمين في أواخر القرن السادس الهجري، وشُتت ملك العرب بأيدي المغول والتتار من خروج جنكيز خان المغولي واستيلائه على بخارى وديار بكر، وتخريبهم بغداد عاصمة العرب سنة ٦٦٠هـ، وهذا السد موجود إلى اليوم، سمكه عند أسفله ٢٥ قدمًا وعند أعلاه ١٥ قدمًا، وارتفاعه يتراوح بين ١٥ إلى ٢٠ قدمًا، وعليه أبراج من

القراميد، ارتفاع بعضها ٤٠ قدمًا يفصل بين الصين ومنغوليا، وكان يعمل فيه ملايين الخدم، طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة كيلومتر، مبني من الحجارة والآجر والطين، وجعل له أبوابًا من حديد تمنع دخول الناس ولا تمنع الماء، وقد سواها من زبر الحديد والنحاس المذاب، وهذا الردم - والله أعلم - الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها [البخاري:٧٠٥٩ ومسلم:٢٨٨٠] وكان زوال عظمة سلطان العرب على يد المغول والتتار في بغداد.

فائدة: آيات الله في خلق الكون

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣] وفي خلق هذه الموجودات منة من الله، وقدم الليل لأن خلق الليل قبل النهار، فقد أوجد الله الكائنات قبل خلق الأجسام التي تنير على الموجودات، أما خلق الشمس فهو قبل خلق القمر، وفي خلق القمر منَّة من الله حيث أوجد ما ينير على الناس بعض النور في بعض أوقات الظلمة، وفي قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣] أي أن كل المذكورات في فلك لا يصادم فلك غيره، يسير في متسع لا طرائق فيه تلاقيه كطرائق الأرض، فجميع الكواكب تسبح في الفضاء، ولكلٍ مدار خاص. وفي قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ مقلوب مستوي، فحروفها تقرأ من آخرها على الترتيب، كما تقرأ من أولها، ومثلها قوله تعالى: (ربك فكبر) وكلاهما سبعة أحرف، ومثله في لغة العرب: (سر فلا كبابك الفرس) و (دام عُلا العماد) ويسمى بالبلاغة (محسن قلبي) وسماه الحريري

(مالا يستحيل بالانعكاس).

فائدة: بيان موت رسول الله ﷺ كما تموت النفوس

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] يستفاد أنهم لما طعنوا في الرسول ﷺ وفي القرآن وقالوا عنه: ساحر أو شاعر، وعجزوا عن إقناع الناس بذلك ويئسوا، تمنوا موته صلوات الله وسلامه عليه، ولكن الله خيب ظنهم فماتوا قبله، فلم يمت الرسول ﷺ حتى أهلك الله رؤوس الذين عاندوه، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وبين أن البشر كلهم يموتون، فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ثم بين الله تعالى للناس أن ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] وفي هذا بيان أن الرسول ﷺ سيموت كما تموت النفوس، وأن الحياة الدنيا مشتملة على الخير والشر، وأنها دار ابتلاء واختبار، وأن الخلائق كلها ترجع إلى الله وتبعث يوم النشور.

فائدة: كشف أحوال المنافقين المتخلفين

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] نزلت في الجد بن قيس قال: يارسول الله لقد علم الناس إني مستهتر بالنساء، إذا رأيت نساء بني الأصفر افتتنت بهن فأذن لي في التخلف ولا تفتني، وأنا أعينك بمالي، فأذن له، وقيل: إن الذين قالوا جماعة من المنافقين، فقال الله تعالى: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩] فقد احترزوا عن فتنة فوقعوا في الفتنة العظيمة الشديدة فتنة الدين والشرك والنفاق وسوء السمعة بالتخلف والفضيحة والنكد واللعن والبغض من

الناس، والسقوط من أعينهم، والكفر والفسق والنار وعدم قبول ما أنفقوا، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة:٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٤٩] وكل من ترك أمرًا من أوامر الله عوقب بما يكره.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٥٥] يعلِّم الله الأمة بأن ما يرونه من أموال المنافقين وأولادهم لا يوجب الإعجاب، فهو متاع دنيوي عاجل، وهو سبب لعذابهم، فقد خلق الله في نفوسهم الشح والحرص على المال وفتنة توفيره والإشفاق من ضياعه، فهم في عناء وعذاب من جراء هذا المال، وفي كبد في جمعه، وفي خوف من نقصانه، وفي ألم من إنفاقه، فصار عقوبة لهم في الدنيا والآخرة، وفتنة الولد أعظم فتنة، وقد كانوا على خلاف مع أولادهم الذين أسلموا، أمثال خلاف عبدالله بن عبدالله بن أُبي مع أبيه، الذي أوقف أباه عند دخول المدينة حتى يقول: أنا الأذل ورسول الله ﷺ الأعز، وخلاف حنظلة ابن أبي عامر الملقب بغسيل الملائكة مع والده وغيرهما.

فائدة: تسفيه ابراهيم عليه السلام لعقول المشركين

في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣] إخطار من إبراهيم عليه السلام على انتفاء تعدد الآلهة، لأنه أوهمهم أن كبيرهم غضب من مشاركة تلك الأصنام له في المعبودية، وهذا تدرج منه إلى دليل الوحدانية، وقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]

تهكم بهم وتعريض بأن مالا ينطق غير أهل لأن يكون إلهًا، وهذه جعلها إبراهيم عليه السلام كذبة منه، واعتذر عن الشفاعة بسببها، كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: ثنتين منها في ذات الله عز وجل، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفافات:٨٩] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣] وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني) الحديث [البخاري:٣٣٥٨] وفي الحقيقة أنها كلها ليست كذبات، وإنما هي متأولة، فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي مريض من فعلكم، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ أي لعله فعله كبيرهم ما دام لم يحطم كما حطم غيره، وقوله: (أختي) أي في الإسلام. والله أعلم.

فائدة: أول هجرة وأول مهاجر إلى الله

قال تعالى على لسان قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨] تدل الآية على أن من غلب بالحجة وقهر لايجد مخلصًا إلا أن يهلك الغالب ويناصبه العدى ويتشفى منه، كما فعل المشركون من قريش مع رسول الله ﷺ حين عجزوا عن معارضته، وكما يفعل الجبابرة في كل حين، وكان ملكهم النمرود ملك الكلدانيين فأمر الله النار أن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام، ولو قال: بردًا لآذاه البرد، ولكنه قال:

وسلامًا، ونجاه الله من النار فهاجر إلى بلاد الكنعانيين (فلسطين) وهذه أول هجرة في الأرض لأجل الدين، وآمن معه ابن أخيه لوط عليه السلام، وسيصحبه معه هو وسارة إلى الأرض المباركة، ووهب له إسحاق ويعقوب عليهما السلام وجعلهم صالحين وأئمة يهدون بأمر الله ويعبدونه، وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] أي زيادة غير ما وعد به، فإن إبراهيم عليه السلام سأل الله تعالى فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] فوهب الله له إسماعيل عليه السلام، ثم ولد له إسحاق عليه السلام نافلة، وولد يعقوب لإسحاق عليهما السلام نافلة، وهكذا كل من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

فائدة: من فضل الله على لوط عليه السلام أن أوحى الله إليه ونجاه

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤] وقد أرسل لوط عليه السلام إلى قوم غير قوم إبراهيم عليه السلام، وفي موطن غير موطنه بخلاف إسحاق ويعقوب عليهما السلام، وخص ذكر قومه السيء بإتيان الفواحش ولم يذكر الشرك كما ذكر في قصص الأنبياء للاستغناء بذكر الفواحش الفظيعة التي كانت عندهم، وهي من أثر الشرك بالله، ولقد آتى الله لوطًا عليه السلام حكمًا وعلمًا، ونجاه من قرية سدوم وأهلها الذين يعملون السوء، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

فائدة: تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال من سبق من المكذبين

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ

ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢-٤٤] قال تعالى: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ ولم يقل: وقوم موسى، لأن الذين كذبوا موسى عليه السلام الأقباط وليسوا قومه، وإنما هم قوم فرعون، وقال في ختام الآية: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ دون العذاب والعقاب وما أشبههما، لأن هذه الآية وقعت بعد التنويه عن المنكر لينبه المسلمين على أن يبذلوا في تغيير المنكر ما يستطيعون، فإن الله يعاقب عليه بأشد العقاب.

فائدة: عاقبة الظلم والظالمين

قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥] أهلك الله كثيرًا من القرى الظالمة، وهذه عاقبة الظلم والظالمين مثل عاد بالربع الخالي، وثمود في مداين صالح، وطسم وجديس في اليمامة (والقصر المشيد) مثل قصر غُمدان في اليمن، وقصور ثمود في الحِجر، وقصور الفراعنة في صعيد مصر، والقصور التي في حضرموت، وبئر الرس في عدن (حَضور) وهذه أمثلة للقصور والقرى والآبار والمدن التي أهلكها الله بسبب عصيانهم وهي كثيرة، وقد شاهد بعضهم هذه فلم ينتفعوا ولم يعتبروا ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وقد توعدهم الله بالعذاب وهم يستعجلون محمدًا ﷺ به ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧] فالله تعالى يملي للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر، ولن ينفلتوا عن الله (فإليه المصير) وجهنم محيطة بالكافرين الظالمين ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

فائدة: إعداد العدة لكل عصر بما يناسبه

السبق في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال:٥٩] وفي قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ﴾ [العنكبوت:٤] معناه النجاة والتفلت ممن يطلبه ومن سلطته، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال:٥٩] فهم لا يعجزون الله تعالى ولا يسبقونه في الهروب، فهم في قدرة الله تعالى، وسوف يجازيهم متى شاء في الدنيا أو في الآخرة حسب حكمته، وحتى لا يتواكل المسلمون على قدرة الله ويتركوا الأسباب، أمرهم سبحانه بالاستعداد بالقوة، فقال بعدها: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [الأنفال:٦٠] ثم بين فضل النفقة في سبيل الله تعالى، فقال: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦٠] وإرهاب العدو للإسلام والمسلمين مطلوب، ووسائله تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، وفي عصرنا هذا إرهابه يكون بالدبابات والمدافع والطائرات والصواريخ والقنابل وجميع آلات الرمي وغيرها، أما في العصور السالفة فكانت بالسيوف والنبال والرماح والأقواس وأمثالها، أما الخيل فمعقود بها الخير إلى يوم القيامة.

فائدة: لم يعلم إبراهيم عليه السلام بأن الضيوف ملائكة

من قول الله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ○ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ○ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ○ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات:٣١ـ٣٤] هذا القول من إبراهيم عليه السلام والإجابة من

الملائكة، ولم يسألهم إبراهيم عليه السلام إلا بعد أن قدم لهم الضيافة حين علم أنهم مرسلون وأنهم ملائكة، فسألهم عن الغرض الذي أرسلوا من أجله، وهذا من كرم إبراهيم عليه السلام وجريًا وراء سنة الضيافة أن لا يسأل المضيف ضيفه عن الغرض الذي جاء إليه إلا بعد استعداده للرحيل، لئلا يتوهم سآمة مضيِّفه من نزوله عنده، وليعينه على أمره إن كان قادرًا، وقد بشروه بالولد، إلا أنه لا يعلم هل هذا هو كل الغرض الذي جاءوا من أجله، وقد استبعد ذلك، فالملائكة ينزلون إلى الأرض بهذه الصورة لغرض عظيم، قال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر:٨] والقوم المجرمون هم قوم لوط عليه السلام أهل سدوم وعمورية، والحجارة قذفتها الأرض من الجهة التي صارت بحيرة لوط فنزلت عليهم.

فائدة: أنواع العذاب الذي أهلك الله به الأمم السابقة

جاءت قصة قوم موسى عليه السلام وقوم فرعون بعد قصة قوم لوط عليه السلام في سورة الذاريات، قال الله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الذاريات:٣٨] لأن عذابهما كان أرضيًا، إذ كان عذاب قوم لوط عليه السلام بالحجارة التي من الطين، وعذاب قوم فرعون بالغرق في البحر، ثم جاءت بعد ذلك قصة عاد وثمود اللذين كان عذابهما سماويًا، إذ عذبت عاد بالريح وثمود بالصاعقة، وكل هذه القصص ﴿ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الذاريات:٣٧]. الأمم الأربع عذبت بما هو من أسباب وجودها، وهو التراب والماء والهواء والنار، فقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالحجارة وهي من الطين، وقوم فرعون أهلكوا بالماء، وقوم عاد

أهلكوا بالريح وهو هواء، وقوم ثمود أهلكوا بالنار، وهذه كلها من أسباب وجودها.

وصلى الله على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
فائدة: سعة فضل الله ورحمته على أنبيائه وغيرهم ١١
فائدة: الكمال المطلق لله تعالى ١٢
فائدة: مراتب العلم ستة ١٢
فائدة: الحروف المقطعة في أوائل السور ١٣
فائدة: أمر الله للمؤمنين بإفراده بالعبادة ١٤
فائدة: كلما كان العبد أعلم بالله كان الواجب عليه أعظم ١٥
فائدة: تذكير العباد بنعم الله الظاهرة والباطنة ١٥
فائدة: الأمر بالدعاء والوعد بالإجابة ١٦
فائدة: بشرى للتائبين ١٧
فائدة: العين حق ١٧
فائدة: فوائد من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ١٨
فائدة: كل انسان يكلف بحسب قدرته واستطاعته ١٩
فائدة: أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته ١٩
فائدة: الحياة الحقيقية ٢٠
فائدة: مكانة أبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ ٢١
فائدة: فوائد الصلاة ومنافعها ٢٢
فائدة: فوائد وعبر من قصة أسرى بدر ٢٣
فائدة: أسباب خذلان المرء ونجاحه ٢٥

فائدة: حياة القلب بالعلم والإيمان ٢٥
فائدة: إثبات صفة السمع لله تعالى ٢٦
فائدة: من نعم الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ٢٦
فائدة: لله المثل الأعلى ٢٧
فائدة: الأمر بطهارة الظاهر والباطن ٢٨
فائدة: التحذير من عبادة الجن والشياطين ٣٠
فائدة: الأمر بالتعاون على فعل الخيرات ٣١
فائدة: ذم الهوى ٣١
فائدة: ثمرة العلم ٣٣
فائدة: ابتلاء الله عباده بعضهم ببعض ٣٣
فائدة: النسيان دليل على بشرية رسول الله ﷺ ٣٤
فائدة: تكريم الله تعالى لبني آدم ٣٤
فائدة: اعتناء الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ٣٥
فائدة: الغلو مذموم في الشرع ٣٧
فائدة: فوائد وعبر مستفادة من غزوة بدر ٣٩
فائدة: مسؤولية الإنسان وعبوديته تكون حسب قدرته ومكانته ٤٢
فائدة: كل ميسر لما خلق له ٤٣
فائدة: أشياء بارك الله فيها ٤٤
فائدة: المعرض عن ذكر الله يعيش حياة الضنك والقلق ٤٥
فائدة: ثناء الله على نفسه وتسليمه على عباده ٤٥
فائدة: مايحترز به الإنسان من شياطين الإنس والجن ٤٦
فائدة: القياس الفاسد ٤٧

فائدة: وجوب غض البصر ٤٧
فائدة: الله كاف عبده ٤٨
فائدة: الهداية لمصلحة المهتدي والضلال ضرره على صاحبه ٤٩
فائدة: عظمة القرآن الكريم ٤٩
فائدة: بشارة الله لأهل الإستقامة ٥٠
فائدة: لا حول ولا قوة إلا بالله ٥١
فائدة: ذم الكبر ومآل المتكبرين ٥١
فائدة: من فوائد النجوم ٥٢
فائدة: بالإبتلاء يعرف الصادق من الكاذب ٥٣
فائدة: القرآن شفاء وهدى ورحمة ٥٣
فائدة: فضل ليلة القدر ٥٤
فائدة: مآل المؤمنين ومآل الكافرين ٥٤
فائدة: أعظم الغرور ٥٥
فائدة: البركة الحقيقية ٥٥
فائدة: النهي عن سب آلهة المشركين ٥٦
فائدة: المواطن الثلاثة التي يطلب فيهاالسلامة ٥٧
فائدة: الوعيد الشديد لمن ألحد في الحرم ٥٨
فائدة: ثناء الله على القانتين من أهل العلم والعقول ٥٩
فائدة: اختصاص الله تعالى بالغيب ٦٠
فائدة: من نعم الله على العبد أن يوفقه لسماع الحق ٦١
فائدة: مرض الشهوات والشبهات ٦١
فائدة: الشكر من أجلِّ الطاعات ٦٢

فائدة: تقليد الإنسان كتاب اعماله يوم القيامة ٦٢
فائدة: ثناء الله على خليله إبراهيم عليه السلام والأمر باتباعه ٦٣
فائدة: الإيمان بين الخوف والرجاء ٦٤
فائدة: تسمية الأشياء بغير اسمها لايغير شيئا ٦٤
فائدة: الفرق بين الشكر والكفر ٦٥
فائدة: طاعة الله تبيض الوجه والمعصية تسوده ٦٦
فائدة: تمني الظالم يوم القيامة أنه أطاع الله ورسوله ﷺ ٦٦
فائدة: الحث على الإستثناء عند العزم على الفعل ٦٧
فائدة: كل شيء يسبح لله تعالى ٦٨
فائدة: عاقبة الذنوب الختم على القلوب ٦٨
فائدة: الأمر بأكل الحلال وعدم التفرق في الدين ٦٩
فائدة: بيان شناعة عمل قوم لوط ٦٩
فائدة: قرب الله تعالى الخاص بأوليائه وسائليه ٧٠
فائدة: الظلمات والنور من عظيم صنع الله ٧١
فائدة: قصة ثمود قوم صالح ٧١
فائدة: واجبات الأب على أولاده ٧٢
فائدة: المشارق والمغارب دليل على قدرة الخالق ٧٣
فائدة خلق الله بني آد م من نفس واحدة : ٧٣
فائدة: بيان بمآل السعداء والأشقياء ٧٤
فائدة: لايقبل الإيمان بعد نزول العذاب ٧٥
فائدة: إنذار كفار مكة بمثل عذاب من سبق من الامم ٧٥
فائدة: الويل لمن أشرك بالله ومنع الزكاة ٧٦

فائدة: (المنان) اسم من اسماء الله الحسنى ٧٦
فائدة: لايؤاخذ أحد بجريرة غيره ٧٧
فائدة: من سنن الله نصر أنبيائه وإهلاك أعدائهم ٧٨
فائدة: فضل الدعوة إلى الله ٧٩
فائدة: الفرح الممدوح والفرح المذموم ٨٠
فائدة: بداية الخلق ٨٠
فائدة: منافع الظل ٨٢
فائدة: عقوبة الاعراض عن تقوى الله ٨٢
فائدة: اسم رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل ٨٢
فائدة: من أسباب محبة الله تعالى ٨٣
فائدة: مجيء الله ورؤيته يوم القيامة حقيقة ٨٤
فائدة: معنى الطاغوت ٨٤
فائدة: حياة البرزخ ٨٥
فائدة: المرء مع من أحب ٨٥
فائدة: شهادة الجواح يوم القيامة ٨٦
فائدة: شهادة الله لابراهيم بالسلامة من الشرك وحظوظ النفس ٨٧
فائدة: اذا تعلق القلب بالله انشغل بذكره ٨٨
فائدة: حرمة قتل النفس بغير حق ٨٩
فائدة: جزاء الصابرين ٨٩
فائدة: كفى بالموت واعظا ٩٠
فائدة: نفور المشركين من توحيد الله تعالى ٩١
فائدة: الشفاعة لله وحده ٩١

فائدة: القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ٩٢
فائدة: الرضا بالله وبحكمه ٩٣
فائدة: نصر الله لكليمه موسى ٩٤
فائدة: صفات القرآن الكريم ٩٥
فائدة: العمل الصالح يشفع لصاحبه ٩٦
فائدة: النظر إلى آثار المكذبين عبرة لكل معتبر ٩٧
فائدة: الله يجزي كل عامل بعمله ٩٧
فائدة: هداية الله كل شيء إلى ما يناسبه ٩٨
فائدة: مراحل خلق الإنسان ٩٨
فائدة: دقائق صنع الله ٩٩
فائدة: ثلاثة مواطن مظنة الخوف والوحشة ١٠٠
فائدة: التكاليف الشرعية وضعت حسب الإستطاعة ١٠١
فائدة: سؤال قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم آية مثل من قبله ١٠٢
فائدة: الأدب مع الله ١٠٣
فائدة: كل شيء يسبح بحمد ربه ١٠٤
فائدة: حب الله للسائلين ١٠٤
فائدة: التقوى وفوائدها ١٠٥
فائدة: من أسرار حكمة الله في تجهيل الأجل ١٠٦
فائدة: **الناس على ثلاثة أقسام** ١٠٦
فائدة: معاني الروح في القرآن الكريم ١٠٧
فائدة: من مآثر إبراهيم عليه السلام ١٠٨
فائدة: الجهل الحقيقي ١١٠

فائدة: مقت الكافر لنفسه حين يرى العذاب ١١١
فائدة: ميراث الأنبياء ١١١
فائدة: الطاعة الدائمة لله تعالى ١١٢
فائدة: تنزيه الله تعالى نفسه عما لايليق به ١١٢
فائدة: أعم قسم في القرآن الكريم ١١٢
فائدة: مؤمنوا الجن يدخلون الجنة ١١٣
فائدة: يسر الإسلام ١١٣
فائدة: إقامة الحجة والبيان ضرب من ضروب الجهاد في سبيل الله ١١٤
فائدة: الحياتان والموتتان ١١٤
فائدة: من أوصاف القرآن الكريم ١١٥
فائدة: التضرع إلى الله تعالى ١١٦
فائدة: إكرام الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالإسراء والمعراج ١١٧
فائدة: من أسماء الله تعالى (النور) ١١٨
فائدة: سنة الإبتلاء ١١٨
فائدة: الحياة الحقيقة تحصل بالقرآن الكريم ١١٩
فائدة: أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه ١١٩
فائدة: لا طمأنينة إلا بذكر الله ١٢٠
فائدة: البرزخ أول نعيم الآخرة أو عذابها ١٢٠
فائدة: الإنابة إلى الله ١٢١
فائدة: لا احد أظلم ممن افترى على الله كذبا ١٢٢
فائدة: اقتران ذكر التوراة مع القرآن الكريم في أكثر من موضع ١٢٣
فائدة: لله تعالى حكم عظيمة في خلقه ١٢٤

فائدة: القرآن الكريم شفاء للقلوب والأبدان ١٢٥
فائدة: هل التهجد واجب على رسول الله ﷺ ١٢٥
فائدة: فضل القرآن الكريم ١٢٦
فائدة: صفات الحفظة من الملائكة ١٢٧
فائدة: مقت الله للمجادل بغير علم ١٢٨
فائدة: دليل كروية الأرض ١٢٩
فائدة: نصيحة مؤمن آل فرعون لقومه ١٣٠
فائدة: دركات الكفر ١٣١
فائدة: شروط قبول العمل ١٣٢
فائدة: عدم التسوية بين المتقين والفجار ١٣٢
فائدة: التقوى خير الزاد ١٣٣
فائدة: الوعيد من الله بالويل للذين هم عن صلاتهم ساهون ١٣٤
فائدة: جواز طلب الإمامة في الدين والإمارة للدعوة إلى الله ١٣٤
فائدة: الهداية من الله ١٣٥
فائدة: الطهارة الحسية والمعنوية سبب لدخول الجنة ١٣٦
فائدة: الفرق بين الرسل وبين عامة البشر ١٣٦
فائدة: فضل الصبر ١٣٧
فائدة: مضاعفة عقوبة الصادين عن دين الله ١٣٨
فائدة: وجوب التوبة لمن أراد الفلاح ١٣٨
فائدة: المثلية في الأممية بين الدواب والطيور والبشر ١٣٩
فائدة: تحقق نصر الله للمؤمنين في الدنيا والآخرة ١٤٠
فائدة: الذنوب والمعاصي سبب رين القلوب ١٤٠

فائدة: إذا تمكن الايمان في قلب العبد كان ابعد الناس عن الردة ١٤١
فائدة: كل يسأل عن عمله يوم القيامة ١٤١
فائدة: الفرق بين السفر إلى الله والسفر إلى غيره ١٤١
فائدة: لا احد أحب إليه العذر من الله ١٤٢
فائدة: قصة قوم هود ١٤٢
فائدة: قصة أصحاب الأخدود ١٤٣
فائدة: تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم للحبرلموافقة قوله للحق ١٤٤
فائدة: وصف الله تعالى لرسوله وأصحابه بالتقوى ١٤٥
فائدة: تقوى الله سبب لكل خير ١٤٦
فائدة: محبة الله تنجى من عذابه ١٤٧
فائدة: أخذ الله لبني اسرائيل بالصاعقة لسؤالهم رؤية الله ١٤٧
فائدة: هوان الدنيا ١٤٨
فائدة: ما أعده الله لعباده المؤمنين في الجنة ١٤٩
فائدة: ذم الله تعالى من تناسيى ما قدم من المعاصي ولم يتب ١٤٩
فائدة: ذم اليهود والنصارى ١٥٠
فائدة: القرآن الكريم شفاء للامراض الحسية والمعنوية ١٥١
فائدة: الصراط المستقيم هو طريق الله ١٥٢
فائدة: المعاصي تمحق البركة ١٥٢
فائدة: الحنيفية السمحة ١٥٣
فائدة: النفوس ثلاث ١٥٤
فائدة: الشيطان يتسلط على المشركين وعلى من يتولاه ١٥٥
فائدة: المودة الدائمة ١٥٦

فائدة: فضل العلم وأهله ١٥٦
فائدة: سبيل الحق واحد وسبل الباطل كثيرة ١٥٧
فائدة: الظلم محرم ١٥٨
فائدة: حرص رسول الله ﷺ على هداية الخلق وإنقاذهم ١٥٩
فائدة: علم اليقين ١٥٩
فائدة: لا يجوز الاستعاذة بمخلوق ١٦٠
فائدة: خسران النفس والأهل ١٦٠
فائدة: التوكل على الله ١٦١
فائدة: مؤمن آل فرعون ١٦٢
فائدة: الدعوة إلى الله وعدم اليأس من رحمته ١٦٥
فائدة: حرمة المجادلة بغير علم ١٦٥
فائدة: ذكر مغالطات المشركين والرد عليها ١٦٦
فائدة: حكم المحاربين والمعاهدين والمنافقين ١٦٧
فائدة: الإنعام المطلق والمقيد ١٦٧
فائدة: العمل ليس ثمنا لدخول الجنة ١٦٧
فائدة: من مكارم الأخلاق التي امتثلها رسول الله ﷺ ١٦٨
فائدة: تسلية الله لرسوله ﷺ والأمر له بالصبر ١٦٨
فائدة: مراتب الجود ١٦٩
فائدة: يفاجأ أهل النار بالعذاب يوم القيامة إهانة لهم ١٦٩
فائدة: لوكان الرسول ملكا كما سألوا ١٧٠
فائدة: الأمر بالصبر ولزوم الإستغفار ١٧١
فائدة: الشرك الأصغر ١٧١

فائدة: المغترون بالدنيا ١٧٢
فائدة: الذكر الحسن عاجل بشرى المؤمن ١٧٣
فائدة: الأمر بالصدع بالدعوة إلى الله ١٧٣
فائدة: اسم الله الأعظم ١٧٤
فائدة: من فوائد الإستغفار ١٧٤
فائدة: قرناء المشركين من شياطين الانس والجن ١٧٥
فائدة: استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه ١٧٦
فائدة: الفرق بين الرجاء والتمني ١٧٧
فائدة: من أسرا الاستعاذة بالله من الشيطان عند قراءة القرآن ١٧٧
فائدة: فتنة تقديم الرأي على الشرع ١٧٨
فائدة: مثل المؤمن والكافر ١٧٩
فائدة: أنواع الفتن ١٨٠
فائدة: جهاد الكفاروالمنافقين ١٨٢
فائدة: قصر الحياة الدنيا ١٨٢
فائدة: الأمر لرسول الله ﷺ بالإخلاص وأمته تبع له ١٨٣
فائدة: ذم اتباع الهوى ١٨٤
فائدة: صلاة الجمعة ١٨٥
فائدة: الدنيا دار اختباروامتحان ١٨٥
فائدة: اثبات المشيئة للعبد ١٨٦
فائدة: تهديد ووعيد للكفار بالعذاب يوم القيامة ١٨٦
فائدة: أمر الله لنبيه ﷺ بالصبر على أذى المشركين ١٨٧
فائدة: قبح فاحشة الزنا ١٨٧

فائدة: اسباب انشراح الصدر ١٨٩

فائدة: مفاسد الزنا وقذف المحصنات ١٩٠

فائدة: الإستعاذة بالله عند قراءة القرآن الكريم ١٩١

فائدة: شروط الشفاء بالقرآن ١٩٢

فائدة: منافع النخيل ١٩٢

فائدة: الله يسمع دعاء من دعاه ١٩٣

فائدة: شرف أهل العلم ١٩٤

فائدة: ضرورة اختيار الأسلوب الأحسن في الدعوة إلى الله ١٩٤

فائدة: توقير الله وتعظيمه ١٩٥

فائدة: اجتماع الملائكة في صلاة الفجر ١٩٥

فائدة: بشرية عيسى وأمه عليهما السلام وانهما عبدان فقيران الى الله تعالى ١٩٦

فائدة: من آيات الله العظام الدالة على قدرة الله تعالى ١٩٧

فائدة: حال العرب قبل الإسلام ١٩٨

فائدة: الخوف والرجاء ١٩٩

فائدة: لا سعادة إلا بالإيمان ١٩٩

فائدة: النهي عن الفحشاء بكل صوره ٢٠٠

فائدة: من اسباب انشراح الصدر ٢٠١

فائدة: صالحوا البشرهل أفضل هم من الملائكة ٢٠٢

فائدة: الطيرة شرك ٢٠٣

فائدة: صور هجر القرآن ٢٠٤

فائدة: أسباب النصر ٢٠٥

فائدة: مآل الظالمين المكذبين ٢٠٥

فائدة: المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ٢٠٧
فائدة: الله سبحانه طيب لايقبل إلا طيبا ٢٠٧
فائدة: الرد على أصحاب التثليث وغيرهم ٢٠٨
فائدة: لا أحد يجرأ أن يشفع عندالله إلا بإذنه ٢٠٨
فائدة: التمحيص ٢٠٩
فائدة: رفع الدرجات بالعلم والإيمان ٢٠٩
فائدة: العربية أشرف اللغات وأفصحها ٢٠٩
فائدة: وجوب الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ٢١١
فائدة: مراحل الخلق ٢١١
فائدة: توعد الشيطان واقسامه بإغواء بني آدم ٢١١
فائدة: الهداية إلى الصراط المستقيم ٢١٢
فائدة: الصحة نعمة عظيمة ٢١٣
فائدة: عصمة الله وحفظه للقرآن الكريم من التحريف ٢١٣
فائدة: امتحان لاينجح فيه إلا القليل ٢١٤
فائدة: الأنعام أعقل لما ينفعها من الكفار ٢١٤
فائدة: اغتنام الفرص للقرب من الله ٢١٥
فائدة: مصير المنافقين ٢١٦
فائدة: من أضرار الذنوب ٢١٦
فائدة: الشيطان قرين المعرض عن ذكر الله ٢١٧
فائدة: الغفلة تسبب فوات أمور مهمة ٢١٨
فائدة: أهل الأهواء والضلال يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ٢١٩
فائدة: عبادة الله تورث العزة ومعصية الله تورث الذلة ٢٢٠

فائدة: المشرك ما قدر الله حق قدره ٢٢٠

فائدة: الشوق إلى لقاء الله ٢٢١

فائدة: صفات عباد الرحمن ٢٢٢

فائدة: أدب الخليل عليه السلام مع ربه ٢٢٢

فائدة: هداية الله لجميع الخلق ٢٢٣

فائدة: الأخذ بالاسباب والإستعانة بالله ٢٢٤

فائدة: توبيخ للكفار وتعجب من فعلهم ٢٢٦

فائدة: دلائل توحيد الله لأولي العقول ٢٢٧

فائدة: الوضوء والغسل يحط الله بهما الأوزار ٢٢٧

فائدة: لايأمن مكر الله إلا الخاسرون ٢٢٨

فائدة: تعظيم حرمات الله ٢٢٨

فائدة: فرضية الحج وفضله ٢٢٨

فائدة: يساق الكفار إلى جهنم ويساق المتقون إلى الجنة ٢٣٠

فائدة: الأمر بالاستعاذة من الشيطان ٢٣١

فائدة: من حكمة الله التيسير على عباده ٢٣٢

فائدة: الاستطراد اسلوب من أساليب القرآن الكريم ٢٣٢

فائدة: تواصي أعداء الإسلام بالصد عن دين الله ٢٣٣

فائدة: مقتطفات من سورة البروج ٢٣٤

فائدة: أظلم الناس من أعرض عن آيات الله ٢٣٦

فائدة: لاتتم الشهادة إلا بأن محمدا رسول الله ﷺ ٢٣٧

فائدة: وسطية الاسلام بين الأديان ٢٣٧

فائدة: الجنة دار السلام ٢٣٧

فائدة: وجوب إعداد العدة لجهاد الكفار ٢٣٨
فائدة: تزيين الشيطان لاتباعه ماهم عليه من المعاصي ٢٣٨
فائدة: تشابه المطربالقرآن في نفع العباد ٢٣٩
فائدة: مثل من ضل بعد الهدى والعلم ٢٤٠
فائدة: حيل اليهود ٢٤١
فائدة: من صفات اليهود الذميمة ٢٤١
فائدة: فوائد الإستغفار ٢٤٢
فائدة: (السلام) اسم من اسماء الله تعالى ٢٤٣
فائدة: خلاصة غزوة بدر ٢٤٣
فائدة: فضل الإيمان بالله ٢٤٦
فائدة: العفو خلق كريم ٢٤٦
فائدة: الأرواح جنود مجندة ٢٤٧
فائدة: انواع الهداية ٢٤٧
فائدة: القرآن مصدق لما بين يديه من الكتب ٢٤٩
فائدة: انتفاء الإيمان ممن لم يتوكل على الله ٢٤٩
فائدة: الكفار لاينتفعون بالحواس ٢٤٩
فائدة: الحق واحد لايتعدد ٢٥٠
فائدة: صداقة الأخيار خير وصداقة الأشرار شر ٢٥١
فائدة: من فوائد سورة (ق) ٢٥١
فائدة: قصة شعيب عليه السلام مع قومه ٢٥٣
فائدة: الغاية من خلق الجن والإنس ٢٥٤
فائدة: وجوب الزهد في الدنيا ٢٥٥

فائدة: نعيم أهل الجنة ٢٥٧
فائدة: الجميع فقير إلى الله ٢٥٧
فائدة: عام الحزن ٢٥٨
فائدة: وجو ب الأمر المعروف والنهى عن المنكر ٢٥٩
فائدة: الخشوع لب الصلاة ٢٦٠
فائدة: الله يشرح صدر من اراد هدايته للتوحيد والإيمان ٢٦٢
فائدة: قصة ثمود قوم صالح عليه السلام ٢٦٣
فائدة: التقوى وصية الله للأولين والآخرين ٢٦٥
فائدة: آيات الله الباهرة في الأرض والإنسان ٢٦٦
فائدة: العبر والفوائد في قصص رسول الله ﷺ ٢٦٧
فائدة: لا يعذر من بلغه القرآن على وجه تقوم به الحجة ٢٦٨
فائدة: المسجد الحرام أول بيت وضع في الأرض ٢٦٩
فائدة: الظلم ظلمات يوم القيامة ٢٦٩
فائدة: الفوائد في قصة لوط عليه السلام مع قومه ٢٧٠
فائدة: العبودية أحسن وصف يوصف به الإنسان ٢٧٢
فائدة: منن الله على رسوله ﷺ ٢٧٢
فائدة: حكمة الله في خلق آدم عليه السلام ٢٧٣
فائدة: الذبيح هواسماعيل عليه السلام ٢٧٤
فائدة: فوائد وعبر في قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام ٢٧٥
فائدة: قصة يونس عليه السلام مع قومه ٢٧٧
فائدة: قيام الليل ٢٧٨
فائدة: اغتنام فرصة الحياة الدنيا بطاعة الله عز وجل ٢٧٩

فائدة: مقاتلة الكفار الأقربين قبل الأبعدين ٢٧٩
فائدة: يقسم الله تعالى بماشاء من آياته العظام ٢٨٠
فائدة: وصف رسول الله ﷺ كما جاءفي التوراة والإنجيل ٢٨١
فائدة: اللسان نعمة وآفة ٢٨١
فائدة: أقسام الهداية ٢٨٢
فائدة: من عاد جبريل فقد عاد الله ٢٨٣
فائدة: الحب لله وفي الله اعظم عرى الإيمان ٢٨٤
فائدة: تحذير شديد من الله تعالى لمن عرف الحق ولم يتبعه ٢٨٥
فائدة: فضائل سورة البقرة: ٢٨٥
فائدة: الله يقبل التوبة الصادقة والعمل الصالح ٢٨٧
فائدة: الولد كسب أبيه ٢٨٧
فائدة: فوائد عظيمة في قصة ذي القرنين ٢٨٨
فائدة: بيان بأن الأعمال توزن يوم القيامة ٢٨٩
فائدة: السكينة منة من الله ٢٩٠
فائدة: محاولة المشركين إيهام العوام بأن القرآن شعر ٢٩٢
فائدة: إذا اراد الله بعبده خيرا أعطاه اكثر مما يؤمل ٢٩٣
فائدة: الايمان بالغيب ٢٩٤
فائدة: ثلاث عشرة صفة من صفات المنافقين ٢٩٥
فائدة: الأمر بالإنفاق من الكسب الطيب ٢٩٦
فائدة: تحديد الطلاق بطلقتين وتحريم ما كان في الجاهلية ٢٩٦
فائدة: تمام الرضاعة حولان كاملان ٢٩٧
فائدة: من فوائد قصة أيوب عليه السلام ٢٩٨

فائدة: صلة الرحم ٢٩٩
فائدة: الابتلاء نعمة او نقمة ٣٠٠
فائدة: كل يوم هو في شأن ٣٠٠
فائدة: أعظم الظلم منع بناء المساجد وتعميرها بالعبادة ٣٠١
فائدة: التوبة النصوح تجب ما قبلها ٣٠٢
فائدة: حياة المؤمن في البرزخ ٣٠٢
فائدة: تحدى الله الكافرين بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ٣٠٣
فائدة: روح القدس ٣٠٤
فائدة: بديع صنع الله في خلق الإنسان ٣٠٤
فائدة: صيغة التحية الشرعية ٣٠٥
فائدة: عظم أجر من عال البنات ٣٠٦
فائدة: عقوبات الصد عن سبيل الل ٣٠٧
فائدة: وجوب الخوف من الله ٣٠٧
فائدة: خلق الإنسان في كبد ٣٠٨
فائدة: فوائد في قصص إبراهيم عليه السلام ٣٠٩
فائدة: لا مساواة بين الرجل والمرأة ٣١١
فائدة: القرآن حياة القلوب ٣١٢
فائدة: البيت الحرام جعله الله مثابة للناس وأمنا ٣١٢
فائدة: الوفاء بالعهد من صفات أهل الإيمان ٣١٣
فائدة: الإستدراج ٣١٥
فائدة: صفات المتعففين ٣١٥
فائدة: من اوصاف القرآن الكريم ٣١٦

فائدة: الحروف المقطعة ٣١٧
فائدة: فوائد من قصة هود عليه السلام ٣١٨
فائدة: الولاء والبراء هو مضمون شهادة (لا إله إلا الله) ٣١٩
فائدة: من رضي بغير الله ربا وإلها فقد أشرك ٣٢٠
فائدة: الجدال المحمود والجدال المذموم ٣٢١
فائدة: اول من سن القتل ٣٢١
فائدة: تمييز اهل السعادة من أهل الشقاوة ٣٢٢
فائدة: حياة الشهداء ٣٢٣
فائدة: لاينتفع بالقرآن إلا من القى السمع وهو شهيد ٣٢٤
فائدة: فضل ليلة القدر ٣٢٤
فائدة: فضل الصدقة في سبيل الله ٣٢٥
فائدة: مرد التنازع عند الاختلاف ٣٢٦
فائدة: مباركة بعض الأزمنة والأمكنة ٣٢٧
فائدة: أعظم الخذلان إرادة الإنسان بعمله غير الله ٣٢٧
فائدة: النفس والشيطان مصدر الشر ٣٢٨
فائدة: الصدقة الجارية ٣٢٩
فائدة: جوامع خصال البر ٣٣١
فائدة: الله خالق كل شيء ٣٣٢
فائدة: عذاب القبر حق ٣٣٢
فائدة: من أراد الإنتفاع بالقرآن فعليه بالتدبر ٣٣٤
فائدة: الذنوب سبب الابتلاء والمصائب ٣٣٤
فائدة: الحض على التفكر في مخلوقات الله العظيمة ٣٣٥

فائدة: لا يقبل الله من أحد دينا غير الاسلام ٣٣٦
فائدة: اسباب افتراق الأمة ٣٣٧
فائدة: درجات الكمال البشري ٣٣٨
فائدة: سد الذرائع ٣٣٩
فائدة: قد افلح من حمل نفسه على طاعة الله ٣٣٩
فائدة: اقسام من الله عز وجل بأن العذاب واقع ٣٤٠
فائدة: القتل العمد من أكبر الكبائر ٣٤١
فائدة: زينة الحياة الدنيا ٣٤٢
فائدة: سلامة قلب ابراهيم عليه السلام ٣٤٣
فائدة: فوائد من قصص موسى وهارون عليهما السلام ٣٤٤
فائدة: الإعجاز القرآني ٣٤٥
فائدة: محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ٣٤٧
فائدة: أول من هاجر إلى الله ٣٤٨
فائدة: الصلح خير ٣٤٨
فائدة: من صفات الأعراب ٣٤٩
فائدة: من صفات اهل الجنة ٣٥٠
فائدة: حال المتقين في الآخرة ٣٥٠
فائدة: من يعرض عن كتاب الله يقيض له شيطانا ٣٥١
فائدة: المؤمنون بعضهم أولياء بعض ٣٥٢
فائدة: الامام العادل ٣٥٣
فائدة: قيام الليل أفضل النوافل ٣٥٤
فائدة: وجوب صلاة الجماعة على الرجال ٣٥٤

فائدة: عمل الخير يرفع الدرجات عندالله ٣٥٦

فائدة: الإيمان سبب كل خير ٣٥٦

فائدة: كيد النساء عظيم ٣٥٧

فائدة: عائشة أحب أزواج رسول الله الى رسول الله ﷺ ٣٥٨

فائدة: من الابتلاء والامتحان استعلاء الكفار على المؤمنين ٣٥٩

فائدة: الاخلاص لله سبب للعصمة من الوقوع في المعاصي ٣٦٠

فائدة: أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ أبوبكر رضي الله عنه ٣٦٠

فائدة: ذم الجهل ٣٦٢

فائدة: الإعتصام بحبل الله يحمي الانسان من الضلال ٣٦٢

فائدة: اسم الله مبارك ٣٦٣

فائدة: كل المحرمات ترجع إلى الظلم ٣٦٤

فائدة: حقوق المرأة في الاسلام ٣٦٥

فائدة: الوعيد الشديد لمن يقتل نفسا مؤمنة متعمدا ٣٦٨

فائدة: من صفات المحسنين ٣٦٨

فائدة: مكابرة ومعاندة اهل الكتاب ٣٦٨

فائدة: من تيسير الله على الحاج أنه إذا لم يجد الهدي ينتقل إلى الصيام ٣٦٩

فائدة: حرمة نكاح المشركة وانكاح المشرك ٣٧٠

فائدة: وعد الله للمؤمنين بالاستخلاف ٣٧٠

فائدة: من يُقاتل ومن لا يُقاتل ٣٧٢

فائدة: لم يذكر الله من المناسك باسمه الا عرفة والصفا والمروة ٣٧٣

فائدة: أقدم من عرف الحج من الأمم ٣٧٣

فائدة: السلم الحقيقي ٣٧٥

فائدة: رفع الحرج في الأكل من بعض البيوت ٣٧٦
فائدة: أوقات الاستئذان الثلاثة ٣٧٦
فائدة: جواز اتيان النساء على كل حال إذا كان في موضعه ٣٧٧
فائدة: فضل الصلاة في المساجد ٣٧٧
من فوائد الصلاة: ٣٧٨
من فوائد الزكاة: ٣٨٠
من فوائد الصيام: ٣٨١
من فوائد الحج: ٣٨١
فائدة: من كان الله معه امن من كل خوف ٣٨٣
فائدة: كل إنسان مرهون بعمله ٣٨٣
فائدة: الذنوب تمرض القلوب وتصم الآذان ٣٨٣
فائدة: اقسام الصبر والشكر ٣٨٤
فائدة: أنواع الحب ٣٨٦
فائدة: حرمة الزواج بالمشركة ٣٨٧
فائدة: أهوال يوم القيامة وأماني المجرمين ٣٨٧
فائدة: الصبر لوجه الله تعالى ٣٨٨
فائدة: أقسام المرض ٣٨٨
فائدة: سماحة أحكام الاسلام ٣٨٩
فائدة: حكم الجهاد في سبيل الله ٣٩٠
فائدة: صفات المؤمن الحق ٣٩١
فائدة: مراتب الإيمان ٣٩٢
فائدة: الإيمان بالغيبيات ٣٩٤

فائدة: الحيلة من صفات اليهود ٣٩٥
فائدة: من صفات المولى جل وعلا ٣٩٥
فائدة: تعنت اليهود وتشددهم ٣٩٦
فائدة: التسليم لأمر الله وعدم الاعتراض ٣٩٧
فائدة: أمومة زوجات رسول الله ﷺ لأمته ٣٩٨
فائدة: ذكر الله من أجل الطاعات ٣٩٨
فائدة: العدول من المفتي إلى ما فيه فائدة ٣٩٩
فائدة: أقسام الهجرة ٣٩٩
فائدة: طلب العلم وبذله جهاد في سبيل الله ٤٠٠
فائدة: ذم اتباع الهوى والشهوات ٤٠١
فائدة: امور الشريعة مبنية على الاخلاص والمتابعة ٤٠١
فائدة: شروط دفع الأموال إلى الأيتام ٤٠٢
فائدة: أحب البقاع إلى الله المساجد ٤٠٢
فائدة: لايترك الواجب لشبهة عارضة ٤٠٣
فائدة: وجوب تقديم الأولى والأحسن على غيره ٤٠٣
فائدة: مراتب الهداية ٤٠٤
فائدة: الصحة والمصائب ابتلاء وامتحان ٤٠٥
فائدة: القياس العقلي الفاسد ٤٠٥
فائدة: الذكرى تنفع المؤمنين ٤٠٦
فائدة: أقسام آكلي الأموال المحرمة ٤٠٧
فائدة: مفاسد الترف ٤٠٨
فائدة: الحق ضالة المؤمن ٤٠٩

فائدة: تشبيه الحياة الدنيا بالماء ٤٠٩
فائدة: الأصل في العبادات التحريم والعادات الإباحة ٤١٠
فائدة: حياة القلوب بالقرآن الكريم ٤١١
فائدة: العزم ٤١٢
فائدة: لايكلف الله نفسا إلا وسعها ٤١٢
فائدة: اليأس خلق مذموم ٤١٣
فائدة: غاية الداعي إلى الله ٤١٤
فائدة: كل مباح طيب وكل منهي عنه خبيث ٤١٤
فائدة: الخشوع وما يتبعه من صفات حميدة ٤١٤
فائدة: اهمية الاخلاص في العبادة ٤١٥
فائدة: وجوب التعاون في خصال البر ٤١٦
فائدة: من صور لطف الله بعباده ٤١٦
فائدة: آداب إسلامية عظيمة ٤١٧
فائدة: القرآن الكريم دليل عل نبوة محمد ﷺ ٤١٨
فائدة: الله يقسم الأرزاق بحكمته ٤١٨
فائدة: الأعمال بالنيات ٤١٩
فائدة: الحياة الحقيقية حياة الروح ٤١٩
فائدة: الفرق بين الإيمان والإسلام ٤٢٠
فائدة: الكافر لاعقل له ٤٢٠
فائدة: صفات أهل الإيمان ٤٢١
فائدة: إذا اجتنب المسلم الكبائر كفر الله عنه الصغائر ٤٢٣
فائدة: من لطف الله بعبده أن يهيء له أعونا على الخير ٤٢٤

فائدة: أسعد الناس ٤٢٤
فائدة: الناس في سفر إما إلى الجنة و إما النار ٤٢٤
فائدة: لاتحزن على ما فاتك وانظر إلى من هو دونك ٤٢٥
فائدة: لاضرر ولا ضرار ٤٢٦
فائدة: البلاء موكل بالمنطق ٤٢٦
فائدة: التحلي بالزينة الظاهرة والباطنة ٤٢٧
فائدة: جواز القرعة عند التزاحم أو جهل التعيين ٤٢٧
فائدة: أصحاب الصراط المستقيم هم الصحابة ومن والاهم ٤٢٨
فائدة: شكر النعم ٤٢٨
فائدة: تقديم الآراء والعقول على الشرع يحبط العمل ٤٢٩
فائدة: ذم اللهث وراءء الدنيا الفانية ٤٢٩
فائدة: قد يأتي المكروه بالمحبوب ٤٣٠
فائدة: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ٤٣١
فائدة: تفوق حضارة سليمان عليه السلام ٤٣٢
فائدة: خلاصة الدين في سورة الفاتحة ٤٣٢
فائدة: الفجر الصادق ٤٣٣
فائدة: جواز شهادة الإبن عليى أبيه وبالعكس إذا انتفت الموانع ٤٣٣
فائدة: التمحيص زكاة النفس ٤٣٣
فائدة: الله يحب الملحين في الدعاء ٤٣٤
فائدة: الدروس والحكم من القصص القرآني ٤٣٥
فائدة: الصراط المستقيم واحد لا يتعدد ٤٣٦
فائدة: لا يجوز التقرب إلى الله بما لم يشرع ٤٣٦

فائدة: حرمة التفرق في الدين ٤٣٦

فائدة: من لطف الله بعباده أنه وسع لهم في الحلال ٤٣٧

فائدة: الصراط المستقيم طريق الاخيار ٤٣٨

فائدة: تعريض النفس للهلكة في الجهاد في سبيل الله ٤٣٨

فائدة: فوائد مهمة تضمنتها سورة (ق) ٤٣٩

فائدة: دعوة يوسف عليه السلام إلى التوحيد وهو في السجن ٤٤٠

فائدة: بعد المكان والاستجابة للحق ٤٤١

فائدة: الدين مبناه على الذكر والشكر ٤٤٢

فائدة: الصلاة إذا صلحت صلح سائر العمل ٤٤٢

فائدة: ما خلق الله الجن والإنس إلا لعبادته ٤٤٣

فائدة: جواز انفاق ما زاد على النفقة الواجبة ٤٤٣

فائدة: دفع الضرر مقدم على جلب المصلحة ٤٤٣

فائدة: نعمة الله في تسخير الأرض ٤٤٣

فائدة: علو خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٤٤

فائدة: الحلم أفضل الصفات ٤٤٥

فائدة: العبودية لله اكمل الصفات ٤٤٥

فائدة: وصف الله تعالى الوليد بن المغيرة بأشنع الصفات ٤٤٥

فائدة: الابتلاء يكون بالنعم وبالنقم ٤٤٦

فائدة: الغاية من ارسال الرسل ٤٤٧

فائدة: جواز طلب الإمارة إذا علم أنه لا يصلح لها غيره ٤٤٧

فائدة: تحقق رؤيا يوسف عليه السلام ٤٤٨

فائدة: وجوب الأخذ بالاسباب والتوكل على الله ٤٤٨

فائدة: آداب فهم القرآن ومعرفة معانيه ٤٤٩
فائدة: علامات المحبة لله تعالى ٤٥٠
فائدة: أنواع الناس من حيث الإخلاص والمتابعة ٤٥٢
فائدة: أهمية تبليغ رسالة الإسلام للعالمين ٤٥٣
فائدة: شروط الانتفاع بالقرآن ٤٥٣
فائدة: الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ٤٥٤
فائدة: الأمر بالتزين عند الذهاب للمسجد ٤٥٥
فائدة: أوجه تفسير القرآن الكريم ٤٥٦
فائدة: حاجة الإنسان إلى الهداية ٤٥٧
فائدة: إذا متلأ القلب بشيء أعرض عن غيره ٤٥٨
فائدة: مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ٤٥٨
فائدة: حكمة الله في إمهال الكافرين ٤٥٩
فائدة: التهديد الشديد لمن تقول على الله ٤٥٩
فائدة: إصلاح النفس أولا ٤٦٠
فائدة: الدعوة إلى الله بالسنة والوحي لا بالبدعة والرأي ٤٦٠
فائدة: نفاق أهل المدن أشد من نفاق الأعراب ٤٦١
فائدة: تلاعن أصحاب النار ٤٦٢
فائدة: لاتفتح أبواب السماء للمستكبرين والمكذبين ٤٦٢
فائدة: من أداب الدعاء ٤٦٣
فائدة: مراتب العلم ٤٦٣
فائدة: طيب العيش يحصل بأمور ٤٦٤
فائدة: الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر واليقين ٤٦٤

فائدة: دخول الجنة برحمة الله وفضله ٤٦٥

فائدة: هداية الله بالقرآن لمن اقبل إليه ٤٦٥

فائدة: الإيمان يخفف المصائب ٤٦٧

فائدة: الله جميل يحب الجمال ٤٦٨

فائدة: من تكلم بغير علم فقد اعتدى ٤٦٩

فائدة: حصر العبودية والاستعانة على الله وحده ٤٦٩

فائدة: ذم الدنيا ٤٧٠

فائدة: من داوم على ذكر الله استقامت أحواله ٤٧١

فائدة: الله غاية كل مطلوب ٤٧٢

فائدة: الفرح منه ما هو ممدوح وما هو مذموم ٤٧٢

فائدة: العدل في القول ٤٧٣

فائدة: اقسام السماع ٤٧٤

فائدة: تفاوت الناس في الدرجات ٤٧٤

فائدة: المحكم والمتشابه ٤٧٥

فائدة: أعمال القلب ٤٧٥

فائدة: أهمية الوقت ٤٧٦

فائدة: لا تنفع التوبة بعد مجيء الآيات ٤٧٧

فائدة: مما تحدى الله به العرب فواتح السور (الم) ٤٧٧

فائدة: الاعتراف بالظلم مع عدم التوبة لا يفيد ٤٧٨

فائدة: من طلب الهداية وفق لها ٤٧٩

فائدة: سجود الملائكة لآدم عليه السلام ٤٧٩

فائدة: إدعاء امرأة العزيز البراءة ٤٨٠

فائدة: اعجاب ملك مصر بيوسف عليه السلام ٤٨٠
فائدة: تسليط بعض الظالمين على بعض ٤٨١
فائدة: تقديم الدين على الوصية ٤٨١
فائدة: احوال الناس في قبول الحق والانتفاع به ٤٨٢
فائدة: صفة النار وصفة أهلها ٤٨٣
فائدة: عدد الملائكة الموكلين بجهنم ٤٨٤
فائدة: المصائب والابتلاءات تزيد المؤمن يقينا ٤٨٥
فائدة: الوساوس تمرض القلوب ٤٨٥
فائدة: الشرك والظلم سبب الهلاك والعذاب ٤٨٧
فائدة: اخبار من الله تعالى بأن المشركين لا يؤمنون ولو شاهدوا الايات ٤٨٧
فائدة: العين حق ٤٨٨
فائدة: قصة المؤتفكات قرى قوم لوط عليه السلام ٤٨٨
فائدة: أهوال القيامة ٤٨٩
فائدة: حياة القلب بالعلوم النافعة ٤٨٩
فائدة: الرسالة والهداية من الله تعالى ٤٨٩
فائدة: أكثر اهل الأرض في ضلال ٤٩٠
فائدة: من خصال الأعراب الذميمة ٤٩١
فائدة: وجوب الدعوة على الله تعالى ٤٩٢
فائدة: الحق لا يتبع الهوى ٤٩٣
فائدة: الغرباء من اهل الإسلام ٤٩٣
فائدة: الورع في غير محله منكر عظيم ٤٩٤
فائدة: حكمة الله في خلق السموات والأرض في ستة أيام ٤٩٤

فائدة: وسائل الدعوة إلى الله تعالى ٤٩٥
فائدة: قصة صواع الملك وإخوة يوسف عليه السلام ٤٩٥
فائدة: الله وحده هو المستحق للعبادة ٤٩٧
فائدة: الاستعانة بالصلاة عند المصائب ٤٩٨
فائدة: الخديعة من كبائر الذنوب ٤٩٨
فائدة: وجوب الشكر على نعم الله المتجددة ٤٩٩
فائدة: الله يعين من التجأ إليه بصدق ٤٩٩
فائدة: أهل الأعراف ٥٠٠
فائدة: ما أحل من الزينة ٥٠٠
فائدة: تكذيب من إدعى أن لله تعالى ولدا ٥٠١
فائدة: الرفعة الحقيقية بالعلم والإيمان ٥٠٢
فائدة: مراتب القرب من رضا الله وثوابه ٥٠٣
فائدة: من صفات الإنسان الجزع والهلع ٥٠٤
فائدة: تهديد ووعيد من الله تعالى لزعيم قريش (ابن الغيرة) ٥٠٤
فائدة: الذكر يجبر ما نقص من العبادة ٥٠٧
فائدة: تعلق همة ابليس بطول العمر ٥٠٧
فائدة: الأرض مقر الإنسان في حياته ومماته ٥٠٧
فائدة: لايرى الإنسي الجن على الحقيقة ٥٠٨
فائدة: نور الإيمان يظهر علي وجه المؤمن ٥٠٨
فائدة: توعد الشيطان لإضلال الإنسان ٥٠٩
فائدة: كل نفس مرهونة بما قدمت ٥٠٩
فائدة: مثل الحياة الدنيا ٥١٠

فائدة: من فضله الله ورحمته يضاعف الحسنات ٥١٠
فائدة: تحذير من اقتراب المعاصي والمحرمات ٥١١
فائدة: خسارة أولياء الشيطان ٥١١
فائدة: التوكل على الله يحيي القلوب ٥١٢
فائدة: تعدد مطالع الشمس ومغاربها في فصول السنة ٥١٢
فائدة: من عمل صالحا فله الجزاء الحسن ٥١٣
فائدة: القرآن الكريم أعظم البينات ٥١٣
فائدة: المعاصي تفسد الفطرة ٥١٥
فائدة: من اتبع الهوى ضل عن الصراط المستقيم ٥١٥
فائدة: النهي عن تمني مافضل الله به بعض الناس عن بعض ٥١٦
فائدة: الدعاء بالخاتمة الحسنة ٥١٧
فائدة: تكفل الله بحفظ القرآن الكريم ٥١٧
فائدة: الحمد لله أبلغ صيغ الحمد ٥١٨
فائدة: مراحل القتال في سبيل الله ٥١٩
فائدة: نسخ وجوب قيام الليل ٥١٩
فائدة: المؤمن لاييأس من نصر الله ٥٢١
فائدة: تهديد كفار مكة واخبارهم بحال السابقين ٥٢٢
فائدة: الأمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل ٥٢٣
فائدة: معنى الهجر ٥٢٣
فائدة: أهوال اليوم الآخر ٥٢٣
فائدة: التجارة الرابحة والتجارة الخاسرة ٥٢٤
فائدة: تقليد الأباء و الاجداد مذموم ٥٢٥

فائدة: مآخذ الخضر على موسى عليهما السلام ٥٢٦
فائدة: جواز سؤال الضيافة ٥٢٦
فائدة: وجود أعوان للمرء في الدعوة سبب لقوتها ٥٢٦
فائدة: من الأدب ترك المجادلة ٥٢٧
فائدة: دفن الميت واجب في جميع الشرائع ٥٢٨
فائدة: معا تبة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في تحريمه الحلال على نفسه ٥٢٨
فائدة: حسن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكمال أدبه ٥٢٨
فائدة: معنى (التحية) ٥٢٩
فائدة: وصف عيسى عليه السلام بالعبودية ٥٣٠
فائدة: أسلوب وأدب الخليل في دعوة أبيه ٥٣١
فائدة: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ٥٣١
فائدة: إصطفاء الله تعالى لموسى عليه السلام ٥٣٢
فائدة: خص الله تعالى لإسماعيل عليه السلام بصدق الوعد ٥٣٣
فائدة: ذكر صفات ادريس عليه السلام ٥٣٣
فائدة: لا تتنزل الملائكة إلا بامر ربها ٥٣٤
فائدة: التحذير من التنازع ٥٣٤
فائدة: المعاصي سبب لزوال النعم ٥٣٥
فائدة: الاسلام دين الرحمة والعزة والقوة ٥٣٥
فائدة: لا اسلام بلا جهاد الكفار ٥٣٦
فائدة: العمارة الحقيقية للمساجد ٥٣٧
فائدة: اعظم الظلم اتخاذ الآباء والإخوان أولياء من دون الله ٥٣٧
فائدة: قصة ذي النون عليه السلام ٥٣٨

فائدة: استجابة الله لأنبيائه عليهم السلام ٥٣٩

فائدة: فضل الله واكرامه لمريم عليها السلام ٥٣٩

فائدة: لا ينتفع بالآيات والأمثال إلا المتفكرون ٥٤٠

فائدة: الجنة والزيادة للمؤمنين ٥٤١

فائدة: عبر من قصة اخوة يوسف ٥٤١

فائدة: كرامة الله لمريم عليها السلام ٥٤٢

فائدة: حكم من سمع برسول الله ﷺ ولم يؤمن به من أهل الكتابين ٥٤٢

فائدة: التفرق والتشتت يوهن الأمة ٥٤٢

فائدة: الجزاء من جنس العمل ٥٤٣

فائدة: الإيمان بالبعث والجزاء وارسال الرسل ٥٤٣

فائدة: اعظم من نصر دين الله بعد رسول الله ﷺ أبوبكر ٥٤٤

فائدة: الرهبانية مبتدعة ٥٤٤

فائدة: اسماء الله الحسنى ٥٤٥

فائدة: سبب نزول سورة المنافقون ٥٤٦

فائدة: وجوب العدل والقسط مع الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين ٥٤٧

فائدة: وجوب تدبر القرآن الكريم ٥٤٧

فائدة: آيات البشارة للمؤمنين ٥٤٧

فائدة: الفأل خير ٥٤٨

فائدة: قصة بيع يوسف عليه السلام واسترقاقه ٥٤٨

فائدة: الدعوة بالهداية أفضل من الدعاء على العصاة ٥٤٩

فائدة: انذار الكفار بقرب هلاكهم ٥٤٩

فائدة: معجزة انشقاق القمر ٥٤٩

فائدة: كل شيء بقدر ٥٥٠
فائدة: المؤمنون أنصار الله في كل الرسالات ٥٥١
فائدة: الدعوة لا ينتفع منها المتكبرون ٥٥١
فائدة: النهي عن تزكية المرء نفسه ٥٥٢
فائدة: ذم من يقول مالا يفعل ٥٥٣
فائدة: المساكن الأبدية في الجنة ٥٥٣
فائدة: أصحاب خمس الغنيمة ٥٥٣
فائدة: يوم الفرقان هو يوم بدر ٥٥٤
فائدة: وعد الله للأسرى بعوض أحسن إن علم فيهم خيرا ٥٥٤
فائدة: مكانة الهجرة في الإسلام ٥٥٥
فائدة: علامة وآية لزكريا عليه السلام تدل على حصول المطلوب ٥٥٥
فائدة: الأخذ بالأسباب للحصول على المطلوب ٥٥٦
فائدة: العمل بالقرآن فيه سعادة الدنيا والآخرة ٥٥٧
فائدة: أمر الله تعالى لكليمه موسى عليه السلام بخلع نعله في الواد المقدس ٥٥٨
فائدة: الخشوع في الصلاة ٥٥٨
فائدة: جواز الإجتهاد في الأمور العظام لمن هو أهل لذلك ٥٥٩
فائدة: منة الله على العرب بإنزال القرآن بلغتهم ٥٦٠
فائدة: نسيان آدم عليه السلام العهد ٥٦٠
فائدة: منافع الحديد ٥٦١
فائدة: حسرة الظلمة يوم القيامة ٥٦١
فائدة: إعراض الكفار عمن يدعوهم لمعرفة الله ٥٦١
فائدة: أعظم البهتان أن جعلوا لله ولدا ٥٦٢

فائدة: حياة الخلق بالماء ٥٦٢

فائدة: آيات الله في السموات والأرض ٥٦٢

فائدة: سبب تأخير العذاب عن المشركين ٥٦٣

فائدة: لله وحده صفات الكمال ٥٦٤

فائدة: القرض الحسن ٥٦٥

فائدة: ذكر اربع صفات للمنافقين ٥٦٥

فائدة: الحض على خشوع القلب ومحاسبة النفس ٥٦٥

فائدة: مثل الحياة الدنيا وأطوارها ٥٦٦

فائدة: إذا قويت شوكة الكفار لا يراعون عهدا ولا ذمة ٥٦٧

فائدة: جواز افساد مصالح العدو لإلقاء الرعب في قلوبهم ٥٦٧

فائدة: بموالاة الكفار تحصل الفتنة في الدين ٥٦٩

فائدة: من فوائد الجهاد ٥٦٩

فائدة: دوام إعجاز القرآن الكريم ٥٦٩

فائدة: كنز المال في الدنيا سبب لحصول العذاب في الآخرة ٥٧٠

فائدة: فضل بعض الأزمنة والأمكنة على بعض ٥٧١

فائدة: البدن من شعائر الله وفيها خير ومنافع ٥٧١

فائدة: معنى الإخبات ٥٧٢

فائدة: أول آية أذن فيها بالجهاد ٥٧٢

فائدة: شروط النصر على العداء ٥٧٣

فائدة: لا يجوز للمسلمين أن يرضوا عن المنافقين ٥٧٣

فائدة: فوائد وعبر من قصة ذي القرنين ٥٧٣

فائدة: آيات الله في خلق الكون ٥٧٦

فائدة: بيان موت رسول الله ﷺ كما تموت النفوس ٥٧٧
فائدة: كشف أحوال المنافقين المتخلفين ٥٧٧
فائدة: تسفيه ابراهيم عليه السلام لعقول المشركين ٥٧٨
فائدة: أول هجرة وأول مهاجر إلى الله ٥٧٩
فائدة: من فضل الله على لوط عليه السلام أن أوحى الله إليه ونجاه ٥٨٠
فائدة: تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال من سبق من المكذبين ٥٨٠
فائدة: عاقبة الظلم والظالمين ٥٨١
فائدة: إعداد العدة لكل عصر بما يناسبه ٥٨٢
فائدة: لم يعلم إبراهيم عليه السلام بأن الضيوف ملائكة ٥٨٢
فائدة: أنواع العذاب الذي أهلك الله به الأمم السابقة ٥٨٣